ابن الجـــــــوزى
ومقاماته الادبيـــة

****

رسالة دكتوراه فى الأدب والنقـــد

مقدمة من الطالب

على جميـــل على مهنـــا

الى قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية

جامعـــة الأزهر

لنيـل درجة العالميـــة « الدكتوراه »

باشراف

فضيلة الدكتور أحمد الشرباصى

٠٠٢٧٧٥ ل

٧٨٩

جامعة أم القرى / مكة المكرمة
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH
عمادة شؤون المكتبات
قسم المخطوطات

شوال سنة ١٣٩٦ هـ — أكتوبر سنة ١٩٧٦

شكر واجـــــب

الى الـذى لـم يبخـل علـى بجهـده ... ولـم يضن علـى بوقتـه وعلمـه .

الـى الذى كانت نصائحـه وتوجيهاتـه النبـراس الـذى اهتديـت بـه فى رسـالتى .

الى الـذى تـرك فى نفسـى أعمـق الأثـر .

الى العالم الجليل .. والباحث الأديب .. فضيلـة الدكتـور / أحمد الشـرباصى .. أتـقدم جزيل شكرى .. وعظيم امتنانـى علـى كـل ما قدمـه لـى من ارشـادات وتوجيهـات .. وعـلى الجهـد المضنى الـذى بذلـه معـى رغم مرضـه وظروفـه الصحيـة ... جزاه اللـه عـنى وعـن المسلمين خيـر الجـزاء .

واللـه أسـأل أن يمـد فى عمـره ، وأن يمنحـه الصحـة والعافيـة .

علـى جميل مهنـا

اهـــــــداء

الى الذى عوضنى نعمة البصر ، فكان النور الذى أهتدى به ، والعون الذى أعتمد عليه ...

الى الذى لم يبخل على بجهد مادى أو معنوى ...

الى الذى غرس فى نفسى بذور العلم والمعرفة ، وغرس فيها الحب والخير للجميع ...

الى والدى " أمد الله فى عمره ومنحه الصحة والعافية " أهدى باكورة انتاجى الأدبى تقديرا لجهده وعرفانا بفضله ...

والله أسأل أن يمكننى من أن أوفيه بعض حقه وأرد اليه بعض دينه ...

على جميل مهنا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

=======

الحمد لله الذى جعل العلم أربح المتاجر وأشرف الذخائر ورفع به الأصاغر على الأكابر ، والصلاة والسلام على أفصح العرب لسانا وأصدقهم حديثا وأصوبهم بيانا .. محمد بن عبد الله هادى الانسانية ومعلم البشرية ، وعلى آله الأبرار وعترته الأطهار .

وبعد ..

فاننى حينما أردت تسجيل موضوع لنيل شهادة العالمية الدكتوراه من قسم الدراسات العليا شعبة الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، أجلت الفكر طويلا فى العصور الأدبية المختلفة من خلال شعرائها وأدبائها والظواهر الأدبية المختلفة لتلك العصور ولكنى وجدت جمهور هؤلاء الشعراء والأدباء ومعظم تلك الظواهر قد استنفد وقتل بحثا .

واننى كنت أضع نصب عينىّ أن يكون الموضوع الذى أرجو الله عز وجل أن يوفقنى فى اختياره أن يتحقق فيه الجانب الأدبى من ناحية ، وأن يكون ذا صبغة دينية من ناحية أخرى خصوصا وأننى قد نشأت فى بيئة اسلامية وقد تعلمت فى الأزهر الشريف وأن الموضوع سيسجل فى جامعة الأزهر العريقة

وبعد البحث طويلا استوقفنى عالم من علماء القرن السادس الهجرى هو أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى الذى يعد من أعلام القرن السادس الهجرى فى الفكر العربى والاسلامى بل انه يعد علامة عصره لتبريزه فى كثير من العلوم والفنون ولضخامة التراث الذى خلفه من

وافيه ، حتى ذكر بعض المؤرخين أن مؤلفاته بلغت الثلاثمائة .

وهناك جانب من هذه الآثار قد عرف طريقه الى النشر في طبعات محققة أو غير محققه ، ولكن باقي كمه المتنوعه لم ير النور وظل طي الكتمان لم يعرف طريقه الى النشر .

ومن بين آثار ابن الجوزي المخطوطة كتابه " مقامات ابن الجوزي الأدبية " ولا شك أن المقامة فن له شأنه ومكانه في تاريخ الأدب العربي ، ومع جلال مكانة هذا الفن لم يحظ بما يستحقه من دراسة وعناية ، ولذلك رأيت أنه من الخير أن أحقق كتابا من كتب المقامات المخطوطة التي لم تنشر ، علّي أتمكن من ابراز بعض الكنوز المخفية من أدبنا العربي وتراثنا الغالي ، بدلا من الاقتصار المستمر على عرض تراجم لأعلام الأدباء والشعراء ، ومنهم من يكون قد استوفى حظه من الدراسة والبحث .

وقد عرف الناس ابن الجوزي مفسرا ومحدثا ومؤرخا ، وبقي أن يعرفوا الجانب الأدبي في شخصيته وفي كتابته ، وهذه المعرفة جزء من الانصاف الذي ينبغي لنا أن نؤديه الى كثير من أعلام أمتنا الذين ذاعت شهرتهم في جوانب متنوعة من فنون الفكر العربي والاسلامي ، والذين هضمنا حقهم فيما يتعلق بالجوانب الأدبية في حياتهم وتراثهم .

فسجلت موضوع رسالتي بعنوان " ابن الجوزي ومقاماته الأدبية " هادفا من خلاله تحقيق أمرين : أولا : ابراز الجوانب المختلفة لحياة ابن الجوزي من خلال سيرة حياته والتعرف على آثاره .

ثانيا : تحقيق مقاماته الأدبية .

وبعد أن سجلت الموضوع عكفت على البحث والدرس والتنقيب على النسخ المخطوطة لمقامات ابن الجوزى ، فذهبت الى قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية ، ومعهد احياء التراث التابع للجامعة العربية والى مكتبة الأزهر ، واطلعت على المصادر والمراجع التى لها اهتمام بالمخطوطات العربية ومن أهمها كتاب تاريخ الأدب العربى للمستشرق الألمانى كارل بروكلمان ، فتبين لى من خلال ذلك كله أنه يوجد لهذه المقامات ثمان نسخ مخطوطة نسخت فى أماكن متعددة وفى أزمان مختلفة أقدمها نسخة كتبت فى جامع المنصور ببغداد سنة احدى وأربعين وسبعمائة بقلم معتاد ، بخط الحسين بن بدران ابن داود الحنبلى ، فرغ من كتابتها فى يوم الخميس الحادى والعشرين من شهر صفر سنة احدى وأربعين وسبعمائة هجرية ، وتقع فى خمس وسبعين ومائة ورقة ، المقاس ١٥ × ٢١ سم ، ومسطرتها أربع وثلاثون سطرا ، توجد بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية برقم (٢٣٧٦) أدب .

والنسخة الثانية كتبت بحلب بقلم معتاد بخط محمد البكرى الحموى ابن السيد على ، فرغ من كتابتها سنة ١١٨٤ هـ ، وتمت مقابلتها على النسخة الأصلية لثلاث خلون من رمضان من نفس العام ، وتقع النسخة فى تسع وثلاثين ومائة ورقة ، مسطرتها اثنان وأربعون سطرا ، بها نقص فى المقامة الحادية والعشرين ، والنسخة توجد بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية برقم (١٤٢٩) أدب .

والنسخة الثالثة كتبت بالمدينة المنورة — على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فرغ من كتابتها فى منتصف شعبان سنة تسع وتسعين ومائتين وألف هجرية كتبت بقلم معتاد ، وتقع فى ست وأربعين ومائة ورقة ،

وسطرتها اثنان وأربعون سطرا ، تنقص المقامة الأولى ، والنسخة توجد بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية برقم (٤٩٤) أدب .

والنسخة الرابعة توجد فى مكتبة كمبردج برقم (١٠٩٨) وهى تقع فى اثنين وستين ومائة ورقة ، مسطرتها ثمان وثلاثون سطرا ، كتبت بخطين مختلفين وما جاء بصدرها وفى نهايتها يفهم أنها قد كتبت فى زمانين متباعدين فمن أولها وحتى المقامة الخامسة والثلاثين كتبت بقلم معتاد فى ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ، وهى مضبوطة الشكل ، وكتبت المقامة السادسة والثلاثون وحتى نهاية المقامات بقلم معتاد فى صفر سنة تسع وثمانين ومائة وألف ، تنقص ثلثى المقامة الخامسة والعشرين والمقامة السادسة والعشرين بأكملها ونصف المقامة السابعة والعشرين .

والنسخة الخامسة توجد فى مكتبة الأزهر برقم (١٥٧٢) أدب ، كتبت بقلم معتاد ، بخط خليل العجوز سنة ثلاثمائة وألف هجرية فى تسع وتسعين ومائة ورقة ، ومسطرتها اثنان وعشرون سطرا .

والنسخة السادسة توجد فى مكتبة ليدن بهولندا برقم (٤٢٦) ، كتبت سنة تسع وتسعين ومائتين بعد الألف .

والنسختان السابعة والثامنة توجدان بتركيا .

وانى قمت بتصوير النسخة التى كتبت ببغداد وكذلك النسخة التى كتبت بحلب والتى كتبت بالمدينة ، وراسلت مكتبة كمبردج فحصلت على ميكروفيلم للنسخة المخطوطة لديهم وقمت بطبع وتكبير الصور ، وأما نسخة الأزهر فقد نسختها بأكملها ، وأما نسخة ليدن فلم أستطع الحصول عليها ولم أهتم بها كثيرا لأنها كتبت حديثا . وكذلك لم أستطع الحصول على النسختين الموجودتين بتركيا . وبهذا يكون قد تجمع لدىّ خمس نسخ مخطوطة لمقامات ابن الجوزى

اعتمدت بعد قراءتها جميعا ومقابلة النسخ بعضها ببعض على النسخة التي كتبت ببغداد لأنها أقدم النسخ وأتمها .

وقد سرت في تحقيقي للمقامات على النحو التالي :

أولا ـ قابلت النسخ الخمس التي تجمعت لديّ . ولا أخفي أنه كان عملا مضنيا .

ثانيا ـ رمزت لنسخة بغداد بحرف (ب) ولنسخة حلب بحرف (ح) ولنسخة الأزهر بحرف (ز) ونسخة كمبردج بحرف (ك) ونسخة المدينة بحرف (م) .

ثالثا ـ أشرت الى ما في النسخ من نقص بعلامة ناقص هكذا (ـ : ح مثلا) والى ما في النسخ من زيادة بعلامة زائد هكذا (+ : م مثلا) وكتبت أضع الكلام الناقص أو الزائد بين قوسين .

رابعا ـ شرحت معاني الكلمات الغريبة وما أكثرها .

خامسا ـ أكملت الآيات القرآنية التي وردت في المقامات وأشرت الى أرقامها مع بيان سورها .

سادسا ـ خرّجت الأحاديث النبوية التي وردت في المقامات مشيرا الى مواضعها في الأسانيد الصحيحة .

سابعا ـ عرّفت بالأعلام التي وردت في المقامات والتي بلغت نحو مائتي علم .

ثامنا ـ نسبت الأبيات الشعرية التي وردت في المقامات الى أصحابها ، وأما الأبيات التي لم أهتد الى قائليها تركتها دون تعليق .

تاسعا ـ أشرت الى الأمثال التي وردت في المقامات مبينا قصة المثل في غالب الأحيان .

عاشرا ـ حققت كثيرا من المعلومات العلمية التي وردت في المقامات .

ملاحظات على النسخ المخطوطة :ـ

١ ـ خلت كثير من الكلمات فى معظم النسخ من النقط .

٢ ـ يوجد فى النسخ كثير من التصحيف والتحريف .

٣ ـ يوجد فى أول النسخ بعض التوقيعات والتملكات والأختام ماعدا نسخة الأزهر .

٤ ـ يلاحظ جليا أن نسخة الأزهر قد نقلت عن نسخة بغداد وأن نسخة حلب ونسخة مكتبة كمبردج متشابهتان الى حد كبير ويبدو ذلك التشابه واضحا من المقامة الأولى وحتى المقامة الخامسة والثلاثين .

هذا وبعد أن جمعت المادة العلمية اللازمة للأبواب المختلفة عرضت مادتى فى ثلاثة أبواب وخاتمة .

فأما الباب الأول فكان بعنوان " عصر ابن الجوزى وحياته وآثاره " ، وقد انتظم عقده ثلاثة فصول :

فأما الفصل الأول فكان بعنوان (عصر ابن الجوزى) وقد قسمته الى ثلاثة مباحث :

أ ـ الحياة السياسية : وقد عرضت فيه للأوضاع السياسية التى سادت فى العصر الرابع لدولة بنى العباس .

ب ـ الحياة الاجتماعية : وقد عرضت فيه للظروف الاجتماعية للعصر الذى عاش فيه ابن الجوزى .

جـ ـ الحياة الأدبية والفكرية : وقد عرضت فى هذا المبحث للحياة الأدبية والفكرية للعصر العباسى الرابع الذى عاش فيه ابن الجوزى وقد اتسمت الحياة الأدبية والفكرية فى هذا العصر

بتنوع العلوم فى مختلف الثقافات ، وقد ازدهـــر فيها التأليف ازدهارا كبيرا .

وأما الفصل الثانى : فكان بعنوان " حيـاة ابن الجوزى " عرضت فيه لسيرة حياته منذ مولده وحتى وفاتـــه وبينت فيه الجوانب المختلفة لحياته وشخصيته ، وذكرت شيوخه ومصادر ثقافته ، كما أننى نوهـــت بنهمه للعلوم بعامة وشغفه بالعلوم الدينية خاصـة وعرضت للآراء التى قيلت حوله سواء كانت مدحا أم قدحا وأنهيت هذا الفصل بذكر أولاده ومريديه .

وأما الفصل الثالـث : فكان بعنوان " آثـار ابن الجـوزى " ذكرت فيه نيفـا وستين ومائتى مصنفا من مصنفـات ابن الجوزى التى كتبها فى مختلف العلوم والفنون ، وقد جعلتها فى قوائم بحسب الفنون التى كتبـــت فيها وبينت أن ابن الجوزى قد هضم علوم عصره والعصور التى سبقته وأنه قد صنّف فى ألوان المعارف المختلفة التى كانت شائعة فى عصره .

وأمـا الباب الثانـى : فكان بعنوان " فن المقامة فى الأدب العربى " . انتظم عقده ثلاثة فصول أيضا .

أما الفصـل الأول : فكان بعنوان " المقامة نشأتها وتدرجها عـــبر العصور " تحدثت فى أوله عن معنى المقامـــة اللغوى والاصطلاحى ، ثم تحدثت عن نشـــأة المقامة فى الأدب العربى ، وعرضت للاراء المختلفة

التى قيلت حول منشىء هذا الفن .

ثم تحدثت عن تدرج فن المقامة عبر العصـــــور ذاكرا كُتّاب المقامات فى العصور المختلفة معرفـــا بمقاماتهم بايجاز وذلك منذ أن كتب بديع الزمـــان الهمذانى مقاماته فى آخر القرن الرابع الهجـــرى وحتى عصرنا الحاضر .

ثم تحدثت عن المقامة فى الآداب الأخرى . وقـــد تناولت فن المقامة بين العربية والفارسيـــة .

وأما الفصل الثانى : فكان بعنوان " شهرة الهمذانى والحريرى فى فن المقامة " . وقد قسمته الى قسمين عرضت فـــى القسم الأول لحياة بديع الزمان الهمذانى وصفاتـــه وآثاره ، وقد عرضت فيه لمقامات البديع ، وقـــد ذكرت نماذج مختلفة لشعره ونثره .

وأما القسم الثانى فقد عرضت فيه لحياة أبى محمـــد القاسم الحريرى وصفاته وآثاره ، وقد عرضت لمقاماتـــه مبينا موضوعاتها ، وقد ذكرت آثاره المختلفة .

وأما الباب الثالث : فكان بعنوان "تحقيق مقامات ابن الجوزى" . وقد اشتمل هذا الباب على مقامـــات ابن الجوزى وهى خمسون مقامة ، تحافيها ناحيـــة الوعظ الدينى ، وقد اتخذ العقل بطلا لمقاماتـــه ورمز له " بأبى التقويم " . فكان يظهر أبو التقويـــم فى المقامات على صورة شيخ واعظ تارة وطورا فـــى

هيئة مجادل فصيح أو قاص عليم بالسير ، وتـــارة أخرى كان يظهر في صورة بدوي قح ذلق اللسان ، بليغ البيـان .

وهكذا كان ابن الجوزي بارعا في اظهار بطلـــه أبي التقويم في صور مختلفة اتسمت كلها بالجلال والتوقير وتعظيم العقل واعطائه حقه ، ولا ريب أن هـــذه من أبرز الحسنات لابن الجوزي حيث أنه وضـــع العقل في مكانه المناسب ، كيف لا وهو آلة التفكير ومناط التكليـف .

هذا ولم يجعل ابن الجوزي لمقامـاته راوية بل كان يرويها هو بنفســـه وقد أكثر ابن الجوزي في مقاماته من الكلمات الغريبة والمفردات المهجـــورة كما أنه أكثر من المحسنات البديعية لا سيما السجع والجناس وقد كان يتجـه ناحية تعمية المعنى حتى يستغلق على الأفهام أحيانـا خاصة في المقامـات الأول ، ولعل ذلك كان سببا في عزوف الكتاب وانصراف المحققين عـــن مقامـات ابن الجوزي .

ثم كانت الخاتمـة التي ضمنتها خلاصة البحث ونتائجـه . ثم ذكرت ثبتا بالمصادر والمراجع التي رجعت اليها والتي كان من بينها المخطوط والمطبوع ثم كان فهرس الموضوعـات .

هذا ولا أدعي أنني قد قلت الكلمة الأخيرة في هذا الموضـوع .. ولا أزعـم أنني قد بلغت في هذه الرسالة حد الكمال .. فسبحان الذي له الكمال وحـــده ، ولا أن هذه الدراســة منزهة عن الخطأ والزلل ، فمن تلمس عيبا وجـده :

فان تجد عيبا فكن عين الرضـــا * أو مُرَّ مر الكرماء معرضـــــا

وهذرى فى ذلك أننى قد بذلت جهدى ، وأنفقت طاقتى :

فان تلت ما أملته أبت فائزا * والا فنفسى قد أتت بها عذرى

وانه ما من انسان يكتب كتابا فى يومه الا قال فى غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر .. وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر ..

والله أسأل وبرسوله أتوسل أن يجعل هذه الرسالة مؤنسة للنفوس الذى سيقت من أجله وأن ينفعنى وينفع المسلمين بها .

وان كنت قد وفقت فهو من عند الله ويرجع فيه الفضل أيضا الى أستاذى فضيلة الدكتور أحمد الشرباصى .

ولم أشأ التطويل أكثر من ذلك فقديما قيل : قليل لا يحمد صاحبه خير من كثير يفضحه ، وحسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق ..

والله حسبى وعليه أتوكل واليه أنيب

علىى جميل مهنا .

((الباب الأول))

عصر ابن الجوزى

وحياته وآثاره

==========

" الفصـــل الاول ـــــــ "

عصر ابن الجوزى وبيئتـــــه

أ ـ الحيـــاة الســـياســـية :

قامت الدولـة العباسـية سنة ١٣٢ هـ على أثـر مقتـل مروان بن محمـد ، وتسلم أبـى العباس السفاح أمر الخلافـة الاسلاميـة ، وبقيت حتى سنـة ٦٥٦ هـ حين قتل المستعصم على يدى هولاكو التتارى ، وبذلك انتهت الدولـة العباسـية .

وهذه المدة الطويلـة لم تكن ذات طابع سياسى واحد ، وانما خضعـت لأطـوار عدة فى سلطـان الخلفاء وقوتهم ومنزلتهـم .

وقد جرى كثيـر من مؤرخى الأدب على تقسيم أيام بنى العباس الى أربعـة عصـور أدبيـة ، وقد تأثروا فى ذلك بالأحـداث السياسيـة التى جـرت فى هذه العصـور .

وهذه العصـور هـى :ـ

١) العصر الاول : ويبدأ من ظهور الدولة العباسية الى خلافـة المتوكل من سنة ١٣٢ ـ ٢٣٢ هـ .

٢) العصر الثانى : ويبدأ من خلافة المتوكل الى قيام حكم البويهيين من سنـة ٢٣٢ ـ ٣٣٤ هـ .

٣) العصر الثالث : ويبدأ من قيام حكم البويهيين الى استيـلاء السلاجقة على بغداد من سنة ٣٣٤ ـ ٤٤٧ هـ .

٤) العصر الرابع : ويبدأ من قيام السلاجقة سنة ٤٤٧ هـ الى سقـوط بغداد فى أيدى التتار من سنة ٤٤٧ ـ ٦٥٦ هـ .

ومن ذلك نرى أن الخلافة العباسية التي خفقت بنودها في صدر القرن الثاني الهجري ، ثم نكست في منتصف السابع تقريبا قد عاشت خمسة قرون هجرية وربع قرن ، مقسمة الى أربعة عصور كل منها عمر قرنا من الزمان تقريبا ماعدا الاخير فقد أربى على قرنين .

والذي يعنينا من هذه الاقسام العصر العباسي الرابع (١) وهو العصر الذي عاش فيه ابن الجوزي (٥٠٨ - ٥٩٧ هـ) وأول ما يلفت النظر في هذا العصر انتقال السلطان الفعلي فيه الى أمة تركية يمثلها سلطان من السلاجقة يقيم ببلاد الجبل - لا في بغداد - . " وربما كان بنو العباس مع هذه الدولة أحسن حالا منهم مع بني بويه (٣٣٤-٤٤٧هـ) فان هؤلاء كانوا يحترمون الخلفاء تدينا ويبدون من مظاهر التعظيم لهم والاجلال ما يقضي به مذهبهم الديني " (٢) .

وفي خلال العهد السلجوقي استعادت بغداد بعض مكانتها فكانت العاصمة الروحية حيث يعيش الخليفة مختفيا بسلطانه الديني ، أما السلطة السياسية فكانت في عاصمة السلاجقة نيسابور أولا ثم الري (٣) .

---

١) ولي الخلافة في هذا العصر المقتدي ، والمسترشد ، والراشد والمقتفي والمستنجد والمستضيء ، والناصر ، والظاهر والمستنصر والمستعصم .

٢) ص ١٩ - في الأدب العباسي - سليمان حسن ربيع - الطبعة الاولى سنة ١٩٦٨م . مطبعة السعادة .

٣) كانت أصفهان عاصمة كذلك لبعض سلاطين السلاجقة وكذلك مرو . ص ٥٧ - التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية . أحمد شلبي .

وكان ظهور دولة السلاجقة (١) من أهم الانقلابات السياسية التي جرت في ذلك العصر والتي استولت على بغداد سنة سبع وأربعين وأربعمائة للهجرة ، فسلبت الخليفة سلطاته الفعلية ، وأقام نواب السلاجقة العسكريون في العراق وقد جمعوا في أيديهم كل السلطة ، واستأثروا بالحكم والتدبير .

وقد حاول السلاجقة بسط نفوذهم على الاقطار التي فقدتها الدولة العباسية نتيجة سياسة الفاطميين الخاصة بتوسيع رقعة امبراطوريتهم على حساب العباسيين .

وتنفيذا لتلك السياسة التي رسمها طغرل بك أرسل السلطان ملكشاه أول سلاطين السلاجقة في بغداد قوات الى الشام سنة ٤٦٢ هـ فتمكنت من فتح الرملة وبيت المقدس ولكنها عجزت عن فتح دمشق فعادت اليها ثانية سنة ٤٦٧ هـ حيث نجحت في فتحها وحذفت اسم المستنصر من الخطبة وأحلت اسم الخليفة المقتدي العباسي محله . ولم يكتف ملكشاه بذلك بل سار جيش العباسيين بأمره الى مصر ، وكان وزيره اذ ذاك بدر

---

١) دولة السلاجقة : جدها سلجوق ابن بكباك أمير تركي كان في خدمة بعض خانات تركستان (جـ٣ ص ٨ تاريخ آداب اللغة العربية ـ جورجي زيدان) وقد تألق نجمه في النصف الثاني من القرن الرابع فعمل على جمع شمل القبائل التركية التي كانت مشتتة فوحدها تحت زعامته فنسبت اليه وخضعت لحكم أبنائه وأحفاده من بعده . ودخل السلاجقة الاسلام وتعصبوا للمذهب السني واستقروا بالقرب من شاطئ نهر سيحون وساعدوا السامانيين في حروبهم مع الغزنويين ، وبعد أن قويت شوكتهم هزموا الغزنويين وأعلنوا قيام دولتهم بامرة طغرلبك سنة تسع وعشرين وأربعمائة واعترف بها الخليفة العباسي سنة ٤٣٢ هـ . ومن أبرز سلاطين السلاجقة طغرلبك موسس الدولة (توفي سنة ٤٥٥هـ) وابن أخته ألب أرسلان (توفي سنة ٤٦٥هـ) وملكشاه ابن ألب أرسلان (توفي سنة ٤٨٥هـ) . جـ٤ ص ٥٢ وما بعدها ـ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ـ أحمد شلبي .

الجمالي ولكنه انهزم فعاد ثانية الى دمشق ، وكانت الجيوش المصرية قد احتلتها فعادت تلك الجيوش الى مصر سنة ٤٧٠ هـ (١) .

ومن هذا يتبين أن السلاجقة الأتراك قد هيمنوا على الخلافة واستأثروا بالحكم ، ولم يعد للخليفة من سلطة فعلية ، ولم يكن له من أمره شيء سوى ذكر اسمه في الخطبة .

وكان الخلفاء يعيشون في أيام السلاجقة من اقطاعات مقررة يديرها عمال على رأسهم الوزير وكاتب الانشاء .

واستمرت الأمور في أيدي السلاجقة الى أن مات السلطان مسعود سنة سبع وأربعين وخمسمائة للهجرة ، وموته أفل نجم البيت السلجوقي فقد خلفه سلاطين قضوا وقتهم في اللهو واللعب وادمان شرب الخمر .

العلاقة بين الخلفاء والسلاطين السلاجقة :

كانت العلاقة بين الخلفاء العباسيين والسلاطين السلاجقة مغايرة للعلاقة التي كانت بين هؤلاء الخلفاء وسلاطين البويهيين ويذكر المؤرخون أن أهم سبب لذلك هو الاتفاق المذهبي .

قال بروكلمان : وقد انحاز السلاجقة الى مذهب أهل السنة الذي كان يتلاءم وعقولهم البسيطة فأقبلوا على هذا المذهب بكل ما في نفوسهم الفطة من قوة وحماسة (٢) .

---

١) ص ٤٥٨ ـ التاريخ الاسلامي العام ـ الدكتور علي ابراهيم حسن ـ الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٣ ـ مكتبة النهضة المصرية .

٢) جـ٢ ص ١٢٥ ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ـ بروكلمان .

فهؤلاء وأولئك يدينون بالمذهب السني مما يسر التعاون بين الجانبين ودفع السلاجقة الى اجلال الخلفاء واحترامهم احتراما عميقا ويقول الرواندي مطلا ولاء السلاجقة للخلفاء العباسيين ما يلي :

" أثرت بداوة السلاجقة في تعصبهم الشديد للاسلام بعد اعتناقهم له ، كما أثرت في ميلهم المفرط الى أهل السنة والجماعة بعد اتباعهم المذهب السني ، ومن هنا كان تصرفهم تجاه الخلفاء فكانوا يظهرون لهم الولاء ، ويدينون لهم بالطاعة والاحترام "(١) وأنه بالاضافة الى هذا السبب كان البويهيون أجلافا قساة ، ولم يكن السلاجقة كذلك فمن الممكن أن يكون هناك اختلاف في المذهب مع تبادل الاحترام ومع التعاون للخير المشترك والنفع العام .

هذا ولم تكن العلاقة بين السلاطين الأتراك والخلفاء العباسيين ثابتة على حال بل كانت تمر أحيانا بفترات تدل على تسلط السلطان التركي وأحيانا أخرى كانت العلاقة تبدو وثيقة الصلة بينهم .

ومن المظاهر التي تدل على استبداد بعض سلاطين السلاجقة وتحديهم على سلطة الخلفاء وانتهاكهم حرمتها :

١ ـ " كان للخليفة المقتدي (٤٦٧ ـ ٤٨٧ هـ) ولدان أحدهما المستظهر بالله والآخر أبو الفضل جعفر ابن بنت السلطان ، وكان الخليفة قد بايع ولده المستظهر أكبر أولاده بولاية العهد فألزم السلطان الخليفة أن يخلعه ويجعل جعفرا ولي العهد بدلا له ، ويسلم بغداد اليه ويخرج هو الى البصرة ، فشق ذلك

---

(١) ص ٩٨ ، ٩٩ راحة الصدور عن سلاجقة ايران والعراق ص ٢١

على الخليفة وبالغ في استمزال السلطان عن هذا الرأى فلم يفعل وطلب المهلة عشرة أيام ليتجهز فأمهله ، فقيل أن الخليفة في تلك الأيام جعل يصوم واذا أفطر جلس على الرماد للافطار وهو يدعو الله سبحانه وتعالى على السلطان ، فمرض السلطان في تلك الأيام ومات وكفى الخليفة أمره "(١)

٢ - واتخذ سلاطين السلاجقة لقب " ظل الله " وهو لقب كان يحتفظ به الخلفاء العباسيون لأنفسهم ، واتخذ ملكشاه لقب أمير المؤمنين ، وهو لقب لم يطلق الا على الخلفاء فقط "(٢) .

٣ - أخذ السلاجقة من الخليفة المسترشد (٥١٢ - ٥٢٩ هـ) بردة الرسول عليه السلام التي كان يلبسها الخلفاء عند توليتهم الخلافة أو حضورهم الحفلات الدينية "(٣) .

وكان بعض سلاطين السلاجقة يعاملون الخليفة العباسي في المناسبات المختلفة بالاحترام والاجلال اللائقين بمقامه ، فمن ذلك أن طغرل بك لما عاد الى بغداد في سنة ٤٤٩ هـ ، على أثر اخضاعه الموصل ، حضر عند الخليفة القائم لخمس " بقين من ذى القعدة " والخليفة على سرير عال من الأرض نحو سبعة أذرع ، وعليه بردة النبي صلى الله عليه وسلم وبيده القضيب الخيزران فقبل السلطان الأرض وقبل يده ، وأجلس على كرسي ، فقال الخليفة لرئيس الوزراء : قل له أن أمير المؤمنين شاكر لسعيك ، حامد لفعلك ، مستأنس بقربك ، وقد ولاك جميع ما ولاك الله من بلاده ، ورد عليك مراعاة عباده فاتق الله فيما ولاك ، واعرف نعمته

---

١) جـ٢ ص١٦٤ وفيات الاعيان الطبعة الاولى سنة ١٩٤٨م وانظر سمط النجوم العوالي في أنباء الاوائل والتوالي جـ٣ ص٣٧ - عبد الملك العصامي المكي - الطبعة السلفية ومكتبتها تحقيق قاسم دروبش فخرو.

٢) Comp. Med. Hist. Vol. IV. P. 307
عن التاريخ الاسلامي العام ص٤٦٠ الدكتور / على ابراهيم حسن

٣) Aunold. The Caliphate P. 83
عن التاريخ الاسلامي العام

عليك في ذلك ، واجتهد في نشر العدل وكف الظلم واصلاح الرعية وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب ، وأعطى العهد وخرج (١) .

وظهرت تلك العلاقات الطيبة جلية من ارتباط البيتين السلجوقي والعباسي برباط المصاهرة . فقد تزوج الخليفة العباسي القائم من بنت أخ طغرل بك ، وبعد أن تم هذا الزواج أرسل طغرل بك الى الخليفة يطلب لنفسه بنت الخليفة وكلف وزيره أبا نصر الكندري بالقيام بهذه المهمة ففزع الخليفة لهذا الطلب وندب للجواب أبا محمد التميمي للاستعفاء لأنه لم تجر به سنة الخلفاء . (١) ولكن الاستعفاء لم يقبل ، وأجاب الكندري عليه بقوله : ان الاستعفاء لا يحسن مع رغبة السلطان وضراعته في السؤال . وفي المحرم سنة ٤٥٥ هـ توجه السلطان الى بغداد حيث زفت اليه ابنة الخليفة

ويروى الاصفهاني أن السلطان دخل اليها وقبل الأرض بين يديها ، وجلس بازائها على سرير ملبس بالفضة ، وكان قد أنفذ لها مع بنت أخيه زوجة الخليفة مقدين نفيسين ثمينين وجاما خسروانيا من أبريز (٢) العين .. وبقي مدة أسبوع يهب ويخلع ويمنح ولا يمنع (٣) .

" وتزوج المقتدي بن القائم من ابنة السلطان ألب أرسلان سنة ٤٦٤ هـ . وتزوج الخليفة المستظهر من ابنة السلطان ملكشاه سنة ٥٠٢ هـ ، وتزوج الخليفة المقتفي من فاطمة بنت محمد ملكشاه وأخت السلطان محمود بن ملكشاه . (٤) .

---

١) جـ٩ (٢٦٤ ـ ٢٦٥) الكامل لابن الاثير

٢) تاريخ آل سلجوق ص ١٨ ـ عماد الدين الاصفهاني .

٣) الجام : اناء من فضة .

٤) ص ٣٤ تاريخ آل سلجوق

٥) جـ ١٠ ص ٨ ، ٩٩ ، ١٩٩ ـ الكامل لابن الأثير .

هـذا وقـد حاول بعض الخلفاء العباسيين استعادة نفوذهم ، واحياء مجدهم ، فقاموا بعدة محـاولات لبسـط سيطرتهم ، ومن ذلك محاولـة الخليفة المسترشد (١) (٥١٢ ـ ٥٢٩ هـ) اعادة ماكان لخلفاء بـني العباس الأول من نفـوذ وقـوة .

وكان هـذا الخليفة ذا همة عاليـة وشهامة زائـدة ورأي وهيبـة ضبط أمور الخلافـة ورتبها أحسـن ترتيب وأحيا رسـم الخلافة ونشـر عظامها ، وشـيد أركان الشـريعة وطرز أكمامهـا وباشـر الحـروب بنفسه (٢) فقـد خرج هذا الخليفة سنة ٥٢٠ هـ على السلطان محمود بن محمد بن ملكشـاه وهزم قواتـه ، وكاد يستقل بأمور الخلافـة لولا مساعـدة زنكي والي البصـرة للسـلطان .

ولما مات محمود حرض المسترشـد بعض أمراء البيـت السلجوقي على الخروج على السلطان الجديـد ، ثم حـارب زنكي وهـزمت جيوشـه وطاردهـا حـتى الموصل (٥٢٧ هـ) حيث حاصـره ثلاثـة أشهر ، ثم سار بجيشه وصحبتـه سلجوق أحد أمراء البيت السلجوقـي ، والتقى مع جند مسـعود على مقربـة من همـذان (٣) .

ولكن المسترشد هزم وأسـره جند مسعود وقتلوه .

وحـاول الخليفة الراشـد (٥٢٩ ـ ٥٣٠ هـ) بن المسترشد الخليفـة المقتول الثأر لأبيـه ، ولكن مسعودا سار الى بغداد وحاصرها وأرغـم الخليفة عـلى الهرب الى الموصـل والاحتماء بعماد الدين زنكـي ، واذ

---

١) المسترشد : هو الفضل بن المستظهر أحمد بن المقتدي بن المقتدي ، بويع يوم وفاة والده المستظهر ، وكان شجاعا دينا مشتغلا بالعبادة ، لم يل الخلافة بعد المعتضد أشهم منه ، وكانت أمة أم ولد اسمها لبابة .
جـ ٣ ص ٢٧٢ ـ سمط النجوم العوالي في أنباء الاوائل والتوالي .

٢) جـ ٢ ص ١٦٤ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي .

٣) جـ ١٠ ص ٢٧١ وما بعدها ـ الكامل لابن الأثير .

ذاك جمع مسعود القضاة والشهود وكتب محضرا بخلعه ، ولم يلبث أن قتل الراشد على باب أصبهان وذلك في سنة ٥٣٢ هـ ومات السلطان مسعود سنة ٥٤٧ هـ وبموته أفل نجم البيت السلجوقي — كما تقدم — فقد خلفه سلاطين قضوا وقتهم في اللهو واللعب وادمان شرب الخمر. واتفق أن كان على عرش الخلافة في ذلك الوقت خليفة على جانب كبير من الشجاعة والشهامة ، انتهز فرصة ضعف سلاطين السلاجقة الجدد وحاول اعادة هيبة الخلافة واسترداد السلطة الفعلية التي سلبها أمراء بني بويه والسلاطين السلاجقة ، فجمع كل الأمور بيديه وهذا الخليفة العباسي هو المقتفي (٥٣٠ — ٥٥٥ هـ) . قال السيوطي : " انه قليل المثل في الأئمة ، لا يجري في دولته أمر وان صغر الا بترقيعه ، جدد معالم الامامة ، ومهد رسوم الخلافة ، وباشر الأمور بنفسه ، وغزا غير مرة ، ولم يرمح ساحته ولين جانبه ورأفته بعد المعتصم خليفة في شهامته وصراحته وشجاعته مع ما خص به من زهده وورعه وعبادته "(١)

ويعتبر ابن الجوزي أن السلطة الفعلية وأن مجد بني العباس قد عاد اليهم منذ خلافة المقتفي . قال : " من أيام المقتفي هذا عادت بغداد والعراق الى يد الخلفاء ولم يبق لهم منازع ، وقبل ذلك من دولة المقتدي الى وقته كان الحكم للمتغلبين من الملاك وليس للخليفة معهم الا الاسم فقط .(٢)

وبعد أن أفل نجم السلاجقة ، وضعف سلطانهم طمع أمراء الأقاليم فيما تحت أيديهم من اقطاعات وتقاسم ملكهم دول شتى تعرف باسم دول

---

١) ص ٢٩٢ — تاريخ الخلفاء للسيوطي ، وأنظر سمط النجوم العوالي ج ٣ ص ٣٧٣

٢) ج ٣ ص ٣٧٤ — سمط النجوم العوالي .

٧٨٩
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH
عمادة شؤون المكتبات
قسم المخطوطات

الاتابكه . وكان أقوى الدول منافسة للسلاجقة هي دولة خوارزم(١) احدى دول الاتابكة التركية .

وقد انتهز الخليفة العباسي ببغداد فرصة ضعف السلاجقة وقيام هذه الحركات الاستقلالية فأعلن استقلاله ببغداد وما حولها وبدأ بذلك العصر الأخير من عصور الخلافة العباسية(٢) ، وكان ذلك سنة ٥٩٠ هـ . وهذا الخليفة هو الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء (٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ) .

" كانت فيه شهامة وصراحة واقدام وعقل ودهاء ، وكان مستقلا بأمور الملك بالعراق متمكنا طالت أيامه فأحيا رسوم الخلافة وامتلأت القلوب بهيبته ، وكان ذا فكر صائب ، وكانت أيامه من غرر الزمان "(٣) .

ومنذ أن استقل الخليفة الناصر بالحكم في بغداد عادت الخلافة لبني العباس مستقلة غير خاضعة لنفوذ أجنبي وبقيت هكذا حتى دخل المغول بغداد سنة ٦٥٦ هـ .

وقد تولى الخلافة منذ وفاة الناصر حتى سقوط بغداد في يد التتار الظاهر بأمر الله (٦٢٢ ـ ٦٢٣ هـ) والمستنصر بالله (٦٢٣ ـ ٦٤٠هـ) والمستعصم بالله (٦٤٠ ـ ٦٥٦ هـ) .

وفي هذا العصر حمل الصليبيون على الشام ففتحوا كثيرا من بلدانها على الساحل وتسلطوا عليها من (٤٩٢ ـ ٥٨٢ هـ) .

---

١) خوارزم : أسس هذه الدولة محمد بن أنوشتكين ، وكان أبوه مملوكا لاحد أمراء البيت السلجوقي ، فنشأ نشأة طيبة وعرف بالادب وتوفر على العلم . كما كان عالي الهمة فعينه حبشي قائد بركيا روق على بلاد خوارزم ولقبه خوارزم شاه وبموته سنة ٥٢١ هـ خلفه ابنه اتسز فاكتسب محبة السلطان . ورسخت أقدام هذا البيت .

ص ٤٦٤ التاريخ الاسلامي العام .

٢) جـ ٤ ص ٦٢ ـ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية

٣) جـ ٣ ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ ـ سمط النجوم العوالي .

وفي هذا العصر أيضا انحلت دولة الاندلس وذهبت وحدتها وانقسمت الى امارات كما انقسمت الدولة العباسية قبلها • وتوالى الانقسام بين تلك الدول والافرنج يغتنمون ضعفهم ويسترجعون بلادهم امارة امارة وبلدا بلدا حتى أخرجوا المسلمين كافة من أسبانيا • (١)

وفي أواخر هذا العصر ظهر جنكيزخان القائد المغولي وحمل على المملكة الاسلامية في أول القرن السابع فاكتسحها وخرّب مدنها وأحرق مكتباتها وقتل أهلها مما لم يسبق له مثيل •

ومن نسله ظهر هولاكو الذي فتح بغداد وخربها وقتل خليفتها المستعصم •

ومن الانقلابات السياسية في هذا العصر سقوط الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ وقيام الدولة الايوبية سنة ٦٤٨ هـ (٢)

---

١) ج ٣ ص ٩ ــ تاريخ آداب اللغة العربية ــ جورجي زيدان

٢) ص ٣٩٠ ــ ٣٩٣ ــ الوسيط في الأدب العربي وتاريخه ــ أحمد الاسكندري ومصطفى عناني الطبعة السابعة عشرة ــ دار المعارف بمصر ١٩١٦

ب ـ الحياة الاجتماعية :

من الصعب على الباحث أن يسجل الظواهر الاجتماعية التي سادت في العصر العباسي الرابع وذلك لتعدد الممالك التي انسلخت عن الخلافة . فان الأجناس التي تسكن هذه الأقطار مختلفة ، فمنها العربي الخالص ، ومنها غير العربي ، ومنها المختلط ، ومع ذلك فقد كان لضعف الخلافة وتسلط الأمراء أثر متشابه في كثير من الأقطار .

ولكن يمكن أن يقال أن هناك أمورا تكاد تكون متشابهة في أكثر من اقليم من أقاليم المملكة الاسلامية .

وبالنسبة لطوائف السكان فقد كان يقيم بين المسلمين بهلاد الدولة العباسية عدد كبير من أهل الذمة . وقد أوجدت الحاجة الى المعيشة المشتركة وما يقتضي أن يكون فيها من وفاق بين المسلمين واليهود والنصارى نوعا من التسامح .

ومما يدل على تسامح الخلفاء العباسيين الديني مع غير المسلمين أن الحكومة الاسلامية لم تتدخل في الشعائر الدينية لأهل الذمة . وكانت الأديرة منتشرة في كل أجزاء بغداد ، يقيم فيها النصارى واليهود حيث يمارسون شعائرهم في أمن وطمأنينة ، بل أكثر من ذلك أن بعض الخلفاء العباسيين كانوا يحضرون مواكب أهل الذمة ، واشتركوا في احياء أعيادهم ومواسمهم ، ولم يكن يوجد في المدن الاسلامية أحياء رسمية مخصصة للنصارى أو اليهود بحيث لا يتعدونها وان آثر أهل كل دين أن يعيشوا متقاربين ، ولم يتصاهر المسلمون مع غير المسلمين الا قليلا ، ولم يكن يجوز للمسيحي أن يتهود ولا لليهودي أن يتنصر ، واقتصر الدين على الدخول في الاسلام ولم يكن النصراني يرث اليهودي ، ولا اليهودي يرث النصراني ، كما لم

يكن اليهودى أو النصرانى يرث المسلم ، ولا المسلم يرث غير المسلم يهوديا أو نصرانيا (١) .

وكان اتخاذ الرقيق منتشرا فى العصر العباسى ، ومن أكبر أسواقه سمرقند ، وكانت بيئة صالحة لتربية الرقيق المجلوب من بلاد ماوراء النهر . ولم ينظر الخلفاء العباسيون الى الرقيق نظرة امتهان وازدراء ، بدليل أن كثيرا منهم كانت أمهاتهم من الرقيق .

وقد أولع الخلفاء باتخاذ الاماء من غير العرب لأنهن كن فى الغالب أوفر جمالا (٢) .

ومما يجدر ذكره فى هذا العصر أنه لم تعد للمرأة المكانة التى كانت لها من قبل . فلم يسجل التاريخ خضوع خلفاء هذا العصر أو بعضهم لامهاتهم أو أخواتهم أو أزواجهم كما كان هو الشأن عند بعض الخلفاء من قبلهم الذين كان للمرأة فى عهدهم القدح المعلى .

يقول صاحب الفخرى : " واعلم أن دولة المقتدر (٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ) كانت دولة ذات تخليط كثير ، لصغر سنه واستيلاء أمه وغلمانه وخدمه عليه فكانت دولة تدور أمورها على تدبير النساء والخدم وهو مشغول بلذاته " (٣) .

فقد أصبح الأمر والنهى بيد أم السيدة . وبلغ من عظم نفوذها أنها كانت اذا غضبت هى أو قهرمانتها على وزير أقيل من منصبه (٤) .

ومن أبرز الشخصيات النسائية فى بغداد فى العصر العباسى الأول والثانى الخيزران أم الهادى ، وزبيدة زوجة الخليفة هارون وأم المؤمنين ،

---

١) ص ٥٧٨ ـ التاريخ الاسلامى العام ، ج ٢ ص ٣٠٦ ـ تاريخ الاسلام السياسى للدكتور حسن ابراهيم حسن .

٢) ص ٥٨٠ ـ التاريخ الاسلامى العام ـ على ابراهيم حسن .

٣) ص ٢٣٥ ـ الفخرى .

٤) ص ٥٨٢ ـ التاريخ الاسلامى العام .

والعباسة ابنة المهدى وأخت الرشيد ، وقبيحة أم الخليفة المعتز والسيدة أم المقتدر .

ومن أشهر النساء اللواتى برزن فى هذا العصار العباسة ابنة المهدى وأخت الرشيد " فقد قيل أن الرشيد كان يعمل بمشورة أخته ، وكانت ذات ثقافة عالية وذكاء نادر ، حلوة الحديث لطيفة المعشر ، وكانت تحضر دائما مجلس الرشيد (١) .

وأما بالنسبة للمواسم والأعياد فقد كانوا يحتفلون بها احتفالات تكسوها مظاهر الأبهة والجلال .

ففى أيام الجمع والأعياد فى العصر العباسى ، كان يسير فى مقدمة موكب الخليفة " الغاشية على اختلاف طبقاتهم حاملين الأعلام ، ثم أمراء البيت العباسى على الخيول المطهمة ثم الخليفة لابسا القباء الأسود وعليه قلنسوة طويلة مزينة بجوهرة ومتمنطقا بمنطقه مرصعة بالجواهر ومشحا بعباءة سوداء ، ومن يديه كبار رجال الدولة " (٢) .

ومن أعظم مواكب العباسيين ، عدا موكب الخليفة ، موكب الحج حيث يجتمع فى بغداد الحجاج من مختلف الأمصار الاسلامية الشرقية (٣) .

ومن الظواهر الاجتماعية فى هذا العصر انغماس الطبقات العليا فى الترف من الخلفاء والوزراء والقواد ، ومن اليهم من كبار الكتاب والشعراء ،

---

١) ص٨٦ ـ نساء لهن فى التاريخ الاسلامى نصيب ـ على ابراهيم حسن .

٢) ص٣٨٦ ، ٣٨٧ ـ مختصر تاريخ العرب .

٣) ص٥٨٦ ـ التاريخ الاسلامى العام .

واشتداد الفاقة والضيق على عامة الشعوب • ومرجع ذلك الى أن الاموال كلها كانت في يد من بيده الأمر • فالمال على أي حال كان في يد واحدة لا رقيب عليها ولا حسيب •

وكثيرا ماثار الجند فيترضاهم صاحب الأمر بالافداق عليهم • ويكون ذلك على حساب عامة الشعب •

وقد عمل نظام الملك على اقطاع القادة والموزين في الدولة اقطاعات بدلا من رواتبهم •

ويحدثنا عماد الدين الاصفهاني فيقول : " وكانت العادة جارية بجباية الأموال من البلاد وصرفها الى الأجناد ، ولم يكن لأحد من قبل اقطاع فرأى نظام الملك أن الأموال لا تحصل من البلاد لاختلالها ولا يصح منها ارتفاع لاعتلالها ففرقها على الأجناد اقطاعا وجعلها لهم حاصلا وارتفاعا • (١)

وهذا النظام نتج عنه انحلال وتفكك داخل الدولة فتلك الاقطاعات كانت نواة ما عرف فيما بعد بامارات الأتابكة • (٢) " ولم يكن في هذه الاقطاعات خطر على تماسك الدولة ابان قوتها ، فلما بدأ ضعفها عمد كل مالك الى اقطاعه وعاش فيه سيدا وأميرا ، واستقل عن السلاجقة • ومن هذه أتابكية دمشق وأتابكية الموصل وأتابكية الجزيرة وغيرها • (٣)

---

١) ص١٨٧ ــ تاريخ آل سلجوق

٢) أصل البيت الاتابكي هو قسيم الدولة آق سنقر جد نورالدين ، كان تركيا من أصحاب ركن الدين ملكشاه بن ألب أرسلان • واستمر في صحبته الى حين كبره ، فلما أفضت السلطة اليه بعد أبيه جعله من أعيان أمرائه ، وزاد قدره علوا الى أن صار بيتقيه • توفي سنة ٤٨٧ هـ • (جـ١ ص٥٨ كتاب الروضتين لابي شامه) ومعنى أتابك " الولد الأمير " وأول من لقب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه حين فوض اليه المملكة سنة ٤٦٥ هـ •

٣) ص ١٨٧ تاريخ آل سلجوق •

ومن الطبيعي أن ينعكس كل هذا على العامة انعكاسا سيئا ، فقد انتشرت المجاعات في بغداد أكثر من مرة .

ولا يكاد الانسان يصدق الأخبار التي تتحدث عن الاسراف والبذخ والترف التي كان يعيش فيها طبقة القوم .

وقد أدت كثرة الأموال في أيدي هذه الطوائف الى اسراف في اللذات فكانت مجالس اللهو عامرة بالشراب والغناء والجواري وكثرت ألوان الاطعمة وتفننوا في اللباس والزينة .

وقد تميز عهد بعض الخلفاء بالأمن والاستقرار ، وخلوه من الفتن والمخاوف وبعض مظاهر البذخ والاسراف كعهد المستضيء بنور الله (٥٦٦ - ٥٧٥ هـ) فقد كان جوادا كريما موثرا للخير كثير الصدقات سخيا محببا للسنة ، أمنت البلاد في زمانه وأبطل مظالم كثيرة ، واحتجب عن أكثر الناس ، لم يكن يركب الا مع مماليكه ، ولم يكن يدخل عليه غير الأمير .

وأيضا عهد الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ) فقد كانت فيه شهامة وصراحة واقدام وعقل ودهاء ، وكان مستقلا بأمور الملك بالعراق بمكنا طالت أيامه ، وقد بسط العدل ، وأمر باراقة الخمور وكسر الملاهي وازالة المكوس والضرائب ، فعمر البلاد وبسط الارزاق وقصدت الناس بغداد وتبركوا به .(١)

هذا وبالنسبة للعمارة فانها قد راجت رواجا كبيرا في هذا العصر ، وصار لها شأن عظيم .

" فان بداوة السلاجقة جعلتهم يشغفون بالمباني الفخمة والنقوش الجميلة واللوحات المزخرفة ، فقد كانت مثل هذه الأشياء تبهر أنظارهم ، وترضي أذواقهم ، وتسد ما في نفوسهم من فراغ ، وقد أثر هذا في الفنون فراجت رواجا ملحوظا في عصرهم ، وارتقت

---

(١) ص ٣٧٨ - سمط النجوم العوالي . بتصرف

فنون النقش والتصوير والصنعة والعمار (١) .

ويذكر Barthald أن فترة حكم ألب أرسلان امتازت بالتقدم العمارى الهائل ، فقد أعاد تشييد قلعة بخارى وسور المدينة وبنى فى سمرقند مسجدا رائعا وقصرين عظيمين تحول أحدهما بعد ذلك الى مدرسة (٢) ، كما أنه أكثر من المساجد والمقابر فى المدن والقرى .

---

١) تاريخ صنايع ايران ـ كريستى ويلسون (ترجمة فرياد) ص١٤٢ نقلا عن سلاجقة ايران والعراق .

٢) Barthold : Turkestan Down to the Mougol Imvasion P. 319
نقلا عن التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ص٦٨ ـ ٧٠ .

جـ ـ الحياة الأدبية والفكرية :

شهد العصر العباسي الرابع نهضة أدبية وحركة فكرية واسعة وظهرت فيه ثمار آداب اللغة التي نمت وأورقت وازدهرت في العصر العباسي الثالث .

" وتكاثر الأمراء المسلمون في هذا العصر واختلفت لغاتهم وعناصرهم لكنهم كانوا يتنافسون في تنشيط اللغة العربية لأنها لغة الدين والعلم والسياسة . فازدهرت وكثرت فيه المؤلفات الكبرى على أسلوب يخالف أساليب العصور الماضية وساعد على ذلك رغبة السلاطين الأيوبيين (٥٦٧ ـ ٦٤٨ هـ) في العلم وأهله فان دولتهم انقسمت الى فروع حكمت مصر ودمشق وحلب ومابين النهرين وحماه وحمص واليمن وهي أهم الأصقاع العربية . (١)

وقد تميز هذا العصر بنهضة علمية واسعة . فقد انتشرت فيه المدارس في العالم الاسلامي وتغيرت فيه طرق التدريس عما كانت عليه قبلا . والذي وضع أساس هذه النهضة العلمية هو نظام الملك وزير ألب أرسلان وملكشاه .

" فقد أنشأ هذا الوزير العالم شبكة من المدارس التي أخذت اسمها من اسمه فسميت " النظامية " وكانت في البلاد الآتية :

بغداد ، بلخ ، نيسابور ، هراه ، أصفهان ، البصرة ، مرو ، آمل ، الموصل . (٢)

ويقول السبكي أنه كان لنظام الملك في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة . (٣)

---

١) ج٣ ص١٠ ـ تاريخ آداب اللغة العربية .

٢) ج٤ ص٦٩ ـ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية .

٣) ج٣ ص ١٣٧ ـ طبقات الشافعية الكبرى .

وبالاضافة الى ذلك فقد وجد في نظام الملك معاصرة عصره من أمثال الغزالي الذي اشتهر في محيط العلوم الاسلامية والتصوف والفلسفة، وكان من ألمع مدرسي النظامية ، وعمر الخيام الذي اشتهر في الدراسات الطبيعية والرياضية (١) .

وقد درس في المدارس النظامية عدد من علماء العصر من أمثال التبريزي (٢) وأبو منصور الجواليقي (٣) وابن الرزاز (٤) (٣٩ هـ) وابن الأنباري (٥) (٥٧٧ هـ) .

---

١) جـ ٤ ص ٦٩ ـ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية

٢) هو أبوزكريا يحيى بن علي بن محمد ابن الحسن ابن الخطيب التبريزي . ويقال له الخطيب وهو وهم . وكان أحد الائمة في النحو اللغة والأدب ، وكان حجة صدوقا ثبتا . (جـ ٢٠ ص ٢٥ معجم الأدباء) .

٣) هو موهوب بن أحمد بن محمد بن الحسن بن الجواليقي أبو منصور بن أبي طاهر (٤٦٦ ـ ٥٣٩ هـ) من ساكني دار الخلافة ، امام في اللغة والنحو والادب ، وهو من مفاخر بغداد . قرأ الأدب على أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي ولازمه وتلمذ له حتى برع في فنه ، وهو مدين ثقة ، غزير الفضل وافر العقل ، مليح الخط كثير الضبط صنف التصانيف وانتشرت عنه مثل " شرح أدب الكاتب " ، المعرب و" تتمة درة الغواص " . (انباه الرواه جـ ٣ ص ٣٣٥) .

٤) هو أبومنصور سعيد بن محمد بن عمر بن منصور بن الرزاز ، من كبار أئمة بغداد فقها وأصولا وخلافا . تفقه على الغزالي وأسعد المهيني وروى عنه أبوسعد السمعاني وعبد الخالق بن أسعد ، وولي تدريس النظامية ببغداد مدة ثم عزل ، توفي سنة ٥٣٩ هـ (جـ ٤ ص ٢٢١ ـ طبقات الشافعية) .

٥) هو أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الانباري (٥١٣ ـ ٥٧٧ هـ) صاحب التصانيف الحسنة المفيدة في النحو وغيره ، وكان فاضلا عالما زاهدا ، سكن بغداد من صباه الى أن توفي . (جـ ٢ ص ١٦٩ ـ انباه الرواه ـ للقفطي) .

الانشـــــــاء : (١)

لا شك أن الانشاء صورة من صور العقل ، ومرآة للخاطر ، ومن هنا يتأثر الانشاء بما يتأثر به العقل وبما يصل الى مداركه . ولذلك نجد أن صور الانشاء قد تعددت في العصر العباسي وذلك بتنوع مظاهر العلوم وما وصل اليه العقل في العصر العباسي من رقي وازدهار .

وقد أتقن أهل هذا العصر الصناعة اللفظية وتفننوا في البديع والجناس وأسرفوا في انتقاء الألفاظ وتزيين الجمل .

وكان من نتاج ذلك أن أتقنوا المقامات الأدبية التي كثرت في هذا العصر عما قبله لأن المحسنات البديعية واتقان الصناعة اللفظية لها النصيب الأوفر في هذا الفن .

ولعل شيوع الزخرفة اللفظية وكثرة المحسنات البديعية في هذا العصر راجع الى " أن السيادة لما تمكنت للأعاجم أصبح العرب وغيرهم من أهل الأدب في حاجة الى التملق ، فجرهم ذلك الى تنسيق العبارة والمبالغة في الاطراء والتأنق في الانشاء مع ما تقتضيه طبيعة العمران من التبسط في الحضارة والاسترسال في تزويق العبارة بأنواع البديع والجناس . (٢)

ويقول الأستاذ الزيات : " فلما نزع العرب الى الترف وزاد اختلاطهم بالفرس أخذوا يتأنقون ويطيلون وازداد ذلك بتراخي الزمن حتى خرجوا عن أساليب القدماء وعاقبوا الجمل على المعنى الواحد ورأوا ذلك التكرار أبلغ للمعنى وأوقع في النفس . (٣)

---

١) والمقصود بالانشاء : انشاء الرسائل والخطب ، ومقدمات الكتب .

٢) ج٣ ص ٣٥ ـ تاريخ آداب اللغة العربية .

٣) ص ٢١٦ ـ تاريخ الأدب العربي للزيات

فلما ضعفت الخلافة وقام بالأمر غير أهله سوى الضعف الى الكتابة فجهل أربابها الغرض فيها ومالوا الى زخرف القول وتدبيج اللفظ بأنواع البديع (١) وأوغلوا في ذلك حتى سجعت مبانيهم ، وفسدت معانيهم . (٢) وصرف الكتاب جل عنايتهم الى اللفظ دون المعنى .

ولم يقتصروا في ذلك على الخطب والرسائل بل تجاوزوها الى تصنيف الكتب وتدوين العلوم .

وقد سارت في كتابة الرسائل في هذا العصر الطريقة الفاضلية (٣) ، والتي أساسها المعاني الخيالية والتزام السجع واطالة فقراته ولا سيما الاخيرة منها والاستعارة والطباق ، ومراعاة النظير ، والتوجيه ، والغلو في التورية والجناس.

ومن رجال هذه الطريقة ابن الأثير والكاتب الاصبهاني .

" وبقيت هذه الطريقة مرعية في مصر والشام حتى نهاية دولة المماليك (٤) وصدر حكومة العثمانيين .

وقد تميز هذا العصر بنهضة علمية واسعة كما ذكرت من قبل فقد نبغ فيه كثير من الكتاب وظهرت فيه العديد من المؤلفات .

فمن مفاخر هذا العصر ازدهار حركة التأليف ازدهارا كبيرا . فقد ظهر في العديد من المؤلفات الضخمة التي ساهمت أسهاما كبيرا في خدمة علوم اللغة وآدابها والتاريخ وبعض العلوم الاخرى ، والتي كان لها أثر كبير في تلك الميادين

---

١) ص ٢١٧ المرجع السابق .

٢) ص الفن ومذاهبه في النثر العربي القسم الثالث المعنون بالتصنيع شوقي ضيف.

٣) الطريقة الفاضلية تنسب الى القاضي الفاضل وهو عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي من أئمة الكتاب . ولد بعسقلان بفلسطين وانتقل الى الاسكندرية ، ثم الى القاهرة وتوفي فيها . كان من وزراء السلطان صلاح الدين ومن مقربيه . قال بعض مترجميه : " كانت الدولة بأسرها تأتي الى خدمته " ، وكان السلطان صلاح الدين يقول " : لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل . وكان سريع الخاطر في الانشاء ، كثير الرسائل ج ٤ ص ١٢١ ــ الاعلام للزركلي .

٤) ص ٢٩٦ ــ الوسيط الاسكندري .

والتى حفظت لنا ذلك التراث المـــوروث .

وقد ظلم كثير من الكتاب هذا العصر وتجنوا عليه فدأبوا على وصفه بعصـــــر الضعف والاضمحلال ، ولعل مرجع ذلك الى أن الشعر فى هذا العصر لم تعـــد له المكانة التى كانت له فى العصور السابقـــة .

ويكفى هذا العصر فخرا أن نبغ فيه أشهر الكتاب ، وان ظهرت فيه أشهر الكتـــب ولنذكر بعضا من هؤلاء وأولئك على سبيـــل المثال لا الحصر :

١) الامام عبد القاهر الجرجانى (١) صاحب كتابى دلائل الاعجاز " وأسرار البلاغـــة " والكتابين من دعائم علم البـــلاغة ، وهما أشهر من أن يعرفـــا .

٢) والميدانى (٢) (٥١٨ هـ) صاحب " مجمع الأمثال " وهو كتاب جليـــل فى بابه جمع فيه حشدا من الأمثال العربية ولا زال مرجعا لطلاب الامثال حتـــى الآن .

٣) والزمخشرى (٣) (٤٦٧ ـ ٥٣٨ هـ) صاحب كتاب " الكشاف عن حقيقـــة التنزيـــل " وهو تفسير للقرآن له منزلة خاصة بين سائر التفاسيـــر وقد عنى الائمة به بين شارح ومحش ، ومادح وناقد ، ومختصـــر

---

١) هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى فارسى الأصل ، جرجانى الدار ، عالم بالنحو والبلاغة . أخذ النحو عن الشيخ أبى الحسين ابن أخت أبى على الفارسى وقرأ ونظر فى تصانيف النحاة والأدباء ، وتصدر بجرجان . وخفـــت اليه الرحـــال ، وصنف التصانيف الجليلـــة . وتوفى فى جرجان سنة ٤٧١ هـ وقال ابن قاضى شهبـــه : وقيل سنة أربع وسبعين . (جـ٢ ص١٨٨ ـ أنباه الرواه)

٢) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم أبو الفضل الميدانى النيسابورى . امـــام أهل الأدب فى عصره . وقد اشتهر بأدبه وعرف فى البلدان بتصانيفه الحســـان المشهورة وقال عنه البيهقى " صدر الفضلاء وقدوة الأدباء " (انباه الـــرواه جـ١ ص١٢٢) . وقال ياقوت : " لو كان للذكاء ، والشهامة والفضل صورة لكـــان الميدانى تلك الصـــورة (جـ٥ ص٤٧ ـ معجم الأدباء) .

٣) هو محمود بن عمر بن محمد بن الزمخشرى . وهو من أهل خوارزم . وزمخشـــر احدى قراها . وكان ممن يضرب به المثل فى علم الأدب والنحو واللغة . لقـــى الأفاضل ، والأكابـــر وصنف التصانيف فى التفسير وغريب الحديث والنحـــو وغير ذلك . ومادخل بلدا الا واجتمعوا عليه وتلمذوا له واستفادوا منـــه وكان علامة الأدب ونسابة العـــرب . وقال عنه ياقـــوت :
" معتـــزل المذهـــب متجاهـــرا بذلك " .
(جـ ١٩ ص ١٢٩ مجمع الادبـــاء) .

وملخص [١] ، وكتاب "أساس البلاغة" وهو معجم في اللغة العربية وهو يبحث على الخصوص في استعمال الألفاظ ومواضعها من الجمل ، بقطع النظر عن معانيها المستقلة أو اشتقاقها .

٤ ـ والحريري [٢] (٤٤٦ ـ ٥١٦ هـ) وهو من أئمة الأدب واللغة في عصره ، وهو صاحب المقامات الشهيرة . وسيأتي حديث عنها في الباب القادم ان شاء الله .

٥ ـ ومن علماء هذا العصر البارزين الجواليقي [٣] (٤٦٦ ـ ٥٣٩ هـ) ومن أشهر كتبه " المعرب فيما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي " وهو مرتب على حروف المعجم .

٦ ـ ومن أئمة الانشاء في هذا العصر القاضي الفاضل [٤] (٥٢٩ ـ ٥٩٦ هـ) وكان سريع الخاطر في الانشاء ، كثير الرسائل ، وقد بقي من رسائله مجموعات منها "ترسل القاضي الفاضل" ، "ورسائل انشاء القاضي الفاضل" .

٧ ـ ومن الذين برعوا في هذا العصر أيضا السكاكي [٥] صاحب كتاب "مفتاح العلوم في اثني عشر علما" وقد عني العلماء فيه بالشرح والتلخيص ، وتلخيص الشرح ، وشرح التلخيص . [٦]

---

١) راجع ذلك في كشف الظنون مادة الكشاف .

٢) انظر ترجمة الحريري في الباب الثاني .

٣) سبق التعريف به .

٤) سبق التعريف به .

٥) هو أبو يعقوب سراج الدين يوسف بن أبي بكر السكاكي من أهل خوارزم ، علامة ، امام في العربية والمعاني والبيان والأدب والعروض والشعر ، متكلم فقيه ، متفنن في علوم شتى وهو أحد أفاضل العصر .
(ج ٢٠ ص ٥٨ ـ معجم الأدباء .)

٦) أنظر كشف الظنون مادة فتح ـ حاجي خليفة

٨ ــ ومن المؤرخين الثقة ، والجغرافيين اللامعين " ياقوت الحموى "(١) (٥٧٤ ــ ٦٢٦ هـ) صاحب كتاب " معجم البلدان " وهو معجم جغرافي كبير بأسماء البلاد يذكر عند تعريف البلد بأشهر رجالها في مختلف العلوم وأيضا له كتاب " معجم الأدباء " أو (ارشاد الأريب الى معرفة الأديب) ، ترجم فيه النحويين واللغويين والنسابين والشعراء والاخباريين والمؤرخين والوراقين والكتاب وأصحاب الرسائل وأرباب الخطوط وكل من ألف في الأدب "(٢) .

وغير هؤلاء كثيرون ، ولولا ضيق المقام لذكرت قائمة بأسماء الكتاب والأدباء وأسماء الكتب والمؤلفات التي تدل دلالة واضحة على ازدهار الحركة العلمية ، ورقي التأليف في هذا العصر .

الشعر :

لم تعد مكانة الشعر في هذا العصر على ماكانت عليه في العصر السلجوقي فقد زالت دولته ، وزالت صولته ، ولم تبق له مكانته وهيبته وذلك بعد أن صارت أكثر أمور الدولة الى الأعاجم وبعد أن ذهب الذين كانوا يقدرون الشعر والشعراء . ويجزلون الهبات والعطايا لمادحيهم تقديرا لشعرهم وعرفانا بقدرهم ، فأصبح الشعراء لا يتنافسون في الجوائز ، ولا يتنافسون في التقدم لدى ولاة الأمور وانما ينظمون في الأكثر لارضاء لقرائحهم واشباعا لرغباتهم وذهب كثير منهم الى التصوف وغيره من العلوم الدينية .

---

١) هو أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، مؤرخ ثقة من أئمة الجغرافيين ، ومن العلماء باللغة والأدب . أصله من الروم . أما نسبته فيرجح أنها انتقلت اليه من مولاه عسكر الحموي وكان هذا قد ابتاعه بعد أسره من بلاده صغيرا ، وما لبث أن عطف عليه وأعتقه . (هجرة ص ١٥٧ ــ الأعلام) .

٢) ج ٣ ص ٩٧ ــ تاريخ آداب اللغة العربية .

فقد كان من أثر شيوع الثراء والترف فى طبقة ، وذيوع الفقر والحاجة فى طبقات ، ذيوع نزعة التصوف ، وسيطرتها فى كثير من الأوساط ، فجاء الشعر الصوفى الذى يدعو فى جملته الى الاغراق فى العباده ، واتجه كثير من الشعراء ناحية المعانى الصوفية فقد كثرت هذه المعانى فى شعر هذا العصر .

ومن هؤلاء الذين يمثلون هذه النزعات سلطان العارفين " عمر بن الفارض "(١) .

وتغيرت أغراض الشعراء من النظم وقل النابغون منهم .

ومع اتساع الدولة الاسلامية ، وطول مدة هذا العصر لم ينبغ فيه من الشعراء والبلغاء نصف مانبغ فى العصور السابقة .(٢)

ويذكر أن الأيوبيين (٥٦٧ ـ ٦٤٨ هـ) كانوا يحبون الأدب ويشجعون الكتاب والشعراء ، وقد نبغ فى ظلهم عدد من الشعراء النابهين .

وقد رحل اليهم كثير من الشعراء والكتاب فقربوهم وخلعوا عليهم .

وقد ازدهر الشعر والأدب بصفة فى ظلهم بالنسبة لما كان عليه فى هذا العصر .

وقد غلبت الصياغة اللفظية على الشعر فى هذا العصر فنال من ذلك نصيبا وافر حتى أصبح الشاعر يوجه أكبر عنايته الى اللفظ ولو سخر له المعنى أحيانا .

وقد كان من نتيجة كساد الشعر وعدم تشجيع الشعراء فى هذا العصر أن هجر كثير منهم الشعر ، ولا يتورع أحدهم من شكوى الفقر وطلب الرفد بصراحة .

---

١) هو أبو حفص عمر بن أبى الحسن الحموى الأصل ، المصرى المولد والدار ، عرف بابن الفارض لأن أباه على مايظهر من هذا اللقب كان يكتب فروض النساء على الرجال . توفى فى القاهرة ودفن فى سفح جبل المقطم . (ص٥ ديوان ابن الفارض) .

٢) ج٣ ص١٢ ـ تاريخ آداب اللغة العربية .

فهذا أبو اسحق الغزى (٥٢٤ هـ) يقول :

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة ∴ باب الدواعى والبواعث مغلق
لم يبق فى الدنيا كريم يرتجى ∴ منه النوال ولا يلح يمشق (١)
ومن العجائب أنه لا يشترى ∴ ويخان فيه مع الكساد ويسرق

وهذا ابن التعاويذى (٢) يخاطب عضد الدين بن رئيس الرؤساء :

فيا مولاى هل حدثت عنى ∴ بأنى من ملائكة السماء
وأن وظائف التسبيح قوتى ∴ وما أحيا عليه من الدعاء
وانى قد غنيت عن الطعام الذى هو من ضرورات البقاء
وهل فى الناس لو أنصفت خلق ∴ يعيش كما أعيش من الهواء

هذا وقد نبغ فى هذا العصر عدد من الشعراء من أشهرهم :

١) ابن سنان الخفاجى (٣) (٤٦٦ هـ) وله ديوان شعر ، ومن مؤلفاته كتاب " سر الفصاحة " .

٢) وابن التعاويذى شاعر العراق فى عصره (٤)

٣) ابن قلاقس (٥) (٥٣٢ ـ ٥٦٧ هـ) كان أديبا فاضلا وشاعرا مجيدا .

---

١) ص الخريدة ـ قسم شعراء الشام .

٢) هو أبو الفتح محمد بن عبد الله ويعرف أيضا بسبط التعاويذى ، توفى سنة ٥٨٣ هـ وكان شاعر وقته . ويروى ابن خلكان أنه لم يكن قبله بمئتى سنة من يضاهيه (جـ٢ ص١٩ وفيات الأعيان) .

٣) هو أبو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان ، أبو الخفاجى الحلبى أخذ الادب عن أبى العلاء المعرى وغيره ، وقتل مسموما بولايته بقلعة " عزاز " وهى من أعمال حلب . (جـ٤ ص٢٦٦ ـ الأعلام للزركلى .) .

٤) جـ٧ ص١٤١ ـ الأعلام . وقد سبق التعريف به .

٥) هو نصر الله بن عبد الله بن مخلوف ابن على بن عبد القوى بن قلاقس الاسكندرى ولد بالاسكندرية سنة ٥٣٢ هـ ونشأ بها ، ورحل فى حياته الى اليمن وصقليه ، ثم عاد الى مصر ، ومات بعيذاب سنة ٥٦٧ هـ . (جـ١٩ ص٢٦٦ ـ معجم الادباء)

٤ ـ ابن سناء الملك [1] (٥٥٠ ـ ٦٠٨هـ) وله شعر جيد . وهو مشهور .

٥ ـ ابن الفارض (٥٧٦ ـ ٦٣٢ هـ) كان ينحو في شعره نحى الصوفية . له ديوان شعر مطبوع كثر شراحه . [2]

٦ ـ البهاء زهير [3] (٥٨١ ـ ٦٥٦ هـ) له ديوان شعر مطبوع . وكان يرقق شعره فتعجب به العامة وتستملحه الخاصة . [4]

وفي هذا العصر نضجت الموشحات في الأندلس ، وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم ابن معافر الفريري من شعراء الأمير عبدالله ابن محمد المرواني وأخذ ذلك عنه أبو عبدالله أحمد بن عبدربه صاحب كتاب " العقد " ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر وكسدت موشحاتهما فكان أول من برع في هذا الشأن عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية . [5] وتوسع أهلها في

---

١) هو القاضي السعيد هبة الله بن القاضي الرشيد جعفر بن المعتمد سناء الملك المصري . كان من الرؤساء النبلاء وكان كثير التنعم ، واخو السعادة محظوظا في الدنيا . وكان منشئا حسن الانشاء وهو أول من استكثر من الموشحات وأجاد فيها من المشارقة .

(ج ١ ص ٦٤ الخريدة قسم شعراء مصر ، تاريخ أبي الفداء المجلد الثالث ص ٦٤٠)

٢) ج ٣ ص ١٤ ـ تاريخ آداب اللغة العربية .

٣) هو بهاء الدين زهير بن محمد بن علي المهلبي المكي شاعر ، وكان من الكتاب ولد بمكة ونشأ بقوص واتصل بخدمة الملك الصالح فقربه منه . توفي سنة ٦٥٦ هـ .

٤) ج ٣ ص ٨٨ ـ الأعلام ، ج ١ ص ١٩٤ ـ ابن خلكان .

٥) يقول ابن بسام أن أول من اخترع طريقة الموشحات ـ فيما بلغني ـ محمد بن حمود القشوري الضرير وكان يضمنها على أشطار الأشعار غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة . (الذخيرة ـ القسم الأول ج ٢ ص ١ ، ٢ ، ومقدمة ابن خلدون ص ٥٢٤) .

وصف الطبيعة ووضعوا لها آخر سموه الزجل ، أحكم وأتقن أصنافه أبوبكر ابن قزمان [1] الأندلسي القرطبي ويعرف بامام الزجالين .

وفي هذا العصر انتقل التوشيح من الأندلس الى الشرق ، وشاع فيه ، وأول من استكثر منه وأجاد فيه ابن سناء الملك [2] .

---

١) ابن قزمان : هو أبوبكر محمد بن عبدالملك توفي سنة ٥٥٥ هـ .

٢) ج ٣ ص ١٣ ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ جورجي زيدان .

الفصل الثاني

حياة ابن الجوزي

نسبه وكنيته :

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله (١) ابن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - القرشي التيمي البكري البغدادي الفقيه الحنبلي الواعظ الملقب بالحافظ جمال الدين عالم العراق وواعظ الآفاق (٢)

وأما نسبته " الجوزي " فقد اختلف فيها فقيل أن جده جعفر نسب الى فرضة من فرض البصرة يقال لها جوزة . وفرضة النهر ثلمته التي يستقى منها وفرضة البحر محط السفن ، ذكر هذا غير واحد (٣) .

قال المنذري : هو نسبة الى موضع يقال له فرضة الجوز ، وذكر الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش أنه نسب الى محلة البصرة تسمى محله الجوز (٤) .

وقال الذهبي : وعرف جدهم بالجوزي بجوزة كانت في داره بواسط لم يكن في واسط جوزة سواها (٥) .

---

١) وفي مرآة الزمان والذيل على الروضتين والبداية والنهاية : علي بن عبد الله بن حمادي .. الخ باسقاط عبد الله .

٢) ج ٤ ص ١٣١ - تذكرة الحفاظ .

٣) أنظر مرآة الجنان " لليافعي ج ٣ ص ٤٩١ ، الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ج ١ ص ٤٠٠ ، النجوم الزاهرة : ج ٦ ص ١٧٤ .

٤) وقال الزركلي : " ونسبته الى صنعة الجوز " من محالها . ج ٤ ص ٨٩ - الاعلام .

٥) ج ٤ ص ١٣١ - تذكرة الحفاظ . وكذا في طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٤٦ .

مولده ونشأته :

واختلف أيضا في سنة مولده فقيل سنة ثمان وخمسمائة .

وقال القادسي ذكره الشيخ عن أخيه أبي محمد أنه أخبره بذلك . وقيل سنة تسع وقيل سنة عشر (١) .

قال سبطه أبو المظفر : ولد جدي ببغداد بدرب حبيب في سنة عشر وخمسمائة تقريبا (٢) .

ووجد بخطه : لا أحقق مولدي غير أنه مات والدي في سنة أربع عشرة .

وقالت الوالدة : كان لك من العمر نحو ثلاث سنين . فعلى هذا يكون مولده سنة احدى عشرة أو اثنتي عشرة .

قال ابن رجب : " وهذا يوهن أن مولده بعد العاشرة (٣) .

وهذا ما أرجحه وتطمئن اليه النفس (٤) .

وقد نشأ ابن الجوزي يتيما " توفي أبوه وله ثلاث سنين فكفلته أمه وعمته " (٥) .

وكان أهله تجارا في النحاس ولما ترعرع حملته عمته الى مسجد أبي الفضل بن ناصر وهو خاله (٦) . فاعتنى به وأسمعه الحديث وقرأ القرآن (٧) .

---

١) جـ١ ص٣٩٩ ـ الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ ٣ ص١٠١ ـ المختصر في أخبار البشر لابن الفداء . وذكر كثير من أصحاب السير أنه ولد سنة عشر وخمسمائة تقريبا أو قبلها (جـ٤ ص ٣٢٩ شذرات الذهب ، جـ ٤ ص ١٣١ ـ تذكرة الحفاظ . وتفرد صاحب المجددون في الاسلام بالقول بأنه ولد سنة أربعة عشر وخمسمائة ص ٢٣٢ ـ عبد المتعال الصعيدي .

٢) جـ ١ ص ٤٢ ـ مرآة الزمان ـ لسبط ابن الجوزي .

٣) جـ١ ص٣٩٩ ـ الذيل على أطبقات الحنابلة

٤) أرجح أن تكون ولادة ابن الجوزي في سنة أحد عشر أو اثنتا عشر وخمسمائة لما ذكره عن نفسه آنفا ولما قاله عنه ابن رجب عند حديثه عن وعظة " ولما توفي ابن الزاغوني في سنة سبع وعشرين طلب ابن الجوزي حلقته فلم يعطها لصغره فانه كان في ذلك العام قد احتلم . (جـ١ ص ٤٠٢ ـ الذيل على طبقات الحنابلة .

٥) جـ١ ص٣٩٩ المرجع السابق .

٦) جـ٤ ص٣٢٩ شذرات الذهب لابن العماد .

٧) جـ١ ص ٤٣ ـ مرآة الزمان .

وقرأ على جماعة بالروايات ، ثم طلب العلم على جمع كثير من العلماء[1] . وقد حبب اليه طلب العلم وكان ذا همة عالية منذ صغر سنه قال : " فانى أذكر نفسى ولى همة عالية وأنا فى المكتب ابن ست سنين وأنا قرين الصبيان الكبار ، قد رزقت عقلا وافرا فى الصغر يزيد على عقل الشيوخ فما أذكر أنى لعبت فى طريق مع الصبيان قط ، ولا ضحكت ضحكا خارجا حتى أنى كنت ولى سبع سنين أو نحوها أحضر رحبة الجامع فلا أتخير حلقة مشعبذ ، بل أطلب المحدث ، فيتحدث بالسير فأحفظ جميع ما أسمعه وأذهب الى البيت فأكتبه . وقال أيضا :

" ولقد كان الصبيان ينزلون الى دجلة ويتفرجون على الجسر وأنا فى زمن الصغر آخذ جزءا وأقعد بعيدا عن الناس الى جانب الرقة فأتشاغل بالعلم "[2] .

شيوخه :

وقد ذكر أن أول سماعاته كانت سنة ست عشرة وخمسمائة[3] ، وكانت أول سماعاته من الشيخ بان ناصر الذى عنى به وأولاه عناية كبيرة .

" قال فى أول مشيخته : حملنى شيخنا ابن ناصر الى الأشياخ فى الصغر وأسمعنى العوالى وأثبت سماعاتى كلها بخطه وأخذ لى اجازات منهم فلما فهمت الطلب كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم وأوثر من أرباب النقل أفهمهم ، فكانت همتى تجويد العدد ، لا تكثير العدد ، ولما رأيت من أصحابى من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخى ذكرت عن كل واحد منهم حديثا ، ثم ذكر فى هذه المشيخة له سبعة وثمانين شيخا .

و قد سمع من جماعة غيرهم ، لكنه اقتصر على أكابر الشيوخ وعواليهم فمنهم ابن الحصين والقاضى أبو بكر الأنصارى ، وأبو بكر المزرفى وأبو القاسم

---

١ — ص ٢٣٢ — المجددون فى الاسلام ، جـ ٢ ص ٣٢٩ — شذرات الذهب .

٢ — ص ٨١ — لفتة الكبد الى نصيحة الولد .

٣ — جـ ١ ص ٣٩٩ — الذيل على طبقات الحنابلة .

الحريري ، (١) وعلي بن عبد الواحد الدينوري ، وأبو السعادات المتوكلي وأبو غالب ابن البنا وأخوه يحيى وأبو عبد الله البارع وأبو الحسن علي ابن أحمد الموحد وأبو غالب الموازيني وأبو الحسن بن الزاغوني وأبو منصور ابن خيرون وأبو القاسم السمرقندي وعبد الوهاب الأنماطي وعبد الملك الكروخي وأبو القاسم عبد الله بن محمد الأصبهاني وأبو سعيد الزوزني وأبو سعد البغدادي ، ويحيى بن الطراح ، واسماعيل بن أبي صالح المؤذن وأبو القاسم بن علي ابن مسلمة الملوي الهروي الواعظ وأبو منصور القزاز وعبد الجبار بن ابراهيم بن عبد الوهاب بن منده ، وتفرد بالرواية عن طائفة منهم كالمتوكلي والدينوري (٢) .

وقد قرأ بالروايات في كبره بواسط على ابن الباقلاني وسمع بنفسه الكثير وقرأ وهني بالطلب ، وتفقه على أبي بكر الدينوري وابن الفراء .

وكان الشيخ أبو الفرج معيدا عند الشيخ أبي حكيم النهرواني ، وكان قد قرأ عليه الفقه أيضا والفرائض بالمدارس التي بناها ابن السحل بالمأمونية ، وكان لأبي حكيم مدرسة بباب الأزج ، فلما احتضر أسندها الى أبي الفرج فأخذها جميعا بعده (٣) .

وكان حنبلي المذهب ، وفيه تعصب شديد له ، حتى أوذي في سبيل تعصبه له ، ونال فيه مانالة من الشدة (٤) .

وقد قال له قائل : " ما فيك عيب الا أنك حنبلي . فأنشد :

ويعيرني الواشون أني أحبها ... وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ثم قال : أهذا عيب ، ولا عيب في وجهه نقط صحته بالخال .

وأنشد :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

ولديه فقه كثير كاف .

---

١) لست أدري كيف عد بعض كتاب السير أبا القاسم الحريري من شيوخ ابن الجوزي لانه قد توفي سنة ٥١٦ هـ الا أن كانوا يريدون أنه قد تتلمذ على كتبه ومؤلفاته

٢) جـ١ ص ٤٠١ ـ الذيل على طبقات الحنابلة

٣) جـ١ ص ٤٠٢ ـ المرجع السابق .

٤) ص ٢٣٢ ـ المجددون في الاسلام .

وتعلم الحديث على يدى الشيخ محمد بن ناصر (٤٦٧ ـ ٥٥٠ هـ) .

قال : " وهو الذى تولى تسمعى الحديث ، وعنه أخذت ما أخذت من علم الحديث. (١)

وقال أيضا : " قرأت عليه ثلاثين سنة ، ولم أستفد من أحد كاستفادتى منه " .

وقال : ولقد وفق لى شيخنا أبو الفضل ابن ناصر ـ رحمه الله ـ وكان يحملنى الى الشيخ فأسمعنى المسند وغيره من الكتب وأنا لا أعلم ما يراد منى ، وضبط لى مسموعاتى الى أن بلغت ، فداولنى تهتها ولازمه الى أن توفى رحمه الله فنلت به معرفة الحديث والنقل . (٢)

وأخذ الحديث أيضا من آخرين ، وهو آخر من حدث عن الدينورى والمتوكلى . (٣)

وسمع صحيح البخارى على أبى الوقت وصحيح مسلم بنزول ومالا يحصى من الأجزاء وتصنيف ابن أبى الدنيا . (٤) واهتم بالحديث اهتماما كبيرا

قال : " ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع نفسى من العدو فلا أسبق . " (٥) وصنف فيه المصنفات العديدة ، وبلغ حفظه للحديث واهتمامه به جدا جعله يقول : " لا يكاد يذكر لى حديث الا ويمكننى أن أقول صحيح أو حسن أو محال . (٦)

وقال عنه الموفق عبد اللطيف : " كان فى الحديث من الحفاظ " . (٧)

وقال عنه الحافظ بن الدبيثى : " شيخنا الامام جمال الدين بن الجوزى صاحب التصانيف فى فنون العلم : من التفاسير ، والفقه والحديث والوعظ والرقائق ، والتواريخ وغير ذلك ، واليه انتهت معرفة الحديث وعلومه ، والوقوف على صحيحه من سقيمه ،

---

١) جـ١ ص ٤٠٤ الذيل على طبقات الحنابله

٢) ص ٨١ ـ لفتة الكبد الى نصيحة الولد .

٣) جـ ٤ ص ١٣٢ ـ تذكرة الحفاظ .

٤) جـ ١ ص ٤٠٢ ـ الذيل على طبقات الحنابله

٥) ص ٨٢ ـ لفتة الكبد الى نصيحة الولد

٦) جـ ٤ ص ٣٣٠ شذرات الذهب .

٧) جـ ٤ ص ٣٦ ـ تذكرة الحفاظ .

وله مصنفات من المسانيد والأبواب والرجال ، ومعرفة ما يحتج به في أبواب الأحكام والفقه ، ومالا يحتج به من الأحاديث الواهية الموضوعة ، والانقطاع والاتصال .(١)

وقال عنه أبو العباس ابن تيميه : " وله من التصانيف في الحديث وفنونه مالم يصنف مثله ، قد انتفع الناس به ، وهو كان من أجود فنونه .(٢)

هذا ولم يرض بعض العلماء تصانيفه في السنة : قال الشيخ موفق الدين المقدسي : " وكان حافظا للحديث وصنف فيه ، الا أننا لم نرض تصانيفه في السنة ، ولا طريقته فيها "(٣)

ويقال : " أنه جمعت بمراية أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل فيها شيء كثير وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ، ففعل ذلك فكفت وفضل فيها ."(٤)

وهذا الخبر يدلنا على مدى اهتمام ابن الجوزي بالحديث وعلومه ، وقد حفظ من صغره وفاق الأقران .(٥) وكان امام أهل عصره في الوعظ .(٦)

وقد أخذ الوعظ عن شيخه أبي القاسم الهروي في أول أمره ثم لازم ابن الزاغوني الذي عني بأمره وعلمه الوعظ .(٧)

قال : " حملني ابن ناصر الى أبي القاسم العلوي الهروي في سنة عشرين فلقنني كلمات من الوعظ وجلس لوداع أهل بغداد مستندا الى الرباط الذي عند

---

١) الذيل على تاريخ السمعاني للحافظ ابن الدبيثي .
٢) جـ١ ص ٤١٦ الذيل على طبقات الحنابلة
٣) جـ١ ص ٤١٥ ـ المرجع السابق .
٤) جـ٢ ص ٣٢١ وفيات الأعيان ، جـ٣ ص ٤٩٠ ـ مرآة الجنان ، ٢ : ٢٥٥ مفتاح السعادة
٥) جـ٣ ص ٤٨٩ مرآة الجنان
٦) جـ٤ ص ٣٢٩ ـ شذرات الذهب .
٧) جـ١ ص ٤٣ مرآة الزمان ، ص ٢١ ـ الذيل على الروضتين لأبي شامة

السور في الحلبة ورقاني يومئذ المنبر ، فقلت الكلمات وحزر الجمع بخمسين ألفا .

ثم صحب أبا الحسن بن الزاغوني ولازمه وعلق عنه الفقه والوعظ . ولما توفي ابن الزاغوني في سنة سبع وعشرين طلب حلقته ، فلم يعطها لصغره ، فانه كان في ذلك العام قد احتلم . (١) فحضر بين يدي الوزير وأورد فصلا في المواعظ فأذن له في الجلوس في جامع المنصور . قال :

فتكلمت فيه فحضر مجلسي أول يوم جماعة من أصحابنا الكبار من الفقهاء ، منهم عبدالواحد بن سيف وأبو علي ابن القاضي وأبو بكر بن عيسى وابن قتاعي وغيرهم . ثم تكلمت في مسجد معروف وفي باب البصرة ومنبر المصلى فاتصلت المجالس وقوي الزحام .

" وكان الناس يرتاحون لوعظه ويقصدونه من كل فج لسماعه ، فاشتهر بهذا أمره بينهم وذاع صيته بين العامة والخاصة " (٢)

واتصلت مجالس وعظه طوال حياته . وكان اذا وعظ اختلس القلوب ، وشققت النفوس دون الجيوب .

وله في الوعظ العبارة الرائقة ، والاشارات الفائقة ، والمعاني الدقيقة ، والاستعارة الرشيقة . (٣)

وقال الموفق عبداللطيف : " وأما السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية ، ان ارتجل أجاد وان روى أبدع .

" ولا ريب أن كلامه في الوعظ والمعارف ليس بكلام ناقل أجنبي مجرد من الذوق ، بل كلام شارك فيه " (٤)

---

١) ج ١ ص ٤٠٢ ـ الذيل على طبقات الحنابلة .

٢) ص ٢٣٢ ـ المجددون في الاسلام .

٣) الذيل على تاريخ السمعاني للدبيثي .

٤) تاريخ ابن النجار

وكانت له في الوعظ ملكة عجيبة ، وبديهة حاضرة ، وتاب على يده الآلاف وحضر مجالسه الوزراء والحكام . قال : " ولقد تاب على يدى في مجالس الذكر أكثر من مائة ألف ، وأسلم على يدى أكثر من مائتى نفس ، وكم سألت عن متجبر بوعظى لم تكن تسهل . " (١)

وقد كان مجلسه يقدر في بعض الأحيان بمائة ألف ، وحضر مجلسه الخليفة المستضئ " مرات من وراء الستر . (٢)

وقال عنه ابن كثير : " وأقل ماكان يجتمع في مجلس وعظه عشرة آلاف وربما اجتمع فيه مائة ألف أو يزيدون ، وربما تكلم من خاطره على البديهة نظما ونثرا ، وبالجملة كان أستاذا فردا في الوعظ وغيره . " (٣)

وقد حضر ابن جبير بعض مجالس علمه ووعظه ، وسجل في رحلته الشهيرة وصفا دقيقا لبعض تلك المجالس . قال يصف أحد مجالسه : " وفي صبيحة يوم السبت شاهدنا مجلس الشيخ الفقيه الامام الأوحد جمال الدين أبي الفضائل بن علي الجوزى بازاء داره على الشط بالجانب الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة بمقربة من باب البصلية آخر أبواب الجانب الشرقي ، وهو يجلس به كل يوم سبت . فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد ، وفي جوف الفرا كل الصيد ، (٤) آية الزمان وقرة عين الايمان ، رئيس الحنبلية ، والمخصوص في العلوم بالرتب العلية ، امام الجماعة ، وفارس حلبة هذه الصناعة ، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة مالك أزمة الكلام في النظم والنثر ، والفائض في بحر فكره على نفائس الدرر ، فأما نظمه فرضي الطباع ، مهياري الانطباع (٥) ، وأما نثره فيصدع بسحر

---

١) جـ ٤ ص ٣٣١ ـ شذرات الذهب .

٢) جـ ٣ ص ٤٨٩ ـ مرآة الجنان .

٣) جـ ١٣ ص ٢٩ ـ البداية والنهاية

٤) مأخوذ من المثل القائل : كل الصيد في جوف الفرا ، والفرا : الحمار الوحشي يريد أن الخطيب وحيد في علمه .

٥) رضي الطباع شبيه في طبعه بالشريف الرضي الشاعر المشهور ، مهياري : شبيه بمهيار الديلمي الشاعر أيضا .

البيان ويعطل المثل بقس وسحبان .

ومن أشهر آياته ، وأكبر معجزاته أنه يصعد المنبر ويبتدىء القراء بالقرآن ، وعددهم نيف على العشرين — قارئا ، فينتزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القراءة يتلونها على نسق بتطريب وتشويق ، فاذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلف الى أن يتكاملوا قراءة ، وقد أتوا بآيات مشتبهات لا يكاد المتقد الخاطر يحصلها عددا ، أو يسمعها نسقا . فاذا فرغوا أخذ هذا الامام الغريب الشأن فى ايراد خطبته عجلا متبدرا ، وأفرغ فى أصداف الأسماع من ألفاظه درورا ، وانتظم أوائل الآيات المقروءات فى أثناء خطبته فقرا ، وأتى بها على نسق القراءة لها ، لا مقدما ولا مؤخرا . ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية فيها ، فلو أن أبدع من فى مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك ، فكيف بمن ينظمها مرتجلا ، ويورد الخطبة الغراء بها عجلا ! .

" أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون " (١) ، " ان هذا لهو الفضل المبين " (٢) ، فحدث ولا حرج عن البحر ، وهيهات ، ليس الخبر عنه كالخبر .

ثم أنه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر طارت لها القلوب اشتياقا ، وذابت بها الأنفس احتراقا ، الى أن علا الضجيج وتردد بشهقاته النشيج ، وأعلن التائبون بالصياح ، وتساقطوا عليه كالفراش على المصباح ، كل يلقى ناصيته بيده ، فيجزها ، ويمسح على رأسه داعيا له ، ومنهم من يغشى عليه فيرفع فى الأذرع اليه ، فشاهدنا هولا يملأ النفوس انابة وندامة ، ويذكرها هول يوم القيامة ، فلو لم نركب بثبج البحر ، ونعتسف مفازات القفر الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل ، لكانت الصفقة الرابحة ، والوجهة المفلحة الناجحة ، والحمد لله على أن من بلقاء من تشهد الجمادات بفضله ، ويضيق الوجود عن مثله .

---

(١) سورة الطور آية ١٥ (٢) سورة النمل آيه ١٦

وفي أثناء مجلسه ذلك يجدون المسائل ، وتطير اليه السرقاع ، فيجاوب أسرع من طرفة عين . وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، لا اله سواه .(١)

وهذا وغيره يدل دلالة واضحة على قدر بن الجوزي في ميدان الوعظ ، وتمكنه في مضمار الخطابة . وانه قد فاق أقرانه وحاز قصب السبق . " وأنه تفرد بفن الوعظ الذي لم يسبق اليه ولا يلحق شأوه فيه وفي طريقته وشكله وفي فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوة ترصيعه ونفوذ وعظه .

ويشهد بذلك ابن جبير . قال : " وشاهدنا بعد ذلك مجالس لسواه من وعاظ بغداد ممن نستغرب شأنه بالاضافة الى ماعهدناه من متكلمي المغرب وكنا قد شاهدنا بمكة والمدينة شرفهما الله ، مجالس من قد ذكرناه في هذا التقييد ، فصغرت بالاضافة المجلس هذا الرجل الفذ في نفوسنا قدرا ، ولم نستطب لها ذكرا ، وأين يقعان مما أريد ، وشتان بين اليزيدين .(٢)

وحاصل الأمر : أن مجالسه الوعظيه لم يكن لها نظير ، ولم يسمع بمثلها وكانت عظيمة النفع ، يتذكر بها الغافلون ، ويتعلم منها الجاهلون ، ويتوب فيها المذنبون ، ويسلم فيها المشركون .(٣)

وظل أبو الفرج ابن الجوزي يعظ طول حياته يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر .

وحياة أبي الفرج في هذا الجانب واعظ قضاها في أمر الناس بالتقوى ، وحثهم على القيام بالطاعات وترك المحرمات وقد رضي الناس بهذا منه ، ورضي الملوك أيضا منه ، لانه كان يحث الناس في وعظه على لزوم الجماعة ، وعدم الخروج على الطاعة .(٤)

---

١) رحلة ابن جبير ص ١٩٦ وما بعدها . (٢) مثل منتزع من البيت المشهور لربيعة الرقي :
لهتان بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم . (ص ٢٠٠ رحلة ابن جبير) .
٣) جـ١ ص ٤١٠ ـ الذيل على طبقات الحنابلة . (٤) ص ٢٣٣ المجددون في الاسلام .

من أقواله في الوعـــــظ :

تكلم يوم عاشوراء سنة ٥٧٤ هـ وكان أمير المؤمنين المستضيء حاضرا مجلسه فقال له أثناء وعظه : لو أنني مثلت بين يدي السدة الشريفة (١) لقلت يا أمير المؤمنين كن لله سبحانه مع حاجتك اليه ، كما كان لك مع غناه عنك ، انه لم يجعل أحدا فوقك فلا ترضى أن يكون أحدا أشكر له منك ، فتصدق أمير المؤمنين يومئذ بصدقات كثيرة ، وأطلق بعض المحبوسين .

والتفت الى ناحية الخليفة المستضيء يوما وهو في الوعظ فقال : يا أمير المؤمنين ان تكلمت خفت منك وان سكت خفت عليك — فأنا أقدم خوفي عليك على خوفي منك — أقول قول الناصح اتق الله خير لك من قول القائل لكم انكم أهل بيت مغفور لكم . كان عمر بن الخطاب يقول : اذا بلغني عن عامل أنه ظلم فلم أغيره فأنا الظالم ، يا أمير المؤمنين كان يوسف لا يشبع في زمن القحط حتى لا ينسى الجائع ، وكان عمر يضرب بطنه عام الرمادة ويقول : قرقر فلا تقرقر ، والله لا ذاق عمر سمنا ولا سمينا حتى يخصب الناس .

قال : فبكى المستضيء وتصدق بمال كثير وأطلق المحابيس وكسى خلقا من الفقراء (٢) .

ومن كلامه : من قنع طاب عيشه ، ومن طمع طال طيشه .

وسأله سائل : " أيما أفضل أسبح أم استغفر ؟ فقال : الثوب الوسخ أحوج الى الصابون من البخور . " (٣)

قال ابن القطيعي : " سمعت من أثق به قال : لما سمع أمير المؤمنين المستضيء ابن الجوزي ينشد تحت داره :

ستنقلك المنايا عن ديارك ∴ ويبدلك الردى دارا بدارك

---

١) جـ١ ص ٤٠٨ — الذيل على طبقات الحنابلة .

٢) جـ١٢ ص ٢٩ — البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ١٣٥ — تذكرة الحفاظ .

٣) جـ ٤ ص ١٣٤ — تذكرة الحفاظ .

وتترك ما غنيت به زمانـــا ∴ وتنقل من غناك الى افتقارك

فدود القبر في عينيك يرعى ∴ وترعى عين غيرك في ديارك

فجعل المستضيء يمشي في قصرة ويقول : أي والله : وترعى عين غيرك في ديارك ، ويكررها ويبكي حتى الليل (١) .

وقال لبعض الولاة : أذكر عدل الله فيك وعند المقدرة قدرة الله عليك واياك أن تشفي غيظك بسقم دينك .

وكان يقول : والله ما اجتمع لأحد أمله الا وسعى في تفريقه أجله .

وقال : الطاعة تبسط اللسان والمعاصي تذل الانسان (٢) .

أدبـــــــــــــــه :

وقرأ ابن الجوزي الأدب وأخذ اللغة عن أبي منصور الجواليقي (٣) .

وقد صنف في الأدب واللغة المصنفات العديدة .

وقد عاش ابن الجوزي في القرن السادس ، الا أنه لم يتأثر بما عرا الأدب في عصره من ضعف ، بل ظل محتفظا بنضارة العبارة ، وبهاء الأسلوب فتأنق في كلماته ، وتفنن في طرق التعبير في أصالة وتمكن . وليس في أسلوبه اعتبار لحلى اللفظ أو نزول على حكمها ، ولكنه يختار لمعانيه الجليلة صورها المناسبة .

فكان أديبا رائق العبارة ، ناصع الأسلوب ، قادرا على التعبيرات النادرة ، والتصوير الدقيق (٤) .

---

١) جـ١ ص ٤٠٩ وما بعدها ـ الذيل على طبقات الحنابلة .

٢) جـ ١ ص ٥٠ ـ مرآة الزمان .

٣) جـ ١ ص ٤٣ ـ مرآة الزمان ، جـ ١ ص ٤٠٢ ـ الذيل على طبقات الحنابلة

٤) ص ٧ ـ ذم الهوى .

وكان ابن الجوزي خطيبا متكلما فصيحا بليغا تتجلى فصاحته وبلاغته في مجالسه . قال ابن كثير : " لا يلحق شأوه في فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوة ترصيعه ونفوذ وعظه وغوصه على المعاني البديعة ، وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحسية بعبارة وجيزة سريعة الفهم والادراك بحيث يجمع المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة . "(١)

وهكذا كان لفصاحته وبلاغته وقوة بيانه الأثر الكبير على تفوقه في الوعظ وعلو شأنه في ميدان الخطابة .

شعره :

لم يشتهر ابن الجوزي بقرض الشعر الا أن كتب السير والتراجم ذكرت أن له شعرا كثيرا مليحا .

قال ابن العماد : " ونظم الشعر المليح " .(٢)

وقال ابن كثير : " وله من النظم والنثر شيء كثير جدا "(٣)

وقال ابن خلكان : " وله أشعار لطيفة . وقال أيضا وله أشعار كثيرة "(٤) .

وقال ابن رجب : " وللشيخ أبي الفرج أشعار حسنة كثيرة . قال أبو شامة : قيل انها عشر مجلدات .(٥)

وكان ابن الجوزي محبا للشعر حافظا منه الشيء الكثير ، فقد روى في كتبه مئات الأبيات ، وقلما تحدث في موضوع دونما يورد مجموعة من الأبيات .

---

١) جـ١٣ ص ٢٨ البداية والنهاية .

٢) جـ ٤ ص ٣٩٩ ـ شذرات الذهب .

٣) جـ١٣ ص ٢٩ ـ البداية والنهاية .

٤) جـ٢ ص ٣٢١ ـ وفيات الأعيان ، وذكر ذلك أيضا في مرآة الجنان جـ ٢ ص ٤٨٩

٥) جـ١ ص ٤٢٣ ـ الذيل على طبقات الحنابلة .

وقد صنف كتابا في أحكام الشعر في مجلدين ، وكتابا أسماه " المختار من الشعر " في عشرة أجزاء . وقد أفرد سبطه أبو المظفر فصلا للكتب الخاصة بالأشعار .(١)

وشعر ابن الجوزي الذي بين أيدينا لا يمكننا من الحكم على شعره وشاعريته لقلة ما ورد الينا . ولكن من مجمل الآراء التي ذكرها المترجمون له يتبين لنا أنه كان يقرض الشعر الجيد الذي يقبله العامة والخاصة ، وهذا رجل زاهد وحضر مجالسه وسمع منه الكثير يشهد له بالجودة والسبق فيقول : مالك أزمة الكلام في النظم والنثر ، والغائص في بحر فكره على نفائس الدرر ، فأما نظمه فرضي الطباع مهياري الانطباع ، وأما نثره فيصدع بسحر البيان ، ويمطل المثل بقس وسحبان ."(٢)

من شعره : قال يخاطب أهل بغداد :

عذيري من فتية بالعراق ∴ قلوبهم بالجفا قلب .
يرون العجيب كلام الغريب ∴ وقول القريب فلا يعجب
ميازيبهم ان تندت بخير ∴ الى غير جيرانهم تقلب
وعذرهم عند توبيخهم ∴ مغنية الحي لا تطرب (٣)

ومن شعره أيضا :

يا صاحبي ان كنت لي أو معي ∴ فمج الى وادي الحمى نربع
وسل عن الوادي وسكانه ∴ وانشد فؤادي في ربا المجمع

---

١) جـ١ ص ٤٦ ـ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي .
٢) ص ١٩٦ ، ١٩٧ ـ رحلة ابن جبير
٣) جـ ٢ ص ٣٢١ ـ وفيات الأعيان .

حي كثيب الرمل رمل الحمى ∴ وقف وسلم لي على لملم (١)

واسمع حديثا قد رواه الصبا ∴ تسنده عن بانة الأجرع

وآبك فما في العين من فضلة ∴ ونب فدتك النفس عن مدمعي

ولـه أيضـا :

رأيت خيال الظل أعظم عبرة ∴ لمن كان في أوج الحقيقة راقي

شخوص وأشكال تمر وتنقضي ∴ وتفنى جميعا والمحرك باقي (٢)

وأنشـد لنفســـه :

سلام على الدار التي لا تزورها ∴ على أن هذا القلب فيها أسيرها

اذا ما ذكرنا طيب أيامنا بها ∴ توقد في نفس الذكور سعيرها

رحلنا وفي سر الفؤاد ضمائر ∴ اذا هب نجدي الصبا يستثيرها

سحت بعدكم تلك العيون دموعها ∴ فهل من عيون بعدها تستعيرها ؟

أتنسى رياض الروض بعد فراقها ∴ وقد أخذ الميثاق منك غديرها

يجمده مر الشمال وتـــارة ∴ يغازله كر الصبا ومرورهـــا

ألا هل الى ثم الخزامى وعرعر ∴ وشيح بوادي الأثل أرض تسيرها

ألا أيها الركب العراقي بلغوا ∴ رسالة محزون حواه سطورهـــا

اذا كتبت أنفاسه بعض وجدها ∴ على صفحة الذكرى محاه زفيرها

ترفق رفيقي ، هل بدت نار أرضهم ∴ أم الوجد يذكي ناره وثيرها ؟

أعد ذكرهم فهو الشفا ربما ∴ شفى النفس أمر ثم عاد يضيرها .

ألا أين أيام الوصول التي خلت ∴ وحيث حللت وجار مويرهـــا

سقى الله أياما مضت ولياليـــا ∴ تضوع رياها وفاح عبيرهـــا (٣)

ولـه أيضـــا :

اذا جزت بالغور عرج يمينـــا ∴ فقـد أخذ الشـوق منا يمينـا

---

١) لملم : اسم طائفة من الأماكن أوردها ياقوت في معجمه .

٢) ج ٦ ص ١٤٦ ــ النجوم الزاهـرة .

٣) ج ١ ص ٤٢٤ ــ الذيل على طبقات الحنابلة .

وسلم على بانة الواديين ∴ فان سمحت أوهكت أن تبينا

وصل نحو غصن بأرض النقى ∴ وما يشبه الأيك تلك الغصونا

وصح فى مغانيهم : أين هم ∴ وهيهات أنوا طريقا شطونا

وروثرى أرضهم بالدموع ∴ وخل الضلوع على ما طوينا

أراك يشوقك وادى الأراك ∴ أللدار تبكى أم الظاعنينا ؟

سقى الله مرتعنا بالحمى ∴ وان كان أورث داء دفينا

وهاذلة فوق داء المحب ∴ رويدا رويدا بناقد بلينا

لمن تعذلين أما تعذرين ∴ فلو قد تبحت دفعت الأنينا

اذا غلب الحب ضاع العتاب ∴ تحبب وأتعبت لو تطيقينا (١)

ومن شعره فى الفخر :

مازلت أدرك ماعلا بل ماغلا ∴ وأكابد النهج العسير الأطولا

تجرى بى الآمال فى حلباتها ∴ جرى السميكى مدى ما أمّلا

أفضى بى التوفيق فيه الى الدى ∴ أعيا سواى توصلا وتغلغلا

لوكان هذا العلم شخصا ناطقا ∴ وسألته هل زار مثلى ؟ قال : لا (٢)

ومن شعره الوعظى :

ياناديا أطلال كل نادى ∴ وباكيا فى اثر كل حادى

مستلب القلب بحب فادة ∴ غدت فان البين بالفؤاد

مهلا فما اللذات الا خدع ∴ كأنها طيف خيال غادى

أين المحب الحبيب بعدا ∴ وكل باك فالى نفاد

مواعظ بليغة فيالها ∴ مواعظ واريه الزناد (٣)

ومن شعره فى الزهد :

ياساكن الدنيا تأهب ∴ وانتظر يوم الفراق

---

١) جـ ١ ص ٤٢٤ ـ الذيل على طبقات الحنابلة .

٢) جـ ١٢ ص ٢٩ ـ البداية والنهاية .

٣) جـ ١ ص ٤٢٥ ـ الذيل على طبقات الحنابلة

وأعد زادا للرحيـــــل ∴ فسـوف يحدى بالرفـاق

وابك الدموع بأدمـــع ∴ تنهل من سحب الأماق

يامن أضاع زمانـــــه ∴ أرضيت ما يقـضي ببـاق (١)

مفسـرا :

وكان الشيخ أبو الفرج ابن الجـوزي من الحافظين للقرآن المفسرين لـه . قال ابن رجـب : " وكان في التفسـير من الأعيـان " . (٢)

وقـد صنف في التفسـير وعلومه عـددا من المصنفات من أهمهـا :

" المغني في تفسـير القرآن " احـد وثمانون جزءا بخطـه ، (٣) و " زاد المسير في علم التفسـير " . (٤) قال لابنه أبا القاسـم في نصيحـة له : " ولا تتشاغلـن بكتـب التفاسـير التي صنفتهـا الأعاجم ، وما ترك المغني وزاد المسـير لك حاجة في شيء من التفسـير . (٥)

وكان ابن الجـوزي يفسـر القرآن للناس على المنبـر وقد أتمه في سنة سبعين وخمسمائة قال : " وفي هذه السنة انتهـى تفسـيري في القرآن في المجلس على المنبر الى أن تم ، فسجدت على المنبر سجدة الشـكر ، وقلت ما عرفت أن واعظا فسر القرآن كلـه في مجلـس الوعـظ منـذ نزل القـرآن . (٦)

صفاتـــــه :

كان ابن الجـوزي لطيف الصـوت ، حلو الشمائل ، رخيم النغمة موزون الحركات لذيذ المفاكهـة لا يضيع من زمانه شيئا . وكان يراعـي حفظ صحتـــه وتلطيف مزاجـه وما فيـه عقله قوة ، وذهنه حدة . جل غذائه الفراريج والمزاويـر

---

١) جـ١ ص ٤٤ ـ مرآة الزمان

٢) جـ١ ص ٤١٢ ـ الذيل على طبقات الحنابلة .

٣) جـ ١ ص ٤٤ مرآة الزمـان (٤) جـ٢ ص ٩٤٧ كشف الظنون ـ حاجي خليفة .

٥) ص ٨٩ ـ لقطة الكبد الى نصيحـة الولد

٦) جـ١ ص ٤٠٥ الذيل على طبقات الحنابلة

ويمتاز عن الفاكهة بالأعشاب والمفجونات ، ولباسه أفضل لباس : الأبيض الناعم المطيب .(١)

بديهته وفكاهته :

وكان ابن الجوزي ذا عقل وقاد ، وجواب حاضر ، وربما تكلم من خاطره على البديهة نظما ونثرا .(٢)

قال عن نفسه : " ولقد أقدر على أن أرتجل المجلس كله من غير ذكر محفوظ وربما قرئت عندي في المجلس خمس عشرة آية فآتي على كل آية بخطبة تناسبها في الحال "(٣) . وكان يسأل فيجيب على البديهة ، ففي مجلسه يبتدر الحاضرون المسائل ، وتطير اليه الرقاع ، فيجاوب أسرع من طرفة عين ، وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا اله سواه .(٤)

وله أجوبة نادرة ، ومن لطائف أجوبته " أنه وقع في عهده نزاع بين أهل السنة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعلي ، ووقع اتفاق الفريقين بما يقوله أبو الفرج في ذلك ، فأقاما من يسأله عنه وهو على كرسي في مجلس وعظه .

قال على البديهة : أفضلهما من كانت ابنته تحته ، ونزل في الحال حتى لا يراجع فيما يقول . فكل من الفريقين احتج بها لنفسه ".(٥)

اعتداده بنفسه :

كان ابن الجوزي معتدا بنفسه ، مفتخرا بعلمه ، وقد صرح بذلك غير مرة

---

١) جـ ١ ص ٤١٢ ـ الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ ٤ ص ٣٣٠ ـ شذرات الذهب

٢) جـ ١٣ ص ٢٩ ـ البداية والنهاية (٣) ص ١٩٨ ـ رحلة ابن جبير .

٤) جـ ١ ص ٤١٠ ـ الذيل على طبقات الحنابلة

٥) جـ٢ ص ١١٨ تاريخ ابن الوردي ، ص ٢٣٤ ـ المجددون في الاسلام ، جـ٤ ص١٣٣ تذكرة الحفاظ .

في نثره وشعره .

أعجبه يوما كلامه فأنشد :-

تزدحم الألفاظ والمعاني ∴ على فؤادي وعلى لساني

تجري لي الأفكار في ميدان ∴ أزاحم النجم على المكان

وكان هذا الفخر والتباهي سببا في نقد بعض العلماء له .

قال ابن كثير : " وقد كان في بهاء وترفع في نفسه ، واهجاب وسمو بنفسه أكثر من مقامه ، وذلك ظاهر في كلامه في نثره ونظمه ، فمن ذلك قوله :

مازلت أدرك ماغلا بل ماعلا ... وأكابد النهج العسير الأطولا

تجري بي الآمال في حلباته ... جري السعيد مدى ما أمملا

أفضى بي التوفيق فيه الى الذي ... أعيا سواي توصلا وتخلفلا

لو كان هذا العلم شخصا ناطقا ... وسألته هل زار مثلي ؟ قال :لا (١)

وقال ابن القادسي : " وللناس فيه كلام من وجوه شتى : ما يوجد في كلامه من الثناء والترفع والتعاظم وكثرة الدعاوى ، ولا ريب أنه كان عنده من ذلك طرف ، والله سامحه " . (٢)

" وكتب اليه رجل في رقعة : والله ، ما استطيع أراك ، فقال : أعمش وشمشي كيف يراها ؟ ! . ثم قال : اذا خلوت في البيت فوست الدرج في أرض القراطيس ، واذا جلست للناس دفعت بدرياق (٣) العلم سموم الهوى ، أحميكم عن طعام البدع وتأبون الا التخليط ، والطبيب معوض " . (٤)

ومع أن التفاخر والتباهي ممقوت الى النفس لم يكن ابن الجوزي مغاليا في فخره ، ولم يكن مدعيا بل كان صاحب علم جم وتصنيف في مختلف الفنون .

---

١) ج ١٣ ص ٢٩ ـ البداية والنهاية .

٢) ج ١ ص ٤١٤ ـ الذيل على طبقات الحنابلة .

٣) الدرياق والترياق : دواء مركب نافع من لدغ الهوام

٤) ج ١ ص ٤٠٤ ـ الذيل على طبقات الحنابلة .

زهـــــــــــــــده :

نشأ ابن الجوزى على العفاف والصلاح وكان وهو صبى دينا مجموعا على نفسه لا يخالط أحدا ولا يأكل ما فيه شبهة ولا يخرج من بيته الا للجمعة ، وكان لا يلعب مع الصبيان . (١) وذكر أنه سرد الصوم مدة واتبع الزهاد قال : " ثم ألهمت الزهد فسردت الصوم (٢) وشافلت بالتقلل من الطعام وألزمت نفسى الصبر فاستجرت ، وشمرت ولازمت وعالجت السهر " . (٣) ثم رأى أن العلم أفضل من كل ناقلة ، فانجمع عليه ، ونظر فى جميع الفنون .

ومن تأمل ما جمعه بأن له حفظه واتقانه ، ومقداره فى العلم .

وكان رحمه الله مع هذه الفضائل والعلوم الواسعة ذا أوراد وتأله ، وله نصيب من الأذواق الصحيحة ، وحظ من شرب حلاوة المناجاه . وقد أشار هو الى ذلك " . (٤)

قال سبطه : " وكان زاهدا فى الدنيا ، متقللا منها ، وقال على المنبر فى آخر عمره كتبت باصبعى هاتين ألف مجلدة ، وتاب على يدى مائة ألف وأسلم على يدى ألفا يهودى ونصرانى . وكان يختم القرآن فى كل سبعة أيام ، ولا يخرج من بيته الا الى الجامع للجمعة والمجلس ، ومازح أحدا قط ، ولا لعب مع صبى ، ولا أكل من جهة لا يتيقن حلها ، ومازال على ذلك الأسلوب حتى توفاه الله تعالى " . (٥)

ومن أقواله : " من وقف على صراط الاستقامة وبيده ميزان المراقبة ، ومحك الورع يستعرض أعمال النفس ، ويرد البهرج الى كير التوبة ، سلم من رد الناقد يوم التنقيض .

---

١) جـ ١٣ ص ٢٩ ــ البداية والنهاية .

٢) السرد : متابعة الصوم

٣) ص ٨١ ــ لفتة الكبد الى نصيحة الولد .

٤) جـ ١ ص ٤١٣ ــ الذيل على طبقات الحنابلة

٥) جـ ١ ص ٤٣ ــ مرآة الزمان .

وقال يوما : " بقايا الشهوات ، في سوق الهوى مشهرجات ، يمسكن ثياب الطمع ، فان خرج الزاهد من بيت عزلته خاطر بدينه "(١) .

وقال يوما في مناجاته : " الهي لا تعذب لسانا يخبر عليك ولا عينا تنظر الى علوم تدل عليك ولا قدما تمشي الى خدمتك ولا يدا تكتب حديث رسولك ، فهبرتك لا تدخلني النار فقد علم أهلها أني كنت أذب عن دينك "(٢) .

وقال أيضا : " ارحم عبرة ترقرق على ما فاتها منك ، وكبدا تحترق على بعدها عنك . الهي ، علمني بفضلك يطمئن فيك ، وهبني بسطوتك يوميسني منك ، وكلما رفعت ستر الشوق اليك ، أمسكه الحياء منك ، الهي لك أذل ، وبك أذل ، وعليك أدل . وأنشد :

أحيي بذكرك ساعة وأموت .·. لولا التعلل بالمنى لفنيت(٣)

ومما يدل على شغف ابن الجوزي بالزهد والزهاد .

مصنفاته العديدة التي ألفها في أخبارهم وذكر أحوالهم ، كتاب " صفة الصفوة " وكتاب " سلوة الأحزان وغيرهما . وقد ذكر من هؤلاء الزهاد عددا كبيرا في مواضع مختلفة من مقاماته .

موقفه من الحكام :

كان ابن الجوزي بعيدا عن الرغبة في الحكام أو تأميل الحظوة لديهم لم يقصد أحدهم بتأليف ، ولم يرتبط به في مدار ، على غير عادة العلماء والأدباء في ذلك الزمن .

ولم يذكر أحد من المؤرخين لابن الفرج أنه قد تقرب الى وال أو تذلل الى حاكم وقد كان ذلك أمرا مقصودا وخطة مرسومة من ابن الجوزي . قال : " كنت في بداية الصبوة قد ألهمت طريق الزهاد بادامة الصوم والصلاة ، وحببت الى الخلوة فكنت أجد قلبا طيبا ، وكانت عين بصيرتي قوية حادة .. فانتهى الأمر بي الى

---

١) جـ ١ ص ٤٢١ ـ الذيل على طبقات الحنابلة .
٢) جـ٤ ص ٣١ ـ شذرات الذهب . (٣) جـ١ ص ٤٢٢ ، ٤٢٣ ـ الذيل على طبقات الحنابلة .

أن صار بعض ولاة الأمور يستحسن كلامي فأمالني اليه ، فمال الطبع ، ففقدت تلك الحلاوة . ثم استمالني آخر فكنت أتقي مخالطته ومطاعمه لخوف الشبهات ، وكانت حالتي قريبة ، ثم جاء التأويل فانبسطت فيما يباح ، فانعدم ماكنت أجد من استنارة وسكينة ، وصارت المخالطة توجب ظلمة في القلب ، الى أن عدم النور كله ، فاجتذبني لطف مولاي بي الى الخلوة على كراهة مني ، ورد قلبي علي بعد نفور عني ، وأراني عيب ماكنت أوثره ، فأفقت من مرض ثقلتي .

وقد ذكر غير واحد أنه قد عظم شأن الشيخ أبي الفرج في ولاية الوزير ابن هبيرة وأنه كان يتكلم عنده في داره في كل جمعة .

ولما ولي المستنجد (٥٥٥ ـ ٥٦٦ هـ) الخلافة خلع عليه خلعة مع الشيخ عبدالقادر ، وغيره من الأكابر "(١) .

وفي خلافة المستضيء (٥٦٦ ـ ٥٧٥ هـ) قوي اتصال الشيخ أبي الفرج وصنف له الكتاب الذي سماه " المصباح المضيء في دولة المستضيء " وصنف كتابا آخر لما خطب للمستضيء بمصر وانقطع أثر العبيد بين عنها سماه " النصر على مصر " وعرضه عليه وحضر عنده ، ثم أذن له في سنة ثمان وستين أن يجلس للوعظ في باب بدر بحضرة الخليفة وأعطاه مالا (٢) .

وحضر مجالسه ملوك ووزراء بل وخلفاء من وراء الستر (٣) .

ومن الخلفاء الذين حضروا مجلسه عدة مرات الخليفة المستضيء ، وماكان هذا ليحدث لو أن ابن الجوزي كان يغشى القصور ويستذل للخلفاء .

---

١) جـ ٤ ص ٣٢٩ ـ شذرات الذهب ، جـ ١ ص ٤٠٣ ـ الذيل على طبقات الحنابلة .

٢) جـ ١ ص ٤٠٤ ـ الذيل على طبقات الحنابلة .

٣) جـ ٤ ص ١٣٢ ـ تذكرة الحفاظ .

محنتـــــــــه :

وقـد تعرض ابن الجـوزي في آخـر عمره الى محنة شـديدة حديثها يطـول وملخصها : " أن الوزير ابن يونس الحنبلي كان في ولايته قد عقد مجلسا للركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلي ، وأحرقت كتبـه . وكان فيها من الزندقـة وعبادة النجـوم ورأي الأوائل شـيء كثيـر ، وذلك بمحضـر من ابن الجـوزي وغيـره من العلماء ، وانتزع الوزير منه مدرسـة جـدة ، وسلمها الى ابن الجـوزي فلما ولي الوزير ابن القصـاب ـ وكان رافضيا خبيثا ـ سعى في القبض على ابـن يونس ، وتتبع أصحابـه ، فقال لـه الركـن : أين أنت من ابن الجوزي فانـه ناصبي ومن أولاد أبـي بكر ، فهـو من أكبـر أصحاب ابن يونس ، وأعطاه مدرسـة جـدي ، وأحرقت كتبي بمشورتـه ، فكتب ابن القصاب الى الخليفة الناصـر ، وكان الناصـر له ميل الى الشـيعة ولم يكن له ميل الى الشـيخ أبي الفرج ، بـل قـد قيل : انه كان يقصد أذاه ، وقيل : ان الشـيخ ربما كان يعرض في مجالسـه بذم الناصـر ، فأمر بتسليمه الى الركن عبد السلام ، فجاء الى دار الشيخ وشتمـه وأغلظ عليـه وختم على كتبـه ودارة ، وشـتت عياله ، فلما كان في أول الليـل حمل في سفينة وليس معه الا عدوه الركن ، وعلى الشيخ غلالة بلا سراويل ، وعلى رأسـه تخفيفه ، فأحـدر الى واسـط . وكان ناظـرها هيصيا . فقال لـه الركـن : مكني من عـدوي لأرمـيه في المطمورة ، فزبره (١) ، فقال : يازنديـق ، ارميـه بقولك ، هات خط الخليفة ، والله لو كان من أهل مذهبي لبذلت روحـي ومالي في خدمته فعاد الركن الى بغداد وبقي الشيخ محبوسا بواسط في دار بدرب الديوان ، وعلى بابها بواب ، وكان بعض الناس يدخلون عليـه ، ويستمعون منـه ، ويملي عليهم ، وكان يرسل أشعارا كثيـرة الى بغداد . وأقام بها خمس سـنين يخدم نفسـه بنفسـه ، ويغسل ثوبـه ويطبخ ويستقي الماء من البئر ، ولا يتمكـن

---

(١) زبره : انتهره

من الخروج الى حمام ولا غيره وقد قارب الثمانين • فبقي على ذلك من سنة تسعين الى سنة خمس وتسعين • فأفرج عنه ، وقدم بغداد وخرج خلق كثير يوم دخوله لتلقيه ، وفرح أهل بغداد فرحا زائدا ، ونودي له بالجلوس يوم السبت فصلى الناس الجمعة ، وعبروا يأخذون من مكانات موضع المجلس عند تربة أم الخليفة •

وكان السبب في الافراج عن الشيخ : أن ولده محي الدين يوسف ترعرع وأنجب ، وقرأ الوعظ ووعظ ، وتوصل وساعدته أم الخليفة • وكانت تتعصب للشيخ أبي الفرج فشفعت فيه عند ابنها الناصر ، حتى أمر باعادة الشيخ فعاد الى بغداد ، وخلع عليه ، وجلس عند تربة أم الخليفة للوعظ • وأنشد :

شقينا بالنوى زمنا فلما	*	تلاقينا كأنا ما شقينا
سخطنا عندما جنت الليالي	*	فما زالت بنا حتى رضينا
سعدنا بالوصال وكم شقينا	*	بكاسات الصدود وكم فنينا
فمن لم يحيى بعد الموت يوما	*	فانا بعدما متنا حيينا

ولم يزل الشيخ على عادته الاولى في الوعظ ونشر العلم وكتابته الى أن مات (١) •

وفاته :

قال سبطه أبو المظفر : نزل جدي عن المنبر يوم السبت سابع عشر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة (٢) فمرض خمسة أيام ، وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين في داره بقطفتا (٣) •

قال : وحضر غسله شيخنا ضياء الدين بن سكينة ، وضياء الدين بن الجبير وقت السحر واجتمع أهل بغداد ، وظقت الأسواق ، وجاء أهل المحال ،

---

١) جـ ١ ص ٤٢٥ ومابعدها ـ الذيل على طبقات الحنابلة •

٢) ذكر غير واحد أن وفاة ابن الجوزي كانت ليلة الثاني عشر من رمضان • أنظر " البداية والنهاية " جـ ١٢ ص ٣٠ ، وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٣٢٢

٣) قطفتا : محلة بالجانب الشرقي من بغداد • جـ ٢ ص ٢١٧ ـ الكامل لابن الاثير جـ ٦ ص ١٧٤ ـ النجوم الزاهرة •

وشـــدوا التابوت بالحبال ، وسلموه اليهم ، فذهبوا به الى تحت التربة فكان جلوسه فصلى عليه ابنه أبو القاســم اتفاقا ، لأن الأعيان لم يقدروا على الوصول اليه ، ثم ذهبوا الى جامع المنصور فصلوا عليه ، وضاق بالناس ، وكان يوما مشهودا ، وكان في تموز . وحزن الناس عليه حزنا شديدا وبكوا بكاء كثيرا ، وباتوا عند قبره طول شـــهر رمضان يختمون الختمات بالقناديل والشموع والجماعات .(١)

ـ رحم الله الشيخ أبا الفرج ابن الجوزي ورحم سائر علماء المسلمين ـ هـــذا وقـــد أوصى الشـــيخ أبو الفرج أن يكتب على قبره :

ياكثير العفو من كثر الذنب لديه ∴ جاءك المذنب يرجو الصفح عن جرم يديه

أنا ضيـــف وجـــزاء الضيف احسان اليه

وقد توفيت زوجـــة الشـــيخ أبي الفرج في اليوم التالي لوفاتـــه .

قال سبطه : " وهدي بها في ليلة الجمعة التي مات فيها جـــدي في عافية ، قائمة ليس بها مرض ، فكان بين موتها وموتـــه يوم وليلة .

وعـــد الناس ذلك من كراماتـــه ، لأنه كان مأوى بها في حياتـــــه .

أولاده :

كان له من الذكور ثلاثـــة : عبد العزيز وهو أول أولاده وكنيتـــه أبو بكـــــر ، تفقه وسمع جماعة من مشايخ والده ، وسافر الى الموصـــل ووعظ وحصل له القبول التام فيقال أن بني الشـــهرزوري حســـدوه فدســـوا اليـــه من ســـقاه السم فمات بالموصـــل سنة أربع وخمسين وخمسمائة .

وأبو القاسم علي كتب الكثير وهو الذي أظهر تصنيفات والده وباعها بثمن المزاد أثناء محنـــة والده ، وكان أبوه قـــد هجره مدة سنين وتوفي سنة ثلاثين وستمائة ولـــه ثمانيـــن ســـنة .

---

(١) ج ١ ص ٥٢ ـ مرآة الزمان ، ج ١ ص ٤٢٩ ـ الذيل على طبقات الحنابلة .

وأبو محمد يوسف محي الدين ولد سنة ثمانين وخمسمائة وسمع الحديث الكثير وتفقه وناظر ووعظ بعد وفاة أبيه تحت تربة والدة الامام ، وقام بأموره وولي حسبة بغداد ، وترسل عن الخلفاء الى الملوك وقتل سنة ٦٥٦ هـ (١) .

وكان للشيخ أبي الفرج عدة بنات منهن رابعة والدة سبطه أبي المظفر ، وشرف النساء وزينب وجوهرة ، وست العلماء الكبرى وست العلماء الصغرى وكلهن سمعن الحديث (٢) .

تلامذته ومريديه :

قرأ على الشيخ أبي الفرج العلم جماعة ، منهم طلحه العلثي ومنهم عبد الله ابن تيمية خطيب حران ، وذكر في أول تفسيره أنه قرأ عليه كتابه " زاد المسير " في التفسير قراءة بحث ومواجهة .

وسمع منه الحديث وتصانيفه العديدة خلق لا يحصون كثرة من الائمة والحفاظ والفقهاء وغيرهم .

وروى عنه خلق ، منهم ولده الصاحب محي الدين وسبطه أبو المظفر الواعظ والشيخ موفق الدين ، والحافظ عبد الغني وابن الدبيثي ، وابن القطيعي ، وابن النجار وابن خليل ، وابن عبد الدائم ، والنجيب عبد اللطيف الحراني وهو خاتمة أصحابه بالسماع .

وروى عنه آخرون بالاجازه آخرهم الفخر علي بن البخاري (٣) .

آراء العلماء :

كان ابن الجوزي عالما متسعا له نصيب من كل فن فقد كتب الكثير وكتب عنه الكثير .

---

١) ج ١٣ ص ٣٠ البداية والنهاية ، ج ١ ص ٥٣ ، ٥٤ ـ مرآة الزمان
٢) ج ١ ص ٥٤ ـ مرآة الزمان .
(٣) ج ١ ص ٤٢٥ الذيل على طبقات الحنابله

ومن الصعب أن أذكر هاهنا كل الآراء التي قيلت حول هذا الرجل الذي بلغت شهرته الآفاق وزادت مصنفاته على الثلاثمائة مصنف ، وسأكتفي بذكر بعض الآراء التي قيلت عنه :

قال الحافظ الذهبي وابن خلكان وغيرهما : " كان علامة وقته وامام عصره "(١) .

وذكره ابن الديبثي في ذيله على تاريخ السمعاني فقال : " شيخنا الامام جمال الدين ابن الجوزي صاحب التصانيف في فنون العلم من التفاسير والفقه والحديث والتواريخ وغير ذلك واليه انتهت معرفته الحديث وعلومه ، والوقوف على صحيحه من سقيمه . وله في هذه المصنفات من المسانيد والأبواب والرجال ومعرفة الأحاديث الواهية والموضوعة والانقطاع والاتصال . وكان من أحسن الناس كلاما وأتمهم نظاما .

وذكره ابن البزوري وأطنب في وصفه ، وقال : أصبح في مذهبه اماما يشار اليه ، ويعقد الخنصر في وقته عليه ، وبرع في العلوم وتفرد بالمنثور والمنظوم وفاق على أدباء عصره ، وعلا على فضلاء دهره .(٢)

وقال ابن جبير : " الحمد لله على أن مَنّ بلقاء من تشهد الجملات بفضله ويضيق الوجود عن مثله " .(٣)

وقال أيضا : وماكنا نحسب أن متكلما في الدنيا يعطى من ملكة النفوس والتلاعب بها ما أعطى هذا الرجل ، فسبحان من يخص بالكمال من يشاء من عباده لا اله سواه " .(٤)

هذا وقد عرف ابن الجوزي بعدائه لشذوذ الصوفية ، وانكاره لخروجهم عن

---

١) جـ٢ ص ٧٩ ـ دول الاسلام ، جـ٢ ص ٣٢١ ـ وفيات الأعيان ، جـ ٣ ص ٤٨٩ مرآة الجنان وقال صاحب مفتاح السعادة : " كان علامة عصره وامام وقته في الحديث وصناعة الوعظ " (جـ١ ص٢٥٤) .

٢) جـ١ ص ٤١٢ ومابعدها ـ الذيل على طبقات الحنابلة

٣) ص ١٩٨ ـ رحلة ابن جبير

٤) ص ٢٠٠ المرجع السابق .

حدود الشرع ، واعترض على الفقهاء في جمودهم وتقليدهم وعلى المحدثين ، ونقد التراث الفلسفي وأوضاع الحكم ، ووقف من عصره موقف الثورة والاصلاح ، وقد أورثه ذلك خصومة متعددة الجوانب ، واسعة المدى ، فقد نقم عليه بعض العلماء بسبب بعض آرائه .

قال ابن رجب : " نقم عليه جماعة من مشايخ أصحابنا (أي الحنابلة) ميله الى التأويل في بعض كلامه ، واشتد نكيرهم عليه في ذلك ، ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف ، وهو وان كان مطلعا على الأحاديث والآثار ، فلم يكن يحل شبه المتكلمين وبيان فسادها " . ثم علل تلونه واضطرابه بأنه " كان معظما لأبي الوفاء ابن عقيل لأكثر ما يجده من كلامه ، وان كان قد رد عليه في بعض المسائل وكان ابن عقيل بارعا في الكلام ، ولم يكن تام الخبرة بالحديث والآثار ، فلهذا يضطرب في هذا الباب ، ويتلون فيه آراءه ، وأبو الفرج تابع له في هذا التلون " .(١)

وربما كان ذلك التلون من أبي الفرج في أول حياته . وقال الشيخ موفق الدين المقدسي : " كان ابن الجوزي حافظا للحديث صنفا فيه ، الا أننا لم نرض تصانيفه في السنة ، ولا طريقته فيها " .(٢)

وقد عابه آخرون بوقوع السهو في تصانيفه ، وأنه كان يتم الكتاب فلا يراجعه .

وقد اتهمه صاحب ميزان الاعتدال بالتخليط أحيانا وايراده بعض الأخبار الكاذبة " .(٣)

وحمل عليه ابن الأثير بسبب اتهامه لأبي سعيد السمعاني في تاريخه بالكذب .(٤)

---

١) جـ٩ ص ٣٣١ ـ شذرات الذهب . (٢) جـ٤ ص ٣٣١ ـ المرجع السابق .

٣) جـ١ ص ٧٣ ، ص ٤١١ ـ ميزان الاعتدال .

٤) جـ ١ ص ١١ ـ اللباب في تهذيب الانساب لابن الأثير .

واتهمه أيضا " بأنه كان كثير الوقيعة في الناس لا سيما العلماء المخالفين لمذهبه والموافقين له ٠ (١)

ومهما يكن فان رجلا كأبي الفرج ابن الجوزي كتب العديد من المصنفات ونقد الكثير من أوضاع عصره كان لا بد أن يكون له خصوم وأعداء ٠

---

١) ج ١٢ ص ٧١ ــ الكامل لابن الأثير ، ج ٣ ص ١٠١ ــ المختصر في أخبار البشر ٠

الفصل الثالث

آثار ابن الجوزي

ترك ابن الجوزي تراثا ضخما من المصنفات في مختلف العلوم ، فجاء تراثا متنوعا ومختلفا في علوم الوعظ والتفسير والحديث والفقه والتاريخ ، وفي فنون اللغة والأدب وغيرها من ألوان المعارف المختلفة .

ولا يكاد المرء يصدق ما نسب الى هذا الرجل من مصنفات لكثرتها وقد أحاطت المبالغة بعدد كتبه .

قال ابن خلكان : " وبالجملة فكتبه أكثر من أن تعد ، وكتب بخطه شيئا كثيرا ، والناس يغالون في ذلك حتى يقولون : انه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره ، وقسمت الكراريس على المدة ، فكان ما خص كل يوم تسعة كراريس وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل "(١) .

وقال الموفق عبد اللطيف : " لا يضيع من زمانه شيئا يكتب في اليوم أربع كراريس ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلدا الى ستين وله في كل علم مشاركة "(٢) .

وعلى أي حال فان ابن الجوزي يعد من أكثر العلماء تصنيفا " فقد جمع من المصنفات الكبار والصغار نحوا من ثلاثمائة مصنف ، وكتب بيده نحوا من مائتي مجلد وله في العلوم كلها اليد الطولى ، والمشاركات في سائر أنواعها "(٣) . سئل عن عدد تصانيفه فقال : زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفا منها ما هو عشرون مجلدا وأقل "(٤) .

---

١) جـ٢ ، ص ٣٢١ ـ وفيات الأعيان ، جـ١ ص ٢٥٥ ـ مفتاح السعادة لاحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده

٢) جـ ٤ ص ٣٣٠ ـ شذرات الذهب .

(٣) جـ ١٣ ص ٢٨ ـ البداية والنهاية

٤) جـ٤ ص ٣٣٠ ـ شذرات الذهب .

قال الحافظ الذهبي : " ما علمت أحدا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل "(١) .

وقال السيوطي أيضا : ما علمت أحدا من العلماء خلف ما خلف(٢) .

وقال ابن البزوري : " ولم يترك فنا من الفنون الا وله فيه مصنف ، كان أوحد زمانه ، وما أظن الزمان يسمح بمثله "(٣) .

فكل هذا يدل دلالة قاطعة على سعة اطلاع ابن الجوزي ، وكثرة جمعه وحفظه وغزارة انتاجه وتصنيفه .

قال ابن النجار : " فمن تأمل ما جمعه بان له حفظه واتقانه وبقداره في العلم "(٤) .

والذي أعان الشيخ أبا الفرج على كثرة التصنيف والتأليف أن الله بارك في عمره ، فقد عاش حوالي سبعة وثمانين عاما وأنه قد سلم في حياته من العلل والآفات ، وأنه قد بدأ بالتأليف والتصنيف في وقت مبكر من حياته .

قال : " أول ما صنفت وألفت — ولي من العمر نحو ثلاث عشرة سنة "(٥) .

وكان اذا رأى تصنيفا وأعجبه صنف مثله في الحال ، وان لم يكن قد تقدم له في ذلك الفن عمل ، لقوة فهمه وحدة ذهنه ، فربما صنف لأجل ذلك الشيء ونقيضه بحسب ما يتفق له من الوقوف على تصانيف من تقدمه "(٦) .

وقد ارتاب بعض الكتاب في كثرة المصنفات التي نسبت لابن الجوزي

---

١) جـ ٤ ص ١٣٢ — تذكرة الحفاظ . (٢) ص ٣٤٦ طبقات الحفاظ للسيوطي .
٣) جـ ١ ص ٤١٣ — الذيل على طبقات الحنابلة .
٤) جـ ١ ص ٤١٣ — المرجع السابق .
٥) جـ ١ ص ٤١٦ — المرجع السابق .
٦) جـ ١ ص ٤١٥ — الذيل على طبقات الحنابلة .

فالدكتور مصطفى عبدالواحد يقول : " ولكن المبالغة فى تصانيفه لا ينبغى أن تصل الى هذا الحد غير المعقول ، حتى ليذكر ابن العماد الحنبلى أن ابن الجوزى حين خضب لحيته بالسواد صنف فى جواز الخضاب مجلدا .. !! فماذا يمكن أن يقول فى جواز الخضاب أكثر من أن يذكر بضعة نصوص وأخبار ثم يستنبط الحكم بعد ذلك .. !! وهل يعقل أن يتسع ذلك الموضوع لكتابة مجلد عنه !! ان هذا مثل يدلنا على ما فعل التهويل بتآليف ابن الجوزى . ورغم ما يذكرونه عن الأعداد الكثيرة لكتب هذا الرجل ، فان ما ذكر من أسمائها فى كتب متفرقة لا يكاد يبلغ المائة ".(١)

وأقول أن ملك الدكتور عبدالواحد ليس فى محله ، فان ابن الجوزى عنده ما يقوله فى الخضاب واستعمالاته وقد ذكر غير واحد أن من ضمن كتب ابن الجوزى كتاب " الشيب والخضاب " وتوجد منه نسخة خطية فى الخزانة الأحمدية بتونس (خزانة جامع الزيتونة) ثم آلت الى مكتبة المطارين بعد صدور قرار بتجميع المخطوطات التونسية ورقمها فى فهرس الاحمدية ٣٥٥٥ وهى بخط على بن الكهف الشافعى وخطها مشرقى عتيق جدا وعدد أوراقها ٩٠ ورقة . ومعدل سطور الورقة الواحدة ١٧ سطرا وفى المخطوطة نقص يسير من أول الديباجة واسم المخطوطة كما ورد فى ديباجته "ذكر الشيب والخضاب ".(٢)

وأما عن عدد مصنفات ابن الجوزى فلو أن الدكتور عبدالواحد اطلع على كتاب عقود الجوهر ، وهدية العارفين ، وكشف الظنون ، والذيل على طبقات الحنابلة لأدرك أن لابن الجوزى ذلك العدد الكبير الذى تحدث عنه أكثر كتاب السير والتراجم .

ويكفى أن أذكرها هنا أن صاحب مرآة الزمان ذكر لابن الجوزى أكثر من مائتى مصنفا .

---

١) ص ١٤ ـ ذم الهوى .

٢) ص ٩٢ ـ مجلة المورد ـ العدد الثالث ـ المجلد الثانى ـ دار الحرية للطباعة مطبعة الحكومة ـ بغداد ـ ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .

ومن كانت له هذه الكثرة من المصنفات فلا بد وأن يقع السهو والخطأ في بعض مؤلفاته ، ولا بد وأن يتعرض لبعض الاتهامات .

قال ابن القادسي في تاريخه : " هذا فللناس فيه كلام من وجوه منها : كثرة أغلاطه في تصانيفه وهذره في هذا واضح ، وهو أنه كان مكثراً من التصانيف ، فيصنف الكتاب ولا يحتبره ، بل يشتغل بغيره ، وربما كتب في الوقت الواحد في تصانيف عديدة . ولولا ذلك لم يجتمع له هذه المصنفات الكثيرة . ومع هذا فكان تصنيفه في فنون من العلوم بمنزلة الاختصار من كتب في تلك العلوم فينقل من التصانيف من غير أن يكون متقنا لذلك العلم من جهة الشيخ والبحث .

ولهذا نقل عنه أنه قال : أنا مرتب ولست بمصنف " (١) .

هذا وحتى نتعرف على قدر هذا العالم الموسوعة وعلى طول نفسه في التصنيف والتأليف نذكر ثبتا بمصنفاته في مختلف الموضوعات (٢) .

ثبت بمصنفات ابن الجوزي التي عثرت عليها في كتب مختلفة (٣) .

أ ـ مصنفاته المتعلقة بالقرآن وعلومه :

١ ـ " المغني في التفسير " . أحد وثمانون جزءا .

٢ ـ كتاب " زاد المسير في علم التفسير " . أربع مجلدات (٤)

٣ ـ " تيسير البيان في تفسير القرآن " . مجلد .

٤ ـ " تذكرة الأريب في تفسير الغريب " جزء

٥ ـ " غريب الغريب " . جزء

٦ ـ " نزهة العيون النواظر في الوجوه والنظائر " . مجلد

---

١) جـ١ ص ٤١٣ ـ الذيل على طبقات الحنابلة .

٢) سأشير الى الكتاب المطبوع من مصنفاته بحرف : ط

٣) أهم الكتب التي اعتمدت عليها في هذا الثبت هي : كشف الظنون ، هدية العارفين مرآة الزمان ، والذيل على طبقات الحنابلة .

٤) قال طاش كبرى زاده : "لابن الجوزي كتاب " زاد المسير في علم التفسير " أربعة أجزاء أتى فيها بأشياء غريبة . (جـ١ ص ٢٥٤ ـ مفتاح السعادة .

قال : " واختصرت من هذا الكتاب كتابا يسمى " بالوجوه النواضر في الوجوه والنظائر " مجلد (١)

٧ ـ " الاشارة الى القراءة المختاره " . أربعة أجزاء .

٨ ـ " تذكرة المنتبه في عيون المشتبه " . جزء
وقد أورد فيها متشابه القرآن . (٢)

٩ ـ " فنون الأفنان في عيون علوم القرآن " . مجلد

١٠ـ " ورد الأغصان في معاني القرآن " . مجلد

١١ـ " عمدة الراسخ في معرفة المنسوخ والناسخ . خمسة أجزاء

١٢ـ " التلخيص " . مجلد .

١٣ـ " البيعة في القراءات المختارة " جزء .

١٤ـ " سماء الأريب بما في القرآن من الغريب " .

ب ـ مصنفاته في أصول الدين :

١ ـ " منتقد المعتقد " . جزء

٢ ـ " منهاج الوصول الى علم الأصول " خمسة أجزاء

٣ ـ " بيان عقلة القائل بقدم أفعال العباد " . جزء

٤ ـ " غوامض الالهيات " جزء

٥ ـ " ملل العقلاء " . جزء

٦ ـ " منهاج أهل الاصابة " . جزء

٧ ـ " السر المصون " . مجلد

٨ ـ " دفع شبه التشبيه والرد على المجسمة " . (٣) أربعة أجزاء ـ ط

---

١) جـ١ ص ٣٩١ ـ الذيل على طبقات الحنابلة

٢) جـ١ ص ٣٩١ ـ كشف الظنون

٣) جـ١ ص ٤١٧ ـ الذيل على طبقات الحنابلة ، وفي مرآة الزمان جـ١ ص٤٥ : " دفع التشبيه بألف التنزيه " وفي هدية العارفين ص٥٢١ : دفع شبه التشبيه " .

٩ ـ " الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد " .

١٠ ـ " البدائع الدالة على وجود الصانع " . أربعة أجزاء .

١١ ـ " شرف الاسلام " . جزء

١٢ ـ " مالا يسع الانسان جهله " . جزء

١٣ ـ " كتاب في محبة القرابة والصحابة " . جزء .

جـ ـ مصنفاته في علم الحديث والزهديات :

١ ـ " جامع المسانيد بأخص الأسانيد " . وهو كتاب كبير رتبه الشيخ أبو العباس أحمد بن عبدالله المعروف بالمحب الطبري ثم المكي المتوفى سنة ٦٩٤هـ (١) . وهو مثل سائر مؤلفاته يدل على نفس المؤلف في التأليف ، جمع فيه أشهر المسانيد ورتبها على حروف المعجم لأسماء أصحابها . فمسند أبي بن كعب يأتي قبل مسند أحمد ، ومسند مسانيد الرجال ذكر مسانيد النساء ، على هذا الترتيب ويأخذ من كل مسند الأحاديث التي ثبتت صحتها عنده .

٢ ـ " روضة التأهل " وهو في خمسة مجلدات ضخمة . (٢)

٣ ـ " غريب الحديث " مجلدان .

٤ ـ " نفي النقل " خمسة أجزاء

٥ ـ " نزهة الأريب " . جزآن

٦ ـ " عيون الحكايات " . مجلد

٧ ـ " ملتقط الحكايات " ـ ط .

٨ ـ " ارشاد المريدين في حكايات السلف الصالحين " . مجلد

---

١) جـ ١ ص ٥٧٣ . كشف الظنون .

٢) جـ ٣ ص ١٠١ ـ تاريخ آداب اللغة العربية .

٩ ـ " روضة الناقل " . جزء

١٠ـ " فرر الأثر " . ثلاثون جزءا

١١ـ " التعليق " . مجلدان

١٢ـ " المديح " . سبعة أجزاء

١٣ـ " الموضوعات من الأحاديث المرفوعات " . مجلدان

ذكر في أول أربعة أبواب : الأول في ذم الكذب ، الثاني في حديث من كذب علي ، الثالث في الوصية بانتقاد الرجال والرابع فيما اشتمل عليه هذا الكتاب وهو خمسون كتابا من الكتب . ثم شرح المقصود ، وذكر فيها كل حديث موضوع . (١)

١٤ـ " العلل المتناهية في الأحاديث الواهية " . مجلدان

١٥ـ " بيان الخطأ والصواب من أحاديث الشهاب " ستة عشر جزءا

١٦ـ " الحدائق لأهل الحقائق " وهو مجلد مشتمل على مائة مجلس أورد فيها أحاديث للوعاظ ليوشح بها الأبيات في وعظه مسندة تليق بها . (٢)

١٧ـ " الكشف لمشكل الصحيحين " . أربع مجلدات

وفي مرآة الزمان : " الكشف عن معاني الصحيحين " . (٣)

١٨ـ " المنطق المفهوم "

١٩ـ " الصلف في المؤتلف والمختلف " . مجلدان

٢٠ـ " الضعفاء والمتروكين " . مجلد

٢١ـ " أعلام العالم بعد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه " .

---

١) جـ٢ ص ١٩٠٦ ـ كشف الظنون

٢) جـ١ ص ٦٣٤ ـ كشف الظنون

٣) قال في نصيحة لابنه أبي القاسم : " ومتى تشاغلت بكتاب الحدائق أطلعك على جمهور الحديث وإذا التفت الى كتاب الكشف أبان لك عن مستور ما في الصحيحين من الحديث .

٢٢ـ " أهل الوسوع في الفقه والتحديث بمقدار الناسخ والمنسوخ من الحديث " مجلد ـ ط

٢٣ـ " السهم المصيب " جزء

٢٤ـ " أخائر الذخائر " ، ثلاثة أجزاء

٢٥ـ " الفوائد عن الشيخ " ، ستون جزءا

٢٦ـ " مناقب أصحاب الحديث " ، مجلد

٢٧ـ " المشيخة " جزء

٢٨ـ " السلسلات " جزء

٢٩ـ " المحتسب في النسب " ، مجلد

٣٠ـ " تحفة الطلاب " ، ثلاثة أجزاء

٣١ـ " تنوير مدلهم الصرف " جزء

٣٢ ـ " الألقاب " جزء

٣٣ـ " أسباب الهداية " مجلد

٣٤ـ " صولة العقل " جزء

٣٥ـ " التحقيق في أحاديث التعليق " مجلدان

٣٦ـ " المزلة " ، جزء

٣٧ـ " الصلوات والأدعية " جزء

٣٨ـ " البر والصلة " ، جزء

٣٩ـ " الوصية " ، جزء

٤٠ـ " ذم الحسد " ، جزء

٤١ـ " ذم السكر " جزء

٤٢ـ " منهاج القاصدين " ، أربع مجلدات ،

٤٣ـ " ذم الهوى " ، ـ ط

قال ابن الجوزي في الباب الثاني من هذا الكتاب : " وكتابنا هذا الذم الهوى في شهوات الحمق وان كان يشتمل على ذم الهوى مطلقا "(١) .

١ ـ ص ١٩ ـ ذم الهوى ،

وقد اشتمل على خمسين بابا .

٤٤ ـ " علم الحديث المنقول فى أن أبا بكر أم الرسول " . جزء .

٤٦ ـ " منهاج الاصابة فى محبة الصحابة " .

٤٥ ـ " قيام الليل " . ثلاثة أجزاء .

٤٧ ـ " المناجاه " جزء .

٤٨ ـ " الفوائد المنتقاه " ستة وخمسون جزءا .

٤٩ ـ " مولد النبى " صلى الله عليه وسلم . ـ ط .

٥ ـ مصنفاته فى المناقب وأخبار الصالحين :

١ ـ " الوفاء فى فضائل المصطفى " أربعة مجلدات .

ذكر فيه أنه رأى خلقا من أمته صلى الله عليه وسلم لا يحيطون علما بحقيقة فضيلته فجمع كتابا أشار فيه الى (علو) مرتبته وشرح حلله من بدايته الى نهايته . فاذا انتهى الأمر الى مدفنه (الشريف) ذكر فضل الصلاة عليه . وقد زادت أبوابه على خمسمائة باب (١) .

٢ ـ " مناقب أبى بكر " . مجلد .

٣ ـ " مناقب عمر بن الخطاب " مجلد ـ ط

وقد توخى فيه البسط والاسناد فذكر أخبار عمر ذكرا وافيا وأفاض فى مناقبه وادارة المملكة وكيف دون الدواوين وماكان يجرى من المكاتبات والمعاملات من أمرائه وقضاته ورعيته وسائر أعماله فى ثمانين بابا (٢) .

٤ ـ " مناقب على " . مجلد .

٥ ـ " مناقب عمر بن عبد العزيز " . مجلد ـ ط

وفيه فوائد مهمة على نحو ما فى ترجمة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه .

٦ ـ " مناقب سعيد بن المسيب " مجلد .

---

١) جـ ٢ ص ٢٠١٧ ـ كشف الظنون . ٢) جـ ٣ ص ١٠٠١ ـ تاريخ آداب اللغة العربية

٧ ـ (مناقب الفضيل بن عياض " • أربعة أجزاء •

٨ ـ " مناقب الحسن البصري " مجلد •

٩ ـ " مناقب بشر الحافي " • سبعة أجزاء •

١٠ ـ " مناقب ابراهيم بن أدهم " • ستة أجزاء •

١١ ـ " مناقب سفيان الثوري " • مجلد •

١٢ ـ " مناقب أحمد بن حنبل " • مجلد ـ ط ـ وهو مطول في ترجمة الامام في مائة باب ، اشتملت على تاريخه ومناقبه وأعماله وما كان عن محنته وأخبار مريديه وأصحابه ومن صلى معه أو حمل بجنازته • التزم بذلك طريقة الاسناد ، تتخللها فوائد اجتماعية وتاريخية • (١)

١٣ ـ " مناقب معروف الكرخي " • جزآن •

١٤ ـ " مناقب رابعة الغدوية " جزء •

١٥ ـ " مناقب بغداد " مجلد ـ ط •

١٦ ـ " مناقب الستر الرفيع " جزء •

١٧ ـ " فضائل الفقه " • جزء •

١٨ ـ " فضائل القدس " جزء •

١٩ ـ " التوبة في فضائل الأيام والشهور " • مجلد •

٢٠ ـ " مناقب الامام الشافعي " •

٢١ ـ " فضائل العرب " مجلد •

٢٢ ـ " فضائل ليلة الجمعة " • جزء •

٢٣ ـ " تنوير الغبش في فضل السود والحبش " • مجلد •

٢٤ ـ " تقريب الطريق الأبعد في فضل مقبرة أحمد " • جزآن •

٢٥ ـ شرف المصطفى " •

---

١ ـ ج ٣ ص ١٠١ ـ المرجع السابق •

٢٦ـ " اللباب في قصص الأنبياء "

٢٧ـ " المختار من أخبار الأخيار " مجلد

٢٨ـ " الأنوار الملوكية " مجلد

٢٩ـ " تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر " . جزء

٣٠ـ " سلوة الأحزان " . ط

يشتمل هذا الكتاب على أخبار مجموعة من العباد والزهاد أو يطلق عليهم (الصفوة) .

وقد ذكر ابن رجب أنه عشر مجلدات . وللأسف فان القدر المطبوع منه شيء يسير بالنسبة لما ذكر عن حجم الكتاب .

٣١ـ " المختار من أخبار المختار " .

٣٢ـ عجالة المنتظر في شرح حال الخضر " . قال فيه ان من قال أنه موجود قائما قال ذلك لهواجس ووساوس واستدل على عدم وجوده بقوله تعالى " : وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد " أقول وأجاب المخالفون بأن الخلد هو بقاء لا موت معه وليس هو المدعى في الخضر عليه الصلاة والسلام وانما المدعى طول اقامته ثم يكون الموت بعدها .

وأما لو كان حيا لزارني . فلم يثبته أهل الحديث . وفيه نزاع كثير والناس على الطرفين كما ترى . والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال . (١)

٣٣ـ " صفة الصفوة " ـ ط ـ مختصر حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ في طبقات الصالحين صحح رواياتها لأسباب ذكرها في المقدمة . واقتصر على ذكر العاملين من الزاهدين في الدنيا . بدأ بذكر الرسول فالمشتهرين من

---

١) ج٢ ص ١١٢٥ ـ كشف الظنون

الصحابة بالعلم المقرون بالزهد حسب طبقاتهم . ثم المصطفيات من الصحابيات فالتابعين ومن بعدهم على طبقاتهم في بلدانهم قال : " وقد طفت الأرض بفكري شرقا وغربا واستخرجت كل من يصلح ذكره في هذا الكتاب من جميع البقاع " . ورتب البلاد حسب أهميتها في نظره ، فبدأ بالمدينة فمكة فبغداد فواسط فالكوفة فالبصرة وهكذا .. الى آخر المشرق ، ثم انتقل الى الشام والعواصم والثغور ، ومصر فالمغرب فالسواحل والفلوات وكلما ذكر بلدا ذكر طبقات رجاله من العلماء والزهاد . وبحسب عدد الذين ترجم لهم على ٨٠٠ من الرجال و ٢٠٠ من النساء (١) .

هـ ـ مصنفاته في التاريخ :

١ ـ " المنتظم في تاريخ فهوم الملوك والأمم " . عشر مجلدات ـ ط وهو تاريخ عام يبدأ بالخليقة الى ظهور الاسلام ومنه الى أيام المستضيء بالله العباسي المتوفى سنة ٥٧٥ هـ ، مرتب على السنين يذكر دخول السنة وخلاصة حوادثها ثم يذكر من مات فيها ويرتب أسماءهم على حروف الهجاء مع خلاصة أخبارهم . (٢) وقد اختصره الشيخ علاء الدين بن علي بن محمد الشهير بمصنف في مجلد (٣)

٢ ـ " تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير " مجلد ط وحين ألف ابن الجوزي هذا الكتاب وله اذ ذاك نحو الثلاثين من عمره

---

١) ج ٣ ص ١٠٠ ـ تاريخ آداب اللغة العربية .

٢) ص ٩٩ ـ تاريخ آداب اللغة العربية .

٣) ج ٢ ص ١٨٥٠ ـ ١٨٥١ ـ كشف الظنون .

عرضه على ابن ناصر فكتب عليه : قرأ على هذا الكتاب جامعه الشيخ الامام العالم الزاهد أبو الفرج فوجدته قد أجاد تصنيفه، وأحسن تاليفه وجمعه ، ولم يسبق الى مثل هذا المجمع ، فقد طالع كتبا كثيرة ، وأخذ أحسن ما فيها من الياقوت واللؤلؤ فنظمه عقدا زان به التصانيف التي تجمعت من التواريخ ومعرفة الصحابة وأسمائهم وكناهم وأعمارهم ، وأبان عن فهم وعلم غزير مع اختصار يحض على الحفظ والعمل بالعلم . وقد اختصره (١) في مجلد .

٣ ـ " شذور العقود في تاريخ العهود " . مجلد

٤ ـ " الذهب المسبوك في سير الملوك " . وله مختصر اسمه : " خلاصة الذهب المسبوك " للاربلي عبد الرحمن سبط ابن الجوزي .

٥ ـ " المجد الصلاحي " . مجلد

٦ ـ " طرائف الظرائف في تاريخ السوالف " . جزء

٧ ـ " أعمار الأعيان " ، ابتدأ فيه بمن مات وله عشر سنين وانتهى الى ألف سنة . (٢)

٨ ـ " درة الاكليل في التاريخ . أربع مجلدات .

٩ ـ " الفاخر في أيام الامام الناصر " . مجلد

١٠ ـ " سير المعزين " .

١١ ـ " المصباح المضيء في دولة المستضيء " . مجلد

١٢ ـ " الاعاصر في ذكر الامام الناصر " . مجلد

---

١) جـ١ ص ٤١٥ ـ الذيل على طبقات الحنابلة

٢) جـ١ ص ٢١٨ ـ كشف الظنون

و ـ مصنفاته في الفقـــــه :

١ ـ " الانصاف في مسائل الخلاف " • مجلد

٢ ـ " جنة الناظر في وجنة المناظر " • وهي التعليقة الوسطى •

٣ ـ " مختصر المختصر في مسائل النظر " وهي دون تلك •

٤ ـ " عمد الدلائل في مشتهر المسائل " وهي التعليقة الصغرى •

٥ ـ " المذهب في المذهب " • جزآن

٦ ـ " مسبوك الذهب " • مجلد

٧ ـ " النبذه " جزء

٨ ـ " العبادات الخمس " • جزء

٩ ـ " كشف الظلمة عن الضياء في رد دعوى كيماء •

١٠ـ " رد اللوم والضيم في تحريم صوم يوم الغيم " • جزء

١١ـ " التحقيق في أحاديث التعليق " • مجلدان •

١٢ـ " المنفعه في المذاهب الاربعة " مجلدان

١٣ـ " لقطة العجلان " مجلد •

١٤ـ " البازي الأشهب المنقض على مخالفي المذهب " مجلد وهو مختصر في تأييد مذهبه والرد على الحنابلة المجسمة "(١) •

١٥ـ " لهية العجل في الجدل " ثلاثة أجزاء

١٦ـ " مناسك الحج " • جزء

١٧ـ " تحريم المحل المكروه " • مجلد

١٨ـ " تحريم الفتوى " • جزء

١٩ـ " الرد على القائلين بجواز المتعة " جزء

---

١) جـ١ ص ١٢٨ ـ كشف الظنون •

٢٠ـ " المسائل المفرده " جزء

٢١ـ " العمدة في أصول الفقه " جزء

٢٢ـ " الفرائض اللوازم للفقه " جزء

٢٣ـ " التلخيص " مجلد

ز ـ مصنفاته في الوعظ وعلومه :

١ ـ " اليواقيت في الخطب " مجلد

جمع فيه مائة خطبة في المواعظ من انشائه وارتجاله .

٢ ـ " المنتخب في النسب " مجلد

٣ ـ " منتخب المنتخب " . مجلد

٤ ـ " نسيم الرياض " مجلد

٥ ـ " المدهش في المحاضرات " . مجلدان . ط

وهو على خمسة أبواب : الأول في علوم القرآن ، والثاني في تصرف اللغة ، والثالث في علوم القرآن والحديث ، والرابع في علوم التواريخ والخامس في المواعظ .

وقد اشتمل على العديد من المعارف والفوائد المختلفة ، وبحق لقد أصاب ابن الجوزي حينما سمى كتابه هذا بالمدهش .

٦ ـ " اللؤلؤة " مجلد

٧ ـ " كنز المذكرين " مجلد

٨ ـ كتاب " الازج " مجلد

٩ ـ كتاب "اللطائف " . مجلد

١٠ـ " كنوز الرموز " مجلد

١١ـ " اللآل في خطب المواعظ " .

١٢ـ " المقتبس " . مجلد

١٣ـ " زيـــن القصص " • مجلـــد

١٤ـ " موافـق الموافـق " • مجلـــد

١٥ـ " شاهد ومشـــهود " • مجلـــد

١٦ـ " واسـطات العقـود من شاهد ومشـــهود " مجلـد

١٧ـ " اللهـب " جـــزآن •

١٨ـ " محادثـة العقـل " جـزء

١٩ـ " المحاضـــرات " جـــزء

٢٠ـ " لقط الجمـان " جزء ومختصـره جـزء

٢١ـ " معانى المعانـى " جـــزء

٢٢ـ " فيـوح الفتـــوح " مجلـــد

٢٣ـ " جواهـر المواعـظ " •

جمع فيـه من الأحاديث الصحيحـة مضافة الى الآيات القرآنيـة ما يتعلق بالترغيب والترهيـب والاخلاق ورياضيات النفس • (١)

٢٤ـ " المنثـور " • وهى مجموعة من المواعظ المرسلة •

٢٥ـ " التعازى الملوكيـه " جـــزء

٢٦ـ " تحفـة الوعاظ " وقـد أسماه " تحفة الواعظ ونزهة الملاحظ "

وقـد اشتمل على خمسـة وعشـرين فصـــلا •

٢٧ـ " بسـتان الواعظين ورياض السـامعين " • ط

وهو مجلد مرتب على مجـالس •

٢٨ـ " الوعـظ الملوكى " • جـــزء

٢٩ـ " المقصد المقيـم " جـزء

٣٠ـ " ايقاظ الوسنان من الرقدات بأحـوال الحيوان والنبات •

جـزآن •

---

(١) ص ٦١٧ ـ كشـف الظنون

٣١ـ " ياقوته المواعظ " ط

وهي فصول في الوعظ جعلها كالنموذج للواعظ ينسج على منوالها .

٣٢ـ " درياق الذنوب " . وهو يشتمل على اثنين وعشرين مجلسا وفي صدر كل مجلس خطبة . (١)

٣٣ـ " نكت المجالس البدرية " جزآن .

٣٤ـ " منتهى المنتهى " مجلد

٣٥ـ " تبصرة المبتدىء " عشرون جزءا

٣٦ـ " القصاص والمذكرين "

٣٧ـ أحكام الأشعار بأحكام الاشعار " عشرون جزءا .

٣٨ـ " صيد الخاطر " . ط

قال عن سبب تأليفه : " لما كانت الخواطر تجول في تصفح أشياء تعرض لها ، ثم تعرض عنها فتذهب ، كان أولى الأمور حفظ ما يخطر لكيلا ينسى . وقد قال عليه الصلاة والسلام : " قيدوا العلم بالكتابة " وكم قد خطر لي شيء ، فأتشاغل عن اثباته فيذهب فأتأسف عليه ، ورأيت من نفسي أنني كلما فتحت بصر التفكر سنح له من عجائب الغيب ما لم يكن في حساب فانثال عليه من كثيب التفهيم مالا يجوز التفريط فيه ، فجعلت هذا الكتاب قيدا لصيد الخاطر . والله ولي النفع انه قريب مجيب .

وقد اشتمل هذا الكتاب على موضوعات شتى وهو ذا فائدة عظيمة . ولا يخلو القارىء من نظرة فيه من موعظة يتعظ بها ، أو فائدة يستفيدها أو طرفة يأنس بها .

قال الأستاذ الظنطاوي : وفيه فوق ذلك تحليل للنفوس وفيه وصف للمجتمع في أسلوب مبتكر وطريقة في التصنيف لا أعرفها

---

١) ص ٢٥٢ ـ المرجع السابق

لأحد من المصنفين " . (١)

٣٩ـ " تلبيس ابليس " . ط

قال في خطبة الكتاب : الأنبياء جاءوا بالبيان الكافي فأقبل الشيطان يخلط بالبيان شبها . فرأيت أن أحذر من مكائده فوضعت هذا الكتاب محذرا من فتنة ، ومخوفا من محنه ، وكاشفا عن مستوره وفاضحا له في خفي غروره . والله المعين بجوده ، كل صادق في مقصوده . وقد قسمته ثلاثة عشر بابا يتكشف بمجموعها تلبيسه ، وتبين للفطن بفهمها تدليسه . (٢)

وقد حمل فيه على شذوذ الصوفية في عصره واستغرق نقده له جزءا كبيرا من هذا الكتاب .

٤٠ـ " المقتضب في الخطب "

٤١ـ " المواعظ السلجوقية " جزء

٤٢ـ " تصديقات رمضان " جزء

٤٣ـ " الثبات عند الممات . " جزآن

٤٤ـ " الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ " جزء

٤٥ـ " المرتجل في الوعظ " . مجلد كبير .

٤٦ـ " أعلام الأحياء بأغلاط الأحياء " .

قال أبو الفرج ابن الجوزي قد جمعت أغلاط الكتاب

(يعني كتاب أحياء علوم الدين للامام أبي حامد الغزالي)

وسميته أعلام الاحياء بأغلاط الأحياء " وأشرت الى بعض ذلك في كتابي " تلبيس ابليس " . (٣)

٤٧ـ " ذخيرة الواعظ " جزء

---

١) ص ٥ ـ صيد الخاطر

٢) ص ٥ ـ تلبيس ابليس (٣) جـ١ ص ٢٤ ـ كشف الظنون ـ حاجي خليفة ـ المطبعة البهية سنة ١٩٤١م ـ ١٣٦٠ هـ

٤٨ـ " الزجر المخوف " .

٤٩ـ " الزند الورى في الوعظ الناصري " جزآن

٥٠ـ " الملح " جزآن .

٥١ـ " الفصول الوعظيه على حروف المعجم " .

٥٢ـ " المعشوق في الوعظ " .

٥٣ـ " المجالس اليوسفية " . كتبها لابنه يوسف .

٥٤ـ " الوعظ المنصري " . جزآن

٥٥ـ " زاهر الجواهر في الوعظ " أربعة أجزاء

٥٦ـ " المحادثة " جزء

٥٧ـ " الموتقى لمن اتقى "

٥٨ـ " المغلق " . أربعة أجزاء

وقد ذكر فيه ترهيبات وتخويفات .

٥٩ـ " الوصية " .

٦٠ـ " الوعظ النفيس " مجلد

٦١ـ " رؤوس القواريس في الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير " . ط

٦٢ـ " شطب اللمع في خطب الجمع " ثلاثة أجزاء

٦٣ـ " عجائب الخطب (عجب الخطب) . ط

ذكر فيه ثلاثين خطبة حذف في كل منها حرفا أولها بلا ألف والثاني بلا باء وختمها بلا نقط والثالث بلا تاء الى آخر حروف الخطبة . الثانية كلها من غير نقط . والخطبة الثالثة كلها منجمة الى آخر الحروف .(١)

٦٤ـ " هادي الأرواح الى بلاد الأفراح " .

٦٥ـ " المورد العذب في المواعظ والخطب " .

---

١) ج٢ ـ ص ١٠٢٨ المرجع السابق .

هـ ـ مصنفاته في الطـــب :

١ ـ " لقط المنافـع " مجلـد

جعله على سبعين بابا ثم اختصره وسماه " مختار المنافع "

٢ ـ " شفاء علل الأمراض " ، جزء

٣ ـ " الجوهر النافع " مجلـد

٤ ـ " الطب الروحانـى

٥ ـ " طب الأشياخ " جزء

ط ـ مصنفاته في الأدب واللغة والشعر :

١ ـ " أحكام الأشعار " ، مجلدان

٢ ـ " المختار من الأشعار " ، عشرة مجلدات

٣ ـ " المنتخب " مجلـد

٤ ـ " الذخيرة " ثلاثون جزء[1]

٥ ـ " المستنجد " مجلـد

٦ ـ " ما قاله من الشعر " مجلـد

٧ ـ " منظومة في الحديث " ،

٨ ـ " منتهى المشتهى " ، مجلد

٩ ـ كتاب " المقامات " ، مجلـد

١٠ ـ " صبا نجد " وهو مختصر فيه نظم ونثر ، قال : هذا كتاب يزيد على نسيم الصبا رقة اذا سمعه ذو قلب يملك رقة ، يمزج فيه الكلام بأبيات مستحسنات أو ببيت مفرد من الأبيات السائرات وربما ذكر بعض الأبيات لكونه مشهورا ، ورتبه على ثلاثين فصلا .

---

١) جـ ٢ ص ١٠٧٠ كشف الظنون .

١١ـ كتاب " الأمثال " مجلد .

١٢ـ " النجاة الخواتم " جزآن .

١٣ـ " تقويم اللسان " فيما تلحن فيه العامة . ط

١٤ـ " ملح الأعاريب " . جزآن

١٥ـ لغة الفقه " . جزآن

١٦ـ " نزهة أهل الأدب " .

١٧ـ " المألوف دون الغريب " .

١٨ـ " روح الأرواح " أربعة أجزاء .

١٩ـ " نسيم السحر " ثلاثة أجزاء .

٢٠ـ " اللهف " جزآن .

٢١ـ وله : حواش على صحاح الجوهري ، وما أخذ عليها . (١)

٢٢ـ " المفهم المقعد " في دقائق العربية .

ى ـ ومن مصنفاته في الجغرافية :

١ ـ سير الغرام الساكن الى أشرف الأماكن

٢ ـ سير الغرام لساكني الشام .

٣ ـ تبصرة الأخبار في نهل مصر وأخواته من الأنهار .

ك ـ مصنفات أخرى :

ولابن الجوزي مصنفات أخرى في موضوعات مختلفة لم أستطع تصنيفها :

١ ـ " الأذكياء " : مجلد ـ ط

تكلم فيه على فضل العقل والذكاء وعلاماتهما وعلى ما نقل عن

---

(١) جـ ١ ص ٤٢٠ ـ الذيل على طبقات الحنابلة .

الأنبياء والأمم السالفة والصحابة والخلفاء والوزراء والسلاطين والأمراء والحجاب والشرطة والقضاة والفقهاء والعباد والعلماء، وعلى جمل الأذكياء وأجوبتهم المسكته ، وأفعال العوام ، وطرف من أحوال الشعراء والمداحين وحيل المحاربين والمتطببين والمتطفلين والمتلصصين وأخبار فطناء الصبيان وفطنى عقلاء المجانين وأخبار النساء ، وفيما ذكر عن الحيوان البهيم مما يشبه ذكاء الآدميين وفيما ضربته العرب والحكماء من الأمثال على ألسنة الحيوان ، ورتبه على ثلاثة وثلاثين بابا .

٢ ـ " الحمقى والمغفلين " ، مجلد ـ ط

٣ ـ " الحفاظ " مجلد

٤ ـ " الحلاج " جزء

٥ ـ " المقاسم لأبي قاسم " جزء

٦ ـ " المستدرك عن ابن عقيل " جزء

٧ ـ " الأخذ عن ابن نباته " جزء

٨ ـ " زواهر الجواهر " أربعة أجزاء

٩ ـ " لفته الكبد الى نصيحة الولد " ، ط

وقد اشتمل على مجموعة نصائح قيمة وجهها لابنه أبي القاسم وقد ضمنها طرفا من حياته .

١٠ـ " ذكر الشيب والخضاب " (١) مجلد .

ورد في ديباجة المخطوطه ما نصه " : وقد وسمت هذا الكتاب بذكر الشيب والخضاب وقسمته سبعة وعشرين بابا والله الموفق لكل ماكان صوابا انه ولي ذلك والقادر عليه (٢) .

---

١) ذكر البغدادي في هدية العارفين جـ١ ص ٥٢١ أن لابن الجوزي كتاب بعنوان حسن الخطاب في الشيب والشباب ـ وربما كان كتابا آخر .

٢) ص ٩٣ ـ مجلة المورد ـ العدد الثالث ـ المجلد الثاني

١١ـ " المجاذبة " جزء .

١٢ـ " المقاطع " جزء .

١٣ـ " المجتبى " مجلد .

في أنواع من العلوم كالقراءة والسير ونحوه وهو مختصر .

١٤ـ " الجوهر " .

١٥ـ " النساء وما يتعلق بآدابهن " . مجلد

١٦ـ " النصر على مصر " . جزء

١٧ـ " المسجد المضدى " مجلد

١٨ـ " أخبار الظراف والمتماجنين ـ ط

١٩ـ " الأنس والمحبة " .

٢٠ـ كتاب في ذم عبد القادر .

٢١ـ " المحادثة " جزء .

٢٢ـ " فنون ابن عقيل " ـ في بضعة عشر مجلدا .

٢٣ـ " الألقاب " .

٢٤ـ " الفروسية " .

٢٥ـ " مدارج السالكين " .

٢٦ـ " نفح الطيب " مجلد

٢٧ـ " أنس الفريد ومنية المريد " .

فهذا نيف وستون ومائتا مصنف ، وأكثر هذا الانتاج للأسف لا يزال مخطوطا وموزعا بين مكتبات العالم لا يعرف أحد عنه شيئا سوى مسمياته ، ولم يعرف طريقه الى النشر من هذا التراث الضخم الا قرابة ثلاثين مصنفا وهذا العدد لا يعطي الصورة الكاملة عن فكر هذا العالم الموسوعي وعن قدره في التأليف ومكانته بين العلماء

وانني أهيب بالأزهر الشريف وجامعته المتجددة ، والقائمين على احياء التراث أن يولوا هذا التراث الضخم وغيره من تراثنا العربي العزيز العناية الكاملة حتى تنتفع الأجيال وينتفع المسلمون بتراث أسلافهم

وأرجو أن تلقى هذه الدعوى آذانا صاغية ، وقلوبا متفتحة .

انه سميع مجيب الدعوات .

((البـــــــاب الثـــانـــــى))

فـــــــــن

المقـــلـــة فى الأدب العربـــــــى

==========

" الفصل الأول "

المقامة نشأتها وتدرجها عبر العصور

المقامات من ألوان الكتابة الانشائية ، وهي نوع من النثر الفني يمتاز بما يكون فيه من الأناقة اللفظية ، والروعة البيانية ، والمفردات اللغوية ، والتأليف الذي يدل على احتفال الكاتب واهتمامه ، وكده وعنائه وقصده الى تخير اللفظ ، وانتقاء المعنى ، واحتشاد الخيال ، وتنميق العبارات ، وسبك الأسلوب . كما أنه يحتفل بالألفاظ الغريبة والمعاني العجيبة والصياغة اللفظية والمحسنات البديعية وما الى ذلك من ألوان الصناعة اللفظية والبيانية ، فكأن المقامات الميدان الذي يتنافس فيه أصحابها في عرض براعتهم وقدرتهم على اظهار أقاصي اللغة وأعاجيبها .

١: معنى المقامة ::

أ - المعنى اللغوي :

جاء في اللسان وفي القاموس : المقامة بالفتح : المجلس والجماعة من الناس .

وقد مرت هذه الكلمة بأطوار مختلفة في مدلولها عبر العصور ففي العصر الجاهلي كانت تستعمل بمعنيين : فتارة تستعمل بمعنى مجلس القبيلة أو ناديها على نحو ما نرى عند زهير اذ يقول :

وفيهم مقامات حسان وجوهها ∴ وأندية ينتابها القول والفعل

وتارة تستعمل بمعنى الجماعة التي يضمها هذا المجلس أو النادي على نحو ما نرى عند لبيد اذ يقول :

وقامة غلب الرقاب كأنهم (١) ∴ جن لدى باب الحصير قيام (٢)

فالكلمة تستعمل منذ العصر الجاهلي بمعنى المجلس أو من يكونون فيه . ويؤيد هذا ما قاله القلقشندي : " المقامة في أصل اللغة اسم للمجلس والجماعة من الناس ، وسميت الأحدوثة من الكلام مقامة لأنها تذكر في مجلس واحد ، تجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها . (٣)

وفي القرن الثالث الهجري صارت الكلمة تعني المواعظ والخطب يلقيها الرجل في حضرة الخليفة أو الملك ، وقد عقد ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ فصلا سماه " مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك " (٤)

وقد نقل ابن عبد ربه عن يزيد ابن عبد الله قوله لكاتبه :

" فتصفح من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما يرجع اليه ، ومن نوادر الكلام ما تستعين به ، ومن الأشعار والأخبار والسير والأسماء ما يتسع به منطقك ويطول به قلمك . وانظر في كتب المقامات والخطب " . (٥)

ولعله يقصد بكتب المقامات كتب المواعظ والأحاديث الزهدية .

وفي أساس البلاغة ما يؤيد استعمال المقامة بمعنى المظة فقد جاء في آخر مادة " قوم " مانصه : وقام بين يدي الأمير بمقامة حسنة ومقامات .

---

١) غلب : جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة

٢) الحصير هنا : الملك

٣) جـ ١٤ ص ١١٠ ـ صبح الأعشى ـ النسخة المصورة عن الطبعة الاميرية ـ وزارة الثقافة والارشاد القومي .

٤) جـ ٢ ص ٣٣٣ ، ٣٤٣ ـ عيون الأخبار ـ النسخة المصورة عن مطبعة دار الكتب

٥) جـ ٢ ص ٢١١ ـ العقد الفريد ـ طبعة بولاق .

بخطبة أو عظة أو غيرهما . (١)

وهكذا انتقلت الكلمة من معنى المجلس والجماعة من الناس الى ما يقال في المجلس نفسه .

وقد استعمل الخوارزمي كلمة مقامة ، بمعنى مقام قال :

" ولكل مقامة مقالة " . (٢)

وقد استعملها البديع في مقاماته بمعنى الحديث الذي يلقى في المجلس .

ففي المقامة الوعظية يسرد عيسى بن هشام أبا الفتح الاسكندري يخطب في الناس وعظا بديعا ، فراعه ذلك ، فقال لبعض الحاضرين : من هذا ؟ فقال : غريب قد طرأ لا أعرف شخصه ، فاصبر عليه الى آخر مقامته لعله ينبي بعلامته " هذا ولم ترد كلمة مقامة في القرآن الكريم بهذا النص غير أنها وردت مرة واحدة معرفة ومضمومة الميم وذلك في قوله تعالى :

" الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب " . (٣)

وكذلك لم ترد كلمة مقامة في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فقد راجعت مادة قوم " ومشتقاتها " (٤) في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ولم أجدها قد وردت في السنة النبوية .

واذا علمنا أن المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي تناول الأحاديث التي أوردها الأئمة التسعة (٥) لعلم الحديث ، غلب على الظن أن هذه الكلمة لم ترد في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

١) جـ٢ ص ٢٨٥ ـ أساس البلاغة . (٢) ص ٨٠ رسائل الخوارزمي .

٣) سورة فاطر آية ٣٥

٤) من ص ٤٨٣ ـ ٤٩٩ ـ المجلد الخامس من المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي

٥) الكتب التسعة التي تناولها المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف للائمة التسعة هي : صحيح البخاري ، صحيح مسلم ، سنن أبي داود ، النسائي ، الترمذي وسنن ابن ماجه ، صحيح الموطأ ، سند أحمد ، سنن الدارمي

ولاشك أن بديع الزمان هو أول من أطلق كلمة المقامات على هذا اللون من ألوان الكتابة الانشائية .

ومنذ هذه التسمية أصبحت هذه الكلمة علما لذلك الفن " فصارت المقامة تطلق ويراد بها تلك الجملة من القول المروية على لسان امرئ خيالى يحكى قصة وقعت لا نسان أو أكثر يتخيلهم الكاتب ، ويضع على ألسنتهم عبارات يتفصح فيها ما شاء ، ويلتزم فيها السجع غالبا . ويحاول أن يأتى فيها بنصيب وافر من الألفاظ ، ويزينها بما استطاع من الحكم والأمثال والشعر "(١) .

ب - المعنى الاصطلاحى :

المقامة عبارة عن كتابة حسنة التأليف أنيقة التصنيف تتضمن نكتة أدبية ويدارها على رواية لطيفة مختلفة تسند الى بعض الرواة ووقائع شتى تعزى الى أحد الأدباء ، والمقصود منها غالبا جمع درر الألفاظ وغرر البيان وشوارد اللغة ونوادر الكلام من منظوم ومنثور فضلا عن ذكر الفرائد البديعة والرقائق الأدبية كالمسائل المبتكرة والخطب المحبرة والمواعظ المكيه والأضاحيك الملهية(٢) وقد عرفها الدكتور زكى مبارك بقوله : " وهى القصص القصيرة التى يودعها الكاتب ما يشاء من فكرة أدبية أو فلسفية ، أو خطرة وجدانية ، أو لمحة من لمحات الدعابة والمجون "(٣) .

ويعرفها الأستاذ أحمد حسن الزيات بقوله : " المقامة حكاية قصيرة أنيقة الأسلوب تشتمل على عظة أو ملحة "(٤) .

---

١ - ص ٥٣١ ، ٥٣٢ - تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الثانى .
الدكتور ابراهيم على أبو الخشب - دار الفكر العربى - دار الثقافة العربية للطباعة .
٢ - جـ١ ص ٣٨٨ - جواهر الأدب فى انشاء وأدبيات لغة العرب - أحمد الهاشمى - الطبعة السادسة والعشرون سنة ١٩٦٥ م .
٣ - جـ١ ص ١٩٧ ، ١٩٨ - النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى مطبعة السعادة ١٩٥٧ المكتبة الجارية الكبرى بمصر .
٤ - ص ٣٩٨ - تاريخ الأدب العربى للزيات .

ويقول الدكتور أحمد الشرباصي [1]: "وعلى كل حال فالمقامة - في عرف الأدباء قصة قصيرة غرضها التعبير الفني ، والمفاكهة ، وهي تطرق موضوعات معينة كالمدح والوعظ والكدية" [2] ويعرفها الأستاذ أنيس المقدسي بقوله : أن المقامة نوع من الحكايات القصيرة تروى على لسان أحدهم ويطلها رجل أحكم التحيل وقصر همه على تحصيل الطفيف من الرزق ، وصف عادة بالدهاء والتكدية وغايتها لغوية أدبية .

وأقول أن المقامة فكرة من الأفكار يعرضها صاحبها في أسلوب حلواوي ، مظهرا براعته البيانية ومهارته اللغوية ومقدرته على التلاعب بالألفاظ والمحسنات البديعية واستخدامه لأفانين الكلام وفنونه المختلفة .

وقد أخطأ من ظن أن المقامة كالقصة فحاسب أصحابها على عمل لم يقصدوه ، اذ لم تراع قواعد الفن القصصي فيما كتب من هذا النوع ، فلم يحسن كاتبو المقامات بتصوير الحكايات وتحليل الأشخاص وانما صرفوا همهم الى تحسين اللفظ وتزيينه" [3]. وتجليسة الفكرة التي يعرضون لها كما فعل ابن الجوزي في مقاماته .

وهذا لا يمنع أن بعض المقامات قد جاءت على نسق القصة القصيرة من حيث تحليل الشخصيات [4] والحدث وعنصري الزمان والمكان والعقدة والحل . ففي مقامات بديع الزمان الهمذاني أكثر من شاهد على ذلك

---

١) ص١٣٨ - ملامح أدبية .

٢) الكدية - كما في مفردات القرآن للاصفهاني - صلابة في الأرض ، يقال : حفر فأكدى اذا وصل الى كدية ، واستعير ذلك الى الطالب المخفق والمعطى القليل . قال تعالى : " وأعطى قليلا وأكدى . ويراد بالكدية التطلع الى عطاء لا يحصل عليه طالبه كما يريد (ص٤٢٧ - المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني - طبعة مصطفى بابي الحلبي سنة ١٩٦١

٣) ص٣٩٨ - تاريخ الأدب العربي - للزيات .

٤) ج ١ ص٢٠٦ - النثر الفني .

وكذلك في مقامات الحريري . قال الدكتور زكي مبارك : " ان في مقامات بديع الزمان نماذج من القصة القصيرة ، ففيها العقدة وتحليل الشخصيات ". والمقامة المضرية والمقامة البغدادية تمثلان هذا الفن .

وقد أكد هذا الرأي الدكتور مصطفى الشكعة في كتابه عن بديع الزمان الهمذاني " اذ عده رائد القصة العربية ، وأول من أنشأ مقامات حاول فيها لأول مرة في تاريخ الأدب العربي أن يكتب القصة أو الأقصوصة فاقتحم ميدانا جديدا ، وابتكر فنا رفيعا ، وقد بلغ في كثير من مقاماته النجاح كاملا .

وقد لخص الدكتور مصطفى الشكعة بعض مقامات البديع لقواعد فن القصة من حيث العقدة والعرض ، وعنصر الحركة والمفاجأة والوقائع المثيرة والتفاصيل الدقيقة وتسجيل ألوان من الحياة الاجتماعية ، وبعد ذلك قال : " وعلى هذه الأسس التي ذكرنا يمكن أن نعتبر كثيرا من مقامات بديع الزمان قصصا فنية ناجحة ، وبالتالي يكون أديبنا الرائد الأول للقصة العربية ." (١)

وينكر بعض المستشرقين وجود القصة في مقامات البديع مثل : توماس تشنوي " قال في مقدمته عن مقامات الحريري ذاكرا بديع الزمان : وبغى بديع الزمان من المحاورة بين الراوي والبطل أن يكسب المقامة نوعا من الحركة والحياة ، وفي نفس الوقت يتخذها ميدانا لاظهار بلاغته وثقافته وقدرته على نظم الشعر ، غير أن صدر المقامة لاغناء فيه وعنصر المخاطرة تافه فيها والأسلوب هو كل شيء " (٢) ورأى آخرون أن أسلوب البديع في مقاماته

---

١) ص ٢٩٢ ومابعدها ـ بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية ـ دار الرائد العربي بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الاولى سنة ١٩٧١

٢) The Assemblis of Harriri by Tchenery P. 20

(عن بديع الزمان رائد القصة العربية ص ٢٩٠) .

قريب من الأسلوب التمثيلي المسرحي مثل نيكلسون Nicholson ولكنه عاد فنقض ما قرره وقال : " ونجد في مقامات الهمذاني قربا من — الأسلوب التمثيلي المسرحي — الذي لم يستعمله الساميون قط ، وقد تصور الهمذاني بطله محتالا ماهرا متشردا أفاقا ينتقل من مكان الى مكان مزودا نفسه بحضور ذاكرته التي تسعفه بالبلاغة والشعر اللذين يكتسبان الساميين .

والشخصية الثانية شخصية الراوي الذي يقابل الآخرين وهي شاملته وردد انشاءاته الرائعة . ومقامات الهمذاني قد أصبحت النموذج لهذا النوع من الكتابة والأساليب التي اخترعها والتي ظلت دون تغيير في أعمال تلاميذه الكثيرة المنتشرة . وكل مقامة تكون وحدة مستقلة ، ولهذا فالمجموعة الكاملة ربما ينظر اليها كقصة تحتوي على أقصوصات في حياة البطل وهي خليط من النثر والشعر حيث تكون القصة لا شيء والأسلوب كل شيء . (١)

وأما المستشرق الفرنسي ايوار GI. Huart فيعترف صراحة بأن المقامات هي في الحقيقة أقاصيص حيث يقول : " وفي نيسابور أنشأ بديع الزمان مقاماته التي وضع فيها شخصا خياليا ابتكره وسماه أبا الفتح الاسكندري ، والمقامات تحتوي على ملامح تسولية (يقصد الكدية) وموضوعات أخرى ، ومقاماته في الحقيقة أقاصيص نعرف فيها الأصل الآري وهي قصيرة بعض الشيء ولكنها مكتوبة بأسلوب بارع وصعب . (٢)

---

(١) 1. Aliterary Story of Arabs by Nicholson. P.328,329. London 1923 .

(٢) عن بديع الزمان رائد القصة العربية ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

2. Literature Arab Par GI. Huart P. 194 .

عن بديع الزمان رائد القصة العربية ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

: : نشأة المقامة : :

شغل كتاب العربية وأدباؤها فترة طويلة من الزمن بفكرة المقامات ونشأتها فقد اختلفوا اختلافا كبيرا وتباينت وجهاتهم حول شيء : فن المقامة أهو البديع أم غيره ؟

فبعضهم يرى أن البديع هو منشيء هذا الفن ، وبعضهم يرى أنه تابع لغيره

فالقاسم بن علي الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ يقرر أن بديع الزمان هو مبتدع هذا الفن . فقد كتب في مقدمة مقاماته : " وبعد فانه قد جرى ببعض أندية الأدب الذي ركدت في هذا العصر ريحه ، وخمت مصابيحه ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان ، وعلامة همذان - رحمه الله - وزا الى أبي الفتح الاسكندري نشأتها ، والى عيسى بن هشام روايتها ، وكلاهما مجهول لا يعرف ، ونكرة لا يعترف الى أن قال : هذا مع اعترافي بأن البديع سباق غايات ، وصاحب آيات ، وأن المتصدي بعده لانشاء مقامة ، ولو أوتي بلاغة قدامة لا يعترف الا من فضالته ولا يسري ذلك المسري الا بدلالته ، ولله در القائل :

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ∴ بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهاج لي البكا ∴ بكاها فقلت الفضل للمتقدم (١)

وقال القلقشندي : " واعلم أن أول من فتح باب عمل المقامات علامة الدهر وامام الأدب البديع الهمذاني فعمل مقاماته المشهورة المنسوبة اليه وهي في غاية البلاغة وعلو الرتبة في الصنعة " (٢)

---

١) ص ٤ ومابعدها - شرح مقامات الحريري - طبعة دار التراث
٢) ج ١٤ ص ١١٠ صبح الأعشى

وقال الهاشمي : " ومخترع هذا الفن هو بديع الزمان الهمذاني ".(١)

ويرى أبو اسحاق الحصري في كتابه " زهر الآداب " أن بديع الزمان الهمذاني ليس هو مخترع الفن على الرغم مما يعرفه الكثيرون ، لكنه تقيل طريقة ابن دريد (٢) وأنه كان معارضا له في أحاديثه الأربعين التي أنشأها من قبله .

فقد قال في معرض حديثه عن بديع الزمان : " كلامه في المكاسر ، أنيق الجواهر ، يكاد الهواء يسرقه لطفا والهوى يعشقه ظرفا . ولما رأى أبابكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثا ، وذكر أنه استنطها من ينابيع صدره ، واستخبرها من معادن فكره وأبداها للأبصار والبصائر ، وأهداها للأفكار والضمائر في معارض عجمة ، وألفاظ حوشية ، فجاء أكثرها أظهر تبرو عن قبوله الطباع ، ولا ترفع له حجبها الأسماع ، وتوسع فيها اذ حرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة وضروب متصرفة ، عارضها بأربعمائة مقامة في الكدية ، تذوب ظرفا ، وتقطر حسنا ، لا مناسبة بين المقامتين لفظا ولا معنى .(٢)

---

١) ص ٣٨٩ جواهر الأدب .

٢) هو أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد ، ولد في خلافة المعتصم سنة ٢٢٣ هـ . ثم صار الى عمان فأقام بها مدة ثم صار الى فارس فسكنها مدة ، ثم قدم بغداد فأقام بها الى أن مات سنة ٣١٢ هـ . وقد عرف بقوة الحفظ ، وكثرة الاملاء ، وقد أخذ عليه الاكثار من أوزان العربية وتوليد الألفاظ وادخال ماليس من كلام العرب في كلامها (جـ٦ ص ٤٨٦ ـ معجم الأدباء) ومن أشهر مؤلفاته : " الجمهرة في علم اللغة وكتاب " الاشتقاق " ومقصورته الشهيرة . وكانت وفاة ابن دريد في اليوم الذي توفي فيه أبوهاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي المتكلم المعتزلي فقال الناس: اليوم مات علم اللغة وعلم الكلام . ورثاه جحظه البرمكي بقوله :

فقدت بابن دريد كل فائدة ∴ لما غدا ثالث الاحجار والترب

وكنت أبكي لفقد الجود منفردا ∴ فصرت أبكي لفقد الجود والأدب

٣) جـ١ ص ٣٠٧ ـ زهر الآداب وثمر الألباب ـ الطبعة الثانية

وقد أخذ بهذا الرأى كثير من الكتاب المحدثين أمثال الدكتور زكى مبارك . فقد تناول كلام الحصرى ومضى عليه حكما خلاصته " أن ابن دريد هو مبتدع فن المقامات "(١) .

وكذلك الأستاذ شوقى ضيف فهو يؤكد أن بديع الزمان قد عارض بمقاماته أحاديث ابن دريد لأن كلمة مقامة تأتى بمعنى حديث . ويرى أن فى هذا ما يربط أدق الربط بين العملين ويستطيع القارىء أن يرى ذلك فى وضوح اذا رجع الى كتاب الأمالى لأبى على القالى(٢) .

وقد أكد هذا المفهوم مرة أخرى حينما قال : " على كل حال أنشأ بديع الزمان مقاماته معارضة لأحاديث ابن دريد "(٣) .

ونحن يجب أن نتقبل هذا الكلام بتحفظ شديد ، فقد يكون من الظلم لبديع الزمان والتجنى عليه أن نلصق به هذه الفكرة على علاتها ، اذ أن الدافع والهدف عند كل من ابن دريد وبديع الزمان مختلف الى حد كبير ، ذلك أن أحاديث ابن دريد كانت تعليمية صرفة ، وأما المقامات فكانت بجانب غرض الانشاء الجميل ، والاطراف المضحك ، تتخذ موضوعات بعينها من مدح واكتداء ووعظ فى صيغة قصة هى فى كثير من الأحيان مسبوكة النسج والهيكل مربوطة العقد ، مبسوطة العرض(٤) .

وقد اعترف بذلك الدكتور زكى مبارك عندما تحدث عن بعض مقامات بديع الزمان كالمقامة المضيرية والمقامة البغدادية فذكر أنها نماذج من القصة القصيرة ففيها العقدة وتحليل الشخصيات(٥) .

---

١ ـ جـ ١ ص ١٩٩ ـ النثر الفنى ، وانظر المقتطف مجلد ٧٧ ص ٤١٩ . وقد عارض هذا الرأى الأستاذ مصطفى الرافعى . أنظر المقتطف مجلد ٧٧ ص ٥٨٩ .
٢ ـ ص ١٧ ـ المقامة ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٤ .
٣ ـ ص ١٧ ـ المرجع السابق .
٤ ـ ص ٢١٧ ، ٢١٨ ـ بديع الزمان الهمذانى رائد القصة العربية .
٥ ـ جـ ١ ص ٢٠٦ ـ النثر الفنى .

ولم تكن كذلك أحاديث ابن دريد التي تقصر أحيانا فلا تكاد تتجاوز سطورا قليلة ، وتطول أحيانا أخرى فتستغرق صفحة كاملة ، وأحيانا أخرى لاتحوى الا شعرا .

ومن الأحاديث التي وقعت بين يدى حتى الآن لا أستطيع أن أجزم أن هذه الأحاديث هي التي أوحت لبديع الزمان بانشاء مقاماته فالأحاديث الأربعين ليست بين أيدينا ، والأحاديث التي ذكرت في الأمالي لاتدل دلالة كبيرة على أن بديع الزمان قد حاكى ابن دريد في أحاديثه (١) .

وبعد أن عرض الأستاذ مصطفى الشكعة نماذج من أحاديث ابن دريد قال : " أما وقد كان الرجل كذلك - أى عالم لغة - فلاشك أن أحاديثه كانت ذات مقصد واحد وهو التلقين اللغوى دون أى اعتبار آخر ، وليس فيها من الفن القصصى الا خيال خاطف في بعضها . وشئ من العاطل يمكننا أن نقول انها ربما كانت احدى الملهمات الكثيرة التي ألهمت البديع مقاماته ، وليست هي كل شئ في أصول المقامات (٢) .

وقد أجمل الذين بنوا فكرتهم على كلام الحصرى ماقاله في آخر كلامه " وفرق بين المقامين لفظا ومعنى " .

ومعنى هذا أن الحصرى يعترف بالفروق اللفظية والمعنوية بين أحاديث ابن دريد ومقامات بديع الزمان الهمذاني .

وقد أعجبني ماقاله الأستاذ أنيس المقدسي في هذا الموضوع حيث يقول : " فان لهذا الأديب المشهور - يعني ابن دريد - من الأحاديث مايشبه أن يكون مقامات أو مصادر للمقامات (٣) " .

وللدكتور العطاري رأى آخر حول شئ من المقامة فهو يرى أن البديع محاك لأبي المطهر الأزدي مؤلف " حكاية أبي القاسم البغدادي " قال : "

---

(١) أنظر الأمالي جـ١ ص ٣٩ ، ٤١ ، ١٤٢ .
(٢) ص ٢٢٦ - بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية .
(٣) ص ٣٦٣ - تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي - أنيس المقدسي .

" على أننا نرجع الى عصر ابن دريد فنجد رجلا يشبه البديع الى حد بعيد هو أبو المطهر الأزدى مؤلف " حكاية أبى القاسم البغدادى " التى يقول فيها : " ولمهدى بهذا الحديث سنة ست وثلاثمائة ".

نطالع هذه القصة ثم نطالع مقامات البديع وآثاره الأدبية فيترجح عندنا أن البديع أخذ من الأزدى ، وهذا حذوه .. الى أن قال :

وأرجح أن البديع وقعت له هذه الحكاية ، فترسم خطاها ، ونسج على منوالها أسلوبا ، ومعنى ، وغرضا ولكنه أبدع وأحسن . (١)

واننى لا أرفض هذه الآراء كلها ولا أقبلها على علاتها بل اننى أقول ان هذه الأمور كانت الملهمات الكبرى لبديع الزمان . وأستطيع أن أضيف من الملهمات الكثيرة والمصادر العديدة لبديع الزمان تأثره بالعالم اللغوى أبى الحسين أحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٠ هـ . فقد ذكر ابن خلكان فى ترجمته أى ترجمة أحمد بن فارس — أن الحريرى قلده فى أسلوب المقامة ، يقول : " ومنه اقتبس الحريرى قلده صاحب المقامات ذلك الأسلوب ، ووضع المسائل الفقهية فى المقامة الطيبية وهى مائة مسئلة وكان مقيما بهمذان وعليه اشتغل بديع الزمان الهمذانى صاحب المقامات . (٢)

وقال الثعالبى فى ترجمته للبديع : " وقد درس على أبى الحسين بن فارس ، وأخذ عنه جمع ماعنده ، واستنفذ علمه واستنزف بحره . (٣)

والأستاذ جورجى زيدان يقول صراحة عن أحمد بن فارس :

" وله فضل التقدم فى وضع المقامات ، لأنه كتب رسائل اقتبس العلماء منها نسقه وعليه اشتغل بديع الزمان الهمذانى " . (٤)

ومن هذه النصوص يمكن القول بأن البديع تأثر بابن فارس فى انشاء المقامات ، لا سيما وأن ابن فارس قد أنشأ أحاديثا تشابه أحاديث ابن دريد .

ومهما يكن فان البديع يبقى سباق غايات وصاحب آيات والرائد لهذا الفن .

---

١) ص ٩٥ ، ٩٦ " دراسات فى الأدب الأندلسى " على محمد حسن العمارى .
٢) جـ١ ص ٤٣ — وفيات الأعيان .
٣) جـ٤ ص ٢٥٧ — يتيمة الدهر للثعالبى — الطبعة الأولى سنة ١٩٤٧م .
٤) جـ٢ ص ٣٥٧ — تاريخ آداب اللغة العربية — جورجى زيدان .

تدرج المقامة عبر العصور :-

أنشأ بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨هـ مقاماته فاستحسنها الناس وأقبلوا عليها . ومنذ ذلك الوقت ذاع صيت الهمذاني في هذا المضمار ، وصار الركبان يتغنون بشهرته ويتناقلون مقاماته في كل الأرجاء . وبعد أن لاقى هذا اللون من الأقاصيص استحسانا كبيرا ، أقبل عليه كثير من الأدباء وجاءوا محاكاته بأقاصيص من عندهم .

وأول من تقبل خطوات بديع الزمان في القرن الرابع أبو نصر عبد العزيز بن نباته السعدي المتوفى سنة ٤٠٥ هـ ، ولم تحفظ عنه الا مقامة واحدة كما أشار بروكلمان .

ثم جاء ابن ناقيا (١) أبو القاسم عبد الله ابن محمد بن الحسين المتوفى سنة ٤٨٥ هـ فأنشأ عدة مقامات تختلف في أسلوبها عن مقامات بديع الزمان بعض الاختلاف . فقد اتخذ بطلها شخصا واحدا يسمى البشكرى وأما الرواة فتعددون . وهي تدور في أكثرها على الكدية وليس فيها جمال الأسلوب الموجود عند بديع الزمان أو الحريرى في مقاماتهم . ولهذا لم تشتهر .

ثم جاء من بعدهم القاسم بن علي الحريرى المتوفى سنة ٥١٦ هـ فنهض بهذا الفن وصيره شريعة أدبية واليه يرجع الفضل في زيوعه .

وقد شرقت مقاماته وغربت وطبقت الآفاق ، وصارت مضرب المثل في الفصاحة والبيان وجعلته من أشهر كتاب العرب وأكبر أدبائهم .

---

(١) هو أبو القاسم عبد الله محمد بن الحسين بن ناقيا ، ويقال له البندار (٤١٠ - ٤٨٥ هـ) شاعر ، مترسل ، لغوى من أهل بغداد . كان كثير المجون . وجاء في مقدمة مقاماته : " وهي تسع مقامات " . (جـ٤ ص ٢٦٧ - الأعلام) .

ثم أنشأ أبو طاهر محمد بن يوسف السرقسطي (١) المتوفى سنة ٥٣٨ هـ خمسين مقامة أسماها المقامات السرقسطية . أنشأها بقرطبه عند وقوفه على ما أنشأ الحريرى بالبصره . (٢) وقد أتعب فيها خاطره وأسهر ناظره . وسار في دهاليز ضيقة ، وحلق في أجواء بعيدة ، وغاص في بحار كثيرة الدواعات كل ذلك ليثبت لنفسه البراعة والمهارة . فقد التزم في نثرها ونظمها مالا يلزم من تعدد القوافي واشتراط أن تكون من حرفين فأكثر .

هذا وقد اتخذ راويته فيها المنذر بن حمام وجعل بطلها السائب ابن تمام .

ثم جاء جار الله الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ فعمل خمسين مقامة ولكنها ليست في طول المقامات التي عرفت للبديع أو للحريرى ، بل ان المقامة لاتزيد على عشرة أسطر ، ولم يجعل للمقامات راويا ، ولا صورها في شكل قصة . بل كان يبدأها بقوله : ياأبا القاسم .

---

(١) هو محمد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله ابن ابراهيم التميمي المازني السرقسطي : يعرف بابن الاشتراكوني أبو طاهر . قال ابن الزبير : كان لغويا أديبا شاعرا وكان معتمدا في الأدب ، فردا متقدما في ذلك في وقته توفي بقرطبة يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائه . (بغية الوعاه جـ١ ص ٢٦٩) .
السيوطي ـ الطبعة الاولى ـ طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٦٤ .

(٢) ص ٣٩٩ ـ تاريخ الأدب العربي ـ للزيات .

(٣) هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري . ولد يوم الاربعاء السابع من رجب سنة سبع وستين واربعمائة . وتوفى ليلة عرفة من سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وكان من أهل خوارزم وزمخشر احدى قراها القريبة منها ، وكان ممن يضرب به المثل في علم الأدب والنحو واللغة . لقى الأفاضل والأكابر وصنف التصانيف في التفسير وغريب الحديث والنحو وغير ذلك . وما دخل بلدا الا واجتمعوا عليه وتلمذوا له واستفادوا منه ، وكان علامة الادب ونسابة العرب . " جـ٣ ص ٢٦٥ انباه الرواه " .
وقال عنه ياقوت : " معتزلي المذهب ، متجاهر بذلك " .
" جـ ١٩ ـ ص ١٢٦ معجم الادباء " .

ومن يطلع على هذه المقامات يدرك أنها بعيدة كل البعد عن هذا الفن وأن ليس لها من المقامات سوى الاسم فقط .

فما هي الا نصائح سميت بالمقامات .

والزمخشري نفسه قد اعترف بأنها نصائح وذلك في مقدمة شرحه لمقاماته قال : " ان هذه النصائح لابد لها من عقل واع وقلب مستحضر ، فاستحضر قلبك وعقلك حتى تفهم معانيها وتجني ثمارها .

ومن مسميات هذه المقامات يستشعر القارئ ما تنطوي عليه مقامات الزمخشري فقد سمى المقامة الأولى بـ " المراشد " والثانية " التقوى " والثالثة " الرضوان " والرابعة " الارعواء " والخامسة " الزهاد " والسادسة " الزهد " .. الخ .

وفي القرن السادس الهجري ألف الحسن بن صافي الملقب بملك النحاة مقامات على نسق المقامات الحريرية .

وأيضا أنشأ أبو العباس يحيى بن سعيد بن مارى النصراني الطبيب (١) المتوفى سنة ٥٨٩ هـ مقامات اشتهرت باسم المقامات المسيحية نسجها على منوال الحريري (٢) . وقد ذكر ياقوت " أنه صنف ستين مقامة وأنه أحسن فيها وأجاد . (٣)

وفي أواخر هذا القرن أنشأ الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي (٥٠٨ - ٥٩٧ هـ) مقامات في موضوعات أدبية ووعظية مختلفة . وهي التي بين أيدينا .

وفي أواخر القرن السادس الهجري أيضا ألف أبو العلاء أحمد بن أبي بكر بن أحمد الرازي الحنفي ثلاثين مقامة طبعت في استانبول مع مقامات ابن ناقيا السابق ذكره - في مجلد واحد ويذكر في مقدمتها أنه قد ألفها لقاضي القضاة أبي حامد محمد بن محمد بن القاسم الشهرزوري ، وأنه سيحتذي فيها على مثال

---

(١) قال عنه ياقوت : " كان كاتبا أديبا شاعرا عارفا بالطب عالما بالنحو واللغة مفننا ، وكان يتكسب بالكتابة والطب ويمتدح الأكابر والأعيان . روى عنه جماعة من الأفاضل منهم أبو حامد المعروف بالعماد الكاتب الأصبهاني وغيره . " ج ٢٠ ص ٤٠ - معجم الأدباء) .

(٢) ص ٣٩٩ - تاريخ الأدب العربي - للزيات .

(٣) ج ٢٠ ص ٤٠ - معجم الأدباء .

بديع الزمان والحريرى ، وسمى راويها الفارس ابن بسام المصرى ومطلعها أبو عمرو التنوخى .

" ونراه يقلد الحريرى فى بعض ألعابه الأدبية كأن ينظم شعرا كل ألفاظه من ذوات الشين أو الصاد أو الغين ، أو ينظم مقامة كل ألفاظها من ذوات الطاء . وقد يجعل المقامة فى وصف حمام أو محبرة أو دواة أو قلم أو فرس أو معركة ، وهو فى ذلك كله يثقل على النفس والأذن بما يستخدم أحيانا من كلمات نابية أو موغلة فى الغرابة . (١)

ومضى الكتاب فى القرون الأخرى يترسلون على هذا النحو حتى الآن متقيلين البديع والحريرى فى غالب الأحيان ، فكثرت المقامات وكثر المقلدون وتنوعت الموضوعات التى تحدثوا فيها . ولم يخل عصر لم تحفظ فيه مقامات .

ففى القرن السابع الهجرى ألف أحمد بن الأعظم الرازى اثنتى عشرة مقامة كتبها سنة ٦٣٠ هـ ، وجعل الراوى فيها القمقاع بن زنباع وغيره . (٢)

وفى أول القرن الثامن الهجرى ألف الامام شمس الملة والدين أبو الندى سعد بن أبى الفتح نصر الله بن رجب المعروف بابن صيقل الجزرى المتوفى سنة ٧٠١ هـ المقامات الزينية ، وهى خمسون مقامة اتخذ الحديث والفقه والنحو مواضيعا لها . وقد جعل راويتها القاسم بن جريال الدمشقى ومطلعها أبو نصر المصرى .

وقد اشتملت على كثير من المسائل البديعة والخطب اللطيفة والنخب الغريبة الطريفة ومحاسن الأمثال والمعادن من السحر الحلال ، وقد حلاها بجملة من ألفاظ الحديث المأثور . (٣)

---

١) ص ٨١ ، ٨٢ ـ المقامات ـ شوقى ضيف .

٢) ص ٣٩٩ ـ تاريخ الأدب العربى ـ للزيات .

٣) أنظر النسخة المصورة للمقامات الزينية عن النسخة المخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (٩١٥٠) .

وأنشأ محمد بن ابراهيم الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٧ هـ المقامات الفلسفية وهي خمسون مقامة . (١)

وفي منتصف هذا القرن ألف ابن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ مقامات جعل موضوعها وصفا لكثير من البلدان .

وأنشأ ابن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٧٧٩ هـ مقامات جعل موضوعها وصف الحيوانات .

وفي أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر ألف جلال الدين السيوطي (٢) (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ) مائة وعشرين مقامة . (٣)

وهي أشبه ماتكون بالرسائل فليس فيها بطل ولا راو .

وكان السجع سائدا فيها ، وقد نوع موضوعات مقاماته كأن يتحدث عن أنواع الطيب وفوائد كل نوع ومفاخره ، وأنواع الرياحين والزهور ودفاع كل نوع عن نفسه ، أو يعرض في موضوع جدلي مما يناقش فيه الفقهاء . وقد تحدث في بعض المواضيع الاجتماعية وما الى ذلك " وهي بهذه الصورة أبحاث مسجوعة . وقد ملأها السيوطي بالحديث النبوي والمعلومات من جميع الفنون طبية وغير طبية ". (٤)

وفي القرن العاشر أيضا أنشأ ابن طولون الدمشقي المتوفى سنة ٩٥٣ هـ خمس عشرة مقامة سماها " مجتبى الاقامات في مجتنى المقامات " الأولى في جامع دمشق والثانية في فصل الربيع ورونقه البديع ، والثالثة في الحرب المعشوق بين اللحم

---

١) ص ٣٦٧ ـ تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ـ أنيس المقدسي .

٢) هو الامام عبد الرحمن بن كمال الخضيري العلامة الفقيه المحدث الحافظ المفسر الأصولي الأديب الجدلي . أخذ عن جماعة من علماء وقته ، ودرس اللغة والرياضيات فصار أوسع وأطول باعا من مشاهير فضلاء عصره . وكتب في كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية . (ج٣ ص ٢٤٤ ـ تاريخ آداب اللغة العربية) .

٣) ج٣ ص ٢٤٦ ـ المرجع السابق .

٤) ص ٨٢ ـ المقامة .

للضأن وحواضر السوق ، والرابعة في النشوة المكية والنفحة الطيبة والخامسة في وصف الحريق وتسمى برشف الرحيق والسادسة في الصوفية وأحوالهم المرضية ، والسابعة النحوية وتعرف بالكرخية والثامنة الفقهية وتعرف بالطيبية والتاسعة الحمصية وتعرف بالحلبية ، والعاشرة الدمشقية والحادية عشرة المكية والثانية عشرة المصرية والثالثة عشرة الحموية والرابعة عشرة الطرابلسية والخامسة عشرة النابلسية . (١)

وفي القرن الحادي عشر أنشأ شهاب الدين الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ مقامات أسماها " ريحانة الألباء " .

وفي القرن الثاني عشر الهجري ألف أبو عبد الله محمد بن أحمد الوفي المتوفى سنة ١١٩٠ هـ ثلاث مقامات هي : المقامة الباهية والمقامة الخنافية والمقامة الخمرية . وكان ظهور أبو عبد الله الوفي في الفترة التي نهضت فيها الهمم ، واتجهت الى الاحياء والنهل مباشرة من النماذج الكلاسيكية للأدب العربي ومحاكاتها . فجاءت مقاماته التي عكس فيها ظلال هذا الاحياء بما وفره لها من ضروب البديع وألوان التصنع وأسلوب قصصي ممتع . (٢)

وفي القرن الثالث عشر ألف أحمد البربير (١٢٢٦ هـ) مقامات توجد نسخة من مقاماته في دار الكتب المصرية .

وأنشأ نقولا الترك (١٢٤٤ هـ) أحد عشرة مقامة . وألف الشهاب الألوسي (١٢٧٠ هـ) مقامات طبعت في كربلاء . (٣)

وفي أوائل القرن الرابع عشر ألف ابن الألوسي (٤) (١٢٥٢ - ١٣١٧ هـ) أربع مقامات وجعل موضوعاتها على الترتيب في الأدب والنصائح ، والحكم والوصايا .

---

١) أنظر "مجتبى الاتامات في مجتنى المقامات" مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (٧٤١٥) أدب

٢) مقامات الوفي ورسائله - تحقيق عبد العزيز القيزاني ص٥ - الدار التونسية للنشر سنة ١٩٧٢م .

٣) ص ٣٦٧ - تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي .

٤) هو نعمان بن محمود بن عبد الله ، أبو البركات ، خير الدين الألوسي : واعظ ، فقيه باحث من أعلام الأسرة الألوسية في العراق ، ولد ونشأ ببغداد ، وولي القضاء في بلاد متعددة وقصد الآستانة سنة ١٣٠٠ فمكث سنتين وعاد يحمل لقب "رئيس المدرسين" فعكف على التدريس والتصنيف الى أن توفي ببغداد . (جـ٨ ص٩ - الأعلام) .

ومن الذين كتبوا المقامات في العصر الحديث أيضا في مصر : حسن العطار (١) وفي الشام أحمد فارس الشدياق (٢) (١٢١٩ ـ ١٣٠٤ هـ) .

وأشهر من كتب المقامات في العصر الحديث الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠ ـ ١٨٧١ م) وهو أشهرهم . فقد أنشأ ستين مقامة أسماها " مجمع البحرين " واتخذ راوية أبو سهيل بن عباد ، وبطلا هو ميمون بن خزام وجعله أديبا شحاذا على شاكلة أبي الفتح الاسكندري وأبي زيد السروجي .

وكان تأثره بالحريري باديا في معظم مقاماته ومن ذلك أنه جعل ميمون بن خزام يظهر ومعه ابنته " ليلى " وغلامه " رجبا " وذلك على نحو ما صنع الحريري بأبي زيد اذ عرضه في كثير من مقاماته .

وهو يتشاجر مع زوجته أو مع تلميذه وتابعه .

---

١) هو حسن بن محمد محمود العطار (١١٩٠ ـ ١٢٥٠ هـ) من علماء مصر . أصله من المغرب ومولده ووفاته في القاهرة . أقام زمنا في دمشق . وسكن اسكودره بألبانيا واتسع علمه وعاد الى مصر فتولى انشاء جريدة الوقائع المصرية " في بدء صدورها ، ثم مشيخة الأزهر سنة ١٢٤٦ هـ الى أن توفي سنة ١٢٥٠ هـ .
(جـ٢ ص٢٣٦ ـ الاعلام) .

٢) ولد في عشقوت كسروان لبنان (١٨٠٤ ـ ١٨٨٧م) وتلقى علومه في مدرسة عين ورقة الشهيرة ، ونشأ نبيها ذكيا . وقد أولع منذ الصغر بمطالعة تآليف البلغاء وأشعار العرب الأقدمين فأدرك أسرار اللغة . ثم رحل الى مصر فأتم دروسه وحرر في الوقائع المصرية . ثم سافر الى مالطة ثم الى أوربا فزار باريس ولندن وغيرهما وقدم الآستانة بطلب من الصدارة العظمى وأنشأ الجوائب جريدته الشهيرة ومن أشهر مؤلفاته : " الجاسوس على القاموس " و " سر الليالي في القلب والابدال " و " منتهى الأرب في خصائص لغة العرب " .
(ص ٤٣٩ ـ أدب العرب ـ مختصر تاريخ نشأته وتطوره وسير مشاهير رجاله وخطوط أولى من صوروهم ـ مارون عبود) .

وقد أورد المازجي بعض الألاعيب البلاغية في المقامة الخامسة عشرة والمقامة العشرين فقد أورد أبياتا عاطلة من النقط وأخرى محالة بها وصورا أخرى من هذه اللعبة .

وعرض لعبة مالا يستحيل بالانعكاس في المقامة العشرين نحو قوله :

قمر يفرط عندا شرق ∴ رش ماء دمع طرف يرقرق

وكتب الأستاذ محمد المويلحي المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ حديثا يشبه المقامة الطويلة أسماه حديث عيسى بن هشام فتمثل فيها سبيل كتاب المقامات من توخي السجع وانتقاء الألفاظ وتحليلة الكلام بالمحسنات البديعية واستعمال الألفاظ الغريبة وما الى ذلك مما تتحز به المقامات من اختيار العبارات واشتمالها على كثير من المعاني الطريفة والألفاظ اللغوية .

وقد استعار المويلحي من مقامات بديع الزمان اسم راويتها عيسى بن هشام وقد نقد في حديثه الحياة الاجتماعية في عصره . قال : " فهذا الحديث حديث عيسى بن هشام وان كان في نفسه موضوعا على نسق التخييل والتصوير فهو حقيقة متبرجة في ثوب خيال لا أنه خيال مسبوك في قالب حقيقة . حاولنا أن نشرح به أخلاق أهل العصر وأطوارهم وأن نصف ما عليه الناس في مختلف طبقاتهم من النقائص التي يتعين اجتنابها والفضائل التي يجب التزامها . (١)

---

(١) ص٦ ـ حديث عيسى بن هشام ـ محمد المويلحي .
مكتبة دار الشعب ـ القاهرة .

: : المقامة في الآداب الأخرى : :

فن المقامة بين العربية والفارسية :-

ظن الأستاذ أحمد ضيف أن فن المقامات انتقل من الفارسية الى العربية ولكن الحقيقة غير ذلك فمن المؤكد أن فن المقامات عربي الأصل والمنشأ ، ثم انتقل بعد ذلك من الأدب العربي الى الأدب الفارسي . قال بروكلمان : " ان هذا الفن - يعني فن المقامات - انتقل من العربية الى الفارسية " (١)

وقال الكاتب الفارسي محمد تقي بهار أن أول من كتب المقامات هو بديع الزمان وليس له سابق من كتاب الفرس ، وأن فن المقامة قد انتقل من الأدب العربي الى الأدب الفارسي قال : " يكاد يكون من المرجح أن لفظ مقامة من اختراع البديع الهمذاني اذ أن كل اختراع في الأدب العربي كان له صدى في الفارسية . "

ويتناول تاريخ ظهور المقامات في الأدب الفارسي فيقول :

" وفي القرن السادس دخلت طريقة كتابة المقامات في النثر الفارسي ، وأظهر مثل لذلك مقامات القاضي حميد الدين عمر بن المحمودي البلخي المتوفى سنة ٥٥٩ هـ .

ثم يصف هذه المقامات بقوله : " كان القاضي حميد الدين يريد أن يقلد مقامات كل من بديع الزمان والحريري ، ولكنه تأثر ببديع الزمان وقلده أكثر ، كما يبدو من المقامة الثانية والعشرين المسماه المقامة السكباجية التي هي نفس ترجمة وتقليد المقامة المضيرية لبديع الزمان ، كما نقل عنه وقلده في مقامات أخرى . (٢)

هذا ومن أبدع المقامات عند الفرس مقامات القاضي حميد الدين المتوفى سنة ٥٥٩ هـ (٣)
وهي ثلاث وعشرون مقامة حاكى فيها مقامات الحريري .

أربع

---

١) ص ١٧٢ ، ١٧٣ - دائرة المعارف الاسلامية .

٢) كتاب سبك شناسي باطور نثر فارسي ج ٢ ص ٣٢٦ وما بعدها
" عن بديع الزمان رائد القصة العربية ص ٢٢٣ " .

٣) ص ١٠ - " المقامة " شوقي ضيف .

وهى تحتوى على مناظرات مختلفة بين الشباب والشيخوخة ، وبين أهل السنة والشيعة ، وبين الطبيب والمنجم ، وفيها وصف للربيع والخريف ، والحب والجنون وفيها مناقشات فقهية وصوفية ، وهى كالمقامات العربية تصاغ فى قوالب فنية (١) .

وكما أن هذا الفن قد انتقل من الأدب العربى الى الأدب الفارسى فقد انتقل الى الأدب العبرى أيضا .

" فقد دخل اللغة العبرية بفضل اليهودى السريانى يهود بن شلومو الحريزى الذى ترجم مقامات الحريرى الى العبرية وأنشأ على نمطها خمسين مقامة سماها (سيفر تحكموني) (٢) وضمنها كثيرا من آيات التوراة (٣) .

ودخل هذا الفن أيضا الى اللغة السريانية ، فقد نظم أحد السريان من مدينة نصيبين خمسين قصيدة على نمط مقامات الحريرى ضمنها جملة من المعظات والاخلاق فى لغة مثقلة بالزخارف والتهاويل . ونشرها جبريل قرداحى فى بيروت سنة ١٨٨٩ .

وقد ترجم فى العصر الوسيط كثير من الآداب العربية ، ومنذ العصور الوسطى والاختلاط قائم بين الشرق والغرب .

ومعنى هذا أن المقامة قد وجدت طريقها الى الآداب الأوربية بحكم أنها جزء من الحركة الأدبية العربية التى تفاعلت معها وأحدثت نهضتها .

على أنه ينبغى أن نلاحظ أن تأثيرها كان محدودا وخاصة اذا وازنا

---

١) جـ١ ص ٥٠٤ ـ قصة الأدب فى العالم .

٢) كلمة عبرية معناها : " كتاب الحكمة " ـ دائرة المعارف الاسلامية . ص ١٧٢ ، ١٧٣ ـ بروكلمان .

٣) ص ١٧٢ ، ١٧٣ ـ المرجع السابق .

بينها وبين ألف ليلة وليلة مثلا ، لأن الأخيرة ذات موضوع قصصي واضح ولذلك أقبل عليها الأوربيون وتأثروا بها تأثرا واسعا ، وخاصة من نواحيها الخرافية الخيالية .

أما المقامات فمن الصعب أن نتبين أثرها ، لأن القصة ليست عمادها انما عمادها الأسلوب وما يحمل من زخارف السجع والبديع ومع ذلك يمكن أن نرى أثرها في بعض القصص الأسباني الذي يصف لنا حياة المشردين والشحاذين . ولعل من الطريف أن لهذا عندهم بطلا يسمى بيكارون (Picaroon) وهو يشبه من بعض الوجوه أبا الفتح الاسكندري عند بديع الزمان ، وأبا زيد السروجي عند الحريري . (١)

---

١) ص ١١ ـ المقامة شوقي ضيف .

الفصل الثانـــى

شهرة الهمذاني والحريري في فن المقامـــة

أولا : بديع الزمان الهمذانـــى :

أ ـ حياتـــــه :

هـــو أبو الفضـــل أحمد بن الحســين بن يحيى الملقب بديع الزمان • ولد سنة ٣٥٨ هـ في همذان ، وهي مدينة جبلية في ايران • وفي رسـائله المطبوعه دلالات كثيـرة على أنه من أسـره عربيـــة كريمـة اسـتوطنت هناك •

قال في أول رسـالة له مخاطبا الى أبـى الفضل الاسفرائيني : انى عبد الشيخ ، واسمي أحمد ، وهمذان المولد ، وتغلب المـورد ، ومضـــر المحتـــد " • (١)

ومعـنى هـذا أنه عربـــى مضـرى تغلبى •

وقـد خرج من همذان سنة ثمانين وثلاثمائة للهجرة (٢) يطلـب المال والجاه والصيت الذائـع والشهرة الواسعة • ومن يدرى لعله كان يحلم بأكثـر من هذا ، فانه يقول لخلف بن أحمد والـى سجـستان في رسـالة : " فما أزعجني عن همذان فقـر ولا جوع وعرى ، ولا ساقني الى سجتان طمع فـى شبع وري ، وانما نحوم حول المراد : ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة * كفاني ولم أطلب قليل من المال • لا يكثر الأمير على من خلعه وصلاته ، فوالله لو علمت أن قصارى أموى فيها ولا مطمع في زيادة ، لاثرت الزهـد على الطلب " • (٣)

---

١) رسائل بديع الزمان •
(٢) جـ٤ ص ٢٥٧ يتيمة الدهـر
٣) ص١٦٣ ـ رسائل بديع الزمان الهمذاني •

وقد بدأ بديع الزمان تطوافه بزيارة الصاحب ابن عباد فراجت عنده سرقه ونفقت بضاعته ، ولكنه ما عتم أن تركه الى جرجان حيث اتصل بدعاة الاسماعيلية ولا سيما بأبي سعد محمد بن منصور ، وكان هذا رجلا فاضلا ومفضالا أيضا ، فأكرم وفادة البديع وغمره بالهبات ولكن لم يطل الوقت حتى برح صاحبنا جرجان الى نيسابور سنة ٣٨٢ هـ احدى عواصم العلم والأدب في ذلك العصر (١) .

وعند وصوله الى نيسابور كتب الى أبي بكر الخوارزمي (٢) رسالة رقيقة يستعطفه ويظهر له فيها شدة اعجابه به وولائه له ، ولكن أبا بكر الخوارزمي لم يكن عند حسن ظن البديع به ، ومع ذلك فقد زاره البديع الا أن الخوارزمي تمادى في تقصيره نحوه فاستقبله استقبالا فاترا كما يتبين من رسالة بعث بها البديع اليه . وهنا دارت بين الرجلين رسائل كان الهمذاني يعاتب الخوارزمي على عدم استقباله اياه بلطف وبشاشة ، وكان الخوارزمي يعتذر عما وقع له بأنه فعل كل ما في طوقه وبذل كل ما في وسعه في اكرام البديع .

ثم بدأ للبديع أن يناظر الخوارزمي ويساجله في كل ما يتشدق به من سعة حفظ ووفرة علم وحضور بديهة ، وشجعه على ذلك نفر من علماء نيسابور وأدبائها كانوا مستوحشين من الخوارزمي ، فعقد أبو علي نقيب الأشراف في نيسابور مجلسا لهذا الغرض ، ودعا الخوارزمي فتوقع عن الحضور ، ولكن النقيب ألح وبعث الى أبي بكر مركبا فلم يجد بدا من تلبية الدعوة ، وحضر المجلس ومعه

---

١) جـ٤ ص ١٦٨ تتيمة الدهر ، ص ٨٠ في الأدب العباسي ـ محمد مهدي البصير ـ الطبعة الثالثة .

٢) هو أبو بكر محمد بن عباس الخوارزمي ، وقد ولد في خوارزم سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة للهجرة ونشأ حيث ولد وتلقى علومه وفنونه . وكان محبا للعلم شغوفا بالدرس .

عدد كبير من تلاميذه ، ودارت بينهما مناظرات ومساجلات وانتهى المجلس دون أن يقضي لأحدهما بالغلبة .

"وسعى أهل الخير لاصلاح ذات بين الأديبين ، ونزل الهمذاني على رغبة هؤلاء فاعتذر الى أبي بكر وسأله الغفران قائلا :

((ان الصفو بعد الكدر والصحو بعد المطر))

وقبل أبوبكر عذره ورجاه أن يقضي سحابة نهاره عنده ففعل ولكن الوزير أبا القاسم أبى الا أن يلقح الفتنة بين الرجلين من جديد فعقد في داره مجلسا كبيرا ودارت معركة أدبية حامية " (١)

وجرت مهاترات وكانت مهاتمات انتهت بغلبة البديع على الخوارزمي غلبة تامة ، وعاد الخوارزمي الى منزله مخذولا وانكسف باله ، وانخفض طرفه ولم يحصل عليه الحصول حتى مات .

وأمعن البديع بعد هذا في هجو أبي بكر فهجاه بشعره ونثره " (٢) .

ومهما يكن من شيء فقد ترك الهمذاني نيسابور غير آسف عليها لخلاف خفيف بينه وبين أحد أفراد أسرة بني ميكال ، وهو معتز بنفسه يخاطب الوالي فيقول له : " ان كنت لا تهاب سلطان العلم فاعلم أن سلطان العلم لا يهابك ، وان اتصلت بأسباب السماء أسبابك .

وزار سجستان وخراسان ومدح كثيرا من الأمراء والكبراء ، فظفر بالمال الكثير والجاه العريض ، ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنه بلدة الا دخلها وجنى ثمرتها ، ولا ملك ولا أمير ولا وزير ولا رئيس الا استمطر منه ، وسرى فيه بضوء ، ففاز برغائب النعم ، وحصل على رغائب القسم . (٣)

---

١) أنظر تفصيل هذه المناظرة في معجم الأدباء جـ١ ص ١٠١ ومابعدها ، رسائل البديع ص ٢٨ ومابعدها .

٢) ص٨٣ ـ في الأدب العباسي ـ للبصير . (٣) جـ٤ ص٢٥٨ ـ تتيمة الدهر .

وعلى كل حال ألقى الهمذاني عصا تسياره في هراة احدى مدن خراسان واقتنى بها ضياعا فاخره ، وأصهر الى أبي علي الحسين بن محمد الخشنامي أحد فضلاء هذه المدينة ، فاطمأنت به الدار وطاب له المقام وعاش عيشة هنيئة مدة من الزمن (١) .

بيد أن هذه السعادة لم تطل ، فقد فارق الدنيا في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة للهجرة ولم يجاوز الأربعين الا قليلا .

" فقامت عليه نوادب الأدب وانثلم حد القلم ، وفقدت عين الفضل قرتها ، وجبهة الدهر غرتها ، ومكان الأفاضل مع الفضائل ، وثاه الأكارم مع المكارم ، على أنه مامات من لم يمت ذكره ، ولقد خلد من بقي على الأيام نظمه ونثره " (٢) .

هذا وقد اختلف في موته فقيل مات مسموما (٣) ، وقيل مات بالسكته وعجل بدفنه فأفاق في جدثه ، وسمع صوته بالليل فنبشوا عليه فوجدوه قد مات قابضا على لحيته من هول القبر (٤) .

وكان قد أوصى اذا جاء الحق وأشخص الأمر وجد به الجد ، وتوفاه الموت أن لا تعقد عليه مناحة ، ولا يلطم خد ولا يخمش وجه ولا ينشر شعر ولا يجزق ثوب ولا يشق جيب ولا يرفع صوت ، وأن يكفن في ثلاث أثواب بيض لا سرف فيها ، وأن يتولى الصلاة عليه أصحاب الحديث وأهل السنة وأن يلحد ولا يبنى عليه (٥) .

---

١) ص٨٥ ــ في الأدب العباسي للبصير ، وانظر اليتيمة جـ٤ ص ٢٥٨ .

٢) جـ٤ ص ٢٥٨ ــ يتيمة الدهر

٣) جـ١ ص ٦٨ ــ وفيات الأعيان

٤) جـ١ ص ٦٨ ــ وفيات الاعيان ، جـ٣ ص ١٥٠ ــ شذرات الذهب

٥) ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ ــ رسائل الهمذاني .

ب ـ صفاتـــــــــه :

وقـد اتصف بديـع الزمان بالذكاء الوقـاد وسرعة البديهة ومعرفة بالأسـاليب العربية الصحيحـة ، فمقاماته وما احتوت عليها من حشـد هائل من الألفاظ والأسـاليب لهي أكبر شاهد ، على أن الرجـل كان ذا حافظة نادرة ، وبديهة حاضرة ، وذكـاء حاد واحسـاس دقيق باللغة ومترادفاتها وأبنيتهـا واستعمالاتها المختلفة ، فاذا وضعت أمامه لفـظ ينتقي ما يشاء من ألفاظها ويضعها في مكانهـا المناسـب .

ومن هنا كان سجعه في الغالب خفيفا غير متكلف ، ليس فيـه صعوبة ولا جفاء ، فهو دائما كأنما يستمد من فيض لغوي لا ينفـد وقـد بلغ من ذكائه وقوة حافظته وسعة ثقافته " أنه كان ينظـر في أوراق من كتاب لم يعرفـه نظـرة واحـدة ثم يؤدي ما فيهـا لا يخرم منه حرفـا ، وأنه كان يقترح عليه انشاء رسالة في معـنى غريب فيخرج فيها عفـو الساعة والجواب عنها فيها . وربما ابتدأ بآخـر سـطر من الرسالة وانتهى بها الى أولها فيخرجها بلفـظ مرتبط ومعـنى متسـق .

وكان يترجم ما يقترح عليه من الشعر الفارسي الى الشعر العربـي فيجمع بين الابـداع والاسـراع (١) .

قال عنه الثعالبي : " هو أحمد بن الحسين بديع الزمان ، ومعجزة همذان ، ونادرة الفلك وبكر عطارد ، وفرد الدهر وغرة العصر ومن لم يلق نظيره في ذكاء القريحـة ، وسرعة الخاطر ، وشـرف الطبـع ، وصفاء الذهن وقوة النفس ، ومن لم يدرك قرينة في ظرف النثر وملحه

---

١) جـ٤ ص٢٥٦ يتيمة الدهر .

وغرر الكلم ونكته ، ولم ير ولم يرو أن أحدا بلغ بهلغه من لطف الأدب وسره ، وجاء بمثل اعجازه وسحره ، فانه كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب .

وكان مع هذا كله مقبول الصورة ، خفيف الروح ، حسن العشرة ناصع الظرف ، عظيم الخلق ، شريف النفس ، كريم العهد خالص الود ، حلو الصداقة ، مر العداوة " (١)

ووصفه الحاكم أبوسعيد عبدالرحمن بن دوست قال : " وكان أبو الفضل طلق البديهة ، سمح القريحة ، شديد المارضة ، زلال الكلام عذبه ، فصيح اللسان عضبه ، ان دعا الكتابه أجابته عفوا ، وأعطته قيادها صفوا ، أو القوافي أتته ملء الصدور على التوافي ، ثم كانت له طرق في الفروع هو افترعها ، وسنن في المعاني هو اخترعها " . (٢)

وقال أيضا : " وكان أبو الفضل وضي الطلعة ، رضي العشرة ، فتان المشاهدة ، سحار المفاتحة ، غاية في الظرف ، آية في اللطف مشوق الشيمة ، موزون فضل القيمة " . (٣)

وقد وصف الهمذاني نفسه في احدى رسائله فقال : " انه ناري المزاج ضعيف البنية ، يابس المظام ، حاد الطبع " . (٤)

ومن الصفات التي تميز بها البديع أنه طالب مال وجاه وصيت وأنه رحالة مغامر حقق عن طريق الرحلة والمغامرة شيئا غير قليل من مطامعه وآماله .

---

١) جـ٤ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ـ المرجع السابق .

٢) ص٢١ ، ٢٢ ـ بديع الزمان الهمذاني ـ مارون عبود ـ دار المعارف سنة ١٩٦٣

٣) ص ٢٢ ـ المرجع السابق .

٤) ص ٩٨ ـ رسائل الهمذاني .

وكان رحمه الله عربيا متعصبا للعرب . ويظهر ذلك جليا في قوله في رسالته الى الشيخ الرئيس أبي عامر في معنى السوق (١) " نحن أطال الله بقاء الشيخ اذا تحدثنا في فضل العرب على العجم وعلى سائر الأمم ، أردنا بالفضل ما أحاطت به الجدد ، ولم ننكر أن تكون أمة أحسن من العرب ملابس ، وأنعم منها مطاعم ، وأكثر ذخائر ، وأبسط ممالك ، وأعمر مساكن ، ولكنا نقول العرب أوفى وأوفر ، وأوقى وأوقر ، وأنكى وأنكر ، وأعلى وأعلم ، وأحلى وأحلم ، وأقوى وأقوم ، وأبلى وأبلغ ، وأشجى وأشجع ، وأسمى وأسمح ، وأعطى وأعطف ، وألطى وألطف ، وأحصى وأحصف ، وأنقى وآنق ، ولا ينكسر ذلك الا وقح وتح ، ولا يحجده الا نغل نغر (٢) ، وانما قدم الله ملك العجم ليحتج عليها ، وانما أخر ملك العرب ليحتج بها ، وما ملكت العجم حتى تواصلت ، وما ملكت العرب الا حين تصاولت ، وما تواصلت العجم الا يأسا من نفوسها ، ولا تصاولت العرب الا لما في رؤوسها ، ولا تكاد السباع تأتلف ، كما لا تكاد البهائم تختلف (٣) .

جـ ـ آثـــــاره :

ترك بديع الزمان الهمذاني من التراث الأدبي مقاماته الشهيرة وديوان رسائل وديوان شـــعر .

---

١) السوق محركة : ليلة الوقود . مقرب سنده

٢) النغل : ولد الزنيه ، والنغر : الغضبان الذي يغلي جوفه .

٣) ص ١٢٠ ـ رسائل بديع الزمان .

فأما مقاماته : فقد ألفها بعد وصوله الى نيسابور سنة ٣٨٢هـ (١)
ويقال " أنه كان يختم بها دروسه على الطلاب " . (٢)

والمتفق عليه عند كتاب التراجم أنها كانت أربعمائة مقامة .

قال الثعالبي : " ولما استقر بنيسابور سنة ٣٨٢ هـ نشر بها بزه وأظهر طرزه ، وأملى أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الاسكندري في الكدية وغيرها . (٣)

وبديع الزمان نفسه يقول بهذا العدد في أكثر من مكان في رسائله (٤)

ويرجح صاحب النثر الفني أنها كانت خمسين فقط بدليلين :

الأول : أنه عارض بها أربعين حديثا أنشأها ابن دريد والمعارضات كانت تتقارب دائما في الكمية .

الثاني : أن مقاماته لم يحفظ منها غير خمسين ، فليس بمعقول أن يضيع من آثاره خمسون وثلثمائة مقامة ، مع أن آثاره لم يضع منها الا القليل .

يضاف الى ذلك أن الحريري حين عارض بديع الزمان لم ينشىء في معارضته غير خمسين مقامة ، ثم صار عدد الخمسين هو الرقم المتبع فيما كتب في هذا النوع من الأقاصيص . (٥)

ويرجح الدكتور عبد الوهاب عزام أن بديع الزمان أملى أربعين مقامة في الكدية وحرفت الكلمة الى أربعمائة وتتابع على ذلك النساخ ، اذ كيف يضيع هذا العدد من المقامات على كلف الناس بها . (٦)

---

١) جـ٤ ص ٢٥٧ ـ يتيمة الدهر (٢) ص ١٦ ـ المقامة ـ شوقي ضيف .
٣) جـ٤ ص ٢٥٧ ـ يتيمة الدهر
٤) أنظر الرسائل ص ١٦٩ ، ٢٢٧ .
٥) جـ١ ص ٢٠٦ ـ النثر الفني
٦) مجلة الرسالة العدد ٤٥ المجلد الثاني من السنة الثانية ص٨٢٤

ويرى الدكتور شوقي ضيف أن بديع الزمان قد أنشأ احدى وخمسين مقامة " أنشأ أربعين منها في نيسابور ثم رأى أن يزيد عليها مقامات أخرى بعد مفارقته لها ، فزاد ستا في مديح خلف بن أحمد في أثناء نزوله عنده ، كما زاد خمسا أخرى ثم أصبحت المقامات نيفا وخمسين "(١).

وأرجح ما قاله الدكتور مصطفى الشكعة حول هذا الموضوع قال : " ما الذي يمنع من أن يكون بديع الزمان قد كتب أربعمائة مقامة بالفعل ولدينا من قدرته الخارقة وذكائه النادر الشواهد الكثيرة التي تثبت تلك القدرة ، هذا بالاضافة الى أن كثيرا من الكتب القيمة لائمة الفكر والأدب من أمثال الجاحظ ، وأبي حيان ، والدينوري والبلخي وغيرهم قد ضاعت مع فرط حرص الناس عليها ، والمقامات بجانب هذه الكتب لا تعد أمرا خطيرا "(٢).

خصوصا وأن البديع قد ذكر أكثر من مرة في رسائله أنه قد أنشأ أربعمائة مقامة (٣).

هذا وقد اتخذ بديع الزمان في جمع مقاماته راوية واحدا هو عيسى بن هشام كما اتخذ لها بطلا واحدا هو أبو الفتح الاسكندري الذي يظهر في شكل أديب شحاذ ، لايزال يروح الناس بمواقفه بينهم وما يجري على لسانه من فصاحة في أثناء مخاطباتهم .

ولم يظهر البديع أبا الفتح الاسكندري في جميع المقامات ، فقد أغفل ذكره في المقامة البغدادية والمقامة النهدية والمقامة الغيلانية .

ويرى الدكتور مصطفى الشكعة أن بطل مقامات البديع من ابتكار

---

١) ص ١٧ ــ المقامة .

٢) ص ٢٤٢ ــ بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية .

٣) أنظر رسائل بديع الزمان ــ ص ١٦٩ ، ٢٢٧

البديع نفسه (١) .

ويرى الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي أن شخصية أبي الفتح هي شخصية أبي دلف الخزرجي (٢) . قال : ألهم أبو دلف الخزرجي بديع الزمان الهمذاني بفكرة المقامات ، كما ألهمه صورة البطل ، فألهب خياله بشخصية أبي دلف هذا الرجل الشيخ الكهل الحكيم المجرب الرحالة المتعدد المواهب ، فاتخذه بديع الزمان بطلا لمقاماته ، ورمز اليه فيها باسم مستعار ، هو أبو الفتح الاسكندري ، وصوره في هالة ضخمة ، أبرزت شخصية الرجل وعبقريته ومواهبه (٣) .

ويمكن القول أن بديع الزمان قد استوحى فكرة أن يكون بطل مقاماته أديبا شحاذا من حياته هو ، ومن تنقله ورحلاته ، وفي رسائله ما يفي بتأييد هذا الرأي . فنظرة الى حياته ورسائله تؤكد هذه الفكرة .

فهو لم يستنكف طلب الرفد بصراحة وذلك حينما قل ماله وساءت أحواله وذلك في رسالته لأبي بكر الخوارزمي (٤) ، ورسالته الى الشيخ الصيد حيث يقول : " أنا أطال الله بقاء الشيخ الصيد مع أحرار نهسابور في صنعة لا فيها أعان ولا عنها أصان ، وضيعة ليست تناط ولا عني تماط ، وحرفة لا فيها بذال ولا عنى تزال ، وهي الكدية التي على تبعتها وليست لي منفعتها ، فهل للشيخ أن

---

١) ص ٢٤٤ ــ رسائل بديع الزمان .

٢) هو مسعر بن مهلهل الخزرجي (٣٠٠ ــ ٣٩٠هـ) شاعر رحالة ، كان يكنى بالرحالة الحجازي . قام برحلة ممتعة الى الشرق الاقصى ، وكتب ماشاهده في تلك الديار في كتاب ضخم نقله المستشرقون الى مختلف اللغات الأوربية ، تجاوز التسعين من عمره ، وتوفي نحو عام تسعين وثلثمائة للهجرة " جـ٨ ص ١٠٩ ــ الاعلام " .

٣) ص ٧٦ ــ فصول في الأدب والنقد الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي .

٤) أنظر رسائل بديع الزمان ص ٨ ، جـ ٢ ص ١٦٨ ــ معجم الأدباء .

يلطف بصنعته لطفا يحط عنه ثقل العار وسمة التكسب والافتقار ليخف على القلوب ظله ويرتفع عن الأحرار كله ... الخ

وها هو يبعث برسالة الى عدنان بن محمد رئيس " هراة " يشكو فيها اليه سوء مقامه بنيسابور ويقول له انه (بعث اليه بما عنده هو من مدحة) وبقي عليه هو الآخر (أن يبعث بما عنده وهو المنحة) .

وكل هذا يؤكد لنا أن بديع الزمان قد مر بأيام عصيبة في نيسابور ولأنه لم يستنكف أن يطلب الرفد بصراحة وأنه صور تلك الأيام وتلك المواقف التي عاشها في مقاماته . وأن شخصية أبا الفتح الاسكندري ما هي الا صورة من صور حياة البديع وان اختلفت في الشكل والحجم .

ويرى الأستاذ محمد مهدي البصير أن شخصية أبو الفتح الاسكندري هي شخصية البديع نفسه قال : " وعندي أن أبا الفتح الاسكندري هو أبو الفضل الهمذاني نفسه ، وأن الأيام العصيبة التي مرت به في نيسابور هي التي أوحت اليه هذه المقامات (١) .

د ـ موضوع مقاماته :

لا تدور مقامات بديع الزمان حول موضوع واحد وان كان أكثرها يدور حول الكدية والاستجداء ، اذ يظهر أبو الفتح الاسكندري في شكل أديب شحاذ يخلب الجماهير ببيانه العذب ، ويحتال بهذا البيان على استخراج الدراهم من جيوبهم .

فالكدية والاستجداء من أهم الموضوعات التي أخذت من البديع العناية الكبرى حيث جاء أكثر من ثلاثين مقامة اتخذت الكدية والاستجداء موضوعا لها .

---

١) ص ٨٤ ـ في الأدب العباسي .

فمن مقاماته التي لم تدر حول الكدية والاستجداء مقاماته الست التي أنشأها في الاسادة بخلف بن أحمد صاحب سجستان والتي ضمنها مدح خلف هذا الذي أغدق عليه من صيبه وشمله برعايته وهناك مقامات تدل دلالة واضحة على سعة ثقافة البديع الأدبية وشدة حذقه في هذا المضمار • فقد اتخذ النقد الأدبي والحديث عن الشعر والشعراء موضوعا لثلاث من مقاماته وهي المقامة العراقية والمقامة الشعرية والمقامة القريضية • فقد عرض فيها لجملة من الأحكام الأدبية والنقدية •

والوصف من الموضوعات التي عالجها الهمذاني في مقاماته فالمتصفح لمقاماته يلاحظ أن البديع وصف يفتن في جمع مقاماته • وقد اتخذ الوصف موضوعا لثلاث من مقاماته أيضا وهي المقامة الأسدية والمقامة الخمرية والمقامة الحمدانية •

ولقد افتتن الدكتور شوقي ضيف بوصف البديع وذلك عندما تكلم عن أسلوب المقامات وفن النثر فشبه كل عبارة من هذه المهارات بأنها جوهرة يريد الزمان أن ينظمها في عقد حتى تتلألأ بقوة أوسع من قوة جارتها ، وهو لا يزال يحتال على هذه الجواهر بضمها بعضها الى بعض حتى نال استحسان سامعيه في نيسابور موطن الخوارزمي وموطن فصاحته وما اشتهر به من بلاغة • (١)

هذا وقد اهتم البديع بالجوانب التعليمية اهتماما كبيرا فمقاماته بجملتها تدل على ذلك • وقد أورد مقامة لهذا الغرض أسماها " المقامة العلمية " وفيها وصف لطالب العلم طريقة الصعب •

وهناك مقامتان جعل البديع الوعظ الديني موضوعا لهما وهما المقامة الاهوازية والمقامة الوعظية •

---

١) ص ١١٨ ــ الفن ومذاهبه في النثر العربي •

ولم يغفل الهمذاني جانب النقد الاجتماعي فقد عرض في المقامة المتساسبوية صورة دقيقة لفساد القضاء والقضاة في عصره .

وقد عرض في المقامة الرصافية لفساد الحياة الاجتماعية في بغداد كما أنه عرض في المقامة البغدادية لكثير من وجوه الحياة في عصره . وفي المقامة المارستانية يأخذ جانب أهل السنة ويشن حربا شعواء على خصومهم من المعتزلة .

هذا وقد اتخذ الهجاء موضوعا للمقامة الدينارية ، وقد جمع فيها من الاهاجي المقذعة الشيء الكثير .

وأما المقامة العراقية فقد ضمنها البديع مجموعة من الاحاجي اللغوية والألغاز .

وقد أكثر البديع من الحكم والعظات ولكن أكثرها راجع الى ذم الدنيا وأهلها نما من نفس مرة وطبع مغرم ، ولا بدع فبطل المقامات أبو الفتح أناني لا يثق بأحد ولا يسعى لغير الكسب ، وليس أدل على ذلك من وصاته لابنه حيث يقول : " فلا آمن عليك لصين أحدهما الكرم ، واسم الآخر القرم ، فاياك واياهما ! ان الكرم أسرع في المال من السوس ، وان القرم أشأم من البسوس "(١) .

وللفكاهة نصيب كبير في مقامات بديع الزمان فالقارىء لها يجد الفكاهة متناثرة هنا وهناك ، وكأن البديع أراد أن تكون الفكاهة زخرفة جميلة يوشي بها تلك المقامات .

وهناك بعض المقامات تفيض ظرفا وتمثلي ، مرحا فكأنه أراد انشاء المقامة من أجل المداعبة والفكاهة كالمقامة الضيرية ، والحلوانية مثلا .

---

(١) ص٣٨٣ ـ تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي .

هـذا وتتخلل المقامات صـور مختلفة عن حياة معاصريه وجوانب الشـر فيهم وأطعمتهم وأكسبتهم ، وخمرهم ولهوهم وسلوكهم ونفاقهم وكل ذلك شاهد ناطق بأن مقامات البديع تمثل جوانب مختلفـة من واقـع المجتمع لعصره خيـر تمثيل ..

ويقول الأستاذ مازن المبارك : " والحق أن الهمذاني يقدم لنـا صورة توشك أن تكون متكاملة اذ يحدثنا عن مجالس أهل العلـم والأدب وما يدور فيها من مساجلات ومناظرات ، ومجالس الشراب والطرب وما يدور فيها من أقداح وآلات . ويحدثنا عن الوعاظ والمساجـد والأسواق والدور والحمامات والحوانيت والمطاعـم والحانات . وهو يرسم لنا من خـلال ذلك كله كثيرا من صـور الذين يتحدث عنهم بأزيائهم وهيئاتهم حتى نوشك أن نراهـم بثيابهم ، ونستمع اليهم بألفاظهم ، ونرى مرآة نفوسهم وشخصياتهم في أعمالهم وتصرفاتهم . (١)

وأما رسائله فهي الكتب التي بعث بها الى أهله واخوانه وأصدقائه وحدثهم فيها عن شـوقه أو حياته ، أو قص لهم فيها بعض ما جرى له من أمور . (٢)

ورسائل بديع الزمان عبارة عن قصائد منثورة ، وقد اشتملت عـلى عدة أغراض كالمدح والرثاء والعتاب والهجاء وغير ذلـك ، وهـي تمتاز باصطباغ السجع وايثار الازدواج دون اخلال بفصاحة اللفظ ومتانة التعبير وصفاء الديباجـة .

وأسلوب الرسائل فوق أسلوب المقامات صنعة وتزويقا ، وزخرفة وتنميقا .

---

١) ص٣٤ ــ مجتمع الهمذاني من خلال مقاماته ــ مازن المبارك ــ مطبعة الترقـي بدمشق سنة ١٩٦٨م .

٢) ص ١٥١ ــ كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان ــ ابراهيم الاحـدب الطرابلسي .

وقد أجاد اجادة تامة في الصناعة اللفظية والبيانية في رسائله ، فهو يعتبر من الأئمة في هذا الباب .

يقول الدكتور شوقي ضيف : " ان الهمذاني كان بحق أحد أساتذة مذهب التصنيع ، ومقدمة من مقدمات التصنع بل انه كان من أهم من رشحوا لمذهب التصنع وظهوره ".(١)

والهمذاني في رسائله مبالغ في كل ما يقول ، ان مدح فمديحه لا تسعه الأرض والسماء ، وان هجا سقى كأس الحنظل وأطعم القذر بالخردل ".(٢)

وقد أكثر البديع في رسائله من الاستشهاد بالشعر والاتيان بالجمل المترادفة ، وبالزخرفة البيانية .

وأما شعر البديع فشخصي بحت يدور حول المديح والرثاء والهجاء والعتاب وما الى ذلك ولكنه يقل عن نثره من حيث لغته وأسلوبه .(٣)

وخلاصة القول : " أن الفن الشعري الوحيد الذي برع فيه بديع الزمان هو المديح ، وقد سار فيه الى حد ما سير الشعراء المجيدين ووفق فيه توفيقا كبيرا . وأما بقية الأغراض التي كتب فيها باستثناء الوصف الذي جاء منفردا أو ضمن القصائد ، فانما جاء شعره فيها على نسق شعر الكتاب وطريقتهم من تغليب المعاني المجردة على معاني الشعر الرخوة اللينة وعدم التوفيق في اختيار الألفاظ الموسيقية والقوافي العذبة المفخمة ".(٤)

فمن شعره : قال في الزمن :

---

١) ص ١١٥ ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي ـ شوقي ضيف

٢) ص ٢٧ ـ مجتمع الهمذاني .

٣) ص ٩٧ ـ في الأدب العباسي ـ البصير

٤) ص ٣٤٨ ـ بديع الزمان رائد القصة العربية

انما الدهر عـــدو ٠* ولمن أصغى نصيح

ولسان الدهر بالوعـــــظ لواعيه فصيـــح

وقال من قصيدة يمدح فيها أبا عامر عدنان بن محمد الضبي ويفتخر بنفسه :

لهل الصبا ونهاره سكران ٠* حدثان لم يحركهما حدثان

يازفرة لي لايكاد أزيزها ٠* يسمع الضلوع اليك ياهيزان

قسما لقد فقد العراق بي امـــرءا ليست تجود برده البلدان

يادهر انك لا محالة مزعجي * عن خطتي ولكل دهر شان

فاعمد براحلتي هراته فانها * عدنان ، وان رئيسها عدنان

وله قصيدة في الشيخ الامام أبي الطيب سهل بن محمد بن سليمان :

لسهل في العلا غرر * فهلا عندكم لمـــــح

وفيه من الندى بدع * فهلا فيكم مـــــلح

تضمن أمة رجـــــل * وأودع عالما شـــــبح

فمن جاراه منقطـــع * ومن باراه منتضـــح (١)

ومن أحاجيه الشعرية ما كتبه الى الصاحب ابن عباد :

أخوان من أم وأب * لا ينفكان عن الشغب

ما منهما الا ضـــن * يشكو مضاناة الـــدأب

وكلاهما حنق الفوا * د على أخيه بلاسبب

يغويهما بالشر سبط * الريح وابن أبي الخشب

ما منهما الا بســـه * شرط اليبوسة والحـــرب

فلنا بصلحهما ردى * ولنا بحربهما نهـــب

يا أيها الملك الذي * في كل خطب ينتـــدب

---

(١) جـ ٤ ص ٢٩٨ ـ يتيمة الدهر ٠

أخرجه اخراج الذكى * فقد وصفت كما وجب (١)

والمقصود بالتحية هنا هو حجر الرحى .

---

١) ص ٧ ، ٨ ـ ديوان البديع .

ثانيا : أبو القاسم الحريري :

أ ـ حياته :

هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري[1] ولد بالمشان[2] سنة ست وأربعين وأربعمائة ونشأ بها[3]، ولما شب تحول عنها الى البصرة ونزل بحي يسمى حي بني حرام وقرأ الأدب على أبي القاسم الفضل بن محمد القصباني البصري بها، وأكب على الدراسات الدينية واللغوية والنحوية ونبغ في كل ذلك وكان القاسم ـ رحمه الله ـ من ذوي اليسار، له ملك حسن بالمشان، يقال انه كان له ثمانية عشر ألف نخلة[4]. وكان فيه فصاحه ولسن فأظهر من النبوغ مالفت اليه الأنظار فاشتهر أمره، وطمح للوصول الى وظائف الدولة.

واتصل بالخليفة المستظهر (٤٨٧ ـ ٥١٢ هـ) وكان له حظ من الأدب وعناية بأهل العلم. ويقال أنه أثبت في الديوان ضمهم ألفا وخمسمائة شخص، وأجرى عليهم الأموال والأرزاق.

" وكان الحريري مقربا من الخليفة المستظهر خاصة بعد أن ألف مقاماته ورفعها اليه. وظل بالقرب منه في بغداد حتى توفي وخلفه المسترشد (٥١٢ ـ ٥٢٩ هـ) فاتصل بكبار رجال الدولة لعهده، ومن هنا تأتي صلته بابن صدقه

---

١) كان الحريري في أول أمره يبيع الحرير أو يصنعه فلقب بالحريري وصرفه عن ذلك شغفه بالعلم وولوعه بالأدب. (ص٢٤٥ ـ تاريخ الأدب العربي ـ للزيات).

٢) المشان بفتح الميم والشين : بلدة فوق البصرة، كثير رمالها نخل، وكان أهل الحريري فيها. (ج٣ ص٢٦ ـ انباه الرواه).

٣) ج١٦ ص ٢٦١ ـ معجم الأدباء، ج١ ص٢٢٣ ـ مفتاح السعاده.

٤) ج٣ ص٢٥ ـ انباه الرواه.

وزيره ، وربما اتصل بأنوشروان حينئذ كما اتصل بغيره من البارزين وقدم لهم نسخا من مقاماته فأكل ذلك على من تحدثوا عن حياته وأخباره "(١) وكانت للحريري حلقات علم يؤمها المريدون من كل صوب ، وكان يدرس مقاماته على تلامذته ومحاضرهم في علوم العربية ، وبلغ من اهتمام طلابه بمحاضراته أنهم كانوا يتبعونه اذا ترك البصره وانتجع الشان .

وقد تولى الحريري منصب " صاحب الخبر "(٢) بديوان الخلافة وذلك بعد وفاة المستظهر بوقت قصير .

وظل الحريري يشغل منصبه الى جانب هذا المنصب حتى توفاه الله في السادس من رجب سنة ٥١٦ هـ .

قال السمعاني : " سألت أبا القاسم بن أبي محمد الحريري عن وفاة أبيه فقال : توفي سنة ست عشرة وخمسمائة ببني حرام من البصرة وسألته عن مولده فقال : لا أدري ، غير أنه قال لي : كان له وقت أن توفي سبعون سنة .

وقد بقي منصب " صاحب الخبر " في ديوان الخلافة في أولاده الى أواخر عهد المقتفي (٥٣٠ ـ ٥٥٥ هـ) .

وكان له أبناء ثلاثة عبيد الله وأبو القاسم عبد الله وأبو العباس محمد ، أما أولهم فكان قاضي البصرة وأما الثاني فكان موظفا في ديوان بغداد ، وأما الثالث فورث وظيفة أبيه .

---

١) ص٤٦ ـ المقامة .

٢) ويفهم مما ذكره الطبري أن صاحب الخبر كان يعينه الخليفة لموافاته بالمعلومات اللازمة عن الجيش أو سواه . (ص١٢٦٠ ـ تاريخ الرسل والملوك للطبري ليدن ـ سنة ١٩٠١ .

وزار العماد الأصفهاني البصرة سنة ٥٥٦ للهجرة ورأى أبناءه لايزالون يقومون على الوظيفة نفسها .(١)

وكان الطلاب بعد وفاة الحريري يقصدون أبناءه الثلاثة المذكورين ، ويأخذون عنهم مقامات أبيهم وكانوا يشرحون لهم صعوباتها اللغوية ، واشتهر من بينهم في ذلك محمد فهو مبدأ السلسلة الطويلة من شراحها الذين نهضوا بتفسيرها وحل مشكلاتها من مثل الشريشي وغيره .

ب - صفاته :-

كان الحريري أديبا فاضلا بارعا فصيحا بليغا (٢) ذكي القلب ، متوقد الذهن ، واسع الخيال ، خصب القريحة كثير الحفظ ، غزير الاطلاع ، وفي آثاره عامة ومقاماته خاصة أدلة لاتنقض على صحة جميع هذه الأقوال .(٣)

وذكر غير واحد من رواة سيرته أنه كان في غاية الذكاء والفطنة والفصاحة وتصانيفه تشهد بفضله وتقر بنبله ، وكفى بفضله شاهدا ، المقامات التي فاق بها الأوائل وأعجز الأواخر (٤) ومن صفاته التي أجمع عليها كثير من الرواة وكتاب التراجم أنه كان بخيلا قبيحا ذميم الخلقة والهيئة مبتلى بنتف لحيته . يحكى أن رجلا قصده ليقرأ عليه فاستدل على مسجده الذي يقرأ فيه ، فلما أراد الدخول رأى شخصا ذميم الخلقة فاحتقره . وقال لعله ليس هو هذا ، فرجع ، ثم قال في

---

١) ص٤٨ - المقامة .

٢) ص٣٧٩ - نزهة الألباء في طبقات الأدباء - ابن الأنباري - دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة - مطبعة المدني سنة ١٩٦٧م .

٣) ص٢٤٥ - تاريخ الأدب العربي - الزيات .

٤) جـ١ ص٢٤٣ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم - أحمد بن مصطفى مطبعة الاستقلال الكبرى - دار الكتب الحديثة ، جـ٢ ص٢٥٧ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - السيوطي - الطبعة الاولى .

نفسه : لعله يكون هذا ، ثم استبعد أن يكون هو ، والشيخ يلحظه ، فلما تكرر ذلك منه ، تفرس الشيخ منه ذلك ، فلما كان في المرة قال له : ارحل فأنا من تطلب أكثر من قومحنك (١) .

وزعم الرواة أيضا أن رجلا آخر حدث منه ذلك والحريري يراقبه ، فلما التمس منه أن يملي عليه شيئا من مقاماته قال له : أكتب :

ما أنت أول سار غره القمر ∴ وزائر أعجبته خضرة الدمن

فاحذر لنفسك غيري انني رجل ∴ مثل المعيدي فاسمع بي ولا ترني (٢)

فخجل الرجل منه وانصرف .

وكان مهتلي بنتف لحيته ، قال ابن جكينا فيه :

شيخ لنا من ربيعة الفرس ∴ ينتف عثنونه من الهوس (٣)

أخطقه الله بالمشان وقد ∴ ألجمه في العراق بالخرس (٤)

جـ ـ آثـــاره :

خلف الحريري بالاضافة الى مقاماته الشهيرة ديوانا من الشعر ومجموعة من الرسائل ، كما خلف كتبا في النحو واللغة من أشهرها : كتاب " درة الغواص في أوهام الخواص " وفيه يتعرض لأخطاء الأدباء وأغلاطهم في استعمال الألفاظ والأساليب . وكتاب " ملحة الاعراب " وهي قصيدة في النحو ، وديوان رسائل .

---

١) ص ٣٨١ ـ نزهة الألباء ، ص ٤٥٤ ـ طبقات الأدباء لابن الانباري .

٢) ص ٢٤٥ ـ تاريخ الأدب العربي ـ الزيات .

٣) عثنونه : لحيته .

٤) جـ ١٦ ص ٢٦٦ ـ معجم الأدباء .

وأما مقامات الحريري فهي خمسون مقامة جعل لها راوية واحدا هو الحارث ابن همام وبطلا هو أبو السروجي .

نقل ياقوت خبرا عن سبب انشاء الحريري لمقاماته قال : " سمعت الرئيس أبا محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري صاحب المقامات يقول : أبو زيد السروجي (١) كان شيخا شحاذا باليغا ومكديا (٢) فصيحا ورد علينا البصرة فوقف يوما في مسجد بني حرام فسلم ثم سأل الناس وكان بعض الولاة حاضرا والمسجد غاص بالفضلاء ، فأعجبتهم فصاحته ، وحسن صياغة كلامه وملاحته ، وذكر أسر الروم ولده ، كما ذكرناه في المقامة الحرامية وهي الثامنة والأربعون قال : واجتمع عندي عشية ذلك اليوم جماعة من فضلاء البصرة وعلمائها ، فحكيت لهم ماشاهدت من ذلك السائل وسمعت من لطافة عبارته في تحصيل مراده وظرافة اشارته في تسهيل ايراده (٣) ، فحكى كل واحد من جلسائه أنه شاهد من هذا السائل في مسجده مثل ماشاهدت ، وأنه سمع منه في معنى آخر فضلا أحسن مما سمعت ، وكان يغير في كل مسجد زيه وشكله ، ويظهر في فنون الحيلة فضله ، فتعجبوا من جريانه في ميدانه ، وتصرفه في تكونه واحسانه فأنشأت المقامة الحرامية ثم بنيت عليها سائر المقامات وكانت أول شيء صنعته . (٤)

---

١) نسبة الى سروج بلد قرب حران .

٢) مكديا : سائلا . من أكدى الرجل اكداء : سأل فهو مكد .

٣) ايراده : أي احضاره .

٤) جـ١٦ ص٢٦٣ — معجم الأدباء .

قال الحريرى فى مقدمته لمقاماته عن سبب انشائها : " فأشار من اشارته حكم ، وطاعته غنم ، الى أن أنشىء مقامات أتلو فيها تلو البديع (١)

فرأى أبو العباس الشريشى (٢) شارح مقاماته أن الخليفة المستظهر هو الذى أشار عليه فى انشاء مقاماته (٣)

ويرى الأستاذ أحمد حسن الزيات والأستاذ جورجى زيدان أن الذى أشار عليه بانشاء مقاماته هو أنوشروان بن خالد وزير الخليفة المسترشد بالله (٤) (٥١٢ - ٥٢٩ هـ) .

وذكر ابن خلكان أنه اطلع فى القاهرة على نسخة من المقامات كتبت بخط المؤلف نفسه مكتوب على ظهرها بخط المؤلف أيضا " أنه صنفها للوزير جمال الدين عميد الدولة أبى على الحسن بن أبى المزعلى بن صدقة وزير المسترشد (٥) .

وأكبر الظن أن ماذهب اليه الشريشى هو الصواب ، والذى يرجع

---

١) ص٥ - شرح مقامات الحريرى - دار التراث - بيروت .

٢) هو أحمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى بن عبد المؤمن القيسى الشريشى أبو العباس النحوى شارح المقامات . قال ابن عبد الملك : كان مبرزا فى المعرفة بالنحو ، حافظا للغات ، ذاكرا للآداب ، كاتبا بليغا فاضلا ، ثقة عنى بالرحلة فى طلب العلم وتصدى لاقراء اللغة والأدب والعربية والعروض ، وله تلاقة شروح على المقامات وتوفى فى ذى الحجة سنة تسع عشرة وستمائة .
(جـ١ ص٣٣١ - بغية الوعاة) .

٣) ص١٠ - شرح مقامات الحريرى للشريشى .

٤) ص٢٤٧ - تاريخ الأدب العربى - للزيات ، جـ٣ ص٤ - تاريخ آداب اللغة العربية .

٥) جـ١ ص٤٢٠ - وفيات الأعيان .

الى تاريخ تأليف الحريري لمقاماته ، سواء قد أتمها سنة ٥٠٤ للهجرة ومعنى ذلك أن مايقال من صلة ابن صدقة وأبو شروان بتأليفها غير صحيح ، فأبو شروان انما ولي وزارة المسترشد بعد وفاة الحريري ، أما ابن صدقة فوليها وهو حي سنة ٥١٢ هـ ولكن بعد تأليفه لمقاماته بسنوات ثمان .

وكان للحريري شرف من الخليفة المسترشد خاصة بعد أن ألف مقاماته ورفعها اليه وظل بالقرب منه في بغداد حتى توفي وخلفه المسترشد فاتصل بكبار رجال الدولة لعهده ، ومن هنا نراه صلته بابن صدقة وزيره ، وربما اتصل بأبو شروان حينئذ كما اتصل بغيره من البارزين وقدم لهم نسخا من مقاماته ، فأشكل ذلك على من تحدثوا عن حياته وأخباره .(١)

موضوع مقاماته :

مما يلفت النظر أن الحريري قد أدار مقاماته حول الكدية والاستجداء ولذلك جعل بطل مقاماته أبا زيد أديبا شحاذا ، ولكنه من خلال الكدية والاستجداء قد تعرض لموضوعات متعددة .

فمن أهم الموضوعات التي جعلها الحريري غرضا لمقاماته الجانب الأدبي فقد جعله موضوعا لاثنتين وعشرة مقامة من مقاماته نحا فيها ناحية المهارة اللفظية فأخذ يضيق على نفسه المسالك حتى يثبت لنفسه المهارة الأدبية في عصره ، وأخذ كثير من الأدباء والكتاب يعنون بالعقد البلاغية ، فكان التعقيد والتكلف والمبالغة والافراط من سمات هذا العصر ، فقد غمر العقل العربي في أثناء هذه العصور بهذا الذوق من التصنع .

---

١) ص ٤٦ ـ المقامة ـ شوقي ضيف .

قال صاحب مشاهد التنصيص : " يظهر أن ذلك كان يحد هذه كتاب المصر وشعرائه الأفق الأعلى في البلاغة والفصاحة ، فانطلق الشعراء ينظمون قصائد كل ألفاظها من الحروف المعجمة أو من الحروف المهملة أو من الحروف المهموزة ، أو مما لا تتطبق معه الصفتان "(١) .

وهذا هو الذي دعا الحريري لممارسة هذه الألوان من المهارات الأدبية وحتى يؤكد لنفسه المهارة والبراعة فأخذ يعرض ألوانا جذابة من مهاراته الأدبية وكأنه بهلوان بارع يعرض ألعابه الخطرة في مهرجان كثرت فيه مثل هذه الألعاب ولكنه بز أقرانه وحاز قصب السبق في هذا المضمار .

وأول المقامات التي عرض فيها مهاراته المقامة " المراغية " فقد صور أبا زيد بطل مقاماته وقد حضر ديوان المكاتبات ببلده المراغة ، واجتمع بأرباب البراعة والبلاغة ، فراعهم وخلب ألبابهم بعرض رسالة أودعها شرح حاله ، التزم فيها أن تكون احدى كلماتها منقوطة ، وحروف الثانية غير منقوطة ، وأطال فيها النفس حتى بهر سامعيه وأوسعوه حفاوة وعطفا واكراما .

في المقامة " المغربية " عرض الحريري لعبة هي اكثر خطورة من سابقتها وهي لعبة مالا يستحيل بالانعكاس " كقولنا : ساكب كأس ، فيمكننا أن نقرأها طردا وعكسا فلا تتغير حروفها .

ولم يكتف بعرض هذه اللعبة في مجال النثر فحسب ، بل تعداها الى المجال الأصعب فنظمها على أسلاك من الشعر . :

أس (٢) أرمالا (٣) اذا عسرا (٤) .·. وارع (٥) اذا المرء أسا (٦)

---

١) جـ٢ ص١٠٢ ـ مشاهد التنصيص .

٢) أس : بضم الهمزة من الأوس وهو الاعطاء : أي أعط .

٣) هجير الذي نفد زاده وافتقر ٤) أتى طالبا للرفد

٥) أمر من الرعاية وهو الحفظ ٦) من الاساءة .

أسكن (١) تقو (٢) فصبي ∴ يسعف (٣) وقت نكسا (٤)

وعرض الحريري في هذه المقامة كثيرا من هذه اللعب البيانية والتي تدل على حذقه ومهارته .

وفي المقامة القهقرية عرض الحريري لونا جديدا من قدراته البيانية وهو لون الطرد والعكس في الكلمات لا في الحروف فقد أنشأ رسالة تقرأ كل كلماتها من آخرها الى أولها ، كما تقرأ من أولها الى آخرها ، فيمكن أن تقرأ من اليمين الى اليسار أو من اليسار الى اليمين . وهي مجموعة من الحكم في مائة كلمة على هذا النحو : " الانسان صنيعة الاحسان (٥) فيمكن أن تقرأ الاحسان صنيعة الانسان " .

وفي المقامة الرقطاء يعرض الحريري لعبة جديدة عرض فيها الكلمات وقد راعى فيها أن تتوالى حروفها بالتبادل بين الاعجام والاهمال أو بين النقط وعدم النقط ، فمارس هذه اللعبة في مجال الشعر أيضا في براعة ومهارة فائقتين .

وقد عرض هذه اللعبة في المقامة " السمرقندية " ولكن بصورة جديدة اذ نرى فيها أبا زيد وقد ارتقى منبر مسجد فأخذ يخطب في الناس خطبة كل كلماتها غير منقوطة . وقد التزم فيها جانبي السجع والجناس حتى يتم له جانب التفوق والابداع .

وكرر هذا اللون من مهاراته في " المقامة الواسطية " ، ولكنه بدلا من أن يكون موضوع خطبته موضوعا دينيا جعله في هذه المقامة موضوعا يدور حول الخطبة والزواج

---

١) أمر من السكون ٢) أصله تنقوت حذفت احدى التائين تخفيفا وحذف حرف العلة للجازم لأنه واقع في جواب الأمر .

٣) يسعف . ٤) قلب أمره

٥) هذا مثل يضرب لكل من انقاد الى غيره لمعروفه . قال أبو الطيب

وكل امرئ يولي الجميل محبب ∴ وكل مكان ينبت العز طيب

وفي المقامة " الحلبية " عرض أيضا كثيرا من النماذج الشعرية بعضها مقوط وبعضها غير مقـــوط .

وعرض هذه اللعبة بصورة أخرى فصاغ نموذجا تتوالى فيه كلمات الأبيات واحدا اهما منقوطة والثانية غير منقوطـــة .

ومضى الحريرى فى عرض مهاراته البيانية وكأنه ساحر يعرض ألعابه السحرية أو قل انه يعرض أعلى البلاغة بأديمها الملون بالنقط والجناس الخطى وغيرها . (١)

وقد حشد الحريرى فى أربع من مقاماته مجموعة كبيرة من الأشال وهى :ـ المقامة النصيبية ، والمقامة الوبرية أو البدوية ، والمقامة البترزية والمقامة الحجريـــة .

وقد أنشأ الحريرى المقامة الشعرية وذلك حتى يثبت فيها مقدرته على النظم والعزف على أوتـــار الشـــعر .

وقد جعل الفقه موضوعا لمقامتين من مقاماته وهما : المقامة الفرضيـــة والمقامة الطيبية ، تحدث فى الأولى عن مشكلة من مشاكل علم الميـــراث وأنصبة الورثـــة ، وأثبت حلها ، وأما الثانية فقد عرض فيها مائة مسألـــة فقهيـــة وأجوبتها مفسرا فى أثنائها الكلمات الغريبة . وكان يعرض المسائل الفقهيـــة والاجابة عنها فى أسلوب شيق جذاب ، وقد استعمل التوريـــة استعمالا كبيـــرا فى هذه المسائل الفقهيـــة .

وقد جعل النحو موضوعا لواحدة من مقاماته وهى " المقامة القطيعيـــة فقد عرض فيها اثنتى عشرة مسألة نحوية ليدلل على مهارته النحويـــة وليد لـــى بدلوه فى مسائل النحو ومايدور حولها من جدل طويـــل .

---

(١) ص١٣ ـ المقامة ـ شوقى ضيـــف .

وأما الوعظ فقد أولاه الحريرى عناية كبيرة فى مقاماته ، فمنذ المقامة الأولى تبدو هذه الروح .

وقد عرض الحريرى أبا زيد واعظا فى عشر مقامات هى المقامة الصنعانية والمقامة الحلوانية ، والمقامة الساوية ، والمقامة الرازية ، والمقامة الكرجية والمقامة الرملية ، والمقامة التفليسية ، والمقامة التنيسية ، والمقامة الحرامية والمقامة الشينية .

ويلاحظ أيضا أنه فى كثير من مقاماته الأخرى كان يحض على الهدى ويحث على العمل الصالح ويزرى على الدنيا ومن يغرمون بها ويذكر ثواب الآخرة وما ينتظر الناس .

ومما يلاحظ أن خفة أسلوب الحريرى ورشاقة عباراته تخفف على النفس جانب الوعظ .

هذا وقد جعل الحريرى الأحاجى والألغاز موضوعا لثلاث من مقاماته ، وهى / المقامة الطيبة ، والمقامة النجرانية والمقامة الشعوبية وتسمى أيضا اللغزية ، فلكلها ألف لا شحان الأدمية فى استخراج المعانى الخفية .

ومن ميزات هذه المقامات أنها جمعت ألفاظ لغوية وجمل مختارة وأمثال سائرة ، وأشعار رقيقة .

وقد أولع الحريرى بالصناعات اللفظية ككل كتاب زمانه ، وأكثر من أنواع البديع ولا سيما التورية والجناس ، ولكنه دل على مقدرة نادرة فى هذا النوع من الكتابة الفنية (١) .

---

١) ص٤٤٦ ـ تاريخ الأدب العربى ـ ابراهيم أبو الخشب .

شهـــرة مقـــامـــاتـــه :

بعد أن ألف الحريرى مقاماته ، وأقبل عليها كثير من التأدبين تناقل الركبان مقاماته وأخباره ، وطبقت سمعته الآفاق ، ودوت شهرته فى العالم الاسلامى ، وهو لا يزال حيـــا وقد رزقت مقامات الحريرى من الشهرة وبعد الصيت والاتفاق على استحسانها من الموافـــق والمخالف ما استحقت وأكـــثر (١) .

وذكر أنه أعطى اجازة لسبعمائة طالب أن يروو مقاماتـــه عنه فى الناس وهو عدد ضخـــم يـــد ل على مبلغ عناية معاصريـــه بعملـــه ، ومدى ما تمتع به من مكانة أدبيـــة مرموقـــــة فى عصره ، سيما أن الطباعة لم تكن معروفة فى وقتـــه .

قال جابر بن هبة الله : قرأت على الحريرى مقاماته سنة أربع عشرة وخمسمائـــة فلمـــا انتهت الى قولة فى المقامة الكوفيـــة :

يـــا أهل ذا المغنى وقيتم شـــــــرا ولا لقيتم ما بقيـــتم ضـــــــــرا

قـــد دـــع الليـــل الـــذى اكفهـــرا الى ذراكـــم شعشـــا مغـــــبرا

وضعت سهوا (سغبا معترا) مكان (شعثا مغبرا) فصمت الحريرى برهة ثم قـــــال والله لقد أجدت فى التصحيف فانه أجود ، فـــرب شعث مغبر غير محتاج ، والسغب المعتر موضع الحاجة ولولا أنى قد كتبت خطى الى هذا اليوم على سبعمائة نسخة قرأت علـــــى لغيرت الشعث بالسغب ، والمغبر بالمعتر (٢) .

وكان ممن يتقن مقامات الحريرى يجيزه أساتذته ، من ذلك ما ورد فى كتاب التكملـــــة لابن الأبـــــار أن محمد بن أحمـــد بن محرز بن أمـــير من أهل بطليموس وسكـــــان

---

١ ــ جـ ١٦ ص ٢٦٧ ــ معجـم الأدبـــاء .

٢ ــ ص ١٦ ص ٢٦٦ ــ معجـم الأدبـــاء .

أشبيلية كان يحدث عن ابن القاسم بن جهور عن الحريري بمقاماته الخمسين . (١)

ومنها أن محمد بن عبد الله بن محمد القيسي من أهل ليلة سمع من ابن جمهور مقامات الحريري . (٢)

على أن شهرة مقامات الحريري لم تنحصر في العالم العربي بل تعدته الى أمم أخرى ، فترجمت قديما الى السريانية والعبرانية ، وفي القرن الثامن عشر للميلاد نقلت الى اللاتينية . (٣)

نشر الأصل العربي دي ساسي في باريس سنة ١٨٢٢ وريتو وديرنبورج سنة ١٨٤٧ ، كل منهما في مجلدين مع شروح فرنسية ، ونشرها ستاينجاس في لندن سنة ١٨٩٦ مع شروح انجليزية . (٤)

وقد ترجمها اكثر من عشرين مستشرقا من الفرنسيين والألمان والانجليز .

ولا تزال تدرس في بعض جامعات أوربا بالشرح الذي وضعه لها رأس المستشرقين سلفستر دساسي سنة ١٨٨٢ . (٥)

وقد شرحها عدد غير قليل من الأدباء وعلماء اللغة العربية . ومن أشهر تلك الشروح : شرح أبو العباس الريشي المتوفى سنة ٦١٩ هـ ، وشرح المطرزي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ ، وشرح أبي البقاء العكبري المتوفى سنة ٦١٦ هـ ، والطرائفي والزبيدي ، والطيبي والناصري والباجي وغيرهم . (٦)

---

١) جـ١ ص٢٣١ ـ كتاب التكملة لكتاب الصلة ـ ابن الأبار ـ طبعة مدريد .

٢) جـ١ ص٢٣٤ ـ المرجع السابق .

٣) ص٣٩١ ـ تطور الأساليب النثرية في الادب العربي .

٤) جـ٣ ص٤٠ ـ تاريخ آداب اللغة العربية .

٥) ص٤٤٦ ـ تاريخ الأدب العربي ـ للزيات .

٦) أورد صاحب كشف الظنون ص١٧٨٧ ، ١٧٩١ أسماء جمهور من العلماء الذين شرحوا المقامات المطولة والمختصرة .

وليس أدل على مكانة وشهرة مقامات الحريرى من قول الزمخشرى الذى أقسم أنها حرية أن تكتب بالذهب قال :

أقسم بالله وآياته ∴ وشعر الحج وميقاته

أن الحريرى حرى بأن ∴ نكتب بالتبر مقاماته

معجزة تعجز كل الورى ∴ ولو سروا فى ضوء مشكاته

وأما رسائل الحريرى فهى التى كتبها لاخوانه وأصدقائه يبثهم فيها شوقه ومحبته أو يعاتبهم فيها على تقصير نحوه .

وقد دبج الحريرى أيضا عددا من الرسائل على لسان بعض الأمراء وتمتاز رسائل الحريرى فى الغالب الأعم بالتزام السجع والاكثار من المحسنات البديعية .

ومن أشهر رسائله التى عرفت رسالتيه السينيه والشينية ، فأما الأولى فقد كتبها على لسان الأمير أمين الملك أبى الحسن بن مطير المدائنى الى الأمير الأجل الاسفهسلار (١) النفيس مهاتبا . وقد التزم حرف السين فى كل كلمة من كلماتها .

قال فى أولها : باسم السميع القدوس أستفتح ، وباسعاده أستنجح (٢)

سيرة سيدنا الاسفهسلار ، السيد النفيس سيد الرؤساء سيف السلاطين حرست نفسه (٣) واستعارت شمسه (٤) واتسق أنسه (٥) وسمق غرسه (٦)

---

١) الاسفهسلار : كلمة تركية تطلق على قائد الجيش .

٢) يقال بالله استفتح وباياه أستنجح : أى وباياه أقصد الظفر بالمقصود . والمعنى هنا يطلب من الله قضاء حاجته .

٣) حفظها الله من كل سوء ينزل بها .

٤) سعدت حياته وانتشر نفعه على العباد انتشار ضوء الشمس .

٥) انتظم واستوى فلا يشوبه مايعكر صفاءه .

٦) الغرس : المغروس ويقال : فلان غرسيده اذا تولى تربيته وسمق الغصن : ارتفع ومنه فى القرآن : والنخل باسقات . والمراد هنا الدعاء له بطول الأجل ولأبنائه ونشأته .

وأما الرسالة الشينية فقد كتبها الى الشيخ شمس الشعراء طلحة بن أحمد بن طلحة الغساني ، وقد التزم الحريرى بحرف الشين فى كل كلمة من كلماتها ، من نحو قوله :

بارشاد الخشى(١) انشئ شعرى(٢) بالشيخ شمس الشعراء يشمعاشه(٣) ونشأ رياشه ، وأشرق شهابه واعشو شبت شعابه(٤) .

---

١) المعنى بارشاد الخالق أكتب وأجيد .

٢) الشغف : شدة الحب .

٣) يقال وشت فلانا : اذا قويت وأعنته على معاشه فأصلحت حاله

٤) كل هذا دعاء يكنى به عن طلب السعة فى العيش والرفاهية .

الفصل الثالث

بين ابن الجوزي والبديع والحريري

ينبغي لنا قبل أن ندخل في الموازنات بين مقامات ابن الجوزي ومقامات بديع الزمان الهمذاني ومقامات أبي محمد القاسم الحريري أن نتعرف على مقامات ابن الجوزي ، وذلك بعد أن تعرفنا على مقامات البديع والحريري في الفصل السابق .

أ — اطلاله على مقامات ابن الجوزي :

ألف ابن الجوزي خمسين مقامة على نحو ما أنشأ بديع الزمان الهمذاني وأبو محمد القاسم الحريري وقد جعل لمقاماته بطلا واحدا أسماه " أبا التقوى " ، وكان يروي مقاماته بنفسه . وكان ابن الجوزي يعظم شأن العقل تعظيما كبيرا ، ويوليه عناية جليلة ، الأمر الذي دفعه أن يجعل العقل بطلا لمقاماته . ورمز له " بأبي التقوى " لأنه وجده قد أبى التقوى فهو معتدل بنفسه لا يحيد ولا يزل ، لا يميل لهوى ولا يجنح لحيف فأحكامه صائبة دائما ، وآراؤه موفقة أبدا .

وكان يظهر أبو التقوى هذا في صورة شيخ كبير أو عالم فقيه أو واعظ خطيب أو لغوي فصيح أو قصاص ماهر يبهر العقول بفصاحته وبراعته ، ويأسر القلوب بوعظه ونصائحه ، ويسبي النفوس بفنونه وحكمته ، ويقنع الساميين بقوة جدله وحجته ، ويفحم الخصوم والمعاندين .

ومما يميز مقامات ابن الجوزي ويرفع من قدرها أنها قد جاءت في أغلبها الأعم في الوعظ الذي يشفي النفوس ، وأنها قد تناولت موضوعات عدة يتوق المرء المسلم الى معرفتها ومناقشتها ، وأنه قد تناول في كثير منها النفس البشرية فغاص في أعماقها ، وسار في مدينة البدن حيث تحدث عن القلب وذكر عيوبه ، وحادث العقل وعرف مكانته ، كما أنه حادث النفس البشرية ووصفها في أكثر من مقامة

في قفص الاتهام ووضعها في حكومة مع العقل تارة ومع الهوى تارة أخرى ، فكانت مجادلات ومناقشات تنم عن قدرة ابن الجوزي وقوة ايمانه .

هذا ولا تدور مقامات ابن الجوزي حول موضوع واحد وان كان أكثرها يدور حول الوعظ الديني ، فقد أخذ الوعظ من ابن الجوزي النصيب الأكبر من مقاماته . وليس هذا غريبا من ابن الجوزي الذي كان يعد فريد عصره في الوعظ والارشاد .

كما أنه كان له باع واسع في مجال التفسير وعلم الحديث وما الى ذلك من العلوم الدينية واللغوية . هذا وقد جاءت كثير من مقاماته وكأنها وصف حي لبعض مجالسه ، فنظرة في رحلة ابن جبير (١) الذي وصف بعض مجالس ابن الجوزي تؤكد لنا ذلك .

وقد جاءت مقاماته متنوعة وان كان يجمع أغلبها نظام واحد .
فقد تلقى في المقامة الأولى وجود الله عز وجل وقدرته سبحانه فأبطل بقوة جدله ووضوح أدلته ريب المشككين ، كما أنه أظهر قدرة العلي القدير بما لا يدع مجالا للشك .

وقد عرض في المقامة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة قصص الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام .

وقد تناول أيضا بعض القصص التي وردت في القرآن الكريم . وكان ذكره لتلك القصص بايجاز شديد .

فقد عرض في المقامة الثانية لقصة سيدنا آدم وقصة سيدنا نوح عليهما السلام ، وقصة عاد وقصة ثمود وقصة لوط وقصة شعيب عليهم السلام ، وقصة بلعام وقصة قارون وقصة سبأ .

---

١) أنظر ص ١٩٥ وما بعدها ـ رحلة ابن جبير .

وفي المقامة الثالثة عرض لقصة سيدنا ابراهيم عليه السلام وقصة ذي القرنين وقصة يوسف وقصة أيوب وقصة موسى وقصة الخضر عليهم السلام .

وعرض في المقامة الرابعة لقصص داود وسليمان وعيسى ويحيى عليهم السلام ، وقصة أصحاب الكهف .

وعرض في المقامتين الخامسة والسادسة الى قصة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

وفي المقامة السابعة - في الحب وايثار محبة الحق - يظهر أبو التقويم في صورة شيخ كبير وقد التف حوله أهل البلد يعظهم وينصحهم ويسألونه فيجيب كل سائل عن مسألته . ولا أخال هذه المقامة الا وصفا لأحد مجالس ابن الجوزي الوعظية .

وفي المقامة الثامنة - في السفر الى الله - يخرج أبو التقويم في نفر من أصحابه فيلحق بهم ولكن أبا التقويم يزجره وينهره لأن همته لا ترقى الى همتهم وأن سفرهم يحتاج الى عزم شديد وهمة عالية ، فيتوسل اليه ويعرض عليه أن يكون خادمه المطيع فيقبل أبو التقويم مرافقته له ، فبعد أن قطعوا المسافات البعيدة وصلوا الى مكان يزعم أنه بلد الرب .

وقد كان نفس ابن الجوزي في هذه المقامة قصيرا ، وحوادثها يسيرة ، وأخاله كان يريد معالجة فكرة كانت تختلج في صدره لكنها لم تختمر في ذهنه .

وفي المقامة التاسعة - في ايقاظ الغافلين - يتخيل أن الهوى قد أملك بالدنيا فدعاه فيمن دعا ، فبينما هم يلهون ويلعبون اذ بطارق يطرق الباب فيدخل ويسحر الألباب ، فينهاهم عن الباطل ويأمرهم بالصواب فما لبث أن عرفه فاذا هو أبو التقويم .

وفي المقامة العاشرة - في محاكمة النفس وصاحبها الى العقل - يخلو بنفسه فيعظها ولكنها لم تسمع لكلامه فيفزع الى العقل يشكوها اليه ، فيسمع العقل من كل منهما حجته فيحكم له ويلقي باللوم على النفس فيعظها ويزجرها ويأمرها بالتوبة

والاقلاع عن فيها فتذعن لحكم العقل وتندم عما صدر منها .

وفي المقامة الحادية عشرة — في ذم الاكل في قوة المز — يظهر أبوالتقوم في صورة أعرابي يحضر اليه في يوم وليمة أقامها ، فيتأفف ويحبس وجهه حين يراه ، فيأخذ الاعرابي في تبكيته وتأنيبه ، ويسترسل في ذلك فيأخذه الحديث الى ذم الشره وذم البخل والبخلاء ، ومدح الكرم والكرماء .

وقد اشتملت هذه المقامة على مجموعة من المواعظ الحسنة والاقوال الحكيمة التي جاءت منثورة تارة ومنظومة تارة أخرى .

وفي المقامة الثانية عشرة — في الغزاة — يتحدث عن الغزاة في سبيل الله فيصف فيلقا من الغزاة قد خرجوا للجهاد ويصف قتالهم واستبسالهم ، ومن خلال حديثه مع أبي التقوم ينوه بفضل الجهاد والشهادة .

هذا وقد أورد في هذه المقامة عددا كبيرا من المترادفات الغريبة .

وفي المقامة الثالثة عشرة — في النهي عن النظر — يذكر أنه قد خرج مع أصحابه في نزهة فرأوا غادة حسناء قد سلبت قلوبهم فيذهب الى أبي التقوم يحكي اليه أمرهم ، فيأمرهم بغض النظر ويسهب في ذلك . وقد أكثر في هذه المقامة من الالفاظ المهجورة والمترادفات الغريبة .

وفي المقامة الرابعة عشرة — في الشيب — يتحدث عن الشيب وأثره على النفس فيصور النفس قد فزعت حينما رأت الشيب فأدركت أن الاجل قد دنا فتقاطع الهوى الذي طالما صحبته أيام الشباب . وقد أورد محادثة بين النفس والهوى حول ذلك انتهت بمثولهما بين يدي أبي التقوم الذي أخذ يعظ وينصح حول هذا الموضوع .

وفي المقامة الخامسة عشرة — في الخائفين — يخرج الى الصحراء للسياحة ورياضة النفس فيلتقي بشيخ من الزهاد ، فيأخذان في الحديث عن الزهد وما يلحق الزهاد من وجد وشوق ، ثم يسيران لمكان فيه أقوام قد بلغ بهم الوجد والشوق

حدا كبيرا ، فيصف بعض أحوالهم ويذكر شيئا من فعالهم ، ثم يعرف في نهاية المطاف أن هذا الشيخ الذى صحبه هو أبو التقوم .

وفي المقامة السادسة عشرة - في النفس - يتخيل أنه قد سار داخل نفسه ، وسار في مدينة بدنه ، فوجدها خالية خاوية فحادث القلب وعنفه على تقصيره ، ورأى العقل حبيسا مقيدا ، ولام الحواس لأنها من جنود الهوى ، وعالبث العقل أن وثب فاستولى على المدينة فعاد لها صلاحها وعاد اليها عمرانها .

وأما المقامة السابعة عشرة - في المواعظ - فيجعل موضوعها الوعظ الخالص فيظهر أبو التقوم على المنبر يعظ وينصح والحاضرون يسألونه وهو يجيب والتائبون بين يديه يبكون ويشهقون . وقد تضمنت هذه المقامة مجموعة من المواعظ المختلفة .

وأما المقامة الثامنة عشرة - في ذكر الحج - فيجعل موضوعها الحج حيث يخرج من أرض العراق قاصدا الأراضي المقدسة فيؤدى مناسك الحج ويزور قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، ثم يعود من حيث أتى .

وكان يصحب في هذه الرحلة أبا التقوم الذى أكثر من انشاد الشعر في ذهابه وايابه ، وأظهر وجدا شديدا وحرقة وشوقا وحنينا للأماكن المقدسة ومن بها . وقد أورد فيها ١٢١ بيتا من الشعر .

ويجعل المقامة التاسعة عشرة في العزلة والخلوة فيذكر فضائل الخلوة من خلال محادثة مع شخص معتزل عن الناس .

وقد بدا ابن الجوزى في هذه المقامة متشائما من الخلق ، ساخطا على أفعالهم حتى أنه يذكر على لسان ذلك المعتزل قوله : " كل الأنس في البعد عن الانس " ، وقوله :

" عزلة المرء عزله " .

وفى المقامة العشرين ـ فى الحث على الصدقات وفعل الخير ـ تخيل سائلا وقف ببابه فعامله بجفاء ، فأخذ السائل يؤنبه ويكتبه على ما ند منه واسترسل فى حديثه فذكر مجموعة من المواعظ المدعمه بالآيات والأحاديث حول هذا الموضوع ، فسأله عن اسمه فاذا هو أبو التقويم .

وقد ذكر فى هذه المقامة حشدا كبيرا من أسماء المأكولات بمسمياتها الغريبة .

وقد جعل المقامة الحادية والعشرين فى ذم البخل والبخلاء وذكر فيها بعض المريدين ، وقد أورد فى هذه المقامة أبياتا كثيرة من الشعر الصوفى

وقد جعل المقامة الثانية والعشرين = فى حسن الصحبة والمدارة = وقد تحدث فيها على لسان أبى التقويم عن الصحبة وعن الصديق الصدوق والصديق الذى لا يصدق فى وده .

واشتملت المقامة الثالثة والعشرون = فى الربيع = على وصف الربيع وتفضيل فصل الربيع على غيره من الفصول ، وقد اشتملت على مناظره طريفة بين الورد والنرجس فضل فيها ابن الجوزى الورد على النرجس وكان ذلك كله من خلال نزهة قام بها مع رفاقه فى فصل الربيع ، ثم التقوا بأبى التقويم الذى أخذ فى وعظهم وارشادهم وحثهم على التأمل فى صنع الله ومظاهر خلقه .

وهذه المقامة تدل على أن ابن الجوزى كان له قصب السبق فى مجال المناظرات بين الورد والرياحين وفصول السنة بعضها ببعض .

وفى المقامة الرابعة والعشرين = فى شئ من اللغة = يختلف الى البادية فيلتقى بالأعراب الخلص ، فينهل من منابع العربية الصافية حيث يشافه الأعراب فينقل عنهم ويتعلم منهم .

وفي هذه المقامة حشد ابن الجوزي حشدا كبيرا من مفردات اللغة ومن تراكيبها واستعمالاتها المختلفة وكأنه أراد أن يثبت لنفسه المقدرة اللغوية والخبرة بأساليب العربية وألفاظها وتراكيبها واستعمالاتها المتعددة.

حقا ان من يقرأ هذه المقامة وغيرها يتبين له أن ابن الجوزي موسوعة لغوية ضخمة ، وأنه عالم من علماء اللغة الأفذاذ ، وخبير من خبرائها الذين يخبرون أسرارها ويجلون قدرها ، ويعرفون كيف يضعونها في مواضعها الصحيحة (١).

وفي المقامة الخامسة والعشرين — في طب القلوب — يشكو من أمراض أصابته وعلل ألمت به ، فيسأل عن طبيب يداويه وحكيم يواسيه فيهتدي الى أبي التقويم فيشرح له حاله ، فيعرف أبو التقويم الداء ويصف له الدواء.

وفي المقامة السادسة والعشرين — في ذم الدنيا ومدحها — تكثر عليه الهموم ويضيق به المكان فيخرج مسافرا فيلتقي بنفر قد خرجوا للسياحة تاركين الدنيا وما فيها فيلتقون في طريقهم بأبي التقويم في صومعة في وسط الصحراء ، فيركنون اليه فاذا أحدهم يذم الدنيا ويكثر فيها القول ، ويرد عليه أبو التقويم أن العيب ليس في الدنيا ولكنه في ساكنيها ، ويقول : الذنب في الشرق لا للماء بل للناهل ، ومدح الدنيا وذم المذنبين فيها .

وفي المقامة السابعة والعشرين — في تفضيل العلم والعمل — يذهب الى جامع المنصور في يوم جمعه فيصف المصلين والعابدين فيلتقي بشيخ كبير عرفه فيما بعد أنه أبو التقويم فيسأله عن العلم والعمل ويجيبه الشيخ باسهاب ويشرح له الأمر باطناب .

---

(١) وقد ظهر أبو التقويم في هذه المقامة مع ابنيه في صورة أعراب خلص وقد أظهروا من ألوان البراعة اللغوية والفصاحة البدوية ما يبهر العقول .

والمقامة كلها في الوعظ والحث على العلم والعمل . وقد مجد ابن الجوزي في هذه المقامة العلم والعلماء تمجيدا كبيرا .

وفي المقامة الثامنة والعشرين - في ذم الهوى - يعرض لخصومة بين العقل والهوى يحتكمان فيها الى النفس ، فيعرض كل منهما حجته وتنتهي بحكم النفس للعقل على الهوى .

وهذه المقامة تؤكد تعظيم ابن الجوزي لقدر العقل والرفع من شأنه وقد ذكر فيها مجموعة من الحكم والأقوال البليغة .

هذا ولابن الجوزي كتاب اسمه " ذم الهوى " جعله لذم الهوى في شهوات الحس وان كان يشتمل على ذم الهوى مطلقا . قال عنه في كتابه صيد الخاطر : " نظرت فيما تكلم به الحكماء في العشق وأسبابه وأدويته وصنعت في ذلك كتابا سميته " بذم الهوى " .

وبالاجمال يعتبر الكتاب احدى الدراسات الاسلامية لموضوع العشق وبيان موقف الاسلام منه ، وتطبيق هذا الرأى في المجتمع .

ولغة هذا العصر تروى فيه دراسة لمشكلة الحب من نواحيها المختلفة النظرية والواقعية . "(١)

ومما يدلنا على تعظيم ابن الجوزي للعقل كما جاء في هذه المقامة أنه قد جعل الباب الأول من كتابه " ذم الهوى " في العقل وفضله وما جاء فيه .

وفي المقامة التاسعة والعشرين - في ذم ابليس - يظهر أبو التقوم في صوره شيخ كبير وقد اجتمع لديه أهل البلد يعظمهم فيذكر أنه قد التقى بابليس فيحكي ما جرى بينهما من جدال انتهى بغلبة أبي التقوم واقرار ابليس له بالتمكن والثبات .

---

١) ص٢٣ - ذم الهوى .

وفى المقامة الثلاثين — فى المحبين — يخرج الى الصحراء فيرى أمواجا ظاعنين فيتبعهم فى البادية الى أن يرى أبا التقوم فى صورة شيخ كبير فيسأله عن سبب انفراده فيجيبه أن فساد الخلق قد أخرجه عنهم ، فيحادثه طويلا ويسأله عن أحوال المحبين والزاهدين فى الدنيا فيشرح الشيخ كثيرا من أحوالهم ، ويذكر له العديد من أوصافهم .

وفى المقامة الحادية والثلاثين — فى التعازى — يذهب ليعزى صديقا له قد مات ولده ، فما لبث أن حضر أبو التقوم الذي أخذ فى وعظ الرجل وتعزيته وحثه على الصبر . وقد أسهب فى ذلك اسهابا كبيرا وأخذ يضرب الأمثال ويرسل المظات ذاكرا العديد من الحكم البليغة المنثورة والمنظوم .

وفى المقامة الثانية والثلاثين — فى ذم البخل — يطلب قهر ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه فيركب البحر ، فما لبث حتى هبت الزوابع وعلت الأمواج فانقلبت مركبهم بمن فيها ، فتعلق على خشبة أوصلته الى احدى الجزر . وهناك التقى بأبى التقوم وهو ينثر الدر والجواهر على السامعين .

وكانت غايته فى هذه المقامة ذم البخل وتسفيه الشح .

وفى المقامة الثالثة والثلاثين يستقبل هلال رمضان ، فيأمر عبده أن يأتى له برجل يحضر عنده ، فيصف له عبده رجلا بأوصاف حسنة ثم يحضره له فاذا هو أبو التقوم ، فيعرض عليه أن يقضى معه شهر رمضان ، فيقبل أبو التقوم ذلك ، فيقضيان شهر رمضان فى الذكر والتسبيح والصيام والقيام ثم يتركه أبو التقوم فى يوم العيد . ويعود مرة أخرى فى هلال ذى الحجة فيقضيان معا الأيام العشرة ثم يفارقه فى يوم النحر .

وفي المقامة الرابعة والثلاثين — في وعظ السلطان — يظهر أبو التقهم واعظا للسلطان فينهاه ويأمره وينصحه ويحذره فيستمع له السلطان متأثرا . وأظن أن هذه المقامة وصف لمجلس من مجالس ابن الجوزي التي حضرها الخليفة المستضيء . فقد ذكر ابن الأثير والذهبي وغيرهما (١) أن الخليفة المستضيء كان يحضر مجالس وعظ ابن الجوزي . ومما يقوي هذا الظن أنه قد ورد في هذه المقامة بعض النصائح والأقوال التي تصح ابن الجوزي بها الخليفة المستضيء .

وفي المقامة السادسة والثلاثين — في دواء العشق — يذكر أن العشق قد غلبه وأن الهوى قد أسره وأنه قد أصبح حائرا مستهاما ، فبينما هو كذلك اذ بأبي التقهم يطرق عليه بابه فيراه حائرا حزينا فيسأله عما به فيشرح له حاله ويطيل في مقاله ، فيذكر له بعض الأدوية المعنوية للعشق .

وقد أكثر في هذه المقامة من ذكر الأبيات الغزلية كما أنه ذكر فيها مجموعة من الأمثال . وقد ذكر فيها طرفا من أخبار قيس وليلى وعروة بن حزام .

وفي المقامة السابعة والثلاثين — في العزلة — يخرج الى البادية لكثرة همومه وأشجانه فيلتقي بالأعراب الخلص فيعجب من أحاديثهم فيقول لهم : هذي مسائل قد أشكلت علي ، وقد لجت في صدري وهمل في حلها صبري ، فقالوا عندنا عالم زاهد معتزل في قمته ، فيذهب معهم اليه ويعرض مسائله عليه ، فيجد عنده ضالته المنشودة .

ومن الجدير ذكره أن ابن الجوزي قد نقد في هذه المقامة المجتمع في عصره ، فقد نقد القراء والمحدثين والفقهاء ، ونقد الحكام والقضاة

---

١) جـ١٣ ص٢٩ — البداية والنهاية ، جـ٤ ص١٣٥ — تذكرة الحفاظ .

والمذكرين ، وقد قال في نقده للمذكرين " أنهم يوردون الأخبار الموضوعة ويتخاشعون بحركات صنوجة ، وينشدون شعر ليلى والمجنون ، ويوقعون على مثل اللحون ، يجتلبون شر الحطام ويحتلبون در الطغام ، همهم اللفظة المجيبة لا النهى عن الغظ والغيبة " .

ومن عجب أن ابن الجوزى قد وقع فيما عاب به المذكرين فانه يورد شعر ليلى والمجنون ويوقع في كلامه على مثل اللحون ، كما أنه يؤثر الكلمات الغريبة والمعانى المجيبة الا أنه لا يؤثرهما على النهى عن النظر والغيبة . وقد نقد ابن الجوزى في هذه المقامة أيضا المتصوفين الذين يتخذون التصوف رياء يمارون به ، وقد نقد أيضا حال التجار المرابين في عصره ، ثم عقب بقوله : اذا كان هذا شأن العلماء والعاملين فكيف يكون حال الأمراء والسلاطين .

ومما يذكر هاهنا أن ابن الجوزى لم يفصح عن شخصية البطل في هذه المقامة وان كان يريد به أبا التقوم .

وفي المقامة الثامنة والثلاثين — في الأمثال — يحضر أبو التقوم الى البلد فيكتب اليه مماتها على عدم اقامته عنده فيجيبه بالاعتذار وأنه قادم اليه ، ويحضر أبو التقوم فتجرى بينهم أحاديث لطيفة وعبارات ظريفة .

وقد أجرى في هذه المقامة على لسان ابى التقوم مجموعة من الحكم والأمثال المنثورة والمسجوعة .

وفي المقامة التاسعة والثلاثين — في الوعظ — يخرج مع نجى له على ابل بحيبه يجوبان الصحراء ، حتى وصل بهما المطاف الى بلد فدخلا مسجدها ، وهناك التقى بأبى التقوم وسمع منه وعظ وزجره .

وقد وصف في هذه المقامة كيف كان يرد أبو التقوم وكيف كان يؤثر وعظه فيهم . وما أخال هذه المقامة الا وصفا لبعض مجالس ابن الجوزى الوعظية .

وفي المقامة الأربعين — في صوفية الزمان — يحمل ابن الجوزي على شذوذ الصوفية في زمانه ، وينقدهم نقدا شديدا . فقد ذكر في هذه المقامة العديد من الأعمال الشاذة التي تشوه صورة التصوف والتي اتصف بها بعض المتصوفين .

ومما يجدر ذكره أن ابن الجوزي لاينقد المتصوفين جميعا لأنه قد مدح كثيرا منهم وأعجب بهم ، وكتب عنهم في كثير من كتبه ككتاب " صفة الصفوة " و"سلوة الأحزان " وذم الهوى " وغيرها . وقد عرض في كتابه " تلبيس ابليس" العديد من الصور التي تشوه صورة التصوف ، وعرض فيه باشهاب لشذوذ الصوفية في زمانه .

وفي المقامة الحادية والأربعين — في علم القرآن والحديث وغيره من الغريب — يذكر ابن الجوزي العديد من ألوان المعارف والعلوم فقد عدد في هذه المقامة الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم من غير العربية . وقد حشد فيها أيضا كثيرا من المعارف التي تتعلق بالتاريخ والأنساب . وهذه المقامة تدل دلالة كبيرة على سعة اطلاع ابن الجوزي وتعدد معارفه . ولا أخاله قد أنشأ هذه المقامة الا لذلك الغرض .

وفي المقامة الثانية والأربعين — في هزل وجد — يخرج الى الصحراء فيصل الى حلة أعراب فيلتقي بشيخ له من كل علم نصيب .

فأخذ يسأله والشيخ يجيب ، ثم ذهبا معا في رحلة من خلالها على حمص ثم أقام قليلا في دمشق ثم ذهب الى مصر فمكث فيها يسيرا ، ثم ذهب الى بلاد الجيش ، وبعد ذلك عادا الى مكانهما الأول في البادية .

وقد ذكر في هذه المقامة بعض النوادر عن بعض المغفلين .

وفي المقامة الثالثة والأربعين - في مخاطبة العقل للنفس وشكوه من نفور نفسه وغلظ طبعها بعد أن طالت رياضته لها فيفزع الى العقل حتى ينقذه من صلفها وغرورها فيخاطبها العقل ويوبخها ويعظها وعظا شديدا ينتهي بأن تستجيب النفس لنصحه وتعود تائبة مستغفرة .

وفي المقامة الرابعة والأربعين - في الوعظ يحضر مجلسا لواعظ قد حضر يعرف فيما بعد أنه أبو التقوى - فيسمع منه ألوانا مختلفة من المواعظ والنصائح ويسهب الواعظ في الترغيب والترهيب الى أن يرتج المجلس ويشتد النحيب

وأغلب الظن أن هذه المقامة أيضا وصف لاحدى مجالس ابن الجوزي .

وفي المقامة الخامسة والأربعين - في الأحاجي والكاتبة والواعظ يذبح كتابا لأبي التقوى يبثه فيه شوقه ويرجوه الحضور اليه ، وبعد أن يحضر يجرى على لسانه بعض الألغاز اللغوية ، ثم يأخذ في وعظ أهل البلد ويجيب على أسئلة السائلين .

وفي المقامة السادسة والأربعين - في الزهد في المال - يذكر أن المال قد حلب اليه ورغم أنه يحظ قلبه كثيرا ولكن دون جدوى الى أن يمر ذات يوم على جامع فيه جمع عظيم قد وقف فيه أبو التقوى ينصح ويهدي ويعظ . وقد كانت مواعظه في هذه المقامة تدور حول الزهد في المال وهدم الرغبة فيه .

وفي المقامة السابعة والأربعين - في الاستسقاء - يذكر أن بلدهم كانت كثيرة الزرع والضرع الا أنهم أصيبوا بالجدب والمحل ، فلم تمطرهم السماء فخرجوا الى الصحراء متضرعين تائبين ، فصلى بهم أبو التقوى وخطبهم وأخذ يعظهم ويدعو الله متضرعا ، وما لبثوا الا قليلا حتى أمطرتهم السماء فنعموا بأنعم الله وشكروا له هذا .

وقد أكثر في هذه المقامة من ذكر المترادفات الغريبة والألفاظ المهملة .

وفي المقامة الثامنة والأربعين - في ضرب الأمثال وحكم الحيوان يجلس مع أبي التقوم فيطلب منه أن يضرب له الأمثال لبعض الأحوال فيأخذ أبو التقوم في ضرب الأمثال ، ثم يتحدث عن بعض أحوال الطير والحيوان .

وفي المقامة التاسعة والأربعين - في ذم أبناء الدنيا - يعوض أبو التقوم فيعوده ويقيم عنده يوماً من علته فيسمع منه كثيراً من النصائح والمواعظ . وقد نقد في هذه المقامة على لسان أبي التقوم أوضاع المسلمين بشكل عام فهو يأس لأحوال الحكام والأمراء ويزري بأحوال بعض العلماء والفقهاء ، وينقد كثيراً من أحوال وأفعال المسلمين .

وأخاله قد أمرض أبا التقوم في هذه المقامة تمهيداً لانهاء دوره في المقامة التالية ، وبمعنى آخر أنه يخيل للقارىء أنه أمرض أبا التقوم في المقامة التاسعة والأربعين ليميته في المقامة الخمسين ، الا أنه عدل عن رأيه وسلك طريقاً آخر .

وفي المقامة الخمسين - في الأخ الصادق - يكتب الى أبي التقوم يخطب وده ويطلب منه أن يكون جاره وصهره وسميره ، فيلبي أبو التقوم طلبته فيطمئن اليه فيصبح سميره وخليله يغترف من معينه وينهل من موده .

وقد أحسن ابن الجوزي صنعاً حينما ختم مقاماته بهذه النهاية الموفقة فلا أفضل من أن يقيم المرء بجوار العقل فيكون له هادياً وسميراً .

ب - بين ابن الجوزى والبديع والحريـــــرى :

ليس من السهل عقد موازنة بين البديع والحريرى وابن الجوزى فان لكل مـــن المقامين الثلاثة لونه الذى يمتاز به وخصائصه التـى يتميز بها عن غيره . ومع هـــذا فان هناك أوجه شبه كثيـرة توجد بينهم ، خاصة بين البديع والحريرى . وســـوف أتعرض لبعض النقاط التـى قد تبدو فيها المقارنـة بينهم واضحة جليـة .

أولا : من حيث بطل المقامات فاننا نجد أن البطل عند البديع واحد فى جميـــع مقاماته وكذلك عند الحريـرى وابن الجـوزى .

فبطل مقامات البديع هو أبو الفتح الاسكندرى ، وبطل مقامات الحريـــرى هو أبو زيد الســروجى ، وبطل مقامات ابن الجوزى هو أبو التقوم .

وقد جعل كل من البديع والحريرى وابن الجوزى بطل مقاماتـــــــه فطنا ذكيـــا وأديبا لنوبـا يظهر فيبهر العقول بفطنته وسعة ثقافتـــه وقدرتـه علـى استمالـة السامعين ، الا أن بطل مقامات البديـــــع وبطل مقامات الحريرى قد ظهر كل منهما فى صورة أديب شحـاذ فـــى أغلب الأحيـــان ، أما بطل مقامات ابن الجوزى فقد ظهر فى صـــورة شيخ واعظ فى أكثـر المقامات . كما أن هناك فرقا واضحا يميز بطل مقامات ابن الجوزى وهو أنه كان يرمز الى العقل . فابن الجوزى جعل العقـــل بطـلا لمقاماتـه ورمـز له بأبـى التقـــوم .

ومن حيث ظهور البطل فى المقامات نجد أن ابن الجوزى قد حـــرص حرصـا شديدا علـى أن يظهر أبا التقوم فى جميع مقاماته ، فمنـــذ المقامـة الأولـى وحتى المقامـة الأخيـرة كان يظهر أبو التقويـــــم اما فـى صـورة واعـظ أو شيـخ معتزل ، واما فى صورة قاص أو بدوى فصيح الـى غير ذلك من الصـور التى ظهر بها .

ولم يقلل ابن الجوزى من شأن أبى التقوم فى أى مقامة من مقاماته بل كان له القدح المعلى دائما وكان فارس الحلبة دوما ، فله الكلمة المسموعة والرأى المصيب فى كل مقامة من المقامات . وقد انهى دور أبى التقوم بأن أصبح صهره وجاره وأضحى نديمه وسميره .

وأما بديع الزمان فانه لم يحرص على أن يظهر أبا الفتح الاسكندرى فى جميع مقاماته بل كان يقلل من شأن مغامراته أحيانا ويغفل ذكره أحيانا أخرى ، كما هو الحال فى المقامة البغدادية والمقامة النهدية والمقامة الغيلانية .

ومما يلاحظ أيضا أن البديع قد أنهى دور أبا الفتح الاسكندرى بوفاته فى المقامة الخمسين .

أما الحريرى فقد حرص على أن يظهر أبا زيد السروجى فى جميع مقاماته فمن المقامة الأولى وحتى الثامنة والأربعين يروى الحارث بن همام مغامرات أبى زيد وتقلبه فى البلاد ، وكيف كان يحسن القاء شباك صيده على فرنسية فيغنم فى كل صيد ويفلح فى كل مكيدة .

وفى المقامة التاسعة والأربعين يعرض الحريرى أبا زيد شيخا هرما قد أمضته أسفاره وتنقله فى البلاد المختلفة وأيضا قد خبر الحياة حلوها ومرها فقد أدرك النهاية ولم يبق سوى أن يوصى ابنه بحرفة الكدية التى يعدها أفضل الصنائع وأربح المهن .

وفى المقامة الخمسين يعرض الحريرى أبا زيد وهو يتوب الى الله من صنعته ، ويندم على ماتقدم من ذنوبه فيها ، ويعلن هذه التوبة الى صديقه الحارث بن همام ويغيب عنه ، فلا يعود يراه ، ولا يزال يتتبع أخباره حتى يعرف أنه رجع الى بلده سروج بعد أن فارقها الروم . ورحل اليه فوجده قد انتصب فى محرابه وأقبل على ذكر ربه وتسبيحه ، وسلم عليه ، فحياه دون أن يذكر شيئا من قديمه .

وبعد أن عرف الحارث أنه قد أصبح من المتصوفة الذين أخلصوا وجوههم ونفوسهم الى ربهم ، يرحل عنه وهو يقول له : هذا فراق بيني وبينك ،

وكانت هذه خاتمة التلاقي ونهاية مقامات أبي زيد السروجي بعد الصوف وأم أن لبس الصوف وصار ببلده الزاهد الموصوف.

وبذلك ينتهي دور أبي زيد في المقامات بعد أن أصبح ذا الكرامات.

ولا شك أن الحريري قد حالفه التوفيق حينما جعل لأبي زيد هذه النهاية الموفقة.

ولا ريب أن ابن الجوزي والحريري قد وفقا توفيقا كبيرا حينما اختار تلك النهايات السعيدة لأبطال مقاماتهما.

ثانيا وأما من حيث الرواية فان ابن الجوزي لم يجعل لمقاماته راوية فانه قد روى مقاماته بنفسه ، وقص حوادث أبي التقوم وحكاياته ، دون أن يستخدم راوية في أي مقامة من المقامات الخمسين.

وأما بديع الزمان فقد جعل لمقاماته راوية هو عيسى بن هشام ، وكان أديبا بليغا كثير التنقل والترحال.

وكذلك الحريري جعل راوية لمقاماته وهو الحارث بن همام ، وكان يشبه عيسى بن هشام الى حد كبير.

فالحارث بن همام في كثرة أسفاره وطول تجواله وضعف ذاكرته وبلادة طبعه (١) يكاد يكون صورة صادقة من عيسى بن هشام كما أن أبا زيد السروجي في أدبه وشجاعته وتحايله ولصوصيته يكاد يكون صورة صادقة من أبي الفتح الاسكندري ، بيد أن أبا زيد يختم حياته بتوبة صادقة

---

(١) المراد بضعف ذاكرة الحارث بن همام وبلادة طبعه أنه على الرغم من التقائه بأبي زيد السروجي مرارا وتكرارا فانه كان اذا التقى به في موقف من المواقف لم يعرفه الا في نهاية لقائه به غالبا.

تغسل عاره وتحط عنه أوزاره بينما يستمر أبو الفتح الاسكندرى فى ارتكاب جرائمه وآثامه حتى الموت .

ولا ريب أن هذا يدل دلالة اكيدة على تأثر الحريرى بمقامات بديع الزمان وان الحريرى قد اعترف بذلك فى صدر مقاماته فلم يستنكف أن يقول فى مقدمته للمقامات : " هذا مع اعترافى بأن البديع رحمه الله سباق غايات ، وصاحب آيات ، وأن المتصدى لانشاء مقامة ، ولو أوتى بلاغة قدامة ، لا يغترف الا من فضالته ، ولا يسرى ذلك المسرى الا بدلالته (١) .

ثالثا : أما من حيث الموضوعات فان مقامات ابن الجوزى كانت تدور فى معظمها حول الوعظ وأنه قد تعرض من خلال الوعظ الى موضوعات كثيرة .

فقد عرض قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى خمس مقامات وهى من الثانية الى السادسة ، كما أنه قد تعرض لكثير من الموضوعات الدينية والمناقشات العقلية والأمور الدنيوية فى كثير من المقامات .

وقد أفرد لمفردات اللغة ومترادفاتها ومصطلحاتها وبعض استعمالاتها المقامة الرابعة والعشرين ، كما أنه جعل مقامة للأمثال والأقوال وهى المقامة الثامنة والثلاثون .

ولم يجعل ابن الجوزى الفكاهة موضوعا لأى من مقاماته الا أنه قد ذكر بعض النوادر عن المغفلين فى المقامة الثانية والأربعين .

وأما مقامات بديع الزمان فقد كان أكثرها يدور حول الكدية والاستجداء اذ يظهر أبو الفتح الاسكندرى فى صورة أديب محاذ يخلب الجماهير ببيانه العذب ويحتال بهذا البيان على استخراج الدراهم من جيوبهم .

---

(١) ص٧ ــ شرح مقامات الحريرى ــ دار التراث ببيروت سنة ١٩٦٨م .

فهي لا تجرى كلها فى الكدية بل تذهب مذاهب شتى تتحد فيها الغاية ، وهى رصف العبارات الأدبية المنمقة .

ومن مقاماته التى لا تدور حول الكدية مقاماته الست التى كتبها ليشيد فيها بخلف بن أحمد صاحب سجستان فانه لم يجعل موضوعها الكدية ، فقد نحا بها نحو مدحه . ومن ذلك المقامة الملوكية وفيها يسأل عيسى بن هشام أبا الفتح الاسكندرى عن أكرم الملوك فيجيبه بأعظم الصفات وأكرم السجايا ، وحين يسأله عمن تكون له هذه الأوصاف يخبره أنه خلف بن أحمد .

وهناك مقامات تتخذ النقد الأدبى والحديث عن الشعر والشعراء موضوعا لها كالمقامة العراقية والشعرية والقريضية .

وأما الحريرى فقد كانت أكثر مقاماته تدور حول الكدية والاستجداء أيضا الا أنه كان يستغل الكدية فى مواضيع أخرى بمعنى أنه كان يتعرض لمواضيع أخرى من خلال الكدية ولذلك كان بطله أديبا شحاذا .

ومن الموضوعات التى عالجها الحريرى فى مقاماته الموضوع الأدبى الذى أفرد له اثنتى عشرة مقامة .

وقد جعل الألغاز والنحو والفقه موضوعات لعدد من مقاماته أيضا .

وقد اشترك الحريرى وبديع الزمان فى الوعظ الدينى الذى استغرق من ابن الجوزى معظم مقاماته ، فقد جعل كل من البديع والحريرى بعضا من مقاماته للجانب الوعظى ، فقد جعل البديع الوعظ الدينى موضوعا لمقامتين من مقاماته وهما الأهوازية والمقامة الوعظية .

والبديع فى هذا الجانب الدينى يقف ضد الملحدين ويأخذ جانب أهل السنة ، ويشن حربا شعواء على خصومهم من المعتزلة ، ومقامته المارستانية تصور هذا الجانب تصويرا دقيقا .

ومما قاله البديع في المقامة الوعظية : " أيها الناس انكم لم تتركوا سدى وان مع اليوم غدا ، وانكم واردوا هوة ، فأعدوا لها من قوة ، وان بعد المعاش معادا ، فأعدوا له زادا ، ألا لا عذر فقد بينت لكم المحجة (١) ، وأخذت عليكم الحجة ، من السماء بالخبر ، ومن الأرض بالعبر ، ألا وان الذى بدأ الخلق عليما ، يحيى العظام رميما . ألا وان الدنيا دار جهاز وقنطرة جواز ، من عبرها سلم ، ومن عمرها ندم ، ألا وقد نصبت لكم الفخ ونثرت لكم الحب فمن يرتع يقع ، ومن يلقط يسقط (٢) .

وأما الحريرى فان الوعظ الديني يلمس عنده بوضوح منذ المقامة الأولى ، حيث يجعل أبا زيد واعظا ، فقد جعل أبا زيد السروجى واعظا في عشر من مقاماته وهى : المقامة الصنعانية ، والمقامة الحلوانية والمقامة الساوية ، والمقامة الرازية ، والمقامة الكرجية ، والمقامة التفليسية ، والمقامة التنيسية ، والمقامة الحرامية ، والمقامة البصرية .

ويلاحظ أيضا أن الحريرى كان في كثير من مقاماته الأخرى يحض على الهدى ويحث على العمل الصالح ، ويزرى على الدنيا ومن يغترون بها ، ويذكر ثواب الآخرة وما ينتظر الناس .

ومن وعظ الحريرى في المقامة الأولى قوله على لسان أبى زيد السروجى : " أيها السادر (٣) في غلوائه (٤) السادل (٥) ثوب خيلائه (٦) ،

---

١) المحجة : الطريق الواضح .

٢) مقامات بديع الزمان الهمذانى ص ٩٢ ، ٩٣ ـ محمد محمود الرافعى ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة السعادة بمصر .

٣) السادر : الذى لا يبالى بما صنع .

٤) أى غلوه ومجاوزته الحد .

٥) من السدل وهو ارخاء الثوب وارساله من غير ضم جانبيه .

٦) كبره

الجامح فى جهالاته (١) ، الجانح (٢) الى خزعبلاته (٣) ، الام تستمر (٤) على غيك وتستمرئ (٥) مرعى بغيك ، تبارز (٦) بمعصيتك مالك ناصيتك (٧) وتجترئ (٨) بقبيح سيرتك على عالم سريرتك ، وتتوارى (٩) عن قريبك وأنت بمرأى (١٠) رقيبك ، أتظن أن ستنفعك حالك اذا آن ارتحالك أو ينقذك مالك حين توبقك (١١) أم مالك ، أو يغنى عنك ندمك اذا زلت قدمك ، أو يعطف عليك معشرك (١٢) يوم يضمك محشرك (١٣) .

هذا ومما يخفف على النفس جانب الوعظ عند البديع والحريرى خفة أسلوبها ورشاقة عباراتهما ، فى حين أن وعظ ابن الجوزى كان يثقل على النفس فى كثير من الأحيان وذلك لكثرة الألفاظ الغريبة التى حشدها فى المقامات ، ولجنوحه ناحية المعانى الغامضة التى تحتاج الى تروٍ واعمال فكر . ومع ذلك فان مقامات ابن الجوزى قد امتازت بطرافة الموضوعات المبتكرة .

---

١) مأخوذ من جمح الفرس اذا مر براكبه ولم يرده اللجام .
٢) المائل .
٣) جمع خزعبله بضم الخاء وكسر الباء : الحديث الباطل .
٤) أى الى أى حين تستديم وتمضى .
٥) تمده مريئا أو تستطيبه .
٦) أى تحارب .
٧) هى مقدم الرأس .
٨) من الجراءة وهى الاقدام .
٩) أى تستتر .
١٠) أى عالم أمرك وهو الله تعالى .
١١) تهلكك . ١٢) أهلك .
١٣) المحشر : هو يوم الحشر .
ص١١ ، ١٢ ـ شرح مقامات الحريرى .

رابعا : وأما من حيث أسماء المقامات فان المتصفح لمقامات ابن الجوزى يجد أن أسماءها تدل على مسمياتها أو هى مقتبسة منه ، بمعنى أن عنوان المقامة يدل على مضمونها ويرشد الى موضوعها الذى تعالجه وتدور حوله ، فمثلا نجد مقامة بعنوان " فى ذكر الحج " فنعرف أنها تدور حول الحج والأماكن المقدسة ، ومقامة أخرى بعنوان " فى شىء من اللغة " فنعرف أنها تدور حول اللغة فى بعض نواحيها ومقامة بعنوان " فى الربيع " فنعرف أنها تدور حول الربيع وفصول السنة وهكذا .

هذا ولم تشترك أى من مقامات ابن الجوزى فى الاسم مع أى من مقامات البديع والحريرى .

واذا ما استعرضنا أسماء المقامات عند البديع والحريرى وجدنا المسميات تكاد تكون متقاربة ، وان كان البديع لا يتعدى بمسمياته منطقة العراق وفارس ، بينما يختار الحريرى أسماء بعيدة كالمقامة الصنعانية والدمياطية والاسكندرية والدمشقية والمكية الا أنها أشعت جميعا فى الكدية .

وهناك مقامات تشترك بين البديع والحريرى فى الاسم وتتقارب الى حد كبير فى الموضوع كالمقامة الشيرازية والكوفية والبصرية والشعرية .

وهناك من المقامات ماهو مشترك فى الاسم مختلف فى الموضوع مثل المقامة البغدادية والمقامة الحلوانية .

وهناك من المقامات مايتفق فى الفكرة والموضوع ويختلف فى الاسم كالمقامة الخمرية عند البديع والمقامة الصنعانية عند الحريرى فكلاهما تدور حول موضوع واحد وفكرة واحدة .

هذا وقد سمى كل من البديع والحريرى معظم مقاماته بحسب المكان الذى تدور فيه حوادثها كالمقامة السجستانية والأذربيجانية والبغدادية والمكية عند الحريرى .

خامسا : وأما من حيث الأسلوب عند البديع والحريرى وابن الجوزى فانه يتسم بسمة واحدة ، ويشترك فى أمر لا يختلف عليه اثنان وهو أن أسلوب كل منهم يدور بين العذوبة المطلقة والتعقيد الشديد وبين الرقة والحلاوة وبين الاغراب والغلظة فكأن كلا منهم يكيل بكيلين ويكتب بقلمين . ويلاحظ كثرة استشهادهم بالشعر ، كما يلاحظ كثرة اقتباسهم من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، وأيضا كثرة الاستشهاد بالامثال .

ومن ناحية البيان والبديع اللفظى نجد مقامات البديع والحريرى وابن الجوزى مليئة بالاستعارات والجناس والتلاعب بالألفاظ الا أن ابن الجوزى له غرام شديد بالجناس والترادف والاتيان بالألفاظ الغريبة ، فقد أولع بالجناس الى حد كبير ، وابن الجوزى له قدرة عجيبة على التجنيس هذا وقد أحوجه غرامه بالجناس الى استعمال كثير من الألفاظ المهجورة كما أوقعه فى دائرة التعقيد اللفظى ، كما أنه قد أسهم فى تعمية المعنى المقصود فى بعض الأحيان .

وقد أكثر ابن الجوزى أيضا من الألفاظ الغريبة فى مقاماته بكل عام سواء أحوجه الجناس اليه أم لا ، كما أنه قد أكثر من المترادفات اللفظية والصفات العديدة التى تدل على معنى واحد .

وقد حشد فى مقاماته عددا كبيرا من الأبيات الشعرية والتى بلغت حوالى ألف وماتى بيت .

وقد التزم ابن الجوزى السجع فى كثير من الأحيان ليتحقق له الجانب النغمى ليستميل القارىء ويبعده عن الملل . وقد جاء سجع ابن الجوزى

صنعوا متكلفا في بعض الأحيان وقد أعانته حافظته القوية وسعة محصوله ودرايته بمفردات اللغة واستعمالاتها على ذلك عونا كبيرا .

وأما سجع البديع فقد كان في الغالب خفيفا لا تصنع فيه وليس فيه صعوبة ولا جفاء فهو دائما كأنما يستمد من فيض لغوى لا ينفد فقد أعانته حافظته النادرة على ذلك عونا كبيرا الأمر الذى مكنه من التعبير عن المعنى الذى يقصده بوضوح وجلاء .

هذا والى جانب سجعه الخفيف القصير الذى أحكم قوالبه وضبط أنغامه شاعت في مقاماته ألوان البديع الأخرى كالجناس والطباق وما الى ذلك من الألوان التي تحسن الكلام وتزينه .

ولم تكن ألفاظ البديع كلها في مقاماته سهلة يسيرة لكنه استعمل كثيرا من الألفاظ الحوشية والكلمات الغريبة المهملة والتي قصد اليها قصدا ، ومقامته الحمدانية شاهد على ذلك ، فقد عنى فيها بوصف الفرس ، وعرض فيها كل محصوله اللغوى في هذا الوصف .

وأما الحريرى فقد اتخذ السجع حلية أدبية يوشى بها أساليبه وكان يضيف اليها حلية الجناس في كثير من الأحيان ، وكذلك بعض المحسنات البديعية التي يوشى بها أساليبه ، ويبهرج بها ألفاظه من غير قلق ولا ثقل فانه كان يحسن وضع الألفاظ في مواضعها وقد أعانته على ذلك حاسته الدقيقة باللغة وأسرارها والأساليب الأدبية وفنونها . وجانب حسه الدقيق باللغة ومعرفته بأسرارها تميز الحريرى ببديهة حاضرة ، وسعة معرفة بغريب الألفاظ واستعمالاتها وكثرة محصوله فانه يخيل للقارىء وكأن اللغة وضعت أمامه فأخذ ينتقى منها مايشاء من ألفاظ ويضعها في مكانها المناسب فهى طيعة على لسانه وقريبة من بنانه .

على أن الحريرى قد حشا مقاماته بكلمات كثيرة من غريب اللغة والتى قد تشكل بعض الصعوبات أمام القارىء لمقاماته .

ولعل البديع والحريرى وابن الجوزى قد تعمدوا حشو مقاماتهم بالألفاظ الغريبة ليحيوا هذه الألفاظ من ناحية وليدللوا على مهارتهم وقدرتهم وثرائهم من ناحية أخرى .

سادسا : وأما من حيث تصوير ونقد العصر الذى كتبت فيه المقامات فان مقامات ابن الجوزى لم تصور المجتمع الذى كتبت فيه تصويرا واضحا الا من جانب واحد وهو الجانب الدينى . فقد وصف كثيرا من المجالس الوعظية ومايدور فيها . كما أنه وصف أحوال الزهاد والمحبين .

وقد نقد كثيرا من أوجه الحياة فى عصره . فقد نقد فى المقامة السابعة والثلاثين القراء والمحدثين والفقهاء ، ونقد الحكام والقضاه والمذكرين ونقد أيضا المتصوفين الذين يتخذون التصوف رياء يمارون به ، ونقد أيضا حال التجار المرابين . وفى نهاية نقده لهؤلاء عقب بقوله : " اذا كان هذا شأن العلماء والعاملين فكيف يكون حال الأمراء والسلاطين " .

وفى المقامة الأربعين يحمل ابن الجوزى على شذوذ الصوفية وينقدهم نقدا شديدا .

وفى المقامة التاسعة والأربعين ينقد أوضاع المسلمين بشكل عام ويسلى لأحوال الحكام والأمراء ويزرى بأحوال بعض العلماء والفقهاء وينقد كثيرا من أحوال المسلمين وأفعالهم .

وأما البديع فقد صور فى مقاماته بعض النواحى والظواهر الموجودة فى عصره ، ولم يغفل جانب النقد الاجتماعى فقد عرض فى المقامة النيسابورية صورة واضحة لفساد القضاء والقضاة فى القرن

الذى عاش فيه ، وقد عرض فى المقامة الرصافية لفساد الحياة الاجتماعية فى بغداد ، كما أنه عرض فى المقامة البغدادية كثيرا من وجوه الحياة فى عصره .

وأما الحريرى فقد عرض فى مقاماته كثيرا من نواحى الحياة ومظاهر المعيش فى زمانه ، وقد نقد بعض الظواهر الاجتماعية فى مجتمعه فقد ذم النميمة وعرض بالنمامين وحذر منهم وذلك فى المقامة السنجارية .

وفى المقامة الرازية ينقد الأمير ويعرض به وينهاه عن الظلم ، وفى المقامة المروية يعرض بالوالى ويتهمه بالشح والبخل وبأنه لايعطى السائل المحتاج .

سابعا : من حيث الفكاهة : نرى مقامات ابن الجوزى قد تميزت بالصرامة والجدة واتسمت بالبعد عن الفكاهة والروح المرحة ماخلا بعض النوادر التى ذكرت عن المغفلين فى المقامة الثانية والأربعين وفى مقامات البديع والحريرى نجد الروح المرحة والنزعة الفكهة تشيع بين ثنايا المقامات . وقد تميزت بعض المقامات بهذه الروح التى تنتزع البسمة وتضفى جوا من المرح .

ثامنا : أما من حيث استعراض المقامات بشكل عام فان مقامات ابن الجوزى تبدو أكثر صنعة وأقل التزاما للسجع ، كما أنها أصعب مأخذا وأخشن ملمسا هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فانها أكثر شعرا وأكثر اقتباسا من القرآن الكريم ، وأغزر مادة لغوية ، كما أنها تتميز بطرافة بعض موضوعاتها .

وأما مقامات البديع ومقامات الحريرى " فان الأولى أسهل مأخذا

وأقل تكلفا ، وأكثر ابتكارا للوقائع والحوادث . أما الثانية فأدق صنعة وأفضل شعرا وأكثر تعمقا في اللغة وأوضاعها وأمثالها وحوادث رجالها . (١)

واذا قسنا أي من مقامات البديع والحريري وابن الجوزي بمقياس أصول الرواية من حيث التصميم والتشخيص والحوار ونقد الحياة وما الى ذلك من عناصر القصة لم تبلغ في الفن القصصي منزلة رفيعة ، ولكن اذا نظرنا اليها من حيث المادة اللغوية والأساليب الفنية والمهارة اللفظية كانت من غير شك — موضع الاعجاب

---

١) ص ٣٩٢ — تطور الأساليب النثرية — أنيس المقدسي .

((الباب الثالث))

تحقيق

مقامات ابن الجوزى

==========

" بسم الله الرحمن الرحيم "

مقدمة المؤلف (١)

الحمد لله الذي خصنا بأفصح اللغات ، وحضنا بأنصح العظات وأخلص لنا أخلص المعاني في (٢) ألخص الكلمات ، فحلمه لم يجفو ومهفو يصفو ومصفو عن السيئات .

أحمده اذ حمى بمكنى الحمى من لدغ الحمات (٣) حمد مستخرج بأكف التدارك أكل (٤) العمر من لهوات الفوات ، وأصلي على رسوله محمد الذي جاء بأعرب (٥) الألفاظ وأغرب المعجزات ، وعلى من أصحى به (٦) من أصحابه من سكر الغفلات ، وعلى تابعيهم باحسان ما حدق (٧) انسان (٨) انسان الى المبصرات .

أما بعد . فان اللغة العربية أرتب قدم في الأدوات ، وأكتب قلم في الدواة ، ثم تنقسم قسمين : مجهور لا يغطى ظاهره ، ومستور (لا) (٩) يخطى ساتره (١٠) ، ثم ان المستتر أرسم القسمين ، (وأرسم الرسمين) (١١) لاندراجه على الكناية والتعريض ، والتجوز والتمريض ، والتشبيه والاستعارة ، والرمز والاشارة ، ووصف الأمثال بوصف الأمثال وفي القرآن العزيز " يريد أن ينقض " (١٢) فما بكت

---

١) المقدمة ناقصة : م
٢) خلص المعاني : ك
٣) الحمات جمع حمة وهي الابرة التي تضرب بها العقرب والزنبور ونحو ذلك وهي أيضا سم كل شيء يلدغ ويلسع .
٤) الأكل كصرد : جمع أكلة وهي اسم للقمة واسم لما يؤكل .
٥) أعرب : أفصح
٦) صحى وأضحى : أفاق من سكره وترك الصبا والباطل ، والضمير في به عائد على الرسول صلى الله عليه وسلم .
٧) حدق : نظر
٨) المراد بالانسان هاهنا انسان العين وهو ناظرها
٩) ـ : ك
١٠) لا يخطى : ح
١١) ـ : ك
١٢) الكهف آية (٧٧)

عليهم السماء والأرض "(١) " ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة "(٢) ولا تخف خصمان وأما المعنى : نحن كخصمين لا أنهما كانا خصمين.(٣) فلما احتملت سعة اللغة مثل هذا ، ورأيت القرآن يحكي عن الجمادات كقوله : " يريد أن ينقض " ومن الزمان كقوله " بل مكر الليل والنهار "(٤) وكقول العرب :

ضحكوا والدهر عنهم ساكت ∴ ثم أبكاهم دما لما نطق

ومازالت الحكماء تحكي عن البهيم كما حدثنا موهوب بن أحمد اللغوي ومحمد بن ناصر الحافظ قالا : حدثنا المبارك بن عبدالجبار قال : أخبرنا عبدالعزيز بن علي الأزجي(٥) قال : أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبدالرحمن المخلص . قال : أخبرنا عبيد الله بن عبدالرحمن السكري قال : أخبرنا أبو محمد عبدالله ابن أبي سعد قال : حدثني مسلم بن عيسى بن مسلم قال : أخبرنا مروان بن معاوية الفزاري قال : أنبأ الحسن بن عمرو الفقيمي(٦) عن الشعبي(٧) عن النعمان بن بشير(٨) أنه قال على المنبر (للناس :)(٩) ما وجدت لي ولكم مثلا الا مثل الضبع والثعلب : خرجا حتى أتيا الضب ، فقالا له : أتيناك أبا حسل نختصم اليك . قال الضب : في بيته يؤتى الحكم . قالت الضبع : اني فتحت عيبتي .(١٠) قال : فعل الحرة فعلت . قالت : اني وجدت فيها تمرة . قال : حلوا جنيت . قالت : التقمها ثعالة .

---

١) الدخان آية (٢٩) (٢) من آية (٢٣)

٣) يشير الى قوله تعالى : " وهل أتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب (٢١) اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط . (٢٢) سورة ص

٤) سبأ آية (٢٣) (٥) عبدالعزيز بن علي الازجي : ح

٦) الحسن بن عمرو الفقيمي : ح (٧) هو أبو عمرو عامر بن شراحبيل بن عبد ذي كبار ، الشعبي الحميري (١٩ ـ ١٠٣هـ) راوية ، من التابعين ، يضرب المثل بحفظه ، ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة . (وفيات الأعيان ج٤ ص٩٧)

٨) هو أبو عبدالله النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الانصاري : أمير ، خطيب شاعر ، من أجلاء الصحابة من أهل المدينة له ١٢٤ حديثا ، وجهته نائلة زوجة عثمان رضي الله عنه بقميص عثمان الى معاوية ، فنزل الشام وشهد " صفين " مع معاوية (جـ٨ ص٤ الاعلام)

٩) + : ح (١٠) العيبة : زبيل أو وعاء من خوص أو أدم ونحوه .

قال : نفسه بخبي . (١) قالت : لطمته لطمة . قال : حقدا قضيت . قالت : ولطمني أخرى . قال : كان حرا فانتصر . قالت : اقض بيننا (٢) . قال : حدث حديثين امراة فان أبت فأربع أي كف .

قال أبو هلال العسكري : قول الراوي : " فاربع " غلط وانما هو فان لم تفهم فأربعة . والمعنى ان لم تفهم حديثين كانت من أن لا تفهم أربعة أقرب . (٣)

قال : والعرب تقول : قال الغراب لابنه : اذا رميت فتلوص . أي تلوص . قال له ابنه : يا أبت أنا أتلوص من قبل أن أرمى . أخبرنا محمد بن عبدالله بن أحمد قال أخبرنا حمد بن أحمد الحداد .

قال : حدثنا أبو نعيم أحمد بن عبدالله الحافظ . قال : حدثنا أبي .

قال : أخبرنا ابراهيم بن محمد بن الحسن قال : حدثنا محمد بن عبدالله الرازي قال : أخبرنا مسلمة ابن علقمة عن داود عن الشعبي أن رجلا صاد قنبرة (٤) فلما صارت في يده قالت له : ما تريد أن تذبحني ؟ قال : أذبحك وآكلك . قالت : ما أشفى من قرم " (٥) ولا أشبع من جوع . ولكن أعلمك ثلاث خصال هن خير لك من آكلي

---

١) لنفسه بخبي الخير : مجمع الأمثال .

٢) هذا مما زعمت العرب على ألسن البهائم .. وقد ورد المثل في مجمع الأمثال بتغيير يسير . من ذلك أن الخصومة كانت بين الأرنب والثعلب وليست بين الضبع والثعلب ، وفي نهايته : قالت : اقض بيننا ، قال : قد قضيت . أنظر مجمع الأمثال جـ٢ ص٢٧٠

٣) يريد بقوله حدث حديثين أن الضبع أو الأرنب لم تفهم حديثه لضعف فهمها . وفي مجمع الأمثال : حدث حديثين امرأة ، فان لم تفهم فأربعة . أي زد ، ويروى فاربع أي كف ، وارد بالحديثين حديثا واحدا تكرره مرتين فكأنك حدثتها بحديثين . والمعنى : كرر لها الحديث لأنها أضعف فهما ، فان لم تفهم فاجعلهما أربعة . وقال أبوسعيد : فان لم تفهم بعد الأربعة فالمرتعة ، يعني العصا . (جـ١ ص١٩٢ — مجمع الأمثال) .

٤) القنبرة : لغة في قبرة وقنبراء وهي طائر من فصيلة القبريات ، ورتبه الجواثم المخر وطية المناقير ، سمر في أعلاها ، ضاربة الى بياض في أسفلها ، وعلى صدرها بقعة سوداء .

٥) القرم : شدة شهوة اللحم ..

أما واحدة فأعلمكها وأنا في يدك ، والثانية على الشجرة والثالثة على الجبل . قال هات الأولى . قالت : لاتلهفن على مافاتك ، ولا تصدقن بما لايكون أن يكون . فتركها . فلما صارت على الشجرة ، قالت له : ياشقي ، لو ذبحتني أخرجت من حوصلتي درتين في كل واحدة منهما عشرون مثقالا . قال : فمض على شقته وتلهف ثم قال لها : هات الثالثة . قالت له : قد أنسيت اثنتين ، فكيف تنتفع بالثالثة حتى أحدثكها ألم أقل لك : لا تلهفن على مافاتك ، ولا تصدقن بما لايكون أن يكون أنا وهي ولحمي ودمي لا أكون عشرين مثقالا ، فكيف يكون في حوصلتي درتان في كل واحدة منهما عشرون مثقالا . ثم طارت فذهبت .

أخبرنا أبو المعم الانصاري (١) قال : أخبرنا جعفر بن أحمد السراج قال : أخبرنا أبو محمد الحسين بن الخلال قال : حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق قال : أنبأ ابراهيم بن الوليد قال : أخبرنا زكريا بن يحيى صاحب علي بن عاصم عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال : مرض الأسد فعاده جميع السباع ، فتخلف عنه أبو الحصين الثعلب ، فقام الذئب فقال للأسد : ياسيد السباع ، ألا ترى أبا الحصين الثعلب لم يعدك فيمن عادك استخفافا بحقك . قال له الأسد : صدقت ، فذكرني اذا حضر . وبلغ ذلك الثعلب . فلما اجتمعوا قال الذئب : ياسيد السباع هذا أبو الحصين قد حضر . قال له الأسد : أبا الحصين . قال : لبيك ياسيد السباع . قال : ويلك . مرضت فلم تعدني استخفافا بحقي ؟! قال : لا . قال : ولكن ماذا ؟ قال : بلغني أنك شديد الوجع ، فجعلت أطلب لك دواء ، فأخبرت أن دواءك خوزة تكون في فخذ الذئب . قال : فضرب الأسد فخذ الذئب ضربة علقها . فتركه الثعلب كذلك وانسل . فقام الذئب خائبا ، فمر به الثعلب بعد ساعة والدماء تسيل منه . فناداه الثعلب : ياصاحب الخف الأحمر يعني الدماء اذا جلست عند الملوك فانظر ماذا تخرج من رأسك .

---

(١) أبو المعم الأنصاري : ح .

أنبأ اسماعيل بن أحمد قال : أنبأ عمر بن عبدالله البقال قال : أنبأ أبو الحسين بن بشران قال : أنبأ اسحق بن أحمد الكارزى (١) قال : حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال : حدثني أبي قال : حدثنا اسماعيل قال : حدثنا داود عن عكرمة قال : لما نزلت الأحزاب بالنبي صلى الله عليه ـ جاءت الجنوب الى الشمال فقالت لها : انطلقي حتى ننصر رسول الله . فقالت الشمال : ان الحرة لا تسرى بالليل فكانت التي بعث الله عليهم الصبا . (٢)

:: فصل ::

وقد كان جماعة ممن قل علمهم بسعة اللغة اذا سمعوا من يقول عن الشيء ليس بشيء غضبوا لذلك وقالوا له خالفت الحقيقة . وهذا جهل منهم بجواز المجاز وقد أخرج في الصحيحين عن النبي ـ صلى الله عليه ـ أنه سئل عن الكهان فقال : ليسوا بشيء " وقال بعض القدماء لرجل يكنى أبا الوليد : ان كنت أبا الوليد وما يدرى هذا المتروع (٣) أن رسول الله قال لصبي صغير يا أبا عمير ما فعل النغير . (٤) وأبلغ من هذا قوله تعالى : تدمر كل شيء (٥) وانما يضيق علم الرجل فيوجب له هذا الانقباض .

:: فصل ::

وكنت كثيرا ما أخلوا بالعقل في بيت الفكر فأجرى سؤاله وجيب ، وجرى لي وله كل عجيب ، والاخبار بتلك الأخبار على الحقيقة عني لأن مشبع السؤال والجواب مني ، فأحببت أن أؤلف لكل فكرة استطرف مقامة ليعرف شرف العقل الذي أعرف مقامه

---

١) الكادى : ح

٢) الصبا : ريح مهبها من مشرق الشمس اذا استوى الليل والنهار (موتث) .

٣) المتروع : المتكلف الروع وليس بروع . (٤) النغير : تصغير نغر وهو البليل وفراخ العصافير وضرب من الحمر وذكورها . أخرجه البخارى ومسلم فى كتاب الأدب .

٥) الأحقاف آية ٢٥ ، والضمير في تدمر عائد على الريح التي أهلكت عاد قوم هود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ونسبه التدمير للريح على طريق الجاز .

وقد كنيته لهذا الوجه : أبا التقويم لأني رأيته قد تلطف من أبي التقويم[1] فانه يتفاوت في ضرب الأمثال العالمون " وما يعقلها الا العالمون "[2]

---

١) أي أنه اختلس التقويم من أبي بلطف لأنه انما يقوم الولد " أبوه " هكذا في هامش نسخة : ج

٢) " وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون " العنكبوت آية (٤٣) .

المقامة الاولى (١)
في
حكم الأشياء

بدوت خاليا والفجر قد نال السحر (٢) ، فتلوت تاليا كلما نال سحر (٣) ، (٤)

فتوهم بقوله : أفي الله شك ؟! فقلت لنفسي : كيف شك من شك ؟! فخلطت ناديا عيانا (٥) ليس فيه برهان ، فبذلت للدليل على الدليل ماعز وماهان (٦) ،

فصاح الفكر بالنفس اقطعي ، ثم قال لي : يا صاح ، قم معي . فاتني بي مقل (٧) العقل ، فولجنا بعد الاذن فاذا ذو سَنَا وسَنا (٨) ماحا سنه (٩)

محاسنا ، فقال الفكر : السلام عليك أبا التقويم ، يامعدن العلم وأصل التعليم فقال : مذ زمان طويل لم نأتنا . قال : قد جئتك في مشكلة فافتنا ، فانتدبت أشرح له ما جرى كأنه يرى ، فلما علمت طالبا للحق بدليله قال : أنا أنبئكم بتأويله ثم حمد الله سبحانه بمحامد لم أسمعها قط من حامد . ثم قال : من ظل يطلب الحق من الحس ضل ، لأنه محجوب عنه بعيد منه عز وجل . وليعلم أن الحس لا يرى من الموجودات الا الحاضر ، ولا ناظر له (٩) الى (١٠) الغائبات

---

١) المقامة الأولى ناقصة : م
٢) ـ : كما : ج
٣) ـ : ك
٤) سحر : فعل ماض من السحر وهو كل ما لطف مأخذه ودق
٥) عيانا : أي معاينة .
٦) ـ : ك
٧) المقل كمنزل : الملجأ
٨) السنا بالقصر الضوء وبالمد الرفعة . (٨) سنه : شيخوخته .
٩) الناظر الاولى الجارحة والثانية اسم فاعل .
١٠) ـ : ز

ناظر ، وانما الآلة التي يحوف بها الاله أنا ، فلو صحبتني بلغت المنا . أنا جارك وما تعرفني وأزيارك (١) وما تألفني ، فلو تلقفت عني سلمت من التعني (٢) ولقد علم القطناء أن نُصحي يُضحي . فقلت أنا شاكر للفكر اذ دلني فعلم فعلّي ولعلني . فقال : ان الخالق سبحانه قد ظهر لخلقه بخلقه ، غير أن عالم الحس لا يروقه وان كانت الحسيات دليلا عليه ومعبرا اليه .

(أنظر الى مخلوقاته وتفكر " في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيى به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الريح والسحاب المسخر بين السماء والارض " (٣) . أنظر اليك ويكفي ، وتأمل ما لديك يشفي ، وتلمح قطرة قطرة من ماء صب عن ابقاد نار الشهوة كيف ظهرت فيها عن حركات اللذة رقوم نقوش عقدتها يد القدرة كما تظهر الصورة في الثوب السقلاطوني (٤) عن حركات الشد . تدبر نطفة مغموسة في دم الحيض ونقاش القدرة يخلق سمعها وبصرها من غير مساس كيف تربى في حرز (٥) مصون عن شمت يتناهى ، ترفل في ثوب نطفة اكتست برد آء علقة ثم اكتست صفة مضغة ثم انقسمت الى عظم ولحم فاستترت من يد الأذى بوقاية جلد . فلما افتقرت أيها الآدمي الى الغذاء في البطن ساق اليك من دم الأم

---

١) وازائك : ح

٢) التعني : النصب .

٣) ما بين القوسين ناقص : ح ، ك
البقرة آيه ١٦٤ وأولها : ان في خلق السموات والأرض " وتمامها " لآيات لقوم يعقلون " .

(٤) السقلاطون : ضرب من الثياب ينسب الى سقلاطون وهي بلد بالروم .

(٥) تبين : ز

(٦) في حصن : ك ، والحرز هو الموضع الحصين ، والحصن : كل موضع حصين لا يوصل الى جوفه .

ما يقوم به أمرك ، فلما قوى جَلَدُ جلدك على مباشرة الهواء وبصرك على ملاقاة الأضواء أخرجك بما أزعجك الى الدنيا ، ثم صرف ما كنت تغتذى به الى الثديين من بعد أن أحاله من صفة الدموية الى حال اللبنية ، فلما عطشت عند الخروج الى فلاة الدنيا رأيت إدواتى الثديين ممتلئتين معلقتين (١) لشربك ، فكانت عمور (٢) الأسنان تكفى فلما اعتصرته خرج لك مغربلا لئلا يقع شرق ، فلما قويت المعاء وافتقرت الى غذا فيه صلابة أنبت لك الاسنان للقطع والأضراس للطحن . فكم من صوت بين أرجل هذه التُقَل من تحريك جلاجل العِبر فى خلاخل الفكر كلما غنت رنت (٣) ألسن الهدى فكيف يسمع أطروش الغفلة ؟

ومن الطرائف أنه أخرجك غبيا لا " تعلمون شيئا " (٤) اذ لو أخرجك عاقلا لرأيت من أعظم المصائب تقليبك فى الخرق والعصائب ثم سلط البكا على الأطفال لينشف فضلات رطوبات الروس (٥) وتحصل فى ضمنه التقاضى للقوت .

أنظر الى الدماغ كيف تكاثفت عليه الحجب لتمسكه فى مكانه وتصونه من أذى يعرض ثم أطبقت عليه الجمجمة لتقيه حد صدمة ثم جللت بالشعر ليستتر الرأس من فرط حر أو برد (٦) ثم جعل فيه آلة الذكر والنسيان (٧) . كما أن الذكر نعمة فكذلك النسيان

---

١) معدتين : ح (٢) العمور : منابت الاسنان واللحم الذى بين مغارسها .

٣) كلما رنت غنت : ك ، ح .

٤) من قوله تعالى : " والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة لعلكم تشكرون " . (النحل آية ٧٨) .

٥) سألت عددا من الأطباء المتخصصين حول هذه المسألة فكان جوابهم أن الطب لم يتمرض حتى الآن لعلاقة بكاء الاطفال بتنشيف فضلات رطوبات الروس وقال بعضهم ربما كانت هذه المعلومة فاتحة لكشف طبى جديد .

٦) يحاط الدماغ بثلاث حجب (أغشية) هن من الداخل للخارج : الأم الحنونة الأم العنكبوتية - والأم الجافية .
وبعد هذه الحجب تأتى عظام الجمجمة وهى من أصلب أنواع العظام ثم تغطى بجلد سميك مغطى بالشعر . (فتبارك الله أحسن الخالقين) . انظر الجزء الثالث المتعلق بالرقبة والرأس والمخ من كتاب التشريح لمؤلفه الدكتور كاننج هلم " الطبعة الثانية عشر وانظر الجزء الخامس من كتاب التشريح للأستاذ الدكتور محمد نور الدين - الطبعة الاولى

٧) يوجد مركز التذكر فى المخ وقد يصاب هذا المركز بعطل وقد ينتج عنه نسيان بعض الاحداث الجديدة . انظر جـ ٥ ص ٣٩٩ من كتاب علم وظائف الاعضاء (فسيولوجى) للدكتور محمد طلعت .

نعمة اذ لولاه ما سلى فقد ولا مات حقد .

تأمل خلق البواعث من البواطن لتدبير مصلحة البقاء ، فمن المتعلق بالقوت سبع قوى : الأولى تطلب الغذاء (للقوى)(١) والثانية تجذبه الى الكبد ، والثالثة تمسكه لها حتى تطبخه ، والرابعة تهضمه والخامسة تميز صفوه من كدره ، والسادسة تقسم الصافي منه على الأعضاء بمقدار حاجتها ، اذ لو بعثت الى الخد ما تبعثه الى الفخذ صار بمقدارها ، والسابعة تدفع ثفله (٢) .

ومن العجب ستر موضع الفرج الثفل وجعله في غامض البدن كما يجعل موضع التخلي في أستر مكان من البيت ، ثم لما افتقرت الأبدان الى الهواء بث ذلك في الفضاء لتقتنص منه النفوس الأنفاس ، وترقم فيه الأصوات الحوائج كما ترقم في القرطاس ثم انظر الى آلة النطق ترى مخرج الصوت كالمزمار الكبير ، والحنجرة كقصبة المزمار ، والرئة كالزق ، والعضلات التي تقبض على الرئة ليخرج الصوت من الحنجرة كالأكف التي تقبض على الزق حتى يخرج الريح من المزمار ، والشفتان (واللسان) (٣) والأسنان التي تصوغ الصوت حروفا ونغما كالأصابع التي تختلف على فم المزمار فيصوغ صفيره ألحانا .

---

١) + : ح

٢) المتعلق بالجهاز الهضمي : الجوع فالأكل ، فالمضغ فالبلع فالهضم في المعدة والجزء الأول من الاثني عشر ثم يمتص الى الكبد ، ويعد طبخه بها يوزع عن طريق الأوعية الدموية الى أجزاء الجسم كل حسب حاجته والغير صالح يخرج عن طريق البراز .
أنظر الجزء الثالث الخاص بالجهاز الهضمي من كتاب " الفسيولوجي " للدكتور / محمد طلعت .

٣) + : ح

ومن العجب أن الأصوات لاتتشابه (١) ، لأنه لما احتيج الى معرفة الصوت رفعت الشُبَه برفع الشَبَه ، وكذلك الصور والخط (٢) .

ثم انظر كيف مد الأرض بساطا ثم أمسكها عن الاضطراب ليمكن بسكونها السكنى عليها ، ثم يزلزلها في وقت ليفطن الساكن بقدرة المزعج . وجعل فيها نوع رخاوة ليتهيأ فيها الحفر والزرع ورفع جانب الشمال (٣) لينحدر الماء ، (وفرق المياه) (٤) . بين الجزائر ليرطب الهواء ، وأودع فيها المعادن كما تودع الحاجات في الخزائن ، ثم أخرج الحب لبني آدم والأب (٥) للبهائم والحطب للوقود .

تأمل قيام الشجر كلما طال في السماء الفرع امتدت العروق في باطن الأرض كقيام العمد بالأطناب (٦) . ولولا ذلك لم يثبت النخل في العواصف (٧) . ثم انها تموت وتحيا فيجتمع فيها من العبرة وأمر الملك ما يجتمع في الآدمي فهي في حالة يبسها مشبهة بالغائب فاذا همت بالقدوم بشّر نور النَوْر (٨)

---

١) يستدل مما جرى من أبحاث عملية أنه يستحيل أن تتكرر الخصائص المميزة لصوت قد صدر عن شخص معين مع صوت من شخص آخر ويتم ذلك بواسطة الأوسيلوجراف . انظر مجلة الانترنول التي تصدر في باريس .

٢) بالنسبة لعدم تماثل الشكل في فردين نكتفي بالاشارة إلى أن الأبحاث قد أدت الى إمكان تحقيق شخصية الفرد من عضو واحد وهو الأذن اذ يستحيل أن يحدث تماثل في شكل اذنين لشخصين مختلفين فكيف باقي الأعضاء .

أنظر مثال " الصور الفوتوغرافية ودلالتها على صاحبها "

مجلة الأمن العام للواء : عبد الفتاح رياض العدد [illegible]

رأينا بالنسبة للخط نلوح لهذا التوقع بأنه يستحيل أن تصدر عن شخص واحد توقيعات متشابهة وضاهاها تماما في جميع العلامات المميزة لها وصدرا على التوالي وفي ساعة واحدة . أنظر البحث الذي نشر في مجلة الأمن العام العدد الثاني ص [illegible] بقلم اللواء عبد الفتاح رياض .

٣) هذا سهو أو خطأ والصواب أن الجانب المرتفع هو جانب الجنوب .

٤) سـ:ز

٥) الأب : ما ترعاه البهائم .

٦) الاطناب : جمع طنب وهو حبل طويل يشد به سرادق البيت أو الوتد .

٧) لم يثبت النخل في الهواء العاصف : لم

٨) النور : الزهر أو الأبيض منه

تأمل الرمانة كيف حشيت بالشحم بين الحب ليكون غذاء لها الى وقت عود المثل ثم بين كل حشوتين لفافة لئلا يتصاك فيجري ماؤه . ولما كانت العيون لا تبصر الا بواسطة الضوء خلق الشمس سراجا ومنضجا للثمر تجرى فيه من غير توقف اذ لو وقفت لحجبها عن بعض الأماكن جبل أو جدار ، لكنها تسير أبدا ليعم نفعها ، فاذا تعبت الأبدان من الحركة بالنهار غابت لتسكن فيزول عنها كد الكلال بالاستراحة ، وتقوى القوى بتلك الراحة ، فان عرضت حاجة فى الليل ففى القمر خلف ، ولو أضاء فى جميع الشهر لانبسط الناس فى أعمالهم فآذى الحريص كده ، ومتى غاب القمر كانت (أنوار)[1] الكواكب كشعل النار فى أيدى المقتبسين ثم ان الشمس ترتفع تارة و تنخفض أخرى فيختلف الزمان : فشتاء تفور فيه الحرارة فى الشجر فتنعقد مواد الثمر ، ويكثف الهواء فتنشأ السحب . وربيع تظهر فيه تلك المواد التى انعقدت فى بواطن الشجر . وصيف تنضج فيه الثمرة .

ثم تأمل لطفه تعالى فى الحر والبرد كيف يدخل كل واحد منهما على صاحبه بتدريج لئلا يفجأ الأبدان فتستضر .

ثم انظر الى الإنعام بخلق النار التى لا بد للخلق منها ، فلو بثت فى العالم لأحرقت لكنها كالمخزون يستثار وقت الحاجة فيتمسك بالمادة[2] قدر مراد الممسك .

تأمل خلق الطير فانه لما قدر له الطيران خفف جسمه وأدمج خلقه واقتصر (له على قائمتين)[3] ، وجعل له جؤجؤا[4] محدودا يخرق به الهواء كما تخرق السفينة بجؤجؤها الماء ، وأطال ريش جناحيه وذنبه لينهض للطيران ، وكسا جسمه كله الريش ليتداخله الهواء فيقله .

---

١ ــ + : ح ، ك .

٢ ــ المادة : ما يقبل الاحتراق من النبات ونحوه .

٣ ــ + : ح ، ك .

٤ ــ الجؤجؤ : الصدر وجمعها الجآجىء .

ولما كان يختلس قوته خوف اصطياد صلب منقاره لئلا ينسحج (١) من الالتقاط ، ونقصه الأسنان لأن زمان الانتهاب لا يحتمل المضغ ، وجعل له حوصلة كالمخلاة ينقل اليها ما تيسر على عجل ، ثم يدفعه الى القانصة في زمن الأمن على مهل ، وزيدت جوفه حرارة لتطحن مالم يهضمه ، فان كانت له فراخ أسهمهم من الحاصل في الحوصلة قبل وصوله الى القانصة وقبل النقل . فان كان ممن لا حِنَّة له على فراخه أغنوا عنه بالاستقلال من حين انشقاق البيضة كالفراريج فانها تخرج كاسية كاسبة .

أوماعلمت أن الفرخ من البياض يخلق ، والمح يغتذي ، (٢) لأن القشر لما كان مانعا (له) (٣) من وصول قوت لأعطى ما يقوته باطنا .

ولما بث الطير صان السنبل بقشور محدده لئلا ينسفه فيموت بُشماً فيفوت الحظان ، ولما جعل رزق طائر الماء من الماء طوّل ساقيه فهو يطير ، وعنده اقامته يقيم في ضحضاح (٤) فاذا رأى صيدا خطا اليه ولو قصرت قائمتاه لكان حين سعيه يضرب الماء ببطنه فينفر الصيد . وفي الطير مالا ينتشر الا في الليل كالبوم والخفاش فيما يخليه الرازق مع اختفائه (في الليل) (٥) من معاش ، فهو يتناول من البعوض والفراش .

وهل نظرت الى إلهام البهائم (فان عندها من الالهام) (٦) ما يشابه

---

١) يتشجج : ح ، ينسحج : ينقشر

٢) يتكون جنين الفرخ داخل البيضه من الخلية الأنثية
وتوجد أعلى الصفار وتحت غلافه ، وأما المح والبياض فيكونان مما غذاه داخل القشرة .
(أنظر ص ٢٧ من كتاب "تربية وأمراض الدواجن" للمؤلفان : محمد عبدالغني و يحيى محمد عيسى ، وأيضا ص ٥٨٤ ـ ص ٥٨٦ من كتاب "Text Book of Zoology" تأليف الدكتور / محمود البنهاوي وآخرين .

٣) ـ : ح ، ك

٤) الضحضاح : الماء القليل .

٥) + : ح

(٦) ـ : ح

فطن العقلاء ليكون عونا لها على البقاء . فان النحلة تتخذ الزبية (١) في نشز (من الأرض) (٢) لئلا يتأذى قوتها بالعفن ، وتقطع الحب نصفين لئلا ينبت . وليث (٣) الذباب يسكن كالبيت فاذا غفلت (عنه) (٤) الذبابة وثب ، والعنكبوت ينسج شبكه للذباب .

فلما أمل العقل على كاتب السمع من هذا ما أمل ، قال : اكتف بهذا الصاع كيلا كي لا تمل . فلقد تجلى الحق (للخلق) (٥) فرأته الألباب عيانا غير أن أعين البصيرة قد أعيانا .

قلت : فاذا كان الدليل الواضح قد دل ، فما بال أكثر الخلق قد زل (٦) ؟

قال : انه خلط الأدلة الجلية بالشبه ، وأقام العقل يفرق (بين) (٧) ما اشتبه . فمن الناس من لم يرفع القضية الى العقل اهمالا لطلب الصواب ، ومنهم من رفعها ولم يلتفت الى الجواب ، وجمهور الضالين الذين حول التفتيش حاموا ، راموا أن يدركوا بالحس ما لا يدرك الا بالعقل ، فلما أعوزهم ذلك خرجوا الى الجحد

قلت : أيها العقل ، أتحيط علما بالمعبود ؟

قال : قد شهدت عندي أفعاله بالوجود ، فحصل لي المقصود فأما ادراك ذاته فتعجز عنه قوتي (٨) ، لأن رتبته فوق رتبتي . أترك لو مررت في بعض البقاع بقاع

---

١) الزبية : الحفرة (٢) ـ : ك

٣) ليث الذباب : ضرب من العناكب يصيد الذباب

٤) + : ح ، ك

٥) ـ : ك (٦) قد ضل : ح ، ك

٧) ـ : ك ، ح

٨) القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والاكام

ثم عدت وفيه بنيان ، أما بان لك بناء وإن لم يبن لك وجود بان .

قلت أذكر لي جملة من صفاته اذ لا سبيل الى معرفة ذاته فقال : تعالى عن بعضية مِن ، وتقدس عن ظرفية في ، وتنزه عن شبه كأن ، وتقدس وتعظم عن نقص لو أن وعز عن عيب الا أن ، وسما كماله عن تدارك لكن ، تنزه عن أن يشبهه شيء اذ ليس كمثله شيء (١) ، جل وجوب وجوده عن رجم لعل ، سبق الزمان فلا يقال (متى) (٢) كان ، اذ تمجد في وحدانيته عن زحام مع ، تفرد بالانشاء فلا يستفهم عن الصانع بمن ، أبرز عرايس الوجود من كُنْ كُنْ ، بث الحكم فلم يعارض بلم ، ان وقف ذهن يوصفه صاح العز جز ، ان ساوق فكر نحوه قالت الهيبة : عُد ، ان قصد القلب عن ذكره قال العلم : قُم ، ان تجبر متكبر قال القهر : نَم ، ان سأل محتاج قال للانعام : رِش ، ان تعرض فقير قال الوفر : فر (٣) ، ان سكت مذنب جاء قال الحلم : قل ، ان بَعُد ذو خطا نادى اللطف : أُبْ ، نثر عجائب النعم وقال للكل خُذ ، قلت : فما تقول فيمن يشبهه ؟ قال : يقول ما يشبهه جهال التشبيه ، غثاء (٤) يحمله سيل الجهل انزل عن علو غلو التشبيه ، ولا تعمل قلل (٥) أباطيل التعطيل ، فالوادي بين الجبلين فما سكتت شفتا العقل حتى شفاني ، ولا كفت كفا تفهيمه حتى كفاني ، فقضيت من شكر الفكر حقا ، وعدت مؤمنا حقا (٦) .

---

١) الشورى آية ١١ .

٢) ـ : ح ، ك

٣) للوفر رف : ح

٤) الغثاء : الزبد

٥) القلل : رؤوس الجبال

٦) مؤمنا حقا : ك .

المقامة الثانيـــة

فـي

وصـــف قـــــــــاص

حضرت ليلة مع رفقة (١) من منتخب الأصادق (٢) ، ليس فيهم الا منتخب صادق ، وكانت ليلتنا أمتع ليالي (٣) السنة ، (زال عنا فيها النوم والسِنة) (٤) ، فطلب جمعنا أن تقطع بالالي (٥) حسنة . فقلت : لو كان لكم أبو التقويم فانه بكل علم عليم . (فقالوا) : ذكرت أشرف نائبه (٦) ولكن من لنا به (٧) ؟ فكتبت اليه :

عندي فديتك سادة أحرار .. وقلوبهم شوقا اليك حِرار (٨)

وشرابنا شُرب العلوم وروضنا .. نزه الحديث ونُقلنا الأشعار (٩)

فآمن علينا بالحضور فانما .. أعمار أوقات السرور قصار

فما كان بأسرع من أن أسرع . فقلت للجماعة : قد اجتمع مقصودكم (أجمع) (١٠)

فلما رأوا جِلحابة (١١) من الناس قد عسا (١٢) استعدوا الاصابة (١٣) ،

---

١) مع فريق : ح ، ك

٢) أصادق : جمع الجمع لصديق

٣) أمتع أي أطول

٤) ـــ : ك

٥) جماعتنا : ح ، ك

٦) ـــ : ز

٧) النائب والنبيه : الشريف

٨) حرار : أي عطاش

٩) النقل : ما يتنقل به على الشراب .

١٠) + : ح ، ك

١١) الجلحابة : الشيخ الكبير

١٢) عسا : كبر

١٣) استعدوا للاصابة : ب ، ز

وتوددوا بين اليأس والرجاء . فقلت : كم فنن(١) من الفنون عند هذا اليفن(٢) فالتقطوا من أفنانه أفانين(٣) ليس فيهـا إفن(٤) ، لا تحقروا من قد بدا لكم ، وتقروا عما بـدا لكم ، فحطه القمة(٥) على القمة ، وقالوا هم بعيد الهمة(٦) ، ثم وقع اختيار الوسام(٧) على سماع القصص فقال لهم : انها لأوفى الأقسام وأوفر الحصص(٨) ، فأجمل من محامد الجبار أجمل حصة(٩) ، وحسر وابتدا بعد الاذكار بقصة أبي البشر فقال :

لما خلق الله آدم ألقاه كاللقا(١٠) ، فلما نفخ فيه الروح مات الحاسد ، ثم أمر الملائكة بالسجود ، فتطهروا من غير لا علم لنا(١١) ، وغودر الخادر بخسا(١٢) لكبره . "أنا خير منه"(١٣) .

فلما جرى على آدم القدر بالزلل ، نزل فخد(١٤) خد الفرح بدمع الترح(١٥) حتى أقلق الوجود . فقال جبريل : مالك ؟ فصاح لسان حاله :

مارحلت العيس عن أرضكم ∴ فرأت عيناي شيئا حسنا

هل لنا نحوكم من عودة ∴ ومن التعليل قولي هل لنا

---

١) كل : ك

٢) اليفن : الكبير

٣) أفنان الكلام : أجناسه وكذلك الافانين والافنان والأفانين في اللغة : الاغصان .

٤) الإفن : العيب

٥) القمة الاولى الجماعة والثانية أعلى الرأس

٦) الهم : الكبير

٧) الوسام من الوسم : وهو الوزع .
وفي هامش نسخة ح : الوسام جمع وسم وهو ما يتوسم منه الرياسة على القوم

٨) وأوفى : ك

٩) أجمل الاولى من الاجمال وهو ضد التفصيل وأجمل الثانية بمعنى أحسن .

١٠) اللقا : الشيء الملقى .

١١) البقرة آية ٣٢

١٢) غودر : ترك

١٣) يشير الى قوله تعالى لابليس لعنه الله : قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك ، قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين " . (الاعراف آية "١٢" والى الاية "٧٦" من سورة ص)

١٤) خد : شق

١٥) الترح : الحزن

فقيل له : لا تحزن لقولي : اهبط منها فلك خلقتها أخرج منها الى مزرعة الآخرة (٢) وشق من دمعك ساقية ساقية لشجرة ندمك فاذا عاد العود خضرا فعد .

ان جرى بيننا وبينك عتب ∴ أرتفعت منا ومنك الديار

فالخليل الذي عهدت فهم ∴ والدموع التي شهدت غزار (٣)

يا معاذ : اذهب الى اليمن حتى تشيعك (٤) أقدام الرسول (٥) ينزل السمى سماء الدنيا (٦) ، واعجبها لقلق آدم بلا ضمين على الحزن ، وهوام الأرض لا تفهم ما يقول . وملائكة السماء عندها بقايا أتجعل فيها فهو في كربه يقول :

لا رحيم من آل ليلى فأشكو ∴ اخواني اياكم والذنوب

فانها أذلت عزيز ، أسجدوا ، وأخرجت متوطن (٨) أسكن .

استراح الى بعض المناقيد فاذا به في المناقيد ، جرت جرجرة (٩) جرير الهوى ، أن فارق المقام الأسنى من الحسنى وهوى ، ثم مازالت تلك الأكلة تعاوده (١٠) .

---

٢) أخرج الى مزرعة الشاهدة : ح ، ك (٣) التي علمت : ح ، م ، ك .

٤) حتى تشرفك : ح (٥) أقدام الرسول شرفت معاذا بتشييعه اياه فسمي الفاضل نزولا للمفضول كذلك النزول الى سماء الدنيا : هكذا في هامش نسخة ح .

٦) ينزل الرب الى سماء الدنيا : ح

٧) اشارة الى قوله تعالى : واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة . قال أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم مالا تعلمون (البقرة آية ٣٠) (٨) مقطع ب ، ك ، م ، ز

٩) الجرجرة صوت يردده البعير في حلقه

١٠) تعاوده من العداد وهو تحرك السم في بعض الأوقات

حتى استولى داوه على أولاده ، فنمت هينمة (١) الملائكة بعبارة : نظر الماقبة فشمروا مطيّ : أتجعل فيها . وتبقى حزازات النفوس كما هي . فدعوا (٢) بمعصي الدعاوى ظهر العصاة . فقيل لهم : لو كنتم بين أناعي الهوى ، وعقارب اللذات ، لبسات سليمكم سلما (٣) ، فأبوا للجرأة الا جرّ جرير (٤) الدعاوى ، وحدثوا أنفسهم بالتقا بالتقاوى ، فقيل : نهّبوا عن خيار تقاويكم .

فانتقوا ملك الملكوت فماروا (٥) ، فما رأوا لمثلها مثل هاروت وماروت (٦) ، فأبا (٧) لسفر البلاء وبالبله (٨) ، فما نزلا حتى نزلا من مقام العصمة ، فنزلا منزل الدعوى ، فركبا مركب البشرية فغوّت على المرأين ، امرأة يقال لها الزهرة ، بيدها مزهر (٩) زهر الشهوة ، فغنت الغانية بمُغنة (١٠) أغن (١١) ، ورنت (١٢) قباب الهوى ، فهوى الصوت في صوت قلب قلبيهما ، فقلبتهما عن تقوى التقويم ، فانهار بناء عزم هاروت وماروتهم (١٣) حزم ماروت . فأراداها على الردا ، فراوداها وما قتل الهوى نفسا فوداها (١٤)

---

١) الهينمة : كلام خفي .
٢) فشمروا : ح ك م
٣) السليم : اللديغ
٤) الجرير : الحبل
٥) فماروا أي فتردد وا
٦) هاروت وماروت اسمان للملكين أو الملكين الذين أنزل عليهما علم السحر وقد ورد ذكرهما في الآية ١٠٢ من سورة البقرة .
٧) أب : تهيأ
٨) البلبله : اختلاط الألسنه وتغريق الآراء وشدة الهم والوساوس .
٩) المزهر : العود الذي يضرب به وهو أحد آلات الطرب .
١٠) المغنة : الصوت
١١) الأغن : الغزال
١٢) في هوة : ح ، في صوب : ك ، م
١٣) مار : ماج واضطرب
١٤) وداها : أعطاها ديتها .

فبسطت نطع (١) التنطع (٢) (على تخت التخيير (٣)) : إما أن تشركا ، واما أن تقتلا ، واما أن تشربا . فظنا سهولة الأمر في الخمر ، وما فطنا (أنه أمر الأمر (٤)) ، فلما اشتد ساعد الخلاف فسقا فسكا فدخلا سكك السكر (٥) فزلا (٦) في مزالق (٧) الزنا فرآهما مع الخبيصة شخص فقتلاه (ثم استفاقا بعد أن وقعت المشابكة (٨)) ، ففتحت فتنتهما في فسحة الملائكة ، فاتخذوا لتلك الواردة وردا من تضرع " ويستغفرون لمن في الأرض " (٩) .

فصاحوا اليه : لقد عاشرت بما ذكرت الروح فحدثنا بقصة نوح .

فقال : أنذر الخلق ألف سنة الا خمسين عاما ، وبصيرهم كلما رأى الحق يتعامى ، فلاح للاحى عدم (١٠) فلاحهم ، فولاهم الصلا (١١) يأسا من صلاحهم (١٢) ، فأذن مؤذن الطرد على باب دار اهدار دمائهم (١٣) ، فغربت شمس الأنظار ، فأدلهمت عقاب العقاب (١٤) ، فلما انسدلت الظلمة وفات النور " فار التنور " (١٥) ، فتخلف خلف نوح خلف من ولده ، فمد يد الحنو ليأخذه بيده : " يابني اركب معنا " (١٦) .

---

١) النطع : بساط من الأديم (٢) التنطع : المغالاة .

٣) + : م

٤) ـ : ك ، أنه الأمر الأمر : م ، أنه الأضر الأمر : ح

٥) سكك السكر : طرقه (٦) زلا : أي زلقا

٧) في مزالق : ح ، ك ، م (٨) ما بين القوسين ناقص : ك

٩) الشورى آيه ٥

أنظر قصة هاروت وماروت جـ٢ ص١٥٠ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي

١٠) لاح : بدا ، اللاحي : اللائم

١١) الصلا : عظم في العجز . (١٢) من فلاحهم : ح

١٣) ديارهم : ز

١٤) ادلهمت : اسودت ، عقاب : ليلة العقاب

١٥) المؤمنون آيه ٢٧ . (١٦) هود آيه ٤٢

فقيل : انه قد أُهلك انه ليس من أهلك . (١)

فقالوا : يامن اذا أنعم عاد ، قصة عاد .

فقال : أقل ما فُعل بعاد بعاد ، (٢) عاد (٣) عليهم الهوى فامتد القصم (٤)
بسحب (٥) سحاب العذاب ذيل الإدبار باقباله الى قبالتهم . فظنوه لما اعترض (٦)
عارض (٧) مطر ، قصاح بلبل البلبال (٨) بل هو ما استعجلتم به ، فراحت ريح
الدبور (٩) لكي تسم (١٠) الأدبار (بكي الادبار) (١١) فعجسوا (١٢) فيها عجيج الأدبر (١٣)
فلم تزل تكوى تكويهم (١٤) بحسم الندم ، وتلوى تلهبهم الى حياض دم الندم ، وتُكفي
عليهم الرمال ، فتكفي تكفينهم ، وتبرزهم (١٥) الى البراز (١٦) عن صون حصون
كن يقينا يقيهم (البراز) (١٧) فما برحت (١٨) بارحتهم (١٩) عن براحهم ، حتى برّحت (٢٠)
بهم (٢١) ، ولا أقلعت حتى قلعت قلوع قلاعهم ، فدامت عليهم آفة وداء لا يقبل فداء
سبع ليال وثمانية أيام حسوماً (٢٢) فحسوا ما أذاقهم من سوء ما سُوّما (٢٣) .

---

١) هو آية ٤٦ ، أنظر قصة نوح عليه السلام ص ٣٢ قصص الأنبياء .

٢) البعاد : اللعن . والمقصود أنهم لعنوا .

٣) غلبهم الهوى : ك ، عاد : رجع . (٤) أي صار الهوى هواء . والمعنى أن هواهم قد جلب عليهم الهواء أي الريح الذي هلكوا به .

٥) سحب : جر (٦) قبائلهم : ح ، وقبالتهم : تجاههم .

٧) العارض : السحاب المعترض في الأفق (٨) البلبال : شدة الهم .

٩) الدبور : ريح تهب من المغرب وتقابل القبول وهي ريح الصبا .

١٠) الوسم : أثر الكي . (١١) مابين القوسين ناقص : ك ، والادبار :

١٢) عجسوا : أي صاحوا ورفعوا صوتهم . الموت والهزيمة .

١٣) الأدبر : الجمل به الدبرة وهي قرحة الدابة .

١٤) تكوينهم : أي أجسامهم . (١٥) تبرزهم : تخرجهم .

١٦) البراز : الفضاء (١٧) + : ح

١٨) ما برحت : مازالت (١٩) البارح : الريح الحارة في الصيف .

٢٠) البراح : المتسع من الارض لازرع بها ولا شجر والمراد عن أرضهم .

٢١) برحت بهم : أذلتهم بشدة ، وفي نسخة ح ، ك : فما برحت نارجهنم عن براحهم حتى برحت بهم . (٢٢) الحاقة آية ٦ ، ٧

٢٣) من سوء ماماسوا : ك ، ماسوا : مجنوا وتبختروا ، وفي نسخة : م : فحسوا ماء أذاقهم من سوء ماحاسوا ، حاسوا : عاثوا . والمراد : من سوء ما أفسدوا .

أنظر قصة هود عليه السلام ص ٢٩ ـ قصص الأنبياء

فقالوا له : فان رأيت أن تجود بقصة ثمود .

فقال : لما أعرضوا عن كل فعل صالح بعث اليهم للاصلاح صالح فاحتج عليه ناقةٍ (١) هو اهم بطلب ناقة ، فخرجت من صخرة صماء تقبقب ، (٢) وفُصل عنها فصيل يرغو . (٣) فقال حاكم الوحي : (لها شرب ولكم شرب " . (٤) فضرب أشقاهم بعطن (٥) فتعاطى (٦) ، فعب عليهم صيّب (٧) صاب صاعقة . (٨)

فجعلوا (٩) عليه الأردية والمروط (١٠) وقالوا : (أسمعنا) يا قوم لوط قصة (١١) فقال : لما تهاووا في هوة هواهم (١٢) لا يرعون . (١٣) جاءه ضيف ، فأقبلوا (١٤) يهرعون اليه ، فدافع بمشورة هؤلاء بناتي ، وبتقاة فاتقوا الله ، ومسوءال فلاتخزون في ضيفي ، وتوبيخ أليس منكم ، فلما كَلَّ كُلّ سلاحه وأعيته جهات جهاده ، أنّ برمز لو أن لي بكم قوة (١٥) ، فاحتمل جبريل قُرى من جنى على قرا جناحه ، (١٦) فلسم

---

١) ناقه هواهم : هواهم الشره (٢) تقبقب : تهدر وتصوت .

٣) يرغو : يصوت ويضج وجمهور المفسرين على أن صالح عليه السلام قد أتى لهم بالناقة حسب اقتراحهم من الصخرة وأن الصخرة تمخضت عنها فخرجت منها سوداء الحدق حمراء الهبر خلفها فصيلها .

أنظر ص ٦٤ وهامش ص ٦١ ـ من قصص الأنبياء .

٤) يشير الى قوله تعالى : " قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم " . الشعراء آية ١٥٧

٥) العطن : مبرك الابل حول الماء . (٦) التعاطي : تناول مالا يحق والقيام على أطراف الرجلين مع رفع اليدين الى الشيء ومنه " : فتعاطى فعقر " .

٧) صيب : ح ، صبيب : م ، وهما بمعنى الشيء المصبوب ، والصيب : المطر المنهمر .

٨) أنظر قصة صالح عليه السلام ص ٨٥ قصص الأنبياء .

٩) فجعلوا : ح ، ك ، م . (١٠) أكسية من صوف أو خز .

١١) + : ح (١٢) تهاووا : سقطوا .

١٣) الهوة : ما انهبط من الأرض أو الوهدة الغامضة .

١٤) أي لا يرعون ذمة ، ولا ينتهون عن ارتكاب المعاصي .

١٥) " وجاء قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال ياقوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد (٧٨) قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق وانك لتعلم مانريد (٧٩) قال لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد (٨٠) " سورة هود .

(١٦) قرى الاولى جمع قرية وقرا الثانية بفتح القاف الظهر .

يكسر (١) وقت رفعهم إناء ، ولم يرق وقت صعودهم ماء فلما سمع أهل السماء
نباح كلابهم أسرعت كف القلابهم في انقلابهم . تالله لقد ضكضك (٢) العذاب عليهم
فضعضعهم (٣) فتضعضعوا (٤) ، وانقض بقضه وقضيضه (٥) فقضقض (٦) عظام عظامهم
وفصلها فتقطعوا ، وسار بهم في طرفسان العقاب (٧) الى عوطب (٨) العطب فاهرمّعوا (٩)
وكانوا في كنن (١٠) صافي الصفات ، فمروا الى مر الرنق (١١) فافرنقعوا (١٢)
وهمس همسهم (١٣) وهل لمثلهم (١٤) الا الوهل والوها (١٥) ولات حين
مناص (١٦) ، وادرنقوا (١٧) وبرقط المخرنشم (١٨) بعد أن بهنس وبلهس (١٩)
فبلطح (٢٠) وحزن البرنشق (٢١) بعد أن زهزق (٢٢) فبلسم وكلح (٢٣) فأجيل (٢٤)
على ذلك الجيل سجل السجيل (٢٥) ، فما برح حتى برّح . ثم قال : قولوا
لمن خرج عن الشرع في طلب هذه الفاحشة وشرّد (٢٦) يرمى القوم بالحجارة وخوفهم

---

(١) فلم يكن يكف : ح
(٢) ضكضك : أسرع
(٣) ضعضعهم : أهلكهم وأزالهم .
(٤) تضعضعوا : تفرقوا وذلوا
(٥) قضه وقضيضه : أي بجملته وجميعه .
(٦) قضقض : كسر
(٧) طرفسان العقاب : ظلمة الليل .
(٨) العوطب : الداهية ، العطب : الهلاك
(٩) اهرمعوا : أسرعوا .
(١٠) الكنن بالكسر : وعاء كل شيء وستره .
(١١) الرنق : الماء الكدر .
(١٢) افرنقعوا : تفرقوا .
(١٣) الهميسع : القوي الذي لا يضرع .
(١٤) لمثلهم : ك ، م .
(١٥) الوهل : الضعف والفزع . ، والوها : الضعف والسقوط والحمق .
(١٦) سورة ص آية ٣ .
(١٧) ادرنقعوا : فروا وأسرعوا من الشديدة .
(١٨) البرقطة : خطو متقارب ، والمخرنشم : المتمطسم .
(١٩) بهنس : تبختر ، وبلهس : أسرع في مشيه .
(٢٠) بلطخ : ضرب بشقه الارض .
(٢١) البرنشق : الفرح المسرور .
(٢٢) زهزق : ضحك ضحكا شديدا .
(٢٣) بلسم : قطب وجهه بما يكره ، كلح عبس
(٢٤) أجيل : جيء
(٢٥) سجل السجيل : ك والسجل : الدلو المطينة مملوءة ، والسجيل : حجارة من الطين المطبوخ أو كانت طبخت بنار جهنم وكتب فيها أسماء القوم . (٢٦) شرد : نفر .

بالـــبرد (١) .

فقالـوا : قد بقـى من أهل العيب قوم شعيب .

فقال : خوفهم من قحم قحل القحط (٢) ، فعدوا نحوه باع النخوة لنخرجنك (٣) فلما اسمهر (٤) ظلام ظلمهم اسحنك (٥) ليـل ادبارهـم (٦) واسلنطـح (٧) نهـار هلاكهـم فحقحـق (٨) اليهـم ما حـق عليهم من محقهـم ، فأظل (٩) على ظلل ظلالهـم عذاب يـوم الظلـه (١٠) وشـدت عليهم شدة الحـر ، فهربوا الى البرلا (١١) الى السـبر ، فاذا سحابة تسحب (ذيـل) (١٢) بُـرد البَرَد ، فتنـادوا : هلموا الى راحة الروح . فلما تم اجتماعهـم فى قصـر الحصر فظنوا أنها من حر وقْتهم وقَتْهم ، نزلت منها نار فأحرقتهم (١٣) .

فقالوا له : أحيـاك الله ألف عام نسينا قصة بلعـام (١٤) .

---

١ ـ البرد بفتح الراء : حب الغمام . أنظر قصة لوط عليه السلام ص ١١٤ ـ قصص الانبياء
٢ ـ القحم : جمع قحمه وهى المهلكة والسنة الشديدة القحط ، والقحل : اليبس ، والقحط : احتباس المطر . ٣ ـ " قال الملا للذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا قال أو لو كنا كارهين " (الاعراف آية ٨٨) . ٤ ـ اسمهر : اشتد .
٥ ـ اسحنك : أظلم . ٦ ـ ادبارهم : الذهاب بهم .
٧ ـ اسلنطح : طال . ٨ ـ فحقحق : فأسرع ، محقهم : هلاكهم .
٩ ـ أظل : غشى ، الظلل والظلال جمع ظله وهى ما سترك من فوق .
١٠ ـ عذاب يوم الظله : قيل أنه غيم تحته سموم أو سحابة أظلتهم فاجتمعوا تحتها متجيرين بها مما نالهم من الحر فأطبقت عليهم .
١١ ـ البر الأولى : الصحراء والثانية من أسماء الله الحسنى . (١٢) + : ؛ .
١٣ ـ أنظر قصة شعيب عليه السلام ص ١٤٥ وما بعدها قصص الانبياء .
١٤ ـ هو بلعام ويقال بلعم بن باعوراء ويقال ابن ابر ويقال ابن باعوراء ابن شهتوم بن توشتم بن ماب بن لوط بن هاران ويقال ابن حران بن آزر . وكان يسكن قرية من قرى البلقاء . قال ابن عساكر : هو الذى كان يعرف اسم الله الأعظم فانسلخ من دينه . وقيل أنه كان مجاب الدعوه ، فلما نزل موسى ومن معه عليه السلام وجنوده بالجبار ومن معه بنوعمه وقومه منه أن يدعو الله أن يرد عنهم موسى ومن معه قال : ان دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنيياى وآخرتى فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسلخه الله مما كان عليه " وقيل أنه قد وصله علم ما قبله فتركه وانسلخ عنه " وقيل أنه حضر عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فآمن به ولم يؤمن بقلبه ، وقيل غير ذلك . أنظر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٦٤ ، وذلك عند تفسير قوله تعالى : " واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها " الأعراف آية ١٧٥ ، ١٧٦ . وأنظر الجنة فى شرح أهل الجنه .

فقال : كانت بَنية نِيته (١) على رمل الرياء (٢) ، فجرت تحتها أنهار التجربة ، ففجرت (٣) ، وأنهار بنيانها فخرت ، وآنهار بنيانها فخرت (٣) . كان ظاهره كقاء القذا ، وباطنه باطية (٤) لخمر الهوى . ولقد جنى الخبائث (٥) في طي الطيبات فلما أراد المقدر تنبيه جاره على جوره ، تقدم الى القدر بهتك ستره ، فأتاه وهو في عُقر عِقار (٦) الهوى يعاقر (٧) عُقار (٨) الرياء وقد رفعت له عقيرتها (٩) عاقِر (١٠) الفهم الى أن عَقِر (١١) عُقْر قلبه فعاد عقيرا (١٢) ، فمزق جلباب تعبده فانكشف عوار عورته فعوى ، فاذا به كلب عقور .

فصاح شخص يسمى هارون كلهم نسى قصة قارون .

فقال : كانت مقاليد خزائنه وقرستين (١٣) بغلا والذي فاته أغلا وأفلا .

ركب يوما في أربعة آلاف مقاتل ، ورسم الهوى يعمل منه في المقاتل . وركب معه (١٤) في المعمعة ثلثمائة جارية ، وقد أنساه سفه الأُطل أن سفينة الأُجل جارية ، فلما ارتفع بظلم حَظٍ حظيظ (١٥) ، نزل حظه الى الحضيض (١٦) ، فخسفنا به وبداره الارض (١٧) .

---

١) البنيه هي الكعبه والمقصود بناية نيته .

٢) وفي نسخة ح : كانت نيته نبتت على رمل الرياء .

٣) فجرت : ب ، ز ، م

٤) الباطية : اناء عظيم من الزجاج وغيره يتخذ للشراب .

٥) خبأ : ح ، ك ، م .

٦) عقر الشيء : أصله

٧) يعاقر : يدمن

٨) العقار : الخمر

٩) عقيرتها : صوتها

١٠) العاقر : المقيم .

١١) عقر : دهش .

١٢) : العقير : الجريح

١٣) الوقر بالكسر : الحمل الثقيل .

١٤) وركب له : م

١٥) الحظيظ : العظيم الحظ .

١٦) فلما ارتفع بظلم حظ بعدل الى حضيض : ح ، ك

١٧) القصص آيه ٨١ .

فقال الجاهلون : انما بادر موسى بادرته لأخذ بدره (١) بداره . فقال حاكم الغيب لإزالة الريب : وبداره قال موسى يا أرض خذيه فاستجابت لأمره فسرت بسريره فناشده قارون بالرحم فما رحم ، وانه ليخسف به كل يوم قدر قامة ، فلا تظنوا أن دم الجزاء قدر قامه (٢) .

قالوا : اذكر لنا ما الذي سبى قوم سبا ؟

فقال : ان للنعم أجنحة ، فمن قصها بمقراض الشكر جنحت اليه ومن أهمل ريشها حتى نبت ، نبتت من بين يديه .

أخصبت ديار قوم سبأ فطابت فما يقرب حيهم حية ، ولا يقال هذا عقر عقرب ، ولا يرى في بعض بلادهم بعوضة ، ولا لاذ لهم بباب ذباب (٣) . فلما تمت النعمة ، قام متقاضي الشكر يقول : " كلوا من رزق ربكم واشكروا له " (٤) . فقابلوا الرسل مقابلة معاند ، فرفعت قصة الشكوى منهم في سطور " فأعرضوا ، فكان مما أرسلنا أن أرسلنا سيل العرم " (٥) . بعث الله عليهم جرذا أجرد (٦) ، نقب سكرهم (٧) وهم في سكرهم ، فأغرق فيما جنى به على جنابهم (٨) حتى أغرق جناتهم

---

١) لما أمر موسى الأرض فابتلعت قارون ـ بأمر الله ـ قالت بنو اسرائيل انما أهلكه ليرث ماله ، لأنه كان ابن عمه ، فخسف الله تعالى به وبداره الأرض بجميع أمواله . جـ١٣ ص ١٣٧ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي . والبدر جمع بدرة وهي كيس فيه مقدار من المال .

(٢) أنظر قصة قارون جـ١٣ ص٣١٧ الجامع لاحكام القرآن وانظر قصص الأنبياء ص ٢٨١ .

٣) قال عبد الرحمن بن زيد أن الآية التي كانت لأهل سبأ في مساكنهم أنهم لم يروا فيها بعوضه قط ولا ذباب ولا برغوثا ولا قملة ولا عقربا ولا حية ولا غيرها من الهوام . (جـ١٤ ص٢٨٤ ـ الجامع لأحكام القرآن .

(٤) سورة سبأ آية ١٥

٥) سورة سبأ آية ١٦

(٦) المقصود بالجرد الأجرد : الفأر الذي كان سببا في خراب سد مأرب فلما كذب أهل سبأ الرسل سلط الله عليهم الفأر فنقب الردم ، حتى أوهن السد للسيل وهم لا يدرون ، فلما جاء السيل دخل تلك الخلل حتى بلغ السد وفاض الماء على أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم . (جـ١٤ ص٢٨٥ ـ الجامع لاحكام القرآن) .

٨) الجناب : جمع جنب وهو الوقيعة والشتم . والمعنى أن السيل أغرقهم وجنى عليهم بسبب وقيعتهم وشتمهم الرسل .

(٧) سكرهم : سدهم .

فخرت الأشجار بعد أن فجرت الأنهار وبث كف الفساد في ديار دهورهم ، ولعب الدهر في خبخبة[1] خنخنة[2] الحنين[3] ، ودام البكاء[4] وملا العويل ، وخلف غراب البين الورق[5] على الورق ، ومش البديل .

" وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر[6] قليل "[7]

ثم قال الشيخ أليس فيما جرى على السرح من نهب ذئب الذئب مخذر ومنبه ؟

قالوا : ولا قدر على مش هذا الشرح وهب بن منبه[8] . وقد ذكرت لنا كيف أهلكت الأمم فاذكر لنا من أسبغت عليه النعم .

فقال : ان اجتلاب طل السامعين زلل وبله[9] ، فتعالوا في الليلة المقبلة . فانصرفنا نعد لحظات الأوقات ، وصار يومنا كيوم الحشر والميقات .

---

(١) الخبخبة : رخاوة الشيء واضطرابه في خياشيمه (٢) الخنخنة :: أن لا يبين الكلام فيخنخن (٣) الحنين : شدة البكاء . والمعنى أن الدهر أبكاهم بكاء شديدا وجعل أصواتهم تضطرب في حلوقهم .

(٤) ـ : ح ، ك (٥) الورق : الجدب . ويقال عام أورق أي لا مطر فيه وزمان أورق : جدب . جمعها ورق .

(٦) سبأ آية ١٦ (٧) السرح : المال السائم

(٨) هو أبو عبد الله وهب بن منبه الأنباوي الصنعاني الذماوي . (٣٤ ـ ١١٤ هـ) مؤرخ ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة ، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الاسرائيليات وعد في التابعين . وهو من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى الى اليمن . ولد ومات بصنعاء . وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها . وكان يقول سمعت اثنين وتسعين كتابا كلها أنزلت من السماء ، اثنان وسبعون منها في الكنائس وعشرون في أيدي الناس لا يعلمها الا قليل ، ووجدت في كلها أن من أضاف الى نفسه شيئا من المشيئة كفر . واتهم بالقدر ورجع عنه ، وحبس في كبره . (جـ ٩ من الاعلام) .

(٩) البله : الغفلة والحمق .

المقامة الثالثة

في ما سبق

جمعتنا الدار لوعد أبي التقويم ، وطال الانتظار فطاب التهويم (١) ، فأتى يسحب الذيل والليل بهيم ، (فلقيناه بالترحاب والتسليم . وقلنا له : الوعد دين على الكريم . فقال : لهذا أتيت وأنا به عليم فجلس وقال : بسم الله الرحمن الرحيم (٢) . لما خاض المخاض (٣) في خضم (٤) أبراهيم خرجت من خيف (٥) الخوف الى حير (٦) التحير تهيم (٧) ، فوضعته في نهر قد يبس ، وغطته بالحلفاء (٨) ليلتبس . فلما ترعرع أحضره نمرود (٩) فأحضر في ميدان الدليل ، فأراه قمر الهدى في حجة ربي الذي يحيي ويميت ، فقابله بسها السهو في ظلام أنا أحيي وأميت فسود وجه جبهته (١٠) بفحمة الإفحام . فألقاه كاللقا على عجز المجز بآفات فأت بها فبهت (١١) ، ثم دخل على الأصنام وقت الفراغ ، فراغ (١٢) عليهم فجردوه من بُرد بَرد العدل الى حر حرقوه فسبق بريد (١٣) الوحى الى النار

---

١) التهويم : مبادىء النوم .
٢) ـ : ك ، ح
٣) المخاض : وجع الولادة وهو الطلق .
٤) والصواب الخضم وهو الجانب ، أما الخضم فهو المضغ بأقصى الاضراس ٥) الخيف : هو المكان المرتفع عن موضع مجرى السيل ، والمنحدر عن غلظ الجبل
٦) الحير : شبه الخظيره أو الحمى .
٧) تهيم : تتحير .
٨) الحلفاء : ضرب من النبات كالقصب في طول القامة .
٩) نمرود : هو الملك الذي أحضر ابراهيم عليه السلام وحاجه في شأن ربه .
١٠) شبهته : ح
١١) " ألم تر الى الذي حاج " ابراهيم في ربه أن أتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ، البقرة آية ٢٥٨ . بهت : تحير وانقطعت حجته .
١٢) راغ : مال .
١٣) البريد : الرسول .

بلسان التفهيم : " يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم "(١) . ثم انه هاجر باسماعيل وهاجر ، فألقاهما بمكة ورجع لما رجع " انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع "(٢) فعطشا فتلوى اسماعيل على رمض رمضان(٣) الصوم ، فسعت المرأة باقدام الصفا بين المروة والصفا ، فكلما أظلت(٤) الظله على طلل(٥) توكفت(٦) طل(٧) رج ينقع الغلة(٨) ، فنزل جبريل ليزيل النازله ، فهيأ نزل النزيه(٩) فزمزم(١٠) ماء زمزم ، وزا نزوا(١١) لا نزرا(١٢) ، برز يحصحص(١٣) فى صحصح(١٤) الحصا حتى سُمعت جخجخته(١٥) كالجمجمة(١٦) ، فلما كابد الخليل وحشة فراقة أبتلى بذبح اسحاقه(١٧) بيناهما على تل وتله جاء(١٨) بشير(١٩) : " قد صدّقت الرويا "(٢٠) . فارتد أعمى الحزن بصيروا .

---

١) " قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين (٦٨) قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم (٦٩) الأنبياء .

٢) ابراهيم آية ٣٧ وتمام الآية : " عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون "

٣) الرمض محركة : شدة وقع الشمس على الرمل وغيره ، ويقال رمض الصائم أى اشتد حر جوفه .

٤) أظلت : أشرفت وغشيت

٥) الطلل : ماشخص من آثار الدار .

٦) توكفت : توقعت وانتظرت .

٧) الطل : أضعف المطر .

٨) الغلة : العطش .

٩) النزل : ما يهيأ للنزيل وهو الضيف ، النزيه : الكريم عن المطامع الدنية .

١٠) زمزم : صوت خفيا .

١١) الصواب : نزنزا ، والنز : ما يتحلب من الأرض من الماء والكثير وأما النزو فهو الوثب والقفز .

١٢) النزر : القليل .

١٣) حصحص : وضح .

١٤) الصحصح : المكان المستوى

١٥) الجخجخه : صوت تكسر الماء .

١٦) الجمجمة : صوت الرحا .

١٧) المشهور أن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام والمسألة فيها خلاف قديم . أنظر تفصيل ذلك فى الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٩٩ وذلك عند تفسير الآية ١٠٢ من سورة الصافات .

١٨) التل : الكومة من الرمل والرابية ، التله : الحيرة . (١٩) الجبل : الشوكة من الحرمل

٢٠) "وناديناه يا ابراهيم (١٠٤) قد صدقت الرويا انا كذلك نجزى المحسنين (١٠٥) الصافات .

٢١) أنظر قصة ابراهيم عليه السلام ص ٧٠ ومابعدها من قصص الأنبياء .

قالوا : من كان في زمانه من الملوك ؟ قال : ذوالقرنين . قالوا : فاجعل لنا ذكر قصته ثاني اثنين .

فقال : فض (١) فضاء الليل فضاء له (قمر) (٢) ، فمر سالكا سلكا (٣) مافت (٤) سببه (٥) فتى ، فاتبع سببا ، فسمر مشمرا ما تلفت حتى لفت شمله جمع شمله بالشمس في عين حمئه ، ثم طلع الى المطلع فأغرب في بث عدله المغرق في المغرب والمشرق ثم رأى باقي غوصه في ذمه بقدرته كالدين ، فسلك مابين السدين ، فسدّ السد على المفسدين (٦) فولجوا قشر قسرهم فما استطاعوا أن يظهروه .

فقالوا : أيها السيد العالم الصديق اذكر لنا قصة يوسف الصديق .

فقال : احتال اخوته عليه بحجة يرتع ويلعب ، فلما أصحروا (٧) أظهروا المقت (٨) له ، ورموا بسهام التلف مقتله ، فألقوه في الغيابة (٩) وقالوا هلك . فأمر الملك بخدمته الملك (١٠) ، فلطخوا قميصه الصحيح بدم كذب ، وشروه بثمن بخس .

واعجبا لقمر قومر به ، فأجلسه العزيز على عزاز (١١) أكرمي (١٢) ، فشغف قلبها وفري (١٣) ، فراودته فأنفق قوى الفوار (١٤) وما استبقى فاستبقا فامتدت يد العدوان

---

١) فض : تفرق وانتشر . (٢) ÷ : ح

٣) هكذا في نسخة م ، أما باقي النسخ : سالكا سلكا .

٤) الفت : الدق والشق . (٥) السبب : المفازة .

٦) وردت قصة ذي القرنين في سورة الكهف من الآية ٨٣ ــ ٩٧ ، وانظر الجامع لاحكام القرآن جـ١١ ص ٤٥ ومابعدها . وتفسير ابن كثير جـ٣ ص ١٠٠ ــ ١١٠ .

٧) فلما أصحروا : أي فلما دخلوا في الصحراء .

٨) المقت : البغض (٩) يريد غيابة الجب أي قعر البئر

١٠) " وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين " يوسف آيه ٢٠

١١) العزاز : الموضع المرتفع والمراد المكانة الرفيعة .

١٢) اشارة الى قوله تعالى : " وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون " يوسف آيه ٢١

١٣) فري : تحير ودهش . (١٤) قوى الفواد : ح

١٥) ÷ : ح ، ك .

واختارت كيده فاختارت درة (١) فهمه صدف الحبس لجهل الناقد فلما ضاق قفص الحصر على بلبل الطبح ترنم بصوت أذكرني (٢) فحوقب بايثاق بابه ، فلبث ، ولما طلك هواه يوم شق القميص جاؤا (٣) وقد بدل نهار كل رخيص بحلك ، فعم غم القحط أرض كنعان حين خسول (٤) ، فدخل اخوته عليه فما عرفوه (وعرفهم ولا بما جرى في الأول عرّفهم) (٥) فسأل عن الوالد فسال دمع الواجد .

ايه أحاديث نعمان وساكنه ∴ ان الحديث عن الاحباب أسمار

أفشي الريح عنكم كلما نفحت ∴ من نحو أرضكم نكباء مفطار

فقالوا لنا أب شيخ يقرأ عليك السلام فانتفض طائر الشوق لذلك الكلام فهيج أحزان الفؤاد وما يدري وقال مقول إبدائه بعبارة صعدائه (٦) :

خذي نفسي ياريح من جانب الحمى ∴ فلاقي به ليلا نسيم ربانجد

فان بذاك الجو (٧) حيا عهدته ∴ وبالرغم مني أن يطول به عهدي

ثم احتال على أخيه بحيلة جعل السقاية ، فلما دخل وقت التهمة أذن مؤذن فعادوا الى أبيهم بحُفر (٨) في عقر (٩) حُفار (١٠) ، فقام وقد تقوس وعسا على باب عسى (١١) فلما رجعوا من قفر (١٢) الفقر ، فاستلقوا في ساحة الضر ينادون عن غليل عليل الذل ، وتصدق علينا ، تالله لقد جوزيت أيد مدها تغشرم وشروه ، ان مدت (١٣) في طريق ذل وتصدق علينا (١٤) .

---

١) + : خ ، ك (٢) " وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن " بضع سنين " . يوسف آية ٤٢

٣) أرض كنعان : أرض فلسطين ردها الله للاسلام والمسلمين .

٤) أي حين تولى يوسف عليه السلام وجعل أمينا على خزائن مصر .

٥) مابين القوسين + : ح

٦) الصعداء : تنفس طويل . والمعنى أن لسان حاله قال ذلك .

٧) فان بذاك الحي : م (٨) العقر : الجرح

٩) عقر كل شيء : أصله ، وعقر الدار أصلها وقيل وسطها . (١٠) العقار : المنزل

١١) تقوس وعسا : أي كبر . (١٢) عسى هنا للترجي .

١٣) القفر : الخلاء من الأرض . (١٤) وفي نسخة : يا لله لقد جوزيت أيد مدها بعشر من ، وفي هامشها مدها بعشر من المدد أي أعطى بكل واحدة عشرا .

١٥) أنظر قصة يوسف عليه السلام قصص الأنبياء ص ١٢٠ ومابعدها وقصص القرآن ص ٧٨

قلنا : قد حدثتنا عن يوسف في نعمائه ، فحدثنا عن أيوب وبلائه .

فقال : جمع بين كثرة الأعمال والمال فقال ابليس : ان سلطتني عليه ألقيته في الفتنة ، فألفيته (١) من المفتونين بالفتنة ، تسلط على ماله وجسده ، فما يتغير رضاه عن سيده ، وتقطع الجسم وداد ، وما تقطع رسم الوداد فدام عليه البلاء سنين وفدام (٢) الصمت عن الشكوى على فيه فيه يبين ولم يبق غير اللسان للذكر ، والقلب للفكر ، فلو أصغى الى نطق حاله سمع فهم ، لسمع من الزفاء (٣) ألذ ما يناجي به الحق .

محا بعدكم تلك العيون بكاؤها ∴ وغال بكم تلك الأصالع غولها
فمن ناظر لم يبق الا دموعه ∴ ومن مهجة لم يبق الا غليلها
دعوا لي قلبا بالغرام أذيبه ∴ عليكم وهنا في الطلول أجيلها

فكان نثار الرضا على واديه بعد أن جرى ذا جرادا ، من ذهب ثم عوفي ورد عليه كلما ذهب ، وجاءت امرأته وعليه اليمين في ضربها وماكان يحسن في مقابلة صبرها (أن يضربها) (٤) ، فأقبل لسان الوحي يتلو فتوى الرحمة ويراعي ما سبق من مراعاة رحمه (٥) ، وخذ بيدك ضغثا " (٦) .

فقلت : أيها الفرد العليم ، والفذ الكريم ، اذكر لنا قصة الكليم .

نقال: كانت الكهنة قد أخذت من علومهم بوجود موسى ، فما طلعه من زجى

---

١) ألفيته : وجدته .
(٢) الفدام : شيء تشده العجم والمجوس على أفواهها عند السقي ، وهو أيضا ما يشد على فم الابريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب الذي فيه . وفي الحديث : انكم مدعوون يوم القيامة فمدموا أفواهكم بالفدام : أي أنهم يمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم وجلودهم .
٣) الذماء : بقية النفس .
(٤) ـ : ج ، ك
٥) رحمه هو اسم زوجة أيوب عليه السلام .
(٦) " وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب " من آية ٤٤
والضغث : الحزمة من الحشيش أو القش .
٧) أنظر قصة أيوب عليه السلام ص ٣٤ قصص الأنبياء ، ص ٢١٨ قصص القرآن .
٨) فقلنا : ك .

الأطفال الموسى ، فدخل الحرس بيت أمه للطلب ، فألقته في التنور (١) القماء الحطب ، فلما خاطبها وما دعته للسمد تم ، ثم أودعته فيما بعد اليم (٢) ، ثم أدركها وَجْدَ المُحب بأحبابه ، فصدرت بصدر لا يعرف قدر ما به الا من قد رمى به ، فحيث خبب (٤) النيل لبيان آثار الصون (٥) شرعت في تناوله شرعة دار فرعون ، فألقته في بريّته فالتقطه فأمر بقتله خرفا منه فحامت حوله آسية (٦) فحامت عنه (٧) ، فلما قص الشوق جناح صبر أمه قالت لأخته قصيه ، فبصرت به في حريم وحرضا فدبت فدبدبت (٨) حول الحيلة : هل أدلكم ؟ فلما أقامت على باب المكر حارس يكفلونه لكم دخل طفيلي الوجد من باب وهم له ناصحون ، فقرّ (٩) في حجر الأم كي تقر عينها ، فلما جرى القدر بقتل القبطي (١٠) فرّ (١١) الى شِعبٍ شعيب فاجتمع شمل الصهر فلما خرج بأهله من مدينة مَدْيَن (١٢) انطلق بها طلق الطلق فمازال يكادح (١٣) المقادح فلم تور لأن عروس نار الطور لما همّت بالتجلي نودِيتْ النيران غضّوا ، فقام في حير التحير (١٤) أنيس أنسي فآنس (١٥)

---

١) التنور : كانون يخبز فيه

٢) يم : أصلها يا أم ، وهو يشير الى قوله تعالى : " وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه ، فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين القصص آية ٧ .

٣) أليم : البحر .

٤) الخبب : ضرب من العدو والسرعة ، والخب : هيجان البحر واضطرابه .

٥) الصون : الظهير

٦) آسية : هي زوجة فرعون

٧) حامت الأولى : قربت ودومت والثانية : دافعت .

٨) فدبت قدندنت : ح ، ك ، م ـ دبت : مشت على هينتها .

٩) " وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين (١٠) وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون (١١) وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون (١٢) القصص

١٠) القلم : ح

١١) القبطي : هو الذي قتله موسى عليه السلام وهو من شيعة فرعون .

١٢) أي جاءها المخاض .

١٣) المقادح : جمع مقدح وهو حديد الزند .

١٤) في حيرة : ك

١٥) مابين القوسين ناقص : ك .

ياجار ان الركب قد جاروا * فاذهب تحسس لمن النار

تبدو وتخبو ان خبت عرسوا (١) * وان أضاءت لهم ساروا

ما نظرة الا لها سكرة * كأنما طرفك خمار

فلا تكن أول من غرنا * كل مليح الطرف غرار (٢)

فلما ذاق لذة التكليم ناداه توق (٣) شوقه ، أوان أنت في هذا الأوان (٤) ، فانبسط الوجد يقول أرني فأعطى تملة فان استقر (٥) ثم استعجل لمحاربة العدو الى أن قبر القتيل (٦) في لحد اليم ، فطلب قومه كتابا يرد (٧) نادهم فأمر بالصوم فصام أربعين ليلة لا يستمين بطعام نهاره وليله فدام فدام (٨) فيه عن طلع المطعم فقيد قوت الوقت فصار في ذكر الوعد ، فلما حضر المحرم الميقات سليم الاحرام من تخليط ، وسيط له من شراب المنى في المناجاة بلا وسيط ، فلما تمكن من مني المنى قال قومه : من أعلم الناس ؟ فقال : أنا ، فدل على الخضر فتاه ، وفتاه دون جيشه ، فاجدب في صحبة الخضر خضر عيشه ، لقيه بذل هل اتبعك ؟ فتلقاه برد لن تستطيع (١٠) ، فسامحه في نومة السفينة ، ثم عاتبه في قتل الغلام ،

---

١) وقفوا : ح ، ك

٢) البيتان الثالث والرابع ناقصان : ح ، ك

٣) التوق : الشوق .

٤) أوان أنت في هذا الأوان : أي أضعيف أنت في هذا الحين .

٥) " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين " . الاعراف آية ١٤٣

٦) ربما يريد بالقتيل الذي قتله بنواسرائيل فآداروا فيه .

٧) نادهم : شاردهم

(٨) الفدام : مايشد على الفم عند السقي .

٩) سيط : مزج

١٠) " قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا (٦٦) قال انك لن تستطيع معي صبرا (٦٧) الكهف .

ثم أراق ماء الصحبة في جدار الأيتام ، ثم شفى الخليل بشرح علل ما فعل ، فسردها عليه فصلا فصلا بلسان انسان يقول فصلا ، وكلما ذكر له أصلا أصلا لم يبق لموسى عين تراه أصلا ، وكلما سلّ من حر العتاب نصلا صاح لسان حال موسى : كم نَصْلَى (١) ؟ فألقى تفسير الأمور على الكليم ، وأملى والقدر يقول : أهو أعلم أم لا ؟ (٢) .

ثم أخذ الفكر يُذكّر نَفْسَيْ موسى أتنكر خرق السفينة خوف الغرق ، وتنسى فألقيه في اليم واتلاف شخص وتنسى القبطي وعملا بلا أجره ، وما تذكر فسقى لهما (٣) .

ثم قال أبو التقويم حسبكم فقد أَقَلَّ النوم ، وقد زلَّ من أملَّ القوم . قلنا : فمتى الوعد لنأتي ؟ قال : الليلة التي بعد اليوم الآتي . فانصرفنا نعد الدقائق ونحن ننتظر اللقاء انتظار العاشق .

---

١) نصلا الأولى : السهم ، ونصلى الثانية : تكتوى وتحترق .

٢) ذكرت قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح في الآيات من ٦٠ - ٨٢ من سورة الكهف .

٣) أنظر قصة موسى عليه السلام ص ١٥٥ وما بعدها - قصص الأنبياء .

المقامة الرابعة

فيما سبق

كابدنا لوعد أبي القوم ما كابدنا (١) ، وقلنا أسرع الانقضاء بما توعدنا فلما أقبل الليل أقبل كما وعدنا ، فوثبنا ووثبنا (٢) وسادة سيدنا ، فقال : الكريم من راقب من الوعود عود فأي قصة توعدون ؟ .

قلنا : داود .

فقال : لما حُلّيَ (٣) حِلية النبوة ، ولقن فضل فصل الخطاب أطرب شدو شكوه سمع القبول فمنحه اقتطاع يا جبال أوبي معه والطير (٤) ، فأعجبته سلامة الحِصة ، فتجهز للاجتهاز على جرحى الزلل ، فرماهم بسهم لا تخفر والقدر قد أترع (٥) له مما سيمض عليه الأناملُ ملء الاناء ، وملأه في درع ليالي الفتن فما قدر الدارع على رده بدرع وقدر في السرد .

واذا رامى المقادير رمى ∴ فدروع المرء أعوان النصال

لاحت له في حمى دعواه حماقة من ذهب ، فذهب يصيدها فوقع في عين شرك عينه (٧) .

---

١) أي لحق بنا لوعد أبي القوم ما ألمنا . (٢) وثبنا : أعطينا

٣) " وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب " ص آية ٢٠

٤) " ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد " سبأ آية ١٠

٥) أترع : ملأ

٦) يقال ليلة دوعاء : أي يطلع قمرها عند الصبح ، والدرع : ثلاث ليال بعد الليالي البيض سميت درعا لاسوداد أوائلها .

٧) يشير المؤلف الى ماقيل عن تعلق داود عليه السلام بسابغ بنت شائع وزواجه منها في حين أنها كانت مخطوبة لأوريا بن جنان ، وانني أنزه نبي الله داود عليه السلام مما تردى فيه كثير من المفسرين والكتاب حول هذه القصة الملفقة . أنظر هذه القصة في تاريخ اليعقوبي جـ١ ص ٣٨ .

ظن فداد الخيف أن قد سلما ∴ لما رمى سهما وما أجرى دما

فعاد يستقرى حشاه فاذا ∴ فؤاده من بينهم قد عُدما

لم يدر من أين أصيب قلبه ∴ وانما الرامى درى كيف رمى

فجنا (١) على عتبة عتابه بأعتبه (٢) لا تخف خصمان فقضى على نفسه بصريح لقد ظلمك (٣)
فألمعا (٤) معا معانى المعاصى ففطن ففت (٥) فى الفتى الفاتن فَتن (٦) فتياه ، فظن
داود أنما فتناه ، فنزل عن مركب العز الى مسن مسجد الذل ، وافترش فراشا
من أسى فى بيت الأسى ، وذرر زُرمانقة (٧) الخوف على شعار (٨) القلق فأسكت
الحمائم بنوحة ، وشغلها عن صدحها بصوته ، فشرب عرق المشب من عين
عينه وحشا سبعة فُرش رمادا (٩) ثم فرشها فرَشها بماء رمى من داء الحشا ،

---

(١) فجنى : ج (٢) الأعتبه : ما تعتب به

٣) يشير الى قوله تعالى : " وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب (٢١) اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط (٢٢) ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزنى فى الخطاب (٢٣) قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب (٢٤) سورة ص .

٤) ألمعا : أشارا وبينا (٥) فت : فتح

٦) الفاتن : المفتون ، والفتن : الاحراق . هكذا فى هامش النسخة المخطوطة .

٧) الزرمانقة : جبة من صوف مضرب .

٨) الشعار : هو ما تحت الدثار من اللباس وهو يلى شعر الجسد . والمراد أن داود عليه السلام أصبح مضطربا خائفا .

٩) كأنه أحرقها بحاله . هكذا فى هامش نسخه ج ، وهذا كناية عما لحقه من وجد .

ولم يزل يغسل العين من عين العين (١) ولسان المتاب يقول يابُعد النقا (٢) الى أن نجاه من المهالك فغفرنا له ذلك (٣) .

فقلنا حفظك الله على أهل الايمان قصة سليمان .

فقال : أُعطى مالم يُعط أحد ، فشكر المُعطى وماجحد . راحت الريح بواده على وادى النمل ، فنادت نملة اخواتها بنَدْه (٤) لايحطمنكم ، فتبسم (٥) افتقر فى القفر (٦) الى الماء وقد غاب الهدهد فتواعده بلفظ لأُعذبنه ، فأتبل ببهت ذكى أحطت بما لم تحط به (٧) ، فحمّله كتاب انذاره فألقاه اليهم من قارة (٨) مقاره ، فلما رأت (٩) الرسول يحرك الجناحين (يحذر من خارف ان جرى جنى الحين (١٠) صاداها (١١) العقل والفهم فصاداها فى فخ القسر كريم (١٢) ، فصاح (١٣) فصيح ذكائها انى ألقى الى كتاب كريم (١٤) ، وعلمت أن من جنده الطير لا يُحارب ، ثم بعثت رائد الفهم بهدية ، ليقرّ لها بالدليل بين صحة

---

١) من عين العين : أى من ذات العين أو من مائها .

٣) النقا : الاختيار . (٣) " فغفرنا له ذلك ان له عندنا لزلفى وحسن مئاب " سورة ص آية ٢٥ . أنظر قصة داود عليه السلام ص٣٠٣ قصص الأنبياء ، ص١٨٢ قصص القرآن . (٤) الندء : الزجر .

٥) "حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون (١٨) فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين " (١٩) النمل

٦) القفر : الخلاء من الأرض . (٧) " لأُعذبنه عذابا شديدا أولأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين (٢١) فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين (٢٢) النمل . (٨) القارة : الأكمة .

٩) الضمير فى رأت عائد على بلقيس ملكة سبأ .

١٠) مابين القوسين ناقص : م ، الحين : الهلاك والمحنة .

١١) هاداها : ح ، وفى النسخة المخطوطة صادى : عارض . (١٢) القسر : القهر والغلبة .

١٣) كريم : أى كغزال . (١٤) " قالت ياأيها الملؤا انى ألقى الى كتاب كريم النمل آية ٢٩

الدعوة (١) وفساد الدعوى (٢) ، فصدها بأنفة أتمد ونني (٣) فأقبلت مُسلمة (٤) مسلمة .

ثم قال للجماعة مهيم (٥) . قالوا : قصة عيسى بن مريم .

فقال : حنّت حنة (٦) الى ولد فكبر عليها امتناعه ، واستولى الكبر فرأت يوما طائر يزق فرخا فرحا ، فرجى أملها البؤسى فرجا فرجّا (٧) ، فسألت عند هذه القصة ولديها ولدا (٨) ، فلما علمت بالحمل أكسبها السرور ولها (٩) فوهبته بلسان النذر لمن وهبه لها فقال القدر : يالك التصوير اجعل الحمل أنثى ليبين أثر الكرم في قبول الناقص ، فأقبلت بها الأمم توم بيت المقدس فلبس القوم لأمتهم (١٠) في حرب يلقون أقلامهم (١١) ، فثبت قلم زكريا اذ وثبت فكفلها (١٢) اذ فأراه السبب غناها عن السبب ووجد عندها رزقا (١٣) ، فلما بلغت أصحرت (١٤) فأقبل الى البرىء البرى يريد (١٥) ، فأرسلنا اليها روحنا ، فنفخ في جنب جيب الدرع

---

١) الدعوة : المرة الواحدة من الدعاء ، والدعوة أيضا الاسم من الدعاء وهو النداء ، ودعوة الاسلام هي كلمة الشهادة التي يدعى اليها أهل الملل الكافرة .

٢) الدعوى : اسم لما يدعيه .

(٣) "فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتان الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون" النمل آية ٣٦ .

٤) أنظر قصة سليمان عليه السلام ص٢٣٧ وما بعدها قصص الأنبياء ، ص١٩٠ وما بعدها قصص القرآن وورد ذكر سليمان عليه السلام في سورة النمل من آية ١٥ ـ ٤٤ ، وسورة سبأ من آيه ١٢ ـ ١٤

٥) مهيم : أي ما القصة

(٦) حنه : اسم أم مريم عليها السلام .

٧) فرجا الأولى من الترجي والثانية : الفرج . (٨) يحتمل أن يكون هذا سهوا من الناسخ والصواب ولديها ولها .

٩) الوله : الحيرة وذهاب العقل . أي حزنا .

١٠) لأمتهم : دروعهم .

(١١) "ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وماكنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وماكنت لديهم اذ يختصمون" آل عمران آية ٤٤ ، وأقلامهم : سهامهم التي يستسهمون بها ويقترعون .

١٢) حينما قدمت أم مريم ابنتها لبيت المقدس وفاء لنذرها رغب زكريا عليه السلام في كفالتها والقيام على شئونها حيث كان زوج خالتها ، ولكن سدنة بيت المقدس وأحباره تنازعوا فيما بينهم حول كفالة مريم فاحتكموا للقرعة ، وهيأوا للأمر عدته وكانت من نصيب زكريا عليه السلام وأما لبس القوم لدروعهم فهو كناية عن تنازعهم وتهيأتهم للقرعة .

١٣) "فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب" آل عمران آية ٣٧ .

١٤) أصحرت : سارت في الصحراء .

١٥) البريد : الرسول .

فمرت المرأة حاملا في الوقت ، فلما علمت أنت ، فأخرجها الحياء الحي عن الحي فلما فأجأها وقت الوضع " فأجاءها المخاض الى الجزع " (١) تحيرت من وجود ولد وما فجرت ، فجرت عين الدمع فصاح لسان الخفر (٢) بلسان الندب : ياليتني مت قبل هذا فأجرى لها في أواني الأوان سريا ، كما وهب لها من الغلمان سريا (٣) ، وهزت جزم (٤) جذع ما ثل مثل الحطب فتساقط عليها في الحال رطب الرطب ، فانقضت أيام النفاس وفاتت ، فأتت به قومها فنادوها اذ ماشاهدوا قط أختها : " يا أخت هارون " (٥) ، فأضجروا (٦) مريضا قد ضنى من أنين أنسى على فراش ياليتني مت ، (فأشارت اليه ضمنت عن اقامة الحجه فوكلت) (٧) ، فأخذت السنة تعجبهم تمج (٨) بهم كيف نكلم ؟! فقام عيسى يمخض أوطاب (٩) الخطاب على منبر الخطابة اني عبدالله ، ولقد فرك (١٠) الدنيا فطلقها أي تطليق (١١) وأبغضها ولاكبغض الرافضي الصديق (١٢) .

فصاحوا به : لازلت تحبق ، قصة يحيى ، فقال :

لما قام زكريا باقامة الاقامة لمريم فرأى وكيل الغيب يأتي بالمراد في كِنَ كُنَ ،

---

١) مريم آية ٢٣

٢) الخوف : ح ، والخفر : شدة الحياء .

٣) سريا الأولى : النهر والثانية : السيد والوجيه من الناس .

٤) الجذم : الأصل

٥) مريم آية ٢٨

٦) أضجروا : تبرموا .

٧) مابين القوسين ناقص : م

٨) تمج : تصيح .

٩) يمخض : يحرك ، الأوطاب : جمع وطب وهو سقاء اللبن . والمراد أن عيسى عليه السلام أخذ يستخرج زبد الكلام وفصيحه .

١٠) مريم آية ٣٠

١١) فرك : بغض وترك

١٢) الرافضي : نسبة الى الرافضة وهم فرقة من الشيعة كانوا يبغضون الشيخين أبوبكر وعمر رضي الله عنهما . أنظر قصة عيسى عليه السلام في قصص الأنبياء ص ٣٧١ ، قصص القرآن ص ٢٤٣ . وقد ورد ذكر مريم وعيسى عليهما السلام في سورة مريم من آية ١٦ — ٣٤ وفي سور أخرى من القرآن الكريم .

وكان اذا خرج ثَمَّ (١) جاء فاجأهم الثمار (٢) قد ثُمَّت ، فكم قد ألفى ألفاف (٣) الفاكهة الفائقة لافى حينها فنبهت هذه الآية راقد طمعه فى الولد بعد أن أطال وسنه (٤) سِنه ، فسَنَّ (٥) على سُنة وجهه (٦) ماء رجاء ما أسن (٧) مما لم يتسنه (٨) وقام الدردح (٩) بعد أن تقموس وتسمسح (١٠) وعسى (١١) على باب عسى (١٢) ، فسرى سره سرا لئلا ينسب الى فَن من إفن (١٣) ، وشكى ماشيك به (١٤) مما حل من حل التركيب وشيكا فى (١٥) كلمات هن : وهن المظم منى ، فحمل قصته بريد الأمل الى من عوّد العود المَعود (١٦) بكشف الجوى (١٧) فى الجواب ، فاذا بيت أمله بوجود (١٨) يحيى يحيى كان الصبيان يقولون له هلم فلنلعب فيقول : انما خلقنا للعبء لا للعب (١٩) اقتنع بمسك (٢٠) الحيوان عن السب والشف والمشبرق (٢١) ، وشغله عن رقش الدمقس (٢٢)

---

١) ثم : هناك (٢) ثُمت : جمعت

٣) الألفاف : الأشجار الملتفة والمراد : أصناف الفاكهة المختلفة

٤) الوسن : شدة النوم أو أوله أو النعاس .

٥) بعد أن طال وسنه سبعين سنة : م (٦) سن الماء : صبه وفى ح : نمن أى رش

٧) سنة الوجه : دائرته . (٨) ما أسن : ماتغير .

٩) لم يتسنه : لم يتغير مع مرور السنين . (١٠) الدردح : الكبير .

١١) تقموس وتسمسح : كبر . (١٢) عسى الأولى : دنا ومن معانيها أيضا الطمع ، وعسى الثانية الرجاء .

١٣) الافن : العيب .

١٤) ماشيك به : ما أصابه .

١٥) المعنى : أنه شكى الى الله ما أصاب جسمه من ضعف وتحلل .

١٦) " قال رب انى وهن العظيم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا " مريم آية (٤)

١٧) العود : الرجوع (١٨) الجوى : الحزن وشدة الوجد ، والجواب : الاجابة .

١٩) للتعب : م

٢٠) مسوك : ك ، والمسك : الجلد وجمعها مسوك .

٢١) السب : ثوب رقيق وكذلك الشف والمشبرق . والمراد أنه كان يقنع بلبس الثياب المصنوعه من جلود الحيوانات ويزهد فى الأثواب المنمقه .

٢٢) الدمقس : النقش والتزيين ، والدمقس : الحرير .

ونقش القشب (١) (مالف) (٢) مالف (٣) مما لفق (٤) ، ولم يزل معول دمه يحفر ركيته (٥) حفره حتى بدت أضراس فمه فيه (٦) .

فقلنا : لازلت كهفا (٧) للأصحاب ياعليم بقيت قصة أصحاب الكهف والرقيم (٨) . فقال : أخبرتهم ألبابهم خبر الخالق فخرجوا للكرب والوجد من المضايق ، فما راعهم الا راع رافقهم فوافقهم كلبه فأخذ وا في ضربه لأنهم ليسوا من ضربه ، فصاح لسان حاله (٩) : لا تطردوني لمباينتي بين جنسكم ، فان معبودكم ليس من جنسكم ، فأريح الأضياف من تعب السفر بالقاء النوم عليهم ، فأقبلت يد الحراسة تقلب أجسادهم لتسلم من إفن (١٠) عفن ، فخرج الملك بجم جمعه في طلابهم ، فاذا بهم (١١) فسد الباب وماوعى على وعاء مسك فما ضاع حتى ضاع الكنز (١٢) في بيداء الهلاك (١٣) ، ففتح بعض الرعاة باب كهفهم ليحرز فيه الغنم ، فهب (١٤) الهواء فهب الرقود ، فخرج رئيسهم في ثوب مستنكر وضلت معرفته بالمعاهد فمد بالدرهم الى بائع الطعام باعه (١٥) ، فأنكر درهمه ومابعه ، فأخبرهم خبر أصحابه فساروا معه في عسكر التعجب فسبق الى أقرانه فأنبأهم نبأهم ، فعادوا الى موضع المضاجع فوافتهم الوفاة وفات لقاؤهم .

---

١) القشيب : جديد الثياب .
٢) — : ح ، ك ، م .
٣) مالف : ماجمع .
٤) لفق الثوب يلفقه : ضم شقة الى أخرى فخاطها .
٥) السركية : الحفرة والبئر .
٦) انظر قصة يحيى عليه السلام — قصص الأنبياء ص١٦٩ ومابعدها .
٧) كهفا : ملجأ .
٨) الرقيم : اسم جبل أهل الكهف أووادييهم أو كلبهم أو اللوح الذي كتب فيه خبرهم
٩) فان معبودكم معبودي وهو ليس من جنسكم : ح
١٠) الافن : العيب .
١١) ضاع : انتشر .
١٢) ليحرز : ليحفظ .
١٣) + : م
١٤) أي ضلت معرفته بالمواضع المعهوده لديه .
١٥) باعه : يده

ثم قال : هل بقيت ملحة عزيزة تطلبونها ، أو نكتة غريبة تعلمونها

فقلنا : قد بلّغتنا نهاية سؤلنا وقد بقيت قصة رسولنا .

فقال : ما ألزمها بالذكر وأحقها ، ولكن قد أخذت هذه الليلة حقها فتعالوا الليلة التي بعد غد ، وتناولوا من طعام الفصاحة الرغد (١) فانصرفنا نراقب خضاب الليل (٢) حتى نضى (٣) ، ونراعي لحظات اليوم حتى انقضى .

---

١) الرغد : الطيب .

٢) خضاب الليل : سواده .

٣) نضى : ذهب .

المقامة الخامسة

فيما سبق

اجتمع وجوهنا لوعد أبي القوم فاحتبس ، فأخذت وجوهنا تقرأ سورة عبس ، وكلما حرك ماش الأرجاء (١) قرأنا هل أتى ، وكلما تفاءل أحدنا بجاء قال الآخر متى ؟ الى أن طلع طلوع الهلال ليلة العيد . وقال : عاقني شغل والطريق بعهد ، ومعاذ الله أن أعد وأخلف ، وسأغرم ما فاتكم وأخلف (٢) ، ان خلف الوعد خُلق الوغد ، قلنا قلونا مخلقة بنبأ نبينا ، قال : اسمعوا ملخصا مبينا ، (٣) خلق نبينا من أرض الأراضي أرضا ، واصطفى من أصفى الأوصاف وصفا ، وعين كل أب له من الزناء حفظا للجوهرة لا للإناء فأضحت كل أم من السفاح آمنه الى أن صدفت بتلك الدرة صدفة (٤) أمنه ، فوثبت لرضاعه ثويبه (٥) ، ثم قضت باقي الدين حليمه ، قدمت والجدب عام (٦) في العام ، فرحلت به الى حلتها (٧) ، فثاب (٨) لبنها ولبن راحلتها فباتوا لبركة رؤياه رواء ، وكان نباته يستعلج (٩) على سوقه ، ويستعجل قيام سوقه (١٠)

---

١) أي أرجاء المكان .

٢) أخلف : أصلح وأكرم عليكم ماذهب . (٣) بينا : ج ، ك

٤) الصدفة : فضاوة الدر .

٥) ثويبه : هي مرضعه الرسول صلى الله عليه وسلم في أيامه الأولى ، وهي جاريه عمه أبي لهب ، وقد أرضعته زمنا يسيرا ، كما أرضعت من بعد عمه حمزه فكانا أخوين في الرضاع . وتوفيت في السنة السابعة للهجرة .

٦) عام : منتشر .

٧) الحله : مجموعة بيوت يسكنها الناس أو هي ضمها المكونه في مائة بيت .

٨) ثاب : رجع .

٩) يستعلج : يطول ويغلظ .

١٠) السوق الأولى جمع ساق ، والثانية السوق المعروفة .

فنشأ (١) في حجر الكمال كما نشأ ، فشأى منشأ ، ثم جاءه الملك فشق عن القلب ثم شقه ، وما وجد لذلك (الامر) (٢) الصعب كلفة ولا مشقة ، فعلق بيده من باطنة باطنه علقه ، وقال هذا حظ الشيطان وقد قطعنا علقه ، (٣) ثم أعاد قلبه بعد أن قلبه ، ثم قلّبه وما به قُلبه (٤) ، ثم خرج مع عمه وقد زانه كالتاج تاجرا فتيم باليتيم فنزل (٥) ثيماء فرآه بحيرا ببحيرته (٦) ، فرأى سمات (٧) النبوه من شمائل يعرفونه فشام (٨) برق فضله (من سحابة تظلله) (٩) (١٠) فلاح من شيمه شامته (١١) ، فقال لعمه احفظ هذه الشامة من شامت ، فلما تمخضت حامل النبوة في ابان التمام أثر طلق الطلق (طلاء) الخلق فتحرا غار حراء للفراغ فراغ (١٢) اليه الملك فأغار خيل الوصل (١٣) بذلك الغار فأفاض عليه حلة أقرأ فأفاض الى حلة زملوني ، فسكّت خديجة غلته بحلة (١٤)

---

١) شأى : سبق والمعنى أنه عليه السلام قد سبق من تقدمه في الوجود .

٢) + : م ٣) العلق محركة الدم عامة أو الشديد .

٤) القلبه : الحمره . الحمرة أو الغيظ أو الجامد والقطعه منه بهاء .

٥) لما خرج محمد عليه السلام وهو في الثنية من عمره مع عمه في أول رحلة له الى بلاد الشام صحب القافلة حتى بلغ بصرى في جنوب الشام . وتروى كتب السيرة أنه التقى في هذه الرحلة بالراهب بحيرى ، وأن الراهب رأى فيه امارات النبوه على ماتدله أنباء النصرانية وتذهب بعض الروايات الى أن الراهب نصح أهله ألا يؤذوا به في بلاد الشام . (ص ١٣١ ـ حياة محمد) .

٦) فتحيربه : ح ٧) فقرأ : ح ، ك .

٨) يعرفونها : ح ، ويشير بقوله يعرفونه الى قوله تعالى " الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون . (البقرة آية ١٤٦) . ٩) شام : رأى ولمح .

١٠) + : ح ١١) الشامة : أثر أسود في البدن ١٢) راغ : مال

١٣) حبل الوصل : ك ١٤) الغلة : حرارة الجوف .

انك لتصل الرحم (١) ، ثم انطلقت به الى ورقة (٢) ، فقرأ من ورقة سيماه نقش فضله ، فتيقظ لفهم أمره اذ ناموا (٣) فقال : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ألبس اهاب الهيبة ، وتوج تاج السيادة ، وضُمخ بأذكى خلوق (٤) أزكى الأخلاق وأحل دار المداراة ، وأعطى لقطع مفازة الدنيا جواد الجود فهو هلال شهر الكمال وأمير جيش الجود وروح جثمان الكون ، وحُشاشة (٥) نفس المملكة خرست لما جاء به ألسُن الفصاحة . كل نبي خوطب باسمه : ياآدم ، يانوح ، ياموسى ، ياعيسى ونبينا خوطب بلقبه وذلك لشرفه ، وانما ذكر اسمه للتعريف وكل نبي فمعجزته مخلوقات الله تعالى كالناقة (٦) والعصا (٧) والطير (٨) ، ومعجزة نبينا كلام الحق ، كل نبي بعث الى قومه فهو كقاض صُقع (٩) ونبينا بعث الى الكل فهو كحاكم الحكام .

ولقد شارك الأنبياء في فضائلهم وزاد ، أين سطوة لاتذر من حلم احد قوسي أين انفراق البحر من انشقاق القمر ، أين انفجار الحجر من نبع الماء من بين

---

١) بعد أن نزل جبريل على محمد عليه الصلاة والسلام عاد الى خديجة رضي الله عنها وقلبه يضطرب خوفا وهلعا فسكنت خديجة روعه عليه السلام قائلة : " كلا والله مايخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق " . (أنظر حديث بدء الوحي ـ البخاري جـ١ ص٣ ، فتح الباري جـ١ ص٢٤ ٢) ورقة : هو ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى من قريش (نحو ١٢ هـ) حكيم جاهلي اعتزل الأوثان قبل الاسلام ، وامتنع من أكل ذبائحها ، وتنصر وقرأ كتب الأديان ، أدرك أوائل عصر النبوة ولم يدرك الدعوة وهو ابن عم السيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها . (الأعلام جـ٩ ص ١٣١) .

٣) والمراد : اذ غفلوا . (٤) الخلوق : ضرب من الطيب . (٥) الحشاشة : بقية الروح

٦) الناقة : معجزة صالح عليه السلام . (٧) العصا : من معجزات موسى عليه السلام .

٨) الطير : كان عيسى عليه السلام يصنع من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيصير طيرا باذن الله . (٩) الصقع : الناحية .

١٠) يشير الى قول نوح عليه السلام " رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا (٢٥) انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا (٢٦) نوح .

الاصابع [١] ، أين التكليم عند الطور من قاب قوسين [٢] ، أين تسبيح الجبال في أماكنها من تقديس الحصافي الكف [٣] ، أين علو سليمان بالريح من ليلة المعراج أين احياء عيسى الأموات من تكليم الذراع [٤] ، كل الأنبياء ذهبت معجزاتهم بموتهم ومعجزة الأكبر قائمة على مثار " لأنذركم به ومن بلغ " [٥] ، تنادي فأتوا بسورة من مثله " [٦] ، كسر سلطانه كسرى [٧] ، وأسرى رعيه فصارت الملوك أسرى فهذا القدر من فضائله يكفي ، وان كان لا يبلغ قدر عشرها وصفي ، وسأذكر فيما بعد من أحواله ما يشفي . فانصرفنا نعد الساعة بعد الساعة ، وصار يومنا كيوم الساعة .

---

١) يشير الى تفجر الماء من الحجر لموسى عليه السلام والى نبع الماء من بين أصابع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

٢) يلمح الى تكليم الله عز وجل لموسى عليه السلام عند جبل الطور ، والى تكليم الله عز وجل رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ليلة الاسراء والمعراج حيث أنزل منزلة لم ينزلها نبي من قبل : فكان قاب قوسين أو أدنى " (النجم آية ٩) .

٣) يشير الى تسبيح الجبال مع سيدنا داود والى تسبيح الحصى في كف المصطفى عليه الصلاة والسلام .

٤) يلمح أيضا الى معجزة عيسى عليه السلام باحياء الموتى بأمره والى تكليم الذراع المسمومة للنبي عليه السلام حينما قدمها له اليهود لعنهم الله .

٥) " قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ انكم لتشهدون ان مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد واننى بريء مما تشركون " (الأنعام آية ١٩) .

٦) " وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين " . البقرة آية ٢٣)

٧) كسرى : ملك الفرس .

المقامة السادسة

فيما سبق

حضرنا وانتظمنا (١) وانتظرنا في الليلة الآتية ، فأتى أبو التقويم بعبارات مواتية (٢) وقال (٣) : أتم من قصص نبينا عيون ماجرى ، فقلنا كما ترى ، فقال : لما أغارت قريش حبل الحيل عليه ، خرج الى الغار ، فغربت (٤) بالطلب فنبتت شجرة لم تكن قبل قبل الباب ، فأظلت المطلوب وأضلت الطالب ، وجاءت عنكبوت " (فحاكت وجه المكان) (٥) ، فحاكت ثوب نسجها وحمى اللطف الحمى بحمامتين ، فماكان الا أن سكتتا من الغار فما ، فما بان المستتر ، فاتخذتا عشا فغشيها (٦) من غشاء العشا (٧) على أبصار المفتقدين ، فصاروا كالاعشى ، ففرا (٨) الاعداء تلك الناحية فرأوا دليل فراغ الغار الغار (٩) ، فعادوا عمن عادوا (١٠) ، فلما رحل لقيه سراقه (١١) بن مالك فسرقت الارض قوائم فرسه فغرست الفرس فرست (١٢) (١٣) ،

---

١) ـ : ح ، ك

٢) مواتيه : ح ، ك . والمعنى بعبارات طيبه

٣) أغار : شد الفتل والمراد : لما أحكمت قريش حيلها .

٤) غربت : ذهبت

٥) ـ : م

٦) غشى : غطى

٧) العشى : سوء البصر بالليل والنهار والظلمة . والمراد أن العشى قد ستر الذين غشوا المكان أي أتوه ، بغطاء الظلمة .

٨) فرا الارض : سارها وقطعها .

٩) الغار الاولى المكان الذي اختبأ فيه الرسول عليه الصلاة والسلام وأبوبكر رضي الله عنه . والثانية اسم فاعل من الغرور .

١٠) عادوا الاولى بمعنى رجعوا ، والثانية من المعاداة .

١١) لحقه : ح ، ك

١٢) هو أبوسفيان سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي الكناني صحابي ، له شعر وله في الصحيحين ١٩ حديثا وكان في الجاهلية قائفا ـ القيافة : اقتصاص الاثر وإصابة الفراسة ـ أخرجه أبوسفيان ليقتاف أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج الى الغار مع أبي بكر رضي الله عنه وأسلم بعد غزوة الطائف سنة ٨ هـ توفي سنة ٢٤ هـ (ثمار القلوب ص ٩٢) .

١٣) غرست : ثبت وثبتت في الارض ، رست : توقفت .

فعلم بتلك المعاقبة العاقبة فقال : اكتب لي كتاب أمن ، فلما خرج البدر الى بدر رأى قلة العدد والمُدد ، فاستقبل قبلة الطلب ، فأقبلت سحابة تسحب ذيل النصر فسمع المشركون حمحمة (١) الخيل فحمّوا ، فنزلت الملائكة مع الالفين جبريل في ألفين وميكائيل في ألفين ، وأسرى اسرافيل (٢) في ألف مردفين (٣) فمدلوا كالغمائم قد سدلوا العمائم ، فأرسلت قريش رائدا فعاد بتأثير سالقي (٤) ، فحذر القوم العزل سهام المزائم فأثر عتبه في عتبه وكاد يشيب خوفا شيبه (٥) ، وأحكم حزام الحزم حكيم بن حزام (٦) وأبى الا الجهل أبوجهل (٧) .

فلزهم الطراد الى قتال ∴ أحدّ سلاحهم فيه الفرار

مضوا متسابقي الأعضاء فيه ∴ لأرجلهم بأرؤسهم مهار

---

١) الحمحمة : تردد صوت الفرس في صدره من غير صهيل . (٢) انبرى : ح ، ز

٣) في ألف مرد مردفين : ح ، ك (٤) اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان " . (الانفال آية ١٢) . (٥) هو أبو الوليد عتبه بن ربيعة بن عبد شمس كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية . أدرك الاسلام وطغى فشهد بدرا مع المشركين وقاتل قتالا شديدا فأحاط به علي بن أبي طالب والحمزة وعبيدة ابن الحارث فقتلوه وقيل أن الذي قتله هو عبيد بن الحارث . (رغبة الآمل جـ٢ ص٢٠٥ ، جـ٣ ص٢٣٧ ، بلوغ الأرب جـ١ ص٢٤١) . (٦) هو شيبة بن ربيعه بن عبد شمس القرشي سنة ٢هـ ، قتله حمزه بن عبد المطلب رضي الله عنه في موقعة بدر ، وهو من زعماء قريش في الجاهلية . أدرك الاسلام وقتل على الوثنية ، وهو أحد الذين نزلت فيهم الآية " كما أنزلنا على المقتسمين " وهم سبعة عشر رجلا — وقيل ستة عشر رجلا — من قريش اقتسموا عقبات مكه في بدء ظهور الاسلام ، وجعلوا يأبهم في أيام موسم الحج أن يصدوا الناس عن النبي — صلى الله عليه وسلم — ولما كانت وقعة بدر ، حضرها شيبه مع المشركين ، ونحر تسع ذبائح لاطعام رجالهم ، وقتل فيها .
(رغبة الآمل جـ٨ ص٢٨٦ ، سيرة ابن هشام جـ٢ ص٦٣٥) .

٧) هو أبوخالد حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى : صحابي قرشي . وهو ابن أخي السيدة خديجة أم المؤمنين ، كان صديقا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها ، وكان من سادات قريش في الجاهلية والاسلام عالما بالنسب ، أسلم يوم الفتح ، وعمر طويلا ، توفي بالمدينة قبل سنة ٥٠ ، ٥٨ ، ٦٠ هـ (الاصابة جـ٢ ص٣٤٩) .

٨) أبوجهل : هو عمرو بن هشام بن المغيره المخزومي القرشي (المتوفى ٢ هـ) كان أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم في صدر الاسلام وهو أحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية ، وكان يقال له : أبوالحكم " فدعاه المسلمون "أباجهل " استمر على جهله حتى كانت وقعة بدر الكبرى فشهدها مع المشركين فكان من قتلاها . (عيون الاخبار ، ص١٦٩ ، الاعلام جـ٥ ص٢٦) .

فسبحان من قدمه على من تقدمه آدم ومن دونه تحت لوائي "لوكان موسى وعيسى حيين ما وسعهما الا اتباعي"(١) ، فهو أول الناس خروجا اذا بعثوا ، وخطيب الخلائق اذا وفدوا ، ومبشر الخلق اذا يئسوا ، وكلام غيره قبل قوله لا يسمع(٢) واشفع تشفع(٣) ، وجواب الحبيب له قل يسمع فسبحان من فضل(٤) له من الفضل ما فضله ، وكساه من حلل الفخر الجم ماجمله ، أحيانا الله على كتابه وسنته ، وجمع بيننا وبينه في جنته .

فقلت له والله ماسمعنا أحلى من كلامك ولا رأينا أجلا(٥) من نظامك انه لأطيب من تغريد الأطيار على أفنان الأشجار ، وألذ من تجاوب الأوتار في أواخر الأسحار يسلب الماء رقته ، والنحل ريقته ، يخجل نظم العقود ويسكر لا ابنة العنقود(٦) ، اذا طرق باب السمع وقع القفل قبل الفتح فيدخل الأذن بلا اذن(٧) .

غني عن استئذانه في ولوجه

قلوبا عليها ألف باب وحاجب

فقال : الحمد لله على فهم قلوبكم وحضور أسماعكم . وهذه يدي ممدودة لوداعكم ، فودعناه وداع الروح البدن ، فأظهر من وجده بفراقنا ما بطن ، ثم جعل يترنم ونحن نتفهم :

---

١) هذا من حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه مسلم ١٣٤ .

٢) لا ينفع : ح ، ك

٣) يشير الى حديث الشفاعة الذي أخرجه مسلم من حديث أنس الطويل ج١ ص١٨١

٤) فض : نشر .

٥) ولا سمعنا : ك

٦) ابنة العنقود : الخمر .

٧) الفتح : فتح القفل من غير مفتاح .

ناديتهم والدمـوع تجرى * وقد دعا للفراق داعى

السم من ألسن الأفاعى * ألذ من قبلة الوداع

فقلنا : لاصبر لنا على فراقك فمننا بالرجوع قبل انطلاقك ، فأنشد :

اذا رأيت الوداع فاصبر * ولا يهولنك البعاد

وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادوا (١)

فرجعنا من وداع أبى التقوم رجوع الحميم من دفن الحميم .

---

١) أى أن قلبت كلمة الوداع صارت : عادوا .

المقامة السابعة

في

الحب وايثار محبة الحق

ساورني (١) فم غلب وناورني (٢) هم وشب فدرجت من أنيق (٣) وكرى
أضج من الأين (٤) ، وخرجت من ضيق صدري أعج (٥) لا الى أين ، فرأيت البرية
تبغي البريّة (٦) ، فقلت لبعض من خبر الخبر : مالي أرى الناس قد أسحروا وأصحروا (٧) ؟
فصاح : ياصاح نزل بهذه الساحة قبل الفصاحة ، ونودي بالتبكير الى مجلس
التذكير . قلت : فلِمَ تخير الناس الصحراء ؟ قال : لعجز الجامع عن
الجمع . فقوى لذلك توق (٨) شوقي (ولبى) (٩) ، حتى سعى قبلي قلبي فظهرنا
الى ظاهر البلد وقد استظهر الوالد والولد حتى فرغت الدور من مخبئات الخدور
وحضر الأمير والمأمور ، فاذا متقمسوهم (١٠) فقلت مجلس هذا مُهم ، فعلا منبرا
من برى (١١) وخشيته قد خشت الخلق (١٢) فكلمهم قد خشع لخشوعه ، وعرف قدر قيمة
من قد رقى (١٣) ، فحمدل (١٤) وحوقل (١٥) وحولق وحسبل (١٦) وهلل (١٧) وسبحل (١٨) ،

---

١) ساورني : أخذ برأسي .
٢) ناورني : غلبني وقتلني .
٣) الأنيق : الحسن المعجب .
٤) الأين : التعب .
٥) أعج : أصيح .
٦) البرية الأولى : الخلق والناس ، والثانية : الأرض الفضاء .
٧) أسحروا : خرجوا وقت السحر ، أصحروا : خرجوا الى الصحراء .
٨) التوق : الشوق .
٩) — : ح ، ك
١٠) المتقمس : الكبير وكذلك المهم .
١١) البرى : التراب
١٢) أي أن خشيته أثرت فيهم .
١٣) رقى : علا وصعد
١٤) حمدل : قال الحمد لله .
١٥) حوقل : قال لا حول ولا قوة الا بالله . وكذلك حولق
١٦) حسبل : قال حسبي الله .
١٧) هلل : قال لا اله الا الله .
١٨) سبحل : قال سبحان الله .

فرأيته فصيح العبارة ، صحيح الاشارة ، يفصل قيمة اللفظ على قدر المعنى .

لو أن سحبان(١) جاراه لأسجه * على فصاحته أذيال فأفاء(٢)

فقام اليه من بين الجمع سائل سائل الدمع فقال : يا أبا التقوم ما دواء من أبى التقوم؟(٣)

فقال : ان الطبع(٤) عليه طبع وصيقل(٥) الرياضة يجلو الدرن(٦) ، ومن صبر على مايكره نال ما يحب .

فقال السائل : أوضح لى مقصدى فقلبى قد صدى(٧) . فقال : طلق كواذب آمالك لتكون وارث مالك واجل حالك حالك بالصبر(٨) على ذلك ، ثم أنشد ليرشد :

أليس الى الآجال نهوى وخلفنا * من الموت حادٍ لا يغيب عجول

دع الفكر فى حب البقاء وطوله * فهمك لا العمر القصير يطول

ومن نظر الدنيا بعين حقيقة * تيقن أن العيش سوف يزول

وما هذه الأيام الا فوارس * تطاردنا والنائبات خيول

---

١) هو سحبان بن زفر بن اياس الوائلى من باهله ، خطيب فصيح يضرب به المثل فى البيان ، يقال : أخطب من سحبان " و " أفصح من سحبان " . اشتهر فى الجاهلية وعاش زمنا فى الاسلام وقد أسلم فى زمن النبى عليه السلام ولم يجتمع به و وأقام فى دمشق أيام معاوية . توفى سنة ٥٤هـ (خزانة الأدب للبغدادى جـ٤ ص٣٤٧) .

٢) الفأفأ : الذى يكثر ترداد الفاء اذا تكلم ، والفأفأة : حبسة فى اللسان وغلبة الفاء على الكلام .

(٣) ابى التقوم : رفض الاعتدال والاستقامة

٤) الطبع : الدنس .

٥) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاوها . والمراد بصيقل الرياضة : مجاهدة النفس وترويضها .

٦) الدرن محركة : الوسخ أو تلطخه .

٧) أى صدأ

٨) حالك حالك : أى سواد نفسك .

ثم لم يزل يذكر والناس يتوبون ويثبون الى المنبر أفواجا ويتوبون ، فاضلا بالبكاء والنحيب كل مكان رحيب ، وجب حبيب القلوب بكثرة الوجيب (١) ، فتخايلت في (٢) تلك الساعة لو أقامت أن الساعة قد قامت ، فقام مفئود (٣) في سربال كأنه من (٤) فقال بصوت ضعيف ودمع نزيف : يامن قد شفي هؤلاء المرضى ، أتقدر على دواء قد أشفى (٥) ، فقال : (أنصب) (٦) لي فرضك تصب غرضك . فقال : اني كتمت مابه بليت حتى بليت ، وليس مما يذكر فربما ينكر ، فتفرس في سؤالي وجوابي وان كان قد أفصح لك الجوى بي . قال : أظنك بت بسهم العين راشقا (٧) وأرسلت على صيد الحسن باشقا (٨) فصرت للشقاء عاشقا ، فأخرج لي ما تصولا بني قاعدة الجواب وأقر ، قال : اني رأيت قضيبا قضيفاً (٩) فاذا المطرهف (١٠) يهيف ، فسباني إدراج القد (١١) والذوائب (١٢) ، وما علمت أن الأرواح بالذوائب ذوائب . فتأملت الذلحلح (١٣) فاذا به سمعمع (١٤) ، وما علم قلبي الابله أنه أبلخ (١٥) فسدكت به (١٦)

---

١) جيب : قطع (٢) الوجيب : الخفقان

٣) المفئود : ضعيف الفؤاد وهو الذي أصيب في فؤاده .

٤) الشن البال : القربة اليابسة البالية من القدم .

٥) أشفى : أشرف . والمراد أشرف على الهلاك .

٦) ـ:ك ، أنصب بين (٧) راشقا : راميا

٨) الباشق : طائر من جنس البازي من فصيلة العقاب النسرية وهو من الجوارح ، يشبه الصقر ، ويتميز بجسم طويل ، ومنقار قصير بادي التقوس .

٩) القضيف : الدقيق (١٠) المطرهف : الجميل الحسن

١١) القد : القوام .

١٢) الذوائب : جمع ذؤابة وهي الناصية أو ضفيرتها من الرأس .

١٣) الذلحلح : الخفيف الجسم . (١٤) السمعمع : اللطيف الخفيف في عمله

١٥) أبلخ : ثائه

١٦) فسدكت به : قربت منه

فاذا هو قُناقن (١) ، فقال لي قد هلك من سلك سبيل البهالق (٢) ، فكم قد هوى به الهوى من حالق (٣) وان مرادك لا يُحمد من العيوق (٤) ، وأعز من بيض الأنوق (٥) ، ثم أظهر عنزهوة (٦) عين هوق (٧) ، وولى أعجل (٨) من برق ، فحطت باسراعه أثقل من ثهلان (٩) ، فلما استحال ببدره عني الغروب (١٠) ، سال لهجره من معنى الغروب فظننت أنه قد انقطع شريان الغمام ، فبت بليلة معلنكسه (١١) ، وأصبحت في يوم مصقر (١٢) ، فقال المذكر ويحك أسهل من هذه العبارة ، وأوسع من هذه العُبارة ، لينكشف صوح هذا الحادث لمن تحادث ، ولا يتناجى اثنان دون الثالث فقال : اني شخصت ليلة من الليالي أسري (١٣) ، فلقيت شخصا ملكني بأسري ، ثم استوثق فأوثق أسري ، فبقيت لا أملك شيئا من أمري ، وبهت لا أحلي ولا أمري (١٤) ، وما علمت أن السهام تصيب من يُرمى ، ولا أنه يباع في سوق الهوان من يشرى ، غير أن عذاره (١٥) قد أقام عُذري ، وغدائره (١٦) قد حرمت غدري ، ونحره قد شرع

---

١) القناقن : الذي لا يخفى عليه شيء والذي حنكته التجربه

٢) البهالق : الأباطيل .

(٣) الحالق : الجبل والمكان المرتفع المنيف

٤) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها . يضرب به المثل في شدة البعد .

(٥) الأنوق : الرخم تبيض في أعلى الجبال ولا يتوصل اليها .

قال الميداني تعليقا على هذا المثل : قالوا : الأنوق الرخمة وعز بيضها لانه لا يظفر به ، لأن أوكارها في رؤوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة ، قال الأخطل :

من الجاريات الحور مطلب سربها كبيض الأنوق المستكنة في الوكر

(ج٢ ص ٤٤ — مجمع الأمثال) .

٦) عن زهوه : ح ، والعنزهوه : الكبر والخيلاء والاعراض عن اللهو .

٧) قلبت هذه المادة فلم أجد لها معنى يناسب المقام .

٨) أسرع من برق : م

(٩) ثهلان : جبل معروف .

١٠) الغروب : الدمع .

(١١) المعلنكسة : المظلمة

١٢) المصقر : الشديد الحر

(١٣) أسرى : من السرى وهو المشي في الليل

١٤) أي لا أنطق بكلام حلو ولا مر ولا أفعل حلوا ولا مرا .

١٥) العذار : جانب اللحية

(١٦) الغدائر : الذوائب

في نحري ، وقوامه قد أثر كسوني ، وها أنا قد كشفت لك ستر سري فاغتنم في زجري أجرى ثم مال وقال :

يا نظرة نفت الرقاد وغادرت
في حد قلبي ما حييت فلولا
كانت من الكحلاء سؤلي انها
أجلي يمثل في فؤادي سؤلا

ثم أخذ يجول ويقول :

أردد ولي لوقضى الويل حاجة
وأكثر لهفي لوشفى غلة لهف
ضني في الهوى كالسم في الشهد كامن
لذذت به جهلا وفي اللذة الحتف (١)

ثم اشتد نحيبه والواعظ لا يجيبه والناس قد عجبوا لحرارة رضفه ، ووجموا (٢) لحرارة رضفه (٣) فقال : أيها الناس ان دمعي في انسكابه وصبيبه ، يشهد على وصبي (٤) به وان وجدي بحره ولهيبه يدل على ولهي (٥) به ، سلمت قلبي الى المحبة لتدريبه فسبي (٦) والنفس لا تدري به فقيل لي أجننت صاحبت تهذي به ؟ فقلت : كان قصدي لتهذيبه

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه * فمن المطالب والقتيل القاتل .

---

١) الحتف : الموت والهلاك .
٢) رجموا : ح ، ك ، وجموا : سكتوا وحزنوا .
٣) الرضف : الحجارة المحماة . والمراد لحرارة وجده وما به من جوى .
٤) الوصب : المرض
٥) الوله : الحزن أو ذهاب العقل حزنا .
٦) سبي : أسر .

ثم استراث(١) جواب الشيخ فاستغاث :

وما أدري اذا ماجن ليل * أشوقا في فؤادي أم حريقا

ألا يامقلتي دهتماني(٢) * بلحظكما فذوقا ثم ذوقا

فصاح المذكر به فسكت وقال : لتسمع الجواب نفس شكت ، (ياهذا احضر قلبك لما أقول وافهم عني المقول)(٣) ، اعلم انك في دار ابتلاء ، ومجاز مجازاه ، ووصف (ضيف)(٤) مجاهدة ، ومقام أجير فتصبر للبلاء وتماسك للاختيار ، فما أقصر نهار من أوفى العمل وما أوفى الأجر وليحذر المهمل من عقر(٥) عقرب عقوبة لولسبته(٦) لسبته ، لقد حضك الشرع على الغض(٧) ، لتنال بامتثال الحصن أوفى الحظ(٨) الأحظ فلم ، فاذا وقعت اذا في أذى ، فلم تضج من أليم الألم ، إنّ من تحوّن بالمنفقير(٩) لقسى الأمرين . تالله لقد تكاثف العبء على المولعب(١٠) صد لعب ، كم من شمردل(١١) عشوزن(١٢) شهم دمكمك(١٣) هوى به الهوى الى حضيض(١٤) لهلباجه(١٥) بهنا هو يتبختر معجبا في ثوب العيهل(١٦) ، مشى به العشق مشى القمهل(١٧) ، فأهواه هواه لما يهواه الى مقام مخذوب هوهاه(١٨) ، فما برّح(١٩) ما برّح(٢٠) به حتى أدلكه بتاريح البرح(٢١) ، وهل نفشت

---

١) استراث : استبطأ .
٢) مابين القوسين ناقص : ح
٣) ـ : ح ، ك ، م
٤) دهيتماني : ح ، ك ، م
٥) العقر : الجرح
٦) لسبته : لدغته
٧) الغض : خفض الطرف
٨) الحظ : النصيب في الخير والفضل
٩) المنفقير : الداهية .
١٠) المولعب : المغلق .
١١) الشمردل : حسن الخلق
١٢) العشوزن : الشديد
١٣) الشهم : الذكي
١٤) الدمكمك : الشديد
١٥) الهلباجه : الأحمق . والمراد الى مكانة الأحمق .
١٦) العيهل من كل شيء : البطيء لعظمه وترهله ومن يسبل ثيابه دلالا .
١٧) القمهل : القبيح المشية .
١٨) المخذوبا : الذاهب اللحم المهزول .
١٩) الهوهاه : الضعيف الفؤاد
٢٠) ما برح به : ما اشتد عليه
٢١) البرح : شدة الشوق .

غم النواظر (١) في زرع الوجوه النواضر الا وأغير على السرح (٢) . أما علمت أن السهام سهام للرامي إلا قِدح (٣) (البصير) (٤) فانه يقصد الرامي فلا تتعرض للتلف بالنبله ، ولا تعرض نفسك للهدف يا أبله . فقال السائل : الذي عندي من الآفات قد شُرح وقد فات ما ذبح ، وكم قد أجريت مع النفس والطرف عتابا ، والآن فالبعد والحتف قد أنابا ، لكن بعد أن تركاني نضوا (٥) ، وغادراني خِلوا (٦) .

عاتبت نفسي لما رأيت جسمي نحيلا

وألزم القلب طرفي وقال كنت الرسولا

فقال طرفي لقلبي بل أنت كنت الدليلا

فقلت كفا جميعا تركتماني قتيلا

هي أربعة أبيات

فقال الشيخ : تالله لو رددت نظرك سددت خطرك ، لكن اجتثثت أنفك بكفك ، وبحثت عن حتفك بظلفك ، وعلى الحقيقة انما قاموت بروحك فصابر فيما قاموت دواء جروحك ، اذ لابد من خياطة الكلوم وأن يحمل شدة ألمها المكلوم ، فهل

---

١) هذا من قوله تعالى : " وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم وكنا لحكمهم شاهدين " . الأنبياء آية ٧٨ .

٢) السرح : المال السائم .

٥) القدح بالكسر : السهم قبل أن يراش

٦) البصير : ك

٧) نضوا : مجردا . والمراد ضعيفا مهزولا .

٨) الشلو : بقية الجسد .

فيك ثبات لتلافيك (بدوا الامراض التي ثبتت فيك ؟) فقال (١) : أصبر ضرورة وأحج ضروره (٢) ، فقال : أنا أصور الدواء اليك ، وأصوغه فيما أتلو عليك ، وسأجمعه في أربعة فصول ليقضي (٣) داء العمر لادواء أربعة فصول .

الفصل الاول : أن تعلم النفس العاديه الغاديه في جواد هواها . عدو الجواد ، ان شرك العتاب (٤) قانص ، وعقاب العقاب بالمرصاد " ولا يعذب عذابه أحد (٥) فهل لجلدك جلد ؟

والثاني : أن تعرف قدر نفسك فلا تخصها في حب حبيبك (٦) ، انها لو كوشفت بالجنه وقرت للحق فلا تعقها عن المطلب الاعلى بالخلق ، فليثر (٧) من قلبك سحابة حميه ، تمطر ويل (٨) الصبر على الحمية (٩) .

والثالث : أن من ضرورة الحب الذل ولا أنف (١٠) الكريم أنف ، واللذة خناق من عسل ، وماعز يوسف الا بترك ماذل به من عز .

ولقد ضل من يحوي هواه خريدة (١١) ، وقد ذل من تقض عليه كعاب (١٢)

والرابع : التلمح بعين الفكر فيوب عيوب المحبوب ، والتأمل ببصر البصيرة باطن

---

١) مابين القوسين ناقص : ك

٢) يقال رجل صرورة : لم يحج ولم يتزوج

٣) لينهض : ح

٤) الشرك محركة : حبائل الصيد وما ينصب للطير ، والعتاب : الملام .

٥) الفجر آية ٢٥ .

٦) في حب جنسك : ك

٧) يثير : يهيج وينتشر .

٨) الويل : المطر الشديد الضخم القطر .

٩) الحمية : الأنفة .

١٠) الأنفة : اباء الضيم

١١) الخريدة : البكر لم تمس أو الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستتره .
والخفراء : شديدة الحياء

١٢) الكعاب : الجارية الحسناء .

بدن المطلوب ، أما علمت أن عاشق الصور جامد الفكر ، فلو ذاب ماذاب (بمن قدر عليه الموت والذهاب)[1] ، لو فكر العاشق في منتهى حسن الذي يسبيه لم يُسبه .

فقال : يامن قد تفضل وأجمل فيما فصل وأجمل ، قد شفني مرضي[2] وآذى وانحل فاختصر لي ما أفعل أفعل ، فقال : لو احتج للسمك[3] الف راق لم يشعروا لنفسك الا بالفراق ، ومتى كان في عزم البعد تضجيع فالمرض بعد ضجيع فالزم الزم[4] أولا وآنف بالا نفسة الطمع ثانيا ، وصح الى محبوبك بجزم العزم ثالثا .

تحملوا حملتكم كل ناجية * فكل بين عليّ اليوم مؤتمن

مافي هواد جكم من مهجتي عوض * ان مت شوقا ولا فيها لها ثمن

فقال السائل : فما فائدة ابتلائي بأشقى بشقه ومنائي في أن أقطع أفظع[5] شقه ؟ ، فقال : أُريت أنموذج ما أعد لك ، فاصبر قليلا ، تُمتع به طويلا انما اختبر خبرك ليعتبر جوهرك ، هل تترك ما تهوى لما تخشى ، أو توثر مايفنى على ما يبقى ، هل يخدعك لمعان سراب الأمل فتبدد الماء هل توثر الأرض أم تختار السماء ، بالله عليك لا تغرنك[6] المساقيل[7] ، فما ينفع اذا عسى قيل[8] ، ياسكران الهوى لو أنك صحوت وأفقت ، لبكيت على نفسك (وأشفقت) ، لأنك ضيعت بحب جنسك الوقت ، تالله لو ركد كدر دهن الذهن لسمت ذبالة المصباح[9] ، ولو راح[10] ظلام ليل الجهل للاح ضوء الصباح ،

---

١) مابين القوسين ناقص : ك (٢) شفني مرضي : أنحلني وأهزلني

٣) للسمك : أي لمرضك . (وأصل اللسع : اللدغ) .

٤) الزم : الشد . والمراد الزم الحزم وحبس النفس .

٥) أفظع : أشد وأعظم . (٦) لاتختار : م

٧) المساقيل : السراب (٨) أي اذا قيل عسى

٩) ذبالة المصباح : فتيلته . والمعنى أن الذهن لو صفا مما يشينه وتفكر حق التفكير سطع نوره وهدى صاحبه الى الصواب .

١٠) راح : زال وذهب .

ولو تخلص قنيص(١) قلبك من شركه علا الى درك حب خالقه . فصاح الفتى : لقد داويت بمراهمك جروحي وأحييت بمواعظك روحي ، وما عثر على هذا الدواء أحد قبلك ، فأكثر الله في الأدّاء مثلك ، فبالله اشرح لي أحوال المحبين لربهم لعل الأسير يسير في سربهم ، فجنح الواعظ والتوى ، وترنح ثم استوى وصاح بالوجد فناح ، ثم صاح ويحك ياصاح أصفهم لمن ، وأذكرهم عند من أأنثر الدر على الدمن(٢) ثم أنشد :

بلغ سلامي بالغوير جيرة * قلبي وان خالفوا اليهم تائق(٣)

فارقتهم كرها وليت أنني * للروح من دونهم مفارق

ولست أنساهم وان تقطعت * للبعد فيما بيننا علائق

شواهق الجبال لوحطتها * بعض غرامي زالت الشواهق

ثم مال وقال : لما نزل سلطان المعرفة في قلوبهم بث جنود التسلط في رزداق(٤) البدن "ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها"(٥) فطرف(٦) ملك العين الطرف ، فغض ، ولسن(٧) اللسان بزلة(٨) فقر(٩) ، وضرب قاهر السمع السمع قصم ، وأمسك الحذر تصرف الكف فكف ، وفر الجسم من الخوف فصفر واصفر(١٠) ، وانجلى جلال

---

١) القنيص : الصيد .

٢) الدمن : آثار الديار والناس .

٣) حالوا : ح ، ك

٤) رزداق البدن : سواده مغرب . والرزداق بيوت مجتمعة مغرب .

٥) النمل آية ٣٤

٦) طرف : صرف وأطبق

٧) لسن : أخذ

٨) الزبلة : شقه من حرير

٩) قر : سكن . والمراد سكن عن اللغو .

١٠) صفر وأصفر : جاع وصار لونه أصفر .

الحبيب للقلب ، فعلق به علق الوجد ، فغلبوا بالحب عن النفوس فوجدوا الحب يقول : فبي يسمع وبي يبصر (١) ، فلو سمعت شكوى واجدهم الى واحدهم لفشت (٢) عين عيش دنياك ، ولوثت قوى (٣) هواك ، ثم غلبه الوجد ، فلما أفاق صاح حتى أزعج الرفاق .

بالله يا ريح الصبا * مرّي على تلك الربا
وبلغي رسالتي * بفصها أهل (٤) قبا (٥)
واحربا وهل يرد * فائتا واحربا (٦)

(ثم نزل عن منبره ومضى وترك القلوب على جمر الغضا)

---

١) يشير الى قول الحق عز وجل في حديثه القدسي : " ومايزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به " .. أنظر حديث من عادى لي وليا . أخرجه البخاري جـ٨ ص١٠٥ باب التواضع

٢) عشيت : ح ، فشت : ك ، عشيت : أظلمت واسودت .

٣) رثت : ضعفت (٤) بلقطها : م

٥) قبا : موضعان موضع بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وموضع بين مكة والبصرة .

٦) مابين القوسين ناقص : ح ، والغضا : شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب وجمره يبقى زمانا طويلا لا ينطفئ .

المقامة الثامنة

في

السفر الى الله عز وجل

جلست مع الفكر بناد من الأندية ، فلاح ركب بواد من الأودية ، فقمنا لنستهين الحال ، فاذا ركبان على الرحال ، فنظرنا فاذا العقل قد نفر في نفر (١) ، فقلت : الى أين ؟ قال : السفر . فقلت : هل يصح لي ضحك صحبة ، فقال : أغرب (٢) يا قليل الصبر على الغربة ، ان البلد البعيد الشقة الأنفس ، " لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس " . فقلت واعجبا من سفين عتاب تجرى بي قبل تجربتي ، فمر ولم يحفل بجوابي ، فلعب الجوى بي

فقلت دعوني واتباعي ركابكم * أكن طوع أيديكم كما يفعل العبد

ومابال رفقي لا يهون عليهم * وقد علموا أن ليس لي (فيهم بد)

فلما تلجج في عبرته عيني العبرى قال : انك لن تستطيع معي صبرا ، قلت : أقطعت على هذا حتى قطعتني ، فقال : كم أمرتك بما استطعت وما أطعتني قلت : بقية عمر المرء لا قيمة له ، قال : السفر قطعة من العذاب

قلت : ولكن في ضمنه : " سافروا تغنموا " ، قال : ان النفقة فيه من الصحيح ، قلت : وما فلت نظرة (منكم) بسفك دمي ، قال أرجو أن يكون عزمك لكسرك جابرا ، قلت : ستجدني ان شاء الله صابرا ، قال : هل لاح لك أمارة لصلاح

---

١) نفر الأولى : استنفر وخرج والثانية : مادون العشرة من الرجال .

٢) أغرب : اذهب . (٣) النحل آية ٧

٤) الجوى : الحزن والحرقة وشدة الوجد .

٥) فيهم بد : ح (٦) الكهف آية ٦٧

٧) بقية عمر المؤمن : ح ، ك (٨) هذا حديث للمصطفى صلى الله عليه وسلم أخرجه مسلم ٣ : ١٥٢٦ ترتيب محمد فؤاد عبدالباقي ، وأخرجه ابن ماجه ٢ : ٩٦٢

٩) هذا من قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : " سافروا تصحوا واغزوا تستغنوا " صحيح البخاري ج٣ ص٣٨٠) (١٠) ضمهم : ك

النفر الأمارة ، قلت : أليس الأعمال بالنيه فقد نضجت نيتي النيـة (١) فقدني وقدني ،

لعل غـارب هـذا الحـظ يرجـع لـي

يوما وقاعد هذا الجدبي يشـب

فقال : حصل راحلة راحلـه ، واملأ احمال الاحتمال من زاد الصبر ودع رفقـاء العادة وداع من لا يتلقى ، فاذا صفى من الكدر الصرفير ، فنهضت نهضة فشمم (٢) وقمت قيام من شم عطر مشم (٣) وجمعت متاع المسرى في افيقي (٤) ، وقلـت للطبـاع السـكرى أفيقي ، واستبدلت من فريقي رفيقي ، فلما انتظمني سلك صحبته أسرني ملك محبته ، فصرت أفرش خـدي في الطـريق له ذلا ، وأسحـب أجفاني على الاثـر (لثلا) (٥) فسلما قطعنا في قطـع من الليل قطعة من الأرض قطع السلب ، سألت صاحبي عن المقصد ، فقال : بلد القلب ، قلت : ياسكني مـن يسكنه ، فقال : يامسكين هو مسكن الرب ، فلما أرشـدني أنشـدني :

ياحبـذا جبـل الريان من جبـل

وحبذا ساكن الريان من كانا

وحبذا نفحات من يمانيـة

تأتيك من قبل الريان أحيانا

هـل يرجعن وليس الدهـر مُرتجِـع

عيشـي لنا طال ما أحلولى ومالانا

ثم غنت الحداة فرنت الغلاه فأطربت وأعربت أبيـات الشعر عن أبيات الشعر فاغربت ،

---

١) النيـة : الغيـر ناضجـة (٢) الشمشم : الذى لا يثنيه عن شجاعته شيء

٣) مشم : امرأة كانت تبيع المطر واختلفوا في المراد بعطرها على ثلاثة أقوال :

أحدهما : أنها كانت تبيع الطيب وكانوا اذا تطيبوا بطيبها أشتد حربهم قاله الكلبي .

الثاني أنها كانت تبيع الحنوط في الجاهليه فيقال للقوم اذا تحاربوا : دقوا بينهم عطر مشم أى طيب الموتى ذكره ابن قتيبة والثالث : أنها امرأة أهديت الى رجل فلما خلى بها امتنعت عنه فشجها ، فخرجت على نسائها مدماة فقلن : بئس ماعطرك زوجك ثم جعلته العرب مثلا . قاله مورج السدوسي .

٤) الأفيق : الجلد بعد دبغه (٥) + : ح

فترنم ضمهم واحد بصوت له نغمة الواجد .

الى كم جسمها تشكو المضيقا
اترها ربما وجدت طريقا

اجلها تطلب القصوى ودعها
سدى ترمي الغروب بها الشروقا

أتمقلها وتقنع بالهوينا
تكون اذاً بذلتها خليقا

ولم يُشفق على حسب غلام
يكون على ركائبه شفيقا

توطها فاما نلت خيرا
فسعي وافق القدر السوقا

واما أن تخيب فلست فيها
بأول طالب حرم اللحوقا

ثم حضها حاد آخر لما رأى بعضها قد استأخر ، فانبرت تسرع بلا عقول (١) واذا به يشوع ويقول :

درَ لها خلف الخطام فسقى
ودام من طل عليها ماوفى

تغن بالجرعاء ياسائقها
فان ونت شيئا فردها الأبرقا

واغن عن السياط في أرجوزة
بحاجر ترى السهام المسرقا

واستقبل الريح الصبا بخطمها
تجد سوى ماوجدت مُنبسقا (٢)

ان لها على الحمى وأهله
ان حملت لعلقا وعلقا

---

(١) المقول : عند وظيف البعير الى ذراعه . (٢) منسقا : ح

وكلما تزجره حداتها
رعى الحمى رب الغمام وسقى
حوامل ما هممنا ثقلت
وأنفا لم تبق الا رمقا
تحملنا وان عرين قضيا
وان دمن أذرعا وأسوقا
دلم عليها الليل حتى أصبحت
تحسب فجرا ذات عرق شفقا

فصاح سائق بصوت شائق :

الفحيل (١) الذميل ياركب انسى
لضمن أن لا يخيب سراكا

فاستلبت أيدى الطرب أرجل الركائب، فرأينا من عجبها العجائب خدت (٢) بنا الجدجد (٣) بالمزوم الجاده ، قدحنا غيهب قدح (٤) فى الأبصار الحادة فقدح صاحبى وأورى ، فرأينا الجاده وخاف (٥) القفر فى القفز الى الماء فطوى المنزل وكف ناقته (٦) هوى الناقة الى أن ينزل

ولم تزل أشواقه تسوقها
حتى رمت من الوجى رحالها (٧)

فقلت : أرفق بالمطى ، فقد أجهدها الأين ، (٨) فقال : لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين :

كم سائقا بالشوق بين الأضالع ، ثم جمجم وأنشد :

متى رفعت لها بالغور نار * وقر بذى الاراك لها قرار
فكل دم أراق السير منها * بحكم الشوق مطلول جبار

---

١) الفحيل : السير اللين
٢) جدت : ح ، ك ، خدت : شقت
٣) الجدجد : الأرض الصلبة المستوية .
٤) الغيهب : الظلمة ، القدح : شدة الظلمة
٥) الجادة : معظم الطريق
٦) الناقة : الشوه
٧) الوجا : الحفا وقيل شدة الحفا وأن يشتكى البعير باطن خفه والفرس باطن حافره .
٨) الأين : التعب

أمرتجع ويا أسفي عليـــه * براحة ذلك العيش الحمار

فقلت له : لله همتك التي من شأنها جر الرماح على السماك الرامح (١) ، فصاح :

خليلي لا والله ما أنا منكما (٢) * اذا علم من آل ليلى بدا ليا

فما زال يحنق (٣) حتى لاحت أعلام النقا ، فجعل يجول ويقول :

يا أراك الحمى نشدتك من جا * ور تلك الربا وحلك بعدى

ياعزولي دع الملام فما عنـــــــدك من لوعة الهوى ما عندى

فانجذب الجدب من بين أيدينا ، ولاحت رياض الغياض (٤) ، فاذا عين الحيـــاة فولجنا في الماء وخرجنا ، فاذا عليه أمة من الناس يسقون (٥) ، فقلت لصاحبي : لمن الأرمة في القطار الأول ؟ فقال : للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، فما كان الا أن علونا الربوة ، فلاح البلد فتلقتنا الراحة على مسافة ، فدخلنا بضائع المعرفة وما ثم مكس (٦) فشاهدنا الرابحين رائحين بكل فضل .

تفوح أرواح نجد من ثيابهم * عند النزول لقرب العهد بالدار

---

١) السماك الرامح : نجم في السماء وهو أحد السماكين والثاني السماك الأعزل .

٢) خليلي لا والله ما أملك البكا : ح

٣) يحنق : يسرع في مشيه

٤) الغياض جمع غيضة وهي مجتمع الشجر في مغيض ماء .

٥) هذا من قوله تعالى : " ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ماخطبكما قالتا لانسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير " القصص آيـــه ٢٣

٦) أي ليس هناك نقص .

فهبت نشر[1] القبول تبشر بالقبول فسعدنا بالوصول وصعدنا بالنزول ،
فأقبل ولدان النعم ، عليهم قراطق[2] الخدم ، فصاح بي صاحبي .

الطريق الطريق ياكل عيني * ان عيني تريد وجه الحبيب

ثم خلف في الوادي جميع اتباعه ، وعلا على الجبل ، فقمت قيام الصادي لاتباعه ، فتمسكني الخبل ، فعاد الي بعد زمن وقد استولى عليه زمن[3] ، فقلت له بعد أن سكن : مافعل السكن ؟ فقال : سرت على حالي الى أن لاح لي حجاب ، فطمعت[4] في أن سوالي مجاب ، فلو اخترقت لاحترقت ، فاضطربت وارتعشت ، ولولا تأخري ما انتعشت ، وهديت بأن نوديت ليس الوصول الينا بقطع المسافة أين لطفك ماهذه الكثافة ، ثم صاحت بي الهيبة فهمت ، فأقررت بالعجز عن الادراك وفهمت ، فألقاني تحت شجرة الطمع اقنع بالظل عن الثمر ان لم يقنع ، ثم مد نفسا كأنه آخر نفس ، وهيم[5] بكلمات أبين ضمها الخرس :

أيا بانة الغور عطفا سقيت * وان كنت أكني وأعني سواك
أحبك من أجل ماتعلمين[6] * لو أني أراه كما قد أراك
ذكرت وبالمهفي هل نسيت * ليالي أسمرها في ذراك
كفى الواجد أني اذا ماسترحت * الى اسمك عيته بالادراك
هناك ومن عجب في هواك * قولي في قتل نفسي هناك
اذا الصد أرضاك فهو الوصال فاني فعلت فأهلا بذاك

---

١) النشر : ريح ليفة
٢) قراطق الخدم : لبسهم
٣) أي استولى عليه خوف واضطراب .
٤) فأطمعني : ح ، ك
٥) هيم : تكلم بكلمات خفية
٦) من تعلمين : ح ، ك

ثم إعترته العبراء (١) وقعدت عليه الصعداء (٢) ورحضت قلبه الرحضاء (٣) ثم قال : ما أشد الشوق ، وما أبرح ، فارجع أنت فأنا ما أبرح ، فلما رأيته يوعر للوحدة تركته وحده ، فلا أدري أقام على الحنين الذي ألف أو تلف .

---

١) العبراء : الزعدة .

٢) الصعداء : المشقة والبرحاء

٣) رحضت : غسلت ، الرحضاء : العرق .

المقامة التاسعة

في

ايقاظ الغافلين (١)

أملك (٢) الهوى بالدنيا فصنع في البيت دعوة ، ثم دعاني فيمن دعا فلبيت الدعوة ، فدخلت قصرا ليس في بيته قصور قد حبر (٣) في زينته بأسرى الحبور (٤) ، والجواري جواري في فنون الخدم يفتنن فيفتن ما بين فرع (٥) وقدم (٦) ، وجوههن عذر العاشق ، وريحهن سكر الناشق ، والهبانيق (٧) في الاستباق الى المهن فأصبح قلبي بعد الانطلاق كالمرتهن واذا بزور (٨) كلهم زول متماثل ، لهم شمائل أرق من الشمائل ، تتناول بالايمان لا بالشمائل فقلت : هذا عيش رفيع رخاخ (٩) اذا صادى (١٠) القلوب صادها أسرع من الفخاخ فأقبل على من يتغنى بفنه أغن (١١) ، ويقتطف من كل فن أحلى فن ، وساعدته قينة كتصحيفها توافقه ويوافقها في تأليفها ، فلما غنى رنت قباب الدار ، واذا لعب بكئاته ودار ، فدار شراب السرور لدينا فأسكر الألباب ، واذا طارق يطرق علينا الباب فقلنا : من ذا ؟ (١٢) فكان الجواب ناه عن المنكر وآمر بالصواب ، فدخل ذو نصح بلا دخل (١٣) لم نخل أن نصيحا .

---

١) في أسرار الله عز وجل : ح

٢) الاملاك : التزوج والعقد .

٣) حبر : زين ووشى

٤) بأسنى الحبور : ح ، م ، الحبور : السرور

٥) يفتنن : يظهرن ألوانا من الفنون

٦) الفرع : الشعر التام .

٧) الهبانيق : جمع هبنق وهو الوصيف من الغلمان كالخدم .

٨) الزور : الزوار ، والزول : الخفيف الظريف .

٩) عيش رفيع رخاخ أي رغد واسع .

١٠) اذا صادى : اذا قابل .

١١) الغنه بالضم : جريان الكلام في اللهاه ، والأغن : الظبي يخرج صوته من خياشيمه .

١٢) كلما غنى : ح ، ك .

١٣) فدخل ونصح بلا دخل : ح ، والدخل : الغدر والمكر والخديعة .

نحن ملحمة تقاتل ، يا شاربين لدماء المهر ضرب الهيم (١) ، يا جالسين نهار الهدى كالليل البهيم ، يا مقيمين على الدرن (٢) وليس فيهم مقيم ، يا سالمين من مدى المدن وكلهم سليم ، أتعمرون بروح النعم بروح النعم ، وتستبدلون بالقرآن مثل هذه النغم ، أتوطنتم مغفلين ذكر آفات الوفاة (٣) عند بروح البروح (٤) ، أم بتم غافلين عن طامات الممات عند نزوح الروح أما قصركم فالى الخراب وقصاركم مآلكم فالى التراب ، وأما آمالكم فسراب ، والعطش أصلح من هذا للشراب ما لذ لعاشق صوت رباب ينعق للبين بينه غراب :

يا مقيمين رحلوا المذهب * بشفير القبور (٥) خط الركاب

نعموا هذه الوجوه (٦) فما * صونكموها الا لمقر التراب

والمسوا ناعم الشباب * ففي الحفرة تعرون عن جمع الشباب

قد نعتك الأيام نعيا صحيحا * بفراق الاخوان والأحباب

ثم قلن : انكم في حصن قلعة (٧) لا في حصن قلعة ، وان السرور شرور ، وان زور الأماني زور (٨) ، وان الوصل بت وان الجمع شت والحلو مقر (٩) لمنه عن قليل مقر ، وذو اليسار عن يسير لا محالة مفتقر ، وحبل الاجتماع معقود بالفراق ، وحق الحق متعلق بالأفناق ، ومعهود المخلوق بمن أهله غريبا ، " انهم يرونه بعيدا

---

١) الهيم : الابل العطاش

٢) الدرن : الوسخ أو تلطخه

٣) آفات الفوات : م ، وموت الفوات : الفجأة

٤) عند بروح النسوح : ح ، ك

٥) شفير القبر : حافتها

٦) نعموا الأوجه الحسان : ك

٧) القلعة بالضم : المنزلة والقلعة بالفتح الحصن الممتنع على الجبل .

٨) زور الأماني : تمويهها وكذبها ، زور : خداع

٩) المقر : المر .

وزلة قريبا (١) * فاحفظ الوصل الوصل * واستبدلوا الريف بالمحل (٢) فانه
اذا خيض الضحل (٣) فوصل * ولا تمدن الراح للراح (٤) فكم من سرور قد
مر راح * ولا وجه في الدنيا للأفراح *

هب المعلم لم تأتنا رسله

وجاحة الدار لم تضرم

أليس من الواجب المستحق

حياء العباد من المنعم

فطار بصحبته (٥) سكرنا * وطال لنصيحته شكرنا فحضرنا بقلوب ثائبين (٦)
ولنا بعد أن كنا مستعجلين غائبين * وقمنا مستعجلين تائبين وقلنا : أتضمن
لنا بعد التفريع الوصول (٧) ؟ فقال ان الفروع تبنى على الأصول * انهضوا
نهضة ضبارم (٨) * واثبتوا ثبوت خراضم (٩) * (وصابروا لما يأتي من الهوازم (١٠)
ولتقم الحازم على أمر جازم) * أريقوا قرقف (١١) الهوى غضبا للحجى (١٢) بأيدي
الاجابة واكسروا كل لذاته لبها فطوف طرفا في الاجابة (١٣) وليشغلنكم صوت

---

١) المعارج آية ٦ ، ٧

٢) الريف بالكسر : أرض فيها زرع وخصب والسعة في المأكل والمشرب * المحل : الجدب

٣) الضحل : الماء القليل .

٤) الراح الأولى بمعنى الكف واليد والثانية : الخمر .

٥) فطار لصحبته : ح ، ك (٦) ثائبين : راجعين ومقبلين

٧) أي لنا بعد أن كان فينا غلظه

٨) النزوع عن الأمر : الاقلاع والانتهاء عنها .

٩) الضبارم : الشديد

١٠) خضارم : ح ، م ، الخراضم : الضخم ، والخضارم : السيد الحمول .

١١) الهوازم : الشدائد ١٢) مابين القوسين ناقص:م

١٣) القرقف : الخمر .

١٤) الحجى : العقل .

١٥) في الانابة : ك .

النأى عن صوت الناعى ، وانصراف المعاصى عن اطراب الأغانى ، وقد قوى رجى الرجاء للنجاء ، فقلت له : تمت يومنا يلومنا ، فقال : انما يرتمى مخضود(١) ملامى أسماع تعى مقصود فصحت اليه :

ياسيدا يروى الصدار أيه

بصائب كالمزن أذ يهمى

ان كنت تهمى بصواب على

ذى غلة فاهم على فهمى

فانبعثت فصاحته تنفخ كشؤبوب(٢) فشبهتها الماء ينفخ من أنبوب ، ثم جرى فى مواعظ كالنهر اليعبوب(٣) ، فلما رأيت سحاب فضله قد سح(٤) ، بان انه أبلغ فى فضله من سحبان(٥) ، فسبينا بنكته ومعانيه الخزار ، ماكنا نعانيه بالليل والنهار ، مما حكى الخلدى أو حاكى مهيار ، وشاهدنا منه رجلا فصيحا تقوالة(٦) ، فكل منا يقول لصاحبه تقوى له ، فيقول : انما رفعه الله بالتقوى له فقلنا له : قد كنا وترا فشفعتنا وقد حزت عنا أجرا ونفعتنا ، وقد عرفنا قدرك بوسمك وأدبك ، فتم عرفاننا باسمك ونسبك ، فقال : أما الكنية فأبو التقويم ولا تذكروا بكنيتى التقويم ، فما أرى أهل التنجيم ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، قلنا : فما الاسم ؟ قال : الحجى ، واحفظوا أن الجيم مؤخرة فى الهجا ، قلنا : فمن أبوك ؟ قال : أبى أن يذكر لى الأبا ، وانما قال لى كن فكنت ، ولولا أعزازه اياى هنت ما وافقنى فى غدوى ورواحى الا من سلم ، ولا رافق عدوى قط الا من ندم ، لأن عينى تلمح العواقب ، وبالهوى مستعجل لايراقب فقلنا أشرح لنا ، وخذ لنا رحلنا ، فقال : ميزوا بين من درج على

---

١) المخضود : الشجر الذى نزع شوكه .
٢) الشؤبوب : الدفعة من المطر تأتى بشدة .
٣) اليعبوب : الكثير الماء .
٤) يسح : انصب .
٥) سحبان : سبق التعريف به .
٦) التقواله : فصيح القول كثيره .

درج للهوى وبين من هوى بهيه الهوى ، كم بين عكرمة (١) وبين أبي جهل (٢) وان جمعهما وصف أهل ، كم بين أبي طالب (٣) والعباس (٤) وان لم يفرق في النسب قياس ، كم بين نوح وكنعان (٥) الا ما اجلى من بيان ، كم بين آزر (٦) وابراهيم الظاهر لا يحتاج الى تفهيم ، ثم قال : اشكروا من العلم ما أفدتكم ، واذكروا ما ضمنتكم من الجهل وأفتكم (٧) ، فأدينا من شكره ما وجب ، وقضينا من أمره العجب .

---

١) عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي القرشي من صناديد قريش في الجاهلية والاسلام . كان هو وأبوه من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم ، أسلم عكرمة بعد فتح مكة وحسن اسلامه ، فشهد الوقائع وولي الأعمال لأبي بكر واستشهد في اليرموك أو يوم مرج الصفر سنة ١٣ هـ وعمره ٦٢ سنة . (الاصابة لابن حجر ترجمة ٥٦٤٠)

٢) أبوجهل : سبق التعريف به .

٣) أبوطالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم من قريش والد علي رضي الله عنه وعم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكافله ومربيه وناصره كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم ومن الخطباء المقلاء الأبّاة . توفي في النصف من شوال في السنة العاشرة من النبوه ، وهو ابن بضع وثمانين سنة ، واختلف في اسلامه . (الاعلام جـ٤ ص٣١٥)

٤) العباس: هو أبو الفضل العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف (٥١ ق هـ - ٣٢ هـ) عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، من أكابر قريش في الجاهلية والاسلام . كان محسنا لقومه ، سديد الرأي ، واسع العقل مولعا باعتاق العبيد كارها السرق ، وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ، أسلم قبل الهجره وكتم اسلامه وكانت وفاته في المدينة (الأعلام جـ٤ ص ٣٥) .

٥) كنعان هو كنعان بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام

٦) آزر هو أبو سيدنا ابراهيم عليه السلام .

٧) أفدتكم : ح ، أفتكم : غيرتكم .

المقامة العاشـــرة

فـــي

محاكمة النفس وصاحبها الى العقـــل

خلوت بنفسي في بعض الأيـام فعاتبتها على النقض والابرام ، ولمتها على ايثار النقص على التمام ، وقلت : لماذا ذهبت الأيـام في الاثـام ، وماتحبون احـرام الاحـرام ، اقدامك في الاقـدام على المعاصي قد دام ، ان كنـت لاتصفيني درّك (١) درك ، فاعفيـني من شـرّك (٢) شـرك :

لاتكوني قطعـة من كريـــي
واذا لم تأرقي لي فاهجمـي
واتركي شرك إذ لاخيـر لـــي
لا تضريني اذا لم تنفعـــي

فما أعارتني السمع ولا الطـرف ، وكأنه ماقيـل مما قلت حـرف ، فاستعديت عليهـا بالعقل ، فبعث رسـولا اليهـا ، فصـادف الرسـول ملكـا عظيما ، قد اسكره ملكـه ، ومتغطرسـا (٣) جهـولا قد ألهاه لهـوه ، فعاد الرسـول يحضر (٤) ويقـول انها لم تحضـر ، وأخبـر عنها من التمرجف بمـا يقـرف ، فقابلَ العقل تغطرفهـا برسـالة تلطف ، فلم يلفها (٥) التألـف ، فقـال : أنا أسـير فكن وراثي اليهـا ، فسأشـير ان سمحت برأيي عليها ، فوصلنا بعد الاذن الى الحجاب ، واذا عليه قهارمة (٦) وحجـاب ، فقالوا : يطول بكم لطول التـواري

---

١) الدرك : أقصى قعـر الشـيء
٢) الشرك محركة : حبائل الصيد وما ينصب للطيـر .
٣) المتغطرس : المتكبر الظالـم . ٤) يحضر : يسـرع
٥) المجرفـة : جفوة في الكلام وخرق في العمل والاقدام في هـرج
٦) تغطرفها : تكبرهـا وخيلاءهـا .
٧) القهارمة : جمـع قهرمان وهـو من أمناء الملك وخاصته معرب .

الوقوف ، فظللنا كأننا سواري السقوف (١) ، فكر صاحبي يكرر الاستئذان ، فما وصل أحد منها يقول من هذان ، فلما تركنا الايذان آذنت ، وزعمت أنها الآن أوذنت وأخذت تعتذر للعقل بما يجلى عن البطأ ، وقالت أجلى فمثلك من يحمل ما عن (٢) من خطأ ، ثم وثبت اليه ووثته (٣) وساده ، فقال لها :

اجلسي ، فقالت : هذا مجلسي مع الساده ، فمثل قائما يتمثل :

جئت أشكو فاستوقفتني * الى أن كل متني من قبل أن كلمتني

وفدتني من السقام ولكن * أنفدتني (٤) هما الى أن فدتني .

ثم قال : هذا قد جاءني يتظلم وقد ساءني مامنه يتألم وقد حضركما الحاكم ، أفتأذني أن يحاكم ، فقالت : أمرك يطاع ولا أتأول المطاع وأنا أول من أطاع ، فقال لي : ما الذي جرى عليك منها وأي أذى سرى اليك عنها فقلت تدنس بالزلل يردي وتحملني على مايردي (٥) ، لا تخرس من الشجر الا الخلاف ، ولا ترتضع الا من أخلاف (٦) الخلاف ، ان أيقظتها تناعست وان قدمتها تقاعست ، وان عاهدتها غدرت ، وان أصعدت بها انحدرت ، وان قمت قعدت ، وان قربت بعدت ، وان أتدمت أحجمت ، (وان أعربت أعجمت) (٧) ، وان أوقدت أخمدت ، وان شهمت رمدت وان فسرت أبهمت وان أنجدت أتهمت (٨) ، وان أعمقت أعرقت (٩) ، وان غربت هرقت .

مشغوفة بخلافي لو أقول لها
يوم الغدير لقالت ليلة الغار

تسعى فيما يوجب زمها مما لا يروق ، وتقطع زمها في طلب تفروق (١٠) ، لو

---

١) سواري السقوف : عمدانها .
٢) ما عن : ماظهر وصدر
٣) وثته : أعطته
٤) أنفدتني : أهلكتني
٥) يردي : يهلك
٦) الأخلاف : جمع خلف وهي حلمة ضرع الناقة
٧) مابين القوسين ناقص : م
٨) يعني ان ذهبت الى نجد خالفت وذهبت الى تهامة
وذهبت الى تهامة خالفت وذهبت الى نجد .
٩) يعني ان ذهبت الى عمان ذهبت الى العراق : وفي نسخه ح : وان أيمنت أعرقت .
١٠) التفروق : قمع البسره والتمرة أي أنها تقطع أيامها في طلب التافه من الأمور .

بدت لها عجوز جحوش (١) لهامت ، ولو رأت ليلة القدر تجوز لنامت ، تختار لذة ساعة وان أثمرت لها شناعة .

فما هي الا مثل قاطع كفه بكف له أخرى فأصبح أجذما (٢)

أكلة (٣) شربة (٤) جثمة (٥) طلعة حولة (٦) حطمة (٧) خرجة ولجة (٨) خدعة (٩)

خذلة (١٠) سخرة في الهوى (١١) ضجعة ضحكة قعدة عن الخير

لمبة همزة للناس لمزة هزاة (١٢) هذرة (١٣) هقعة (١٤) نومة وكلة تكلة (١٥)

ينقضي زمانها ولا تستفيد الا لهوا ودعابة ، ولو رأى انسانها (١٦) انسانا

يهوى مالا يفيد طاعابه ، ومن يفهم بالتلمح أحوالها وأبه ، يعلم أنها

خرقاء (١٧) عيابة أحضرها كل يوم غد واعظ ، يوقظها من النوم بالمواعظ

فتدخل في دثار أويس ، وتخرج في شعار قيس (١٨) ، أخبث من

---

١) الجحوش: العجوز الكبيرة والمرأة السمجة . (٢) الأجذم : المقطوع اليد أو الذاهب الانامل .
٣) أكلة شربة : كثيرة الاكل والشرب . (٤) جثمة : كثيرة الملازمة للمكان مع عدم الرغبة في السفر .
٥) نفس طلعة : تكثر التطلع الى الشيء .
٦) حوله بزنه همزه : شديدة الاحتيال . (٧) حطمة : منكسره في نفسها
٨) خرجه ولجه : كثرة الخروج والدخول . (٩) خدعة : كثيرة الخداع
١٠) نفس خذلة : متخلفه عن صواحبها ومنفرده أو تخلفت فلم تلحق فهي خاذل .
١١) سخرة : تسخر من الناس
١٢) همزة للناس : غمازة لهم ، لمزة : عيابة للناس مغتابة لهم هزأة : تهزأ وتسخر من الناس
١٣) هذرة : كثيرة الكلام في الخطأ والباطل . (١٤) الهقعه : كهمزه : الكثيرة الاتكاء
١٥) وكله تكله : عاجزة الاضطجاع بين القوم
١٦) انسانها : أي انسان عينها . (١٧) خرقاء : حمقاء .
١٨) أويس هو أويس بن عامر القرني من سادات التابعيين رضي الله عنه وقيس هو مجنون ليلى . والمعنى أنها تدخل في ثوب الخشية وتخرج في رداء الجنون .

ذئب وأشأم من طويس (١) ، فلا بالزجر ترعوى ولا بالهجر تستوى كأنها صخرة صماء أو بهيمة عجماء .

أجانبها لو أمكنت من زمامها .. تريد وراء والهوى من أمامها

تهوى الهوى فتهوى اليه ، ويمدها المنى فتمول عليه (٢) ويستحضرها المنعم المعطى فلا يراها بين يديه ، تهلك بدنى بدنس (٣) ، ويفسد نشر سرها علنى لا يرى منها البر فى حين فقد لقيت منها البرحين (٤) .

باعت شفاها واشترت لعبا (٥)

من جهلها بئس ما باعت وما اشترت

فليتها فى البرايا لم تبن شبحا

وليتها فى المغانى ما تدبرت

أقرانها قد رحلوا وهى تدرى أين قد نزلوا ، وقد علق بها ما عشقت من (٦) الشنار (٧) وكأنها بما علقت قد خلقت للنار ترتكب الذنوب وتعد أن تتوب

---

١) يقال "أشأم من طويس" "وأخنث من طويس" . وهو من مخنثى المدينة وكان يسمى طاوسا فلما تخنث سمى طويس ويكنى أبا عبد النعيم وهو أول من غنى فى الاسلام بالمدينة ونقر بالدف المربع ، ومن مجانته كان يقول : يا أهل المدينة ما دمت بين أظهركم فتوقعوا خروج الدجال والدابة ، وان مت فأنتم آمنون ، فتدبروا ما أقول ان أمى كانت تمشى بين نساء الأنصار بالنمائم ثم ولدتنى فى الليلة التى مات فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفطمتنى فى اليوم الذى مات فيه أبوبكر ، وبلغت الحلم فى اليوم الذى قتل فيه عمر ، وتزوجت فى اليوم الذى قتل فيه عثمان ، وولد لى فى اليوم الذى قتل فيه على ، فمن مثلى ؟ وقال فيه شعرا وهو :

أنا أبو عبد النعيم * أنا طاوس الجحيم

وأنا أشأم من دب * على ظهر الخطيم

(أنظر مجمع الأمثال جـ١ ص٢٥٨) .

٢) تمول : تعتمد وتتكل (٣) الدنى : الحقير

٤) البرحين بفتح الراء : الشدة (٥) باعت شفاها : ك

٦) عشقت : ح ، عشقن ، أولعت (٧) الشنار : العيب

من القباح وهى أمطل من عرقوب (١) ، وأبطل من سجاح (٢) ، قد ضيعت بالتسويف عمرى ، وقد تحيرت معها فى أمرى ، تعللنى (٣) كاسات التعلل ، فتُعللنى وتدلهنى (٤) وتظهر أنها تدلنى .

أشتهى إصلاح سعدى بشهدى * وهى تسعى بجهدها فى فسادى

فتتاركنا على غير شىء * ربما أفسد طول التمادى

وفى الجملة تفريطها مفرط فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ، فقال لها العقل ما تقولين فيما ادعى ، وهل تجيبين الى مادعا ؟ فقالت : جبلتى (٥) هى التى تقتلنى ، وطباعى سباعى التى تأكلنى ، شهواتى قرارة (٦) وماء الهوى منحدر ومجدح (٧) أغراضى يخلط الصافى بالكدر ، ومتقاضى ارادتى (٨) غريم شكس (٩) ، ومريض شهواتى يبل (١٠) ثم ينتكس ، وانى لأعالج من اللاعج (١١) أكثر من رمل عالج (١٢) ، وهذا يسومنى نعلا لا أملك شسعها (١٣) ، ولا يكلف الله

---

١) عرقوب هذا هو ابن صخر أو ابن معبد بن أسد من العمالقة كان يضرب به المثل فى خلف الوعد

٢) سجاح هذه هى التى ادعت النبوة لعنها الله .

٣) تعللنى : تسقينى مرة بعد مرة ، والعلل : الشرب الثانى بعد النهل .

٤) الدله : ذهاب الفؤاد من هم ونحوه .

٥) جبلتى : طبعى وعادتى . (٦) قراره : دائمة السيلان .

٧) المجدح : ما يخلط به السويق وهو خشبة فى رأسها خشبتان معترضتان يخلط بها الشراب وغيره . (٨) ومتقاضى مراداتى : ح ، ك

٩) الشكس : السىء الخلق .

١٠) يبل : يشفى وتتحسن حالته .

١١) اللاعج : الهوى المحرق .

١٢) عالج : رمال معروفة بالبادية .

١٣) يسومنى : يكلفنى ، الشسع : قبال النعل وهو السير الذى يمسك النعل بأصابع القدم . والمراد أنه يكلفنى مالا أطيق .

نفسا الا وسعها (١) ، وانى كلما جلت فى حيز التحيز ، جولان المتلمس (فى الملتمس) ، وجدت مكانى خسيفا (٢) فاقع (٣) على عجز العجز فى قلمس (٤) ما أجد له سيفا (٥) .

أهوى هوى الدين واللذات تعجبنى

فكيف لى بهوى اللذات والدين

كلما أوثقت قفل العين فش (٦) ، وكلما نقيت لفظ اللسان غش ، كم كلمه كلمتنى ، وكم نظرة ما أنظرتنى ، كم أشد حزام الحزم فيخل وأنا أتعلل بعسى ولعل .

كلما أملت يوما صالحا * عرض المقدور (٧) لى فى أملى

أقطع الدهر بظن حسن * وأجلى غمرة ما تنجلى

وأرى الأيام لا تدنى الذى * أرتجى منك وتدنى أجلى

ثم قالت والله لقد صدقت وان لم أصدق ، وماكذبت لو فليتنى فليتنى لم أخلق وبعد فقد كنت أحب المحبوبات اليه فسلا محبتى فكيف سلا ، وقد كنت لا أبرح بين يديه فألقانى القالى (٨) اذا قلا بقالب قلا ، ثم أقبلت على بطرفها ، وأشارت الى بكفها .

مازلت تطلب تسليقا الى عنقى * حتى نصبت الى هجرى سلاليما

ولا ألومك فى شىء تحاوله * فيه رضاك ولكن من سلاليما (٩)

---

١) البقرة آية ٢٨

٢) المتلمس : الذى يطلب الشىء مرة بعد أخرى ، مابين القوسين ناقص : ح

٣) المكان الخسيف : المطمئن من الأرض .

٤) القلمس : البحر

٥) السيف : ساحل البحر

٦) فش : فتح (٧) عرض المكروه : ح

٨) القالى : المبغض .

٩) سلا : من السلوان ، لم : فعلى ماض مبنى للمجهول من اللوم .

فقال لى العقل : ما تقول فى معاذيرها عن معاثيرها ، وانك لا علم بقليلها وكثيرها ، فقلت :

معاداة الرجال على الليالى * أطيق ولا مداراة النساء

أينفعنى احتجاجها اذا عوتبت ، أم يمنعنى لجاجها اذا عوقبت ، والله أنها لتحتج على بلا حجة لشهواتها ، وتجنح لا الى محجة نحو مهواتها ، وتستغيث اللصوص وهى السارق ، وتدعى الخلوص وهى المنافق ، وتتعلل بالقدر فى ترك ما ينفع ، ولا تلتفت الى القضاء فيما تحصل وتجمع ، فتقول فى فعل الخير لو وفقنى ، وفى فعل الشر أزلقنى ، وبين دليلى وشبهاتها ضاع زمنى ، وكلما أطلقت ذميلها (١) فى شهواتها قوى زمنى .

هى نفسى لما بها تهذى بى * أعذاب تريد أم تهذيبى

قد تأملتها فأخطأت فيها * اذ حبيبى أظنها وهى ذيبى

تحتذى بى الى هواها ترينى * أنها بى الى الهوى تحتذيبى

صدقتنى اذ صدقتنى نصيحا (٢) * ثم عادت تخوض فى تكذيبى

نحلت جسمى النحول فنادت * ادأبى فى فنائه وأذيبى

ان يكن سرها نعيم خلافى * فلقد ساءها بها تعذيبى

ثم احتد الحجاج ، وامتد اللجاج (٣) فقال العقل : اسمعا معا فايثار اللفظ (٤) غلط ، أنت أيتها النفس المعاتبة الملومة ، بل أنت المعاقبة المذمومة ، اذ لاتتحرك جارحة الا بانهاضك ولاتتورك بارحة الا بأغراضك لجام الفرس فى ايثاقك (٥)

---

١) ذميلها : اسراعها .

٢) صدقتنى اذ صادفتنى نصيحا : ك

٣) الحجاج : الجدال ، واللجاج : الخصومة

٤) اللفظ : الصوت والجلبة .

٥) الوثاق : ما يشد به الحبل ونحوه .

وكفك يمشى على قدر اطلاقك ، فكفك أنت ملاح المركب لامن يركب ، اذا أردت قطع البحر مددت الشراع فانجر ، واذا شئت الاقامة على الهوى ضربت الأنجر (١) فلا تلومى راكبا خاف الغرق من تفريطك فانتبهى وانتهى عن تخليطك ، ولا تسيرى اذا وقع التشاجر بين الرياح فما يفرق التاجر الا والملاح ، فلما نكست قلبها بهذه النكتة بكت ، فقال لها : هكذا فكونى ، اطلقى حبيس الدمع ولا تصونى ، فنحن انما نطوف على عين نطوف (٢) تحكى بدموعها الغروب فى الشروق والغروب فصاحت بالطبع والهوى فتانى فتانى فدعانى وودعانى فان الحق قد دعانى ، ثم قالت : أيها النابل قد أصابت المعابل (٣) جلجلان (٤) قلبى ، ووقع دواؤك على دائى ، فآثر اهتدائى الى ربى ، وانى لأرجوا أن يكون غرس أملى المهم قد أثمر ، وليل حظى المدلهم قد أقمر ، فأقبل على وصيتى أقبل لعله يخالف الماضى المستقبل ، فقال : صابرى عطش الهجير (٥) يحصل الصوم ، وتحزمى تحزم الأجير فالعمر يوم ، وما أسرع انفصال الصاحبين اذا صاح بين (٦) ، فمفترق جاران داراهما عمر ، ثم أين حلاوة السوالف من اللذات التى رضيت فيها بالمتالف للذات ، أفى فيك من الهوى سوى طعم الندم ، ويكفيك ما يقال فيك من زلل القدم ، وهل تأمنين العذاب الدائم على تلك الذنوب القدائم وأمر من الكل وقفة الخجل بين يديه عز وجل ،

---

١) الأنجر : مرساة السفينة

٢) العين النطوف : الكثيرة الجريان

٣) المعابل جمع معبله : النصل العريض الطويل يجعل فى رأس السهم .

٤) الجلجلان : حبة القلب .

٥) الهجير : شدة الحر

٦)اذا صاح بين : أى اذا عرض فراق .

أين تعب بشر (١) وابن أدهم (٢) وانما نحدث بسر من يفهم ، أين تعبد سرى (٣) وزهد معروف (٤) نسى كل سرى (٥) من الملوك وكلاهما معروف ، فليحذر الناكث (٦) ما قبح الكتاب الذى أنزل فكان قد صح الراكب المجد المنزل ،

فقالت : النفس أعلمنى بمروط الأوبه وعلمنى شروط التوبه ، فقال : تخلين كل خل ذى خلل كنت لا تخلين بصحبته ، وعليك بمرافقة من يبين عليك أثر مرافقته فاغترفى من ماء العزم فى اناء الانابه ، وتلطفى فى السؤال الجزم وقد أتى الاجابه ، وقابلى قبلة الذل يحصل لك العز والبهاء وان قيل قبل العزائم جنود لاقبل للعدو بها ، ومتى

---

١) بشر الحافى : (١٥٠ ـ ٢٢٧هـ) هو أبونصر بشر بن الحارث بن على بن عبد الرحمن المروزى المعروف بالحافى من كبار رجال مدرسة التصوف فى بغداد ومن ثقات رجال الحديث ، سكن بغداد وتوفى بها .

٢) ابراهيم بن أدهم : هو أبواسحق ابراهيم بن أدهم بن منصور التميمى البلخى : زاهد مشهور كان أبوه من أهل الغنى فى بلخ فتفقه ورحل الى بغداد ، وجال فى العراق والشام والحجاز وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة . وكان يعيش من العمل بالمصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن ، واشترك مع النساك فى قتال الروم ، يصوم فى السفر والاقامة وينطق بالعربيه الفصحى لا يلحن . توفى رحمه الله سنة ١٦١ هـ على الأرجح . (فوات الوفيات ج١ ص ٣) .

٣) السرى : هو سرى بن المفلس السقطى الصوفى أستاذ الجنيد ، وهو أمام البغداديين وشيخهم فى وقته ، توفى سنة ٢٥١ هـ (طبقات الصوفيه ص ٤٨) .

٤) معروف الكرخى هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخى ، أحد أعلام الزهاد والمتصوفين . ولد فى كرخ بغداد ، وتوفى ببغداد ، واشتهر بالصلاح وقصده الناس للتبرك به ، حتى كان الامام أحمد بن حنبل فى جملة من يختلف اليه وتوفى رحمه الله سنة ٢٠٠ هـ .

(طبقات الصوفيه ٨٣ ـ ٩٠)

٥) السرى : الوجيه .

٦) النكث : نقض العهد .

علم منك الحق الجد والتحقيق ، وسلم لك الصدق أمد بالتوفيق
فما افترقنا حتى تفرق همى المتراكم ، ورجعت مهرنشقا (١) أحمد
الفريم والحاكم

---

١) المبرنشق : السرور .

المقامة الحادية عشرة

في

ذم الأكل في قوة المعز

دعوت في بعض أيام الفلاح (١) الجفلى (٢)، فلاح فيهم بدوي قد لاح (٣) الفلا، فصحت بصاحبي: أما هذا فلا، فقال الأعرابي: أنت الخارج إذا قبلي، فبقيت حياء لا أمرٌّ ولا أحلى (٤)، فقال يا أجود من حاتم (٥) ما يبلغ كعب في الكرم كعبك، فإذا أنا أحير من ضب (٦) في أحر من قلب صب (٧)، وندمت على ما قلت ندامة الكسعي (٨)

---

١) الفلاح: الفوز والنجاة (٢) الجفلى: أن يدعو للطعام دعاء عاما.

٣) لاح فيهم: ظهر، لاحه الفلا: غير وجهه (٤) أي لا أنطق بكلام حلو ولا مر.

٥) هو أبو عدي حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني: فارس شاعر جواد، جاهلي يضرب المثل بجوده، كان من أهل نجد وزار الشام فتزوج ماوية بنت حجر الغسانية، ومات في عوارض سنة ٦٠ هـ (جبل في بلاد طيء) ـ ج١ ص٢٤١ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة.

٦) يقال أحير من ضب: لأنه إذا فارق حجره لم يهتد للرجوع، ويضرب هذا المثل لمن تحير في أمره. (٧) الصب: الشوق المستهام.

٨) هو رجل من كسع واسمه محارب بن قيس وقيل: هو من بني كسع ثم من بني محارب واسمه غامد بن الحارث. اتخذ قوسا من نبعة فمرت به قطعان من الحمر، فرمى في الليل عن قوسه خمس مرار كلها قد أصاب فيها ويظن أنه قد أخطأ، فكسر قوسه فلما أصبح، أي الحمر التي صرعها فندم على كسر قوسه فشد على إبهامه فقطعها وأنشأ يقول:

ندمت ندامة لو أن نفسي * تطاوعني إذا قطعت خمس

تبين لي سفاه الرأي مني * لعمر أبيك حين كسرت قوسي

(مجمع الأمثال ج٢ ص٣٤٨).

فقال : أين طيب الأرومة (١) ، أين أثر الأكرومه ، أف لثياب أحرار على غير أحرار (٢) .

غرر لكنهم غرر * ان قرنت الخبر بالخبر

يشربون الصفو من زمن (٣) * لا يهنى فيه بالكدر

(فقلت : أعدهما . فأخرجهما بغير العباره وأخرجهما فى عبر العباره

رب قوم فى خلائقهم * غرر قد صيروا غررا

ستر المال العيوب لهم * سترى ان زال ماسترا (٤)

ثم قال : وجدان الرقين (٥) يغطى افن الأفين (٦) . ثم أنشد :

رأيت خيمة شعر * فقلت ماذا السواد

فقيل مطبخ قوم * فقلت أين الرماد

فقيل لى فيه بن * وكامخ (٧) وجراد

وليس فيه سوى ذا * وللجمال يراد

فقلت انما فرحت فماذا فقال حوشى الكريم من هذا وأنشد :

---

١) الأرومه : الأصل (٢) أف لثياب أحرار على أجساد عبيد : ك

٣) يشربون الصفو من كدر : ح (٤) مابين القوسين ناقص : ح

٥) الرقين : الدرهم . (٦) الأفن محركة : ضعيف الرأى ـ والأفين والمأفون : ضعيف العقل والرأى . وفى المثل : ان الرقين تغطى أفن الأفين أى أن الدراهم تغطى حمق الأحمق .

٧) الكامخ : نوع من الأدام معرب . ويبدو أنه ليس من جيد الطعام حكى أنه قدم الى أعرابى خبز وكامخ فلم يعرفه فقال : ماهذا ؟ فقيل : كامخ ، فقال : قد علمت أنه كامخ ولكن أيكم كمخ به ؟ يريد . سلح به . ولم أجد لهذا الادام وصفا فى مصادر اللغة ؛ ص ٣٤٦ ـ المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم .

مجاهيل ما فطنوا بالسماح * ولاسمعوا بحديث القرى

بلى عند ضيفهم ما يريد * ولكن لعمرى اذا ما اشترى

وان كان عندهم ثاويا (١) * فما تتغذر دور الكرا

ثم قال : لقد الفت صحبة قوم كانوا أخائر الذخائر ، وبشائر العشائر ، وكنت اذا حييت فبين كرام ، واذا حُيّيت فباكرام .

لله أقوام فقد تهم * سكنوا بطون الأرض والحفر

أين السبيل الى لقائهم * أم من يحدّث عنهم خبرا

أسدُ الوغا وبدور أندية * تهوى العيون اليهم النظرا

تركوا الزمان مرقعا خلقا * والناس لاحيا ولابشرا

فقلت له : لمن وصفت ؟ فقال : لضدك ان انصفت ، ثم أنشد :

لذة الدنيا اذا ماحضروا * واذا غابوا فشغل للأماني

ما اطمأن الدهر حتى نقضوا * فكأني لم أراهم في مكان

ثم رأيت دمعه قد ساح ثم أشاح وصاح :

فليس الى أكناف صبح بذى اللوى * لوى الرمل فاعذرن النفوس سعاد

بلاد بها كنا وكنا نحبها * اذا الناس ناس والبلاد بلاد

ثم أب (٢) ليبعد وأبى أن يقمد ، فتلطفت العروف (٣) لأستعطف الشرس وقلت : افعل المعروف . فسكت وجلس ، ثم برطم واخرنطم وغمغم وهمهم (٤) فأنصت اليه أتفهم ، فاذا به يترنم :

مات الكرام ورحلوا وانقضوا ومضوا

ومات من بعدهم تلك الكرامات

وخلفوني في قوم ذوي سفه

لو أبصروا طيف ضيف في الكرى ماتوا (٥)

---

١) الثاوى : الذى يطيل الاقامة بالمكان . (٢) أب : تهيأ

٣) العروف : الصبور (٤) يقال برطم واخرنطم : اذا لم يبن الكلام ، وغمغم وهمهم مثل ذلك .

٥) الكرى : النوم

ثم قال تراهم كالنخل ولا تدرى ما الدخـــل ٠

ولا خير فى حسن الجسوم ونبلها * اذا لم تزن حسن الجسوم عقول

ثم قال : أى مروءة لمن لا يجتمع الاخـــوان عـــلى خوانه(١) ، ولم تقـــــع الأجفان على جفانـــه(٢) غيـــر أن الحـــر كالعنقاء(٣) معـــدوم اللقاء ، ومثل الماثل بيـــن الطعام وطاعم الطعام مثل حـــروف الادغام(٤) فقلـــت لـــه : ياهذا كـــدرت وقتنا ، فكن ممن ضم الصفح واقتنى(٥) وان لم تكن تقـــوى فان العفو أقـــــرب للتقـــوى ، أما علمت أن فى حكم الحكمة وقضايا العلم أن التوبيخ جدرى فـــى وجـــه الحلم ، فقال : ما غضبت لفوت القـــوت والرغيف ، ولكن لأنى رأيـــت الضعيف عيـــف(٦) ، وسأقتدى بأخلاق من عفا وسلف ، "عفا الله عما ســـلف"(٧) فلما مدت الموائـــد أرز ، ثم اقفعل(٨) كأنه كاتع(٩) ، فقلت له بعدما برز لى مانع ، ثم قرصم قُرصا وقصمله(١٠) فجعلت أتأمل عمله فتناول لقيمات ثم كف الكف وقال : أثقـــل الجماعة حلما من خـــف ، فلما رأيته قد قصر لمته ، فأفادنـــى وبصر شيئا ما علمته وقال : افهم حكمة من أحيى ، واعلم ان فائدة المحيى ان كنت العلم تأمل انما يريـــد العاقـــل أن يأكل ليحيى لا أن يحيى ليأكـــل ان خيـــر المطاعم ما استخدمت وان شرها ما خُدِمتْ ، وهل عالج الحجام(١١) وفصد الفصاد(١٢)

---

١) الخوان : ما يوضع عليـــه الطعـــام ٠

٢) المراد بالأجفان : العيون ، والجفان جمع جفنه وهى القصعة الكبيرة ٠

٣) العنقاء : طائر موهوم لا وجـــود لـــه ٠

٤) ومثل الماثل بين الطعام مثل حروف الادغام : ك

٥) اقتنى : لزم حياءه ٠ يقال : اقتنى حياءه اذا حفظه ولزمه

٦) عيف : كـــره (٧) المائدة آيه ٩٥

٨) أرز : اجتمع ، واقفعل نحو ذلك ٠

٩) الكاتع : الذى تقبضت يده

١٠) قرصم : قطع ، قصمله : قطعه أيضا ٠

١١) الحجام : هو الذى يمتص الدم بالمحجم ٠

١٢) الفصاد هو الذى يخرج الدم من عرق مريضه بقصد العلاج

الا خارج عن حد الاقتصاد ، وأعوذ بالله من ميعة[1] الهجفجف ، ثم جمع نفسه وقفقف[2] ، فقلت : أما تشتهى أن تشبع ؟ ، قال : أشتهى وأمنع ثم أنشد :

ولى بك من فرط الصبابة آمر
ودونك من حسن التصور[3] زاجر

ثم قال : حوشى من يعد فى البشر من البشم والبغر[4] ، ثم أخذ يدرس درسا قد درس ، ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس[5] ، فقلت : ألا تغسل يدك ؟ قال : قد غسلتها من برك ، قلت : فضحتنى ، قال على كتم سرك ، ما أكلت لحما فأقول يدى غمره[6] ولا شحما فتكون زهمة[7] ولا تناولت من اللبن والزبد فترى شتره ، ولا من الثريد فأراها مرده ، ولا من الفاكهة فيقال لزجة ، ولا من الدهن فتضحى زلجه[8] ، ولا من الخل فتصبح خمطه[9] ولا من العسل فتوجد لزقه بل هى من مسكم درنه[10] ، فقلت :

الى كم عتاب يسد الفضا * سلام عليك مضى مامضى

---

١) الميعة : النشاط ، الهجفجف : الرغيب فى الأكل (الأكول) .

٢) قفقف : ضم نفسه كالذى ضم نفسه من البرد .

٣) فرط التصور : ك

(٤) البشم : التخمه ، البغر : كثرة شرب الماء وداء يشتد معه العطش فلا يخففه الماء .

٥) يشير الى حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم " بحسب ابن آدم لقيمات يقمن أوده فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه " أخرجه الترمذى ـ زهد ٤٧ .

٦) الغمر : زنخ اللحم وما يعلق باليد من دسمه .

٧) زهمه : دسمه

٨) ولا من الدهن فتضحى زنخة : ك ـ زلجه : زلقه .

٩) الخمطه : ريح نور العنب وشبهه

١٠) درنه : وسخه .

فقال ويحك للنصح عداد (١) ، فقلت : ومن الصفح سداد ، فسكت بعد أن بكّت ، (٢) فقلت ما تقول فى سماع الأغانى ، فقال شغلت عنها بايقاع المعانى ، قلت : فهل تشرّب الى شراب من شراب ؟ فقال : سرور الدنيا كله سراب ، اللذة تفنى والذله تبقى ، وقد ترحض (٣) الذله ولا تنقى (٤) وما يتناول بنانه الخندريس (٥) ، الا مكن ثوبُ ايمانه دريس (٦) ، ثم أنشد فأرشد :

ان فى نأى زمانى عظة
تشغل العاقل عن نأى زنام (٧)

ومدام الفكر فيمن قد مضى
مسكر يغنيك عن شرب مدام

عرس القوم وغربان الدجى
انما صاحت بتقويض الخيام

وحمامات اللوى (٨) صادحة
نوحها ينذرهم صرف الحمام

ومطايا الحتف (٩) قد (١٠) زمت لكم
ودعوا ياقوم وامضوا بسلام

ودعوا عنكم أباطيل المنى
ليست الدنيا لكم دار مقام

أقسم الساقى بكاسات الردى
ليدورن على كل الأنام

فقلت : أبدوى فى رحاله أم مذكر ؟ فقال : من عرف تصرف الأيام لم يغفل عن الاستعداد ، ان قرب المنية ليضحك من بعد الأمنية ماجرى عبد فى عنان

---

١) العداد : ما يجده اللديغ من ألم السم . (٢) بكت : وبخ
٣) ترحض : تغسل (٤) تنقى : من النقاء
٥) الخندريس : الخمر (٦) دريس : بال خلق
٧) البيت ناقص : ح ، الزنام : الداهية . (٨) حمامات الضحى : ح ك
٩) الحتف : الموت (١٠) زمت : شدت وهيئت .

أمله الا عشر بأجله ، الهوى والصبر ضدان (١) فاختر أحسن الضرتين ، فما يمكن الجمع ، ومن دام به الخمار فى ديار الهوى ، لم تصح عينه (٢) الا فى منازل البلى ، فقلت ومنى توبيخا فقال : يامقيما على الهوى وليس بمقيم ، يا مبذرا فى بضاعة العمر متى يؤنس منك رشد ، يا أكمه (٣) البصيرة لا حيلة فيه لعيسى يا طويل الرقاد ولا نوم أهل الكهف ، كيف يفلح من هووالكسل كندمانى جذيمة (٤) ويحك فرائس المهج فى مضابث أسد (٥) المنايا ، أسنة القنا مشرعة ولا درع .

وما هى الا ليلة ثم يومها
ويوم الى يوم وشهر الى شهر
مطايا يقربن الجديد الى البلى
ويدنين أشلاء الصحيح الى القبر
ويتركن أزواج الغيور لغيره
ويقسمن ما يحوى الشحيح من الوفر

فقلت : صف لى أهل العزائم ، فقال : أين أنت والأحباب ، كم بين القصور واللباب .

هل مدلج (٦) عنده من مبكر خبر * وكيف يعلم حال الرائح الغادى
لو رأيت صاحب العزم وقد سرى ، حين رقدت السراحين (٧) بهمة تحك فرق الفرقد (٨) ، فلنفسه نفاسه ، ولأنفه أنف ، سهم السهم مفوّق موفق ، غرضه الفرض (٩) . قلت : ما أبعدنى عن هؤلاء القوم فما أبعدنى ؟ فقال :

---

١) ضرتان : ك
٢) لم يفتح عينيه : ح ، ك
٣) أكمه : أعمى
٤) جذيمة هو جذيمه بن الأبرش كان من كبار الملوك وكان لا ينادم أحدا كبرا منه بل ينادم الفرقدين (وهما نجمان فى السماء) فاذا شرب قدحا صب لهما قدحا .
٥) فى مصايد أسد : ح ، المضابث والضبث : القبض على الشىء
٦) المدلج : الذى يسير فى آخر الليل . (٧) السراحين : الذئاب
٨) الفرقد : نجم فى السماء . (٩) غرضه الفرض : هدفه الشوق .

أوقد مصباح الفكر تلح (١) لك الأعلام ، من سد ثغور الهوى بجند الجد ملاء عين راحته من نوم الطمأنينة ، أأطلب الشجاعة (٢) من حسان (٣) ، وأسأل عن الهلال ابن أم مكتوم (٤) ، وأتلو سورة يوسف على روبيل (٥) ، واستمل الفصاحة من باقل (٦) ، لقد رجعت اذاً بخفى حنين (٧) ، فقلت : فكيف التدارك بعد الهفوات ؟ ، فقال : حجر المعاصى يطحطح (٨) إنماء القلب ، وضبة التوبة شعاب ، غض عينيك على الدواء يعمل ، وافتحهما لرؤية الهدى تبصر فبكيت وبالغت فى البكاء . فأنشد :

خل طرفى والبكاء ان كنت خلى
فالحمى أقفر من جار وأهل
هذه من بعدهم آثارهم
والتجافى ببلى الأطلال يبلى
يتمنى طيفكم صب بكم
مستهام والمنى جهد المقل

---

١) تلح : تبدو وتظهر (٢) مابين القوسين ناقص : م
٣) هو حسان بن ثابت رضى الله عنه قيل أنه كان جبانا .
٤) ابن أم مكتوم : هو عبد الله ابن أم مكتوم رضى الله عنه صحابى وكان كفيف البصر
٥) روبيل : بحثت فلم أجد لروبيل هذا ترجمة
٦) هو باقل الايادى : جاهلى ، يضرب بعيه المثل .
٧) أما خفى حنين ، فحنين كان رجلا اسكافا فساومه أعرابى فى خفين فاختلفا حتى أغضبه الاعرابى ، فلما ارتحل الاعرابى أخذ حنين أحد الخفين فألقاه فى طريقه ثم ألقى الآخر فى موضع آخر ، فلما مر الاعرابى بأحدهما قال ما أشبه هذا بخف حنين ولو كان معه الاخر لنزلت وأخذتهما ثم مضى ولم يأخذه ، فلما انتهى الى الاخر ندم على تركه الاول وكان حنين قد كمن له فنزل الاعرابى عن راحلته وأخذ أحد الخفين ثم عاد مسرعا الى الاخر ليأخذه فلما ترك راحلته أخذها حنين وسار بها ، فلما عاد الاعرابى لم يجد راحلته فعاد الى أهله وليس معه الا الخفين ، فقال له قومه : ما الذى أتيت به من سفرك ؟ فقال جئتكم بخفى حنين . فذهب مثلا عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة . وقيل فى قصة المثل غير ذلك . (أنظر مجمع الأمثال جـ١ ص٢٩٦)
٨) يطحطح : يكسر

والذى يستجلب النوم الكرى (١)
من لعينى أن ترى النوم ومن لى
حملونى الخف (٢) من هجركم
وارحموا من ماله طاقة ثقل
ماعلى السائق لو حل النقا (٣)
وأراح العيس من شد وحل
فعسى يدنى المنى منّى منى
فلعلى أن أرى الخيف (٤) لعلى

فقلت : ما يقدر على هذا الكلام القويم غير أبى التقويم ، فقال : ما عليك من كنيتى واسمى ، واحفظ وصيتى ورسمى ، ثم تأبط جرابه واحتبك (٥) ، وفر فرار الصيد من الشبك .

---

١) الطيف الكرى : ح ، ك ، م
٢) الخف بالكسر : الخفيف
٣) النقا : الابل المنتقاه أى المختاره وهى الابل السمينة .
٤) الخيف : ناحية بمنى
٥) احتبك : لبس ثيابه .

المقامة الثانية عشرة
فى الغـــزاة

رأيت جماعة من الغزاة وقد انتدبوا للغزاه ، فتقت الى فضل الشهاده ، ووثقت بأنه أفضل الزهاده ، فاخترت ذلة القتل بالثغورعلى لذة التقبيل للثغور فرأيت الفلاح فى اشتراء السلاح ، فلاح لى بعض أهل الصلاح ، فقال لى : هل لك فى رفيق يرفق ويُرفق ، وينفق عليك ويُنفق ، فتوسمت بسمته الحسن حسن السر ، وقلت له : سم الله وسر ، فاجتمع فيلق من أشائب (١) كلهم مسيف رامح (٢) ليس فيهم أميل (٣) ولا أكشف ، وجمهور القوم غرانقه (٤) فارتحلنا فى غمارهم واستحلنا من سُمّارهم ، فلما حضرنا المعترك وقد اعتكر (٥) واشتبك بكل رمح أظما نظما (٦) ، فكنا فى القدموس (٧) فانبلخ (٨) الأمر ، ووقع الكل فى أفره (٩) ، فلم يتميز الهلقام السرعوع من (١٠) القلهزم الخرنقرة (١١) ، واذا الفضنفر (١٢) الدمكمك (١٣) ، والقنفخر العلندى (١٤) ، والضباضب الدلامن (١٥) ، والضيع

---

١) الفيلق : الكتيبة العظيمه ، الأشائب : الأخلاط

٢) المسيف : الذى يحمل السيف ، والرامح : صاحب الرمح .

٣) الأميل : الذى لا سيف معه ، الأكشف : الذى لا ترس معه

٤) الغرانقة : الشباب (٥) اعتكر : أظلم

٦) الأظمى : الأسمر ، نظمها : أى ينظم الأشياء ويجمع بعضها الى بعض ، يقال رمى صيدا فانتظم سافيه برمح .

٧) القدموس : القطعة التى تتقدم الجيش .

٨) انبلج : اختلط . هكذا فى تفسير النسخة المخطوطه ، ولم أجد هذه الكلمة بهذا المعنى . (٩) الأفره : الاختلاط

١٠) الهلقام : الطويل ، والسرعوع مثل ذلك .

١١) القلهزم : القصير ومثله الخرنقره .

١٢) الفضنفر : الفليظ الخلق (١٣) الدمكمك : الشديد

١٤) القنفخر : العظيم الجثة ، العلندى : الفليظ

١٥) الضباضب : الجرئ ، الدلامن : القوى .

العشوزن (١) كلهم فى مقام اجفيل (٢) ، فرأيت مناجل (٣) الهند وانيات تحصد زروع الرؤوس ، والكبداء (٤) تكابد منها الأكباد الكبد ، فلما صرح لى ما عرا بعد أن أشكل ، طوح بى مما جرى أفكل (٥) ، فمشى بى الفزع مشى الأقزل وصيرنى الجزع كأعزل (٦) ، فملت الى مصاحبة السيخل (٧) ، وفارقت الصناديد ، ولحقت بما فارقت كل هيبان رعديد (٨) (٩) ، فقال صاحبى : أوماكنت قد عزمت فما أسرع ما انهزمت وهيهات أن يتشبه البرشاع (١٠) بالشجاع ، ويدخل الوضام (١١) فى نظام ، فقلت : ما يقوى الطرير على اليوم القمطرير (١٢) ، ولا يحمل المهند مقيد ، ثم وثبت على فرسى فوثبت بى مصاحبى ، فوليت ، وليت انى وافقت صاحبى ، فلما انقضى الحرب جاء رفيقى وهو يقول : وما توفيقى ، فقلت : يكفينى ما أفاتنى فأتنى فخبرنى بالخبر الذى أتاك ولم يأتنى ، فقال صيح ياخيل الله اركبى فرعدت سحب الكتيبه وحدقت بصواعق النوى فى جنبات العسكر ، فتذكر القوم وعيد الخيانه فبادروا بالعوارى الرد ومدوا أكف التسليم للأمانات ، فاذا الطعن

---

١) الضيع : الشاب الشديد ، العشوزن : العظيم الشديد أيضا .

٢) الاجفيل : الجبان .

٣) المناجل : جمع منجل وهو آلة يدوية لحش الكلأ أو لحصد الزرع .

٤) الكبداء : القوس

(٥) الأفكل : الرعده يقال : أخذه أفكل : ارتعد من برد أو خوف .

٦) الأقزل : الأعرج ، الأعزل : الذى لا سلاح معه .

٧) السيخل : الضعيف المرذول .

(٨) هياب : ح ، والهياب والهيبان : الجبان

٩) الرعديد : الجبان

(١٠) البرشاع : الأهوج الذى لاقوة له

١١) الوضام : الصخور الكبيره .

١٢) الطرير : الضعيف ، القمطرير : العبوس . والمراد الشديد .

شمشمهم ، واذا الضرب هبفعه (١) ، فدارت المناجيح (٢) ، وقوى الضجيج واشتد الشخير وكسر الكرير (٣) وأخذوا فى المداعسه (٤) ، فاذا الطعن عسوس (٥) فتصافحوا بالسيوف وهتفت الشهاده بالنفوس فلبت (٦) ألبت بها السهام فهام الظبا فى الهام ففغرت (٧) المنايا (٨) أفواهها فرغت نوق الرحيل فاذا ديار الأبدان من الأرواح (قد فرغت ، فوحق الخليل والمكلم) ما بقى فيهم (٩) الا مكلم (١٠) ، فخضبت الدماء بها محاسن وجوه طال ما صبرت على برد الماء وقت الاسباغ (١١) ، وطارت الرؤس التى طالما أطرقت وقت الاسحار ، فلو رأيت رجل الرجل التى طال ماقامت فصلت قد فصلت واليد التى طالما رفعت بالدعا قد وقعت ، والبطن الخميص (١٢) الذى حمل بالصيام ماشق قد شق والكبد التى كابدت ظمأ الهواجر (١٣) قد فرتها الكبداء ، والعين التى كانت تمين الحزين بالفيض (١٤) فى مقار طائر فصادت خيولهم خلية عشهم فوطئتهم بسد السناء (١٥) تحت السنابك فصاروا بسد علوهم على السيساء (١٦) تحت الملطاس واقتسم لحومهم عقبان السماء وسباع الأرض ، فقلت : روح قلبى يصوح (١٧) كربى

---

١) الشمشمة : حكاية صوت الطعن ، والهبفعة : حكاية صوت الضرب بالسيف .

٢) المناجيح : الخيل الجياد .

(٣) الشخير : صوت من الحلق أوالانف والكرير : الصوت من الصور .

٤) المداعسة : المطاعنه

٥) عموس : شديد

(٦) لبت : استجابت ، اللبات : الرقاب ألبت بها السهام : أصابتها فى اللبة وهى موضع النحر من الرقبة .

٧) الظبا : جمع ظبة وهو حد السيف : الهام : الرؤوس .

٨) ففرت : فتحت

(٩) مابين القوسين ناقص : ح

١٠) المكلم : الجريح والصواب المكلوم والكليم .

١١) أى وقت اسباغ الوضوء وهو اتمام الوضوء بأن يوفى كل عضو حقه فى الغسل .

١٢) الخميص : الضامر

(١٣) الهواجر : جمع هاجره وهى شدة الحر

١٤) الفيض : الدموع .

١٥) السناء : الرفعة

(١٦) السيساء : ظهر الفرس ، الملطاس : حافره

١٧) يصوح : يبدد .

فقال : انما حدثتك بأخبار الأجسام فأما أرواح الأخبار ففي دار السلام ، أمنوا والله من غير عتاب الونا (١) ، فما يفرقون ، وشربوا بكأس شراب المنى فما يشرقون ، " أحياء عند ربهم يرزقون " (٢) ما كانت والله الا غفوة ، ثم أعطاهم المفو عفوا عفوه ، وكأنك بالأجساد التي تفرقت قد تلفقت ، والقبور التي ضمتهم وتضمنتهم قد تشققت فيقومون الى عطاء المجزل في دار الاقامه وقد أقام لهم المنزل في المنزل أحسن اقامة ، وقد جرت كلومهم فافتخرت جسومهم ، فزادت فخرا على كل نسك ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك ، وانما أعلم القوم ليعلم الأشهاد أنهم الشهداء ، فياحسن الأشعار بذلك الاشعار (٣) (وياسرورهم باتصال ماله انفصال) (٤) ، ويافرحهم حين جمع الأوصال لجمع شمل الوصال ، ثم يقفون حول العرش بالسلاح يفاخرون أهل الصلاح ، يقولون بلسان الحال في تلك المحال : نحن الذين بذلنا الأنفس لطلب الأنفس ، عن صاحب هذا العرش حاربنا ، وعلى الخصومة في وحدانيته قاتلنا ، فيقال لهم : قد بذلتم النفوس وهي الغاية (٥) فاخلدوا في نعيم ماله نهاية ، وارتفعوا على من تخلف عن عزائمكم ، فما يلحق القاعد بقائمكم ولولا أنه قد نزعت من المتقين الحسرات لتقطعت أكباد الباقين على مافات ، فقلت له : قد عمل في هذا الكلام ولا عمل الكلام (٦) ، ولقد ندمني على

---

١) ألونا : التعب والفتور .

٢) " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون " . آل عمران آية ١٦٩ .

٣) الاشعار : الاعلام

٤) مابين القوسين ناقص : ح ، ك

٥) وهي الغالية : ك

٦) الكلام : الجراح .

ما نَدِمني (١) من التقاعد ، والآن فقد صاح بي المتقى عد ، فقال : قد أفلح مستدرك أمسه " من عمل صالحا فلنفسه " (٢) ، فقلت : فقد جاهدت ، فأين الغنيمة ؟ فقال : يكفي أنني سلمت من هزيمة .

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك

ان كنت جاهلة بما لم تعلمي

يخبرك من شهد الوقيعة أنني

أغشى الوغا وأعف عند المغنم (٣)

فقلت : ما الحكمة في أن الشهداء لا يغسلون ولا يصلى عليهم ؟ فقال : انما يغسل الوسخ لا الطيب ، والريح ريح المسك ، وانما يشفع في المذنب ليجار من العذاب والقوم علقوا نشاب الشهادة على دور الأبدان فلم يقربها يومئذ حساب ولا عقاب ، وانما يسأل في البعيد ليقرب وهؤلاء تمكنوا من الحضرة فرفعت سوابق خيلهم عن الميدان بحلبة ، ولم تزر لكمالهم أن يسأل فيهم ناقص وأنشد :

أنفت من براقع القز والخز

خدود قد برقمتها بورد (٤)

فقلت : ما أزال لنصيحتك أشكر ، فما اسمك لا ذكر ، فقال ان لي أسماء لا أعلنها منها النهى فودعته راجعا الى بعض الثغور فمضى المنجد منجدا وذهبت أغور (٥) .

---

١) ند : صعروشذ .

٢) " من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد " . فصلت آية ٤٦

٣) هذان البيتان لمنترة العبسي من معلقته ، ومطلعها :

هل غادر الشعراء من متردم

أم هل عرفت الدار بعد توهم .

(ص١٦٣ ـ شرح المعلقات السبع لأبي عبد الله الزوزني) .

٤) قد برقموها بورد : ح ، ك

٥) أي ذهب الذي أنجدني في مكان مرتفع وأنا أخذت سيري في مكان منخفض .

المقامة الثالثة عشـــــرة
فى النهى عن النظـــــــــر (١)

خرجنا ونحن قنف الى روضـة أنـف (٢) ، فمرت بنا امرأة شبهناها بالشمس ثم ذهبت ذهاب أمس ، فأقمنا بعدها حيارى ، وقمنا كأننا سكارى ، مافينـا ، الا من قد عرقله نهسل ذلك الشرك (٣) ، وما منا الا قتيل ، ولا درك ، فصبرنـــا قلوبنا عند النوم فنهست (٤) ، وصرنا كلما حصدنا زرع الهوى نبت ، فأصبحنا كمفئود (٥) يتشاكى ويتباكى ، وصحنا من ألم قيـود لانجـد لها فكاكا ، فقلت لأصحابى : ان المباكرة الى مجلس الذكر مباركة وعسى يلين ما عسا من قسـاوة أو ينسخ ما غشى من غشـاوه فخرجنا لانهتدى لتراكم الهموم الطريق ، فاذا فى الجامع جامـــع للعلوم لبيق (٦) ، وقـد اجتمع اليـه فئـام (٧) ، فمنهم لديه قعود وقيـام ، فمضينا نطلب القرب من لفظه لشـدة اللجب (٨) ، فقضينا من حسن وعظه العجـب ، فرأيت حذاقيا (٩) مسلاقا مسقعا (١٠) منقحـا (١١) قـد انبعث مبعث لقلقه (١٢) بالسـيل الجلاخ المرلعب (١٣) فقد قل أبنيـة القلوب لا يكل عن مشكلة ولا ينكل (١٤) عن معضلـه ،

---

١) فى أخلاق الناظر : ح

٢) القنف : الجماعه ، الروضة الأنف : التى لم ترع من قبل .

٣) الشرك محركة : ما ينصب للصيد . ٤) نهست : رفضت ولم تقبل .

٥) المفئود : ضعيف الفؤاد والذى أصيب فى فؤاده .

٦) اللبق واللبيق : الحاذق : ٧) الفئام : الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه

٨) اللجب : الجلبه

٩) الحذاقى : الفصيح اللسان البين اللهجـــة .

١٠) المسلاق والمسقع : الخطيب البليغ . ١١) المنقح : الذى يفتش عن الكلام

١٢) لقلقه : لسانه ١٣) الجلاخ : الكبير . وكذلك المرلعب .

١٤) لا ينكل : لا يجبن .

فسمعته يقول : يا ابن آدم أتدرى عمن أعرضت وبغضب من تعرضت ، ان الشرع نهى عن النظر فأوغلت ، وقالوا لا تقتلوا أنفسكم فقتلت ، ويحك أطلقت فى الحرام الناظر ونسيت أن العقاب لا يناظر أما علمت أن الحاظر حاضر ، فقلت لأصحابى هذا يتكلم على الخاطر فلأسألنه وأخاطر ، وأخاطر بخاطر ، فنضحت بين يديه وصحت اليه : ولابد من شكوى اذا لم يكن صبر ، فقال لى : ويحك مالك ، اشرح لى حالك ، فقلت : بى خمار (١) وبأصحابى فقال : كم قد أصلح الله وكم قد أصحى بى ، صفوا لى مرضكم تبلغوا غرضكم ، فقلت : غدت علينا غادة رعبوبه (٢) ، خود (٣) ، هيفاء ، خدلجة (٤) هركوله ، برهرهه (٥) ، فتأملنا قدها وقد دهى ، فهوينا تلك الهوينا فهوينا ، واذا بالتمزاح (٦) التلعابة (٧) قد أخذت فى المزاح والدعابه ، فاستلبت القلوب وا لنواظر ولم تشبت و لم تناظر ، فجرعنا فى المُر المُر ، وعالجنا اللاعج (٨) ، فمذ فارقت حمى الربع لم تفارقنا حمى الربع ، فمن يتعشق عِذابُ الثنايا ، تجشم فيها عذابا ثنايا ، ثم قال : من اشتغل بفهم القرآن المرتل ، لم يصبه سهم الثغر المرتل ويحك ان النظره كحبه غرست ، فمتى لم تسق يبست ، فاحذروا ا عادة النظر ، وازجروا القلوب عن قبيح الفكر ، وقد اضمحل ماحل ، ثم زفر والتوى كمن نفر من التوى (٩) ، ثم أنشد :

---

١) الخمار : ألم الخمر وصداعها وأذاها . وهو على التشبيه .

٢) الغادة : المرأة ا لناعمة ، الرعبوبه : البيضاء .

٣) الخود : الحسنة الخلق ، الهيفاء : الضامره البطن .

٤) الخدلجة : الممتلئة الذراعين و الساقين ، الهركولة : العظيمة الوركين .

٥) البرهرهة : المطوية الخلق ، البرهوهة : التى كأنها ترعد من الرطوبة

٦) التمزاح : كثيرة المزاح (٧) التلعابة : كثيرة اللعب

٨) اللاعج : حرقة ا لحب .

٩) كمن نفر من الدنوى : ح ، التوى : الهلاك أو هلاك ا لمالى خاصة .

والمرء مادام ذا عين يقلبهـــــا
في أعين العين موقوف على الخطر

يسر مقلتـه ما ضـر مهجتـــــه
لا مرحبا بسرور عاد بالضـــــرر

ثم قال ان من تمام النعم ، خلق عينين وبالواحدة يقع الاجزاء ، ثم كل عين مركبة من عشرة أجزاء ، سبع طبقات كقشور البصل ، تنوب الواحده عن الأخرى انّ بلاء وصل ، ثم ثلاث رطوبات ، والبصر في الوسط وكلا الرطوبتين على الطرف قد انبسط ، وأصفى الأقوات يبعث اليهما ، والنور ينزل من الدماغ عليهما ، أفيحسن أن يكون شكر من بالسلامة أنعم ، اطلاقها فيما حظر وحرم ، ثم أنشد :

في كل يوم للعيون وقائع
اذ سانها الطماح فيها يكلم

لو لم يكن جزعي غداة لقائهم
ماكان يجري من مآقيها الدم

ويحكم ان جراحة النظر الى الحرام سمحاق (١) ، فان مشى الى الزنا فهاشمه (٢) ، فان لمس فمنقله (٣) ، فان زنى فآمه (٤) . ثم أنشد :

اذا أنت لم ترع البروق اللوامحا (٥)
ونمت جرى من تحتك السيل سائحا

غرست الهوى باللحظ ثم احتقرته
فاهملته مستأنسا متسامحـــــا

---

١) السمحاق : التي بينها وبين العظم قشرة رقيقة .

٢) الهاشمه : التي تهشم العظم .

٣) المنقله : التي تخرج منها العظام .

٤) الآمة : التي تبلغ أم الرأس .

٥) البروق اللوامحا : ح

ولم تدر حتى أينعت شجراتـــــه
وهبت رياح الهجر فيها لواقحا

وأمسيت تستدعي من الصبر عازبـــا
عليك وتستدني من اليوم نازحـــا

ثم قال : لو أن الفكر عيّر جلد المستحسن أنف ، و لو تذكر ما يحويه البدن ما كلف لكنه لو وقوف على الشاطئ ألف ، ولو عبر الى الصبر ما تلف ، اياكـــم والاغترار بالعيون الملاح ، فانها بحور ملاح ، وكم ناظر قد خرب ضياع القلوب فأوجب الضياع ، ان مستحسن الابصار في صيد الألباب كما له كم أوقع خلخال خريده (١) في خلخال حديده ، أما علمتم أن المحاجر في المعاجر خناجر على خذاجر (٢) أين قوة الرجوليه ممن لا يرد طرفه و لا يملك طرفيه ، يامكلفيـــن غضوا أبصاركم تبصروا ، واصبروا لسنى الجدب تمصروا .

يا نفس ماهي الا صبر أيـــــام
كأن مدتها أضغاث أحـــــلام

يانفس جوزي على الدنيا مهـــادرة
وخلي عنها فان العيش قد دامى

صونوا العيون التي وعدت بالنظر عن ذوق مطعم الهوى بصوم الغض و صابـــروا عطش النفوس الى المشتهى وان أرهن و أضنى (٣) ، انتبهوا في ليل الهـــو من رقاد المعاصي قبل أن يبعث فجر المقبـه ، تالله لقد بانت عيـــوب الدنيا للفطناء الألباء في ضمن الخداع ، وانما يعجب أطفال الطباع الذين لم يظهروا على عورات النساء أخواني في هم الدر قصور ، فقد اختارت رمم البر على القصور وايثار المزيله بله . أين من لعب و لها ، وكسبه الهـــوى

---

١) الخريدة : البكر لم تمس أو الخفرة (الحيية) الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة (٢) المحاجر : العيون ، المعاجر : جمع معجر وهو ثوب تعتجر به المرأة ، الخذاجر جمع خذجره . والمعنى : أن أثر النظر على صاحبه كأثر الخناجر على الخذاجر .
٣) أرهن : أحرق ، أضنى : آلم .

ولها ، وجدّ في طلب الدنيا ولها ، مضى العمران (١) ، وذهب الزهدمان (٢) ، وتلف الأحوصان (٣) ، فأين العامران (٤) ، ألهاهم الحجران (٥) ، وغرهم الأصفران (٦) ، وأبطرهم الأحمران (٧) ، وسرهم الأهيمان (٨) ، فأبلاهم الملوان (٩) ، وصرعهم الصرعان (١٠) ، أين عيونهم التي في المحاسن جالت حالت ، وأين أعناقهم التي بالعز طالت ؟ مالت ، وأين ألسنتهم التي قالت زالت ، وأين جبال عزهم التي هالت (١١) انهالت ، سامت البلاء وعالت ، سقيت أسبابه نقوس سامت المنى وعالت ، فليت شعري ما الذي قيل لها وما الذي قالت ، ثم قال : بعض هذا يكفي أناء الهوى ويكفي ، وينفع المريض الذي قد أشفى ويشفى ، ثم تقنّع بطيلسانه وتبرقع ، ونزل عن مكانه ودرقع (١٢) ، فقلت لبعض جلسائه من هذا العليم ؟ فقال : هذا أبو التقويم ، فقلت هذا نسيج وحده لا وجه لجحده ، فرج عنا وقد خرج الهوى من قلوبنا خروج الولد من السلا (١٣) ، ما فينا الامن قد وجد وسلا .

١) العمران : هما عمرو بن جابر وبدر بن عمرو .

٢) الزهدمان : زهدم وقيس وهما أخوان من عبس .

٣) الأحوصان : الأحوص بن جعفر وعمرو بن الأحوص .

٤) العامران : عامر بن مالك وعامر بن الطفيل .

٥) الحجران : الذهب والفضة .

٦) الأصفران : الذهب والزعفران

٧) الاحمران : الشراب واللحم .

٨) الأهيمان : الطعام والشراب .

٩) الملوان : الليل والنهار

١٠) الصرعان : الغداة والعشي .

١١) هالت من الهول .

١٢) درقع : فر وذهب

١٣) السلا : غشاء رقيق يحيط بالجنين ويخرج معه من بطن أمه .

المقامة الرابعة عشر
في الشيب (١)

رأيت النفس والهوى في زمان الشباب قد تهادنا ، فلما أعلمها الشيب أعلمها أن مماتها دنا ، فنفرت عن الهوى نفور الوحشيات قسورة (٢) ، وأخذ الهوى يذكرها عقود العهود ، فقالت حل الشيب فحل الحل هبت على أغصان بساتيننا في هذه الأعصار أعصار (٣) فأوجب كونه كالصريم المصارمة (٤) فأنت تأسف اذ فارقتك ، وأنا آسى (٥) اذ وافقتك ، كم قد تبعتك الى زلة فقدتني وما فقدتني فقال الهوى :

وكنا كندماني جذيمة حقبة (٦)
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا (٧)

قد كنا بقدم واحده نسعى وبعين واحدة نرى ، فما هذا الصبر الذي عنّ عنا وعرى ، فقالت حادث حل فحل كل العرى وأبعد مابيننا بعد الثريا والثرى ، كنت معك وريق الشباب (٨) وريق ، وريق المحبوب حريق رحيق ،

---

١) في مفارقة النفس للهوى : ح
٢) القسوره : الأسد
٣) الأعصار الاولى : الأزمان والثانية : ريح شديدة ترقى التراب الى السماء .
٤) الصريم : الليل والصبح ، المصارمه : المقاطعة .
٥) آسى : أندم .
٦) سبق التعريف بجذيمة . والمراد بندماني جذيمة : الفرقدان وهما نجمان في السماء لا يزايلهما كبرا منه من دون البشر .
٧) هذان البيتان لمتمم بن نويرة من قصيدته التي يرثي فيها أخاه مالكا
٨) ريق الشباب : أوله .

فلاحت لى طلقة شيب فلاحت (١) ، وصوحت أخرى فى نباهتها فصاحت ، فصفرت (٢) راحة ظفرت بالراحة التى راحت ،

راحوا فراحت راحتى من راحتى ٠٠ صفرا وأمسى ذكرهم لى راحا

فتحوا على قلبى الهموم وأغلقوا ٠٠ باب السرور وضيعوا المفتاحا

ويحك أما علمت أن ثنية الشيب تطلع على البلد من حلة الشيب ، تحط على شفير القبر ، وهل أنجد من رأى حضنا (٤)

وكيف بالعيش الرطيب بعدما ٠٠ حط المشيب رحله فى شعرى

سواد رأسى أم سواد ناظر ٠٠ فانه مذ زال أقذى بصرى

ماكان أضوا ذلك الليل على ٠٠ سواد عطفيهما ولما يقمر

عمر الفتى شبابه وانما ٠٠ آونة الشيب انقضاء العمر

ثم انفجرت عيون عبونها ، فجرت الشؤون (٥) لشؤونها ، وجعلت تندب ندب وتبكى حؤول الربيع (٦) وحلول الجدب ، ففهمت من جملة قولها فى ضمن عولها (٧) خبر والله شيطان اللهو المشمخر (٨) ، وخشن العيش اللذيذ المحدرج (٩) ، وأظلم الطريق اللحب المسحنفر (١٠) ، وفرغ اناء اللذة المفعم (١١) :

---

١) لاحت الأولى : ظهرت والثانية : لامت .

٢) تصوحت : تناثرت

٣) صفرت : ذهبت وماتت

٤) حضن : جبل قرب نجد

٥) الشئون : الدموع .

٦) حؤول الربيع : زواله .

٧) عولها : بكاؤها .

٨) المشمخر : المتعظم .

٩) المحدرج : الأملس

١٠) اللحب : الطريق الواضح وكذا المسحنفر

١١) المفعم : الممتلئ .

أنست بأيام الشباب وظلها * وأنسيت دهرا فى جوار الجواريا

فلما رأيت الشيب يبسم ضاحكا * بكيت فأعجلت الغيوم الجواريا

فظن رياء بالدموع سفحتها * وما بدموع أدميت بالجوى ريا (١)

وقلت غدا زندى بشيبى كاتبا * وكنت أراه يقدح الفلج واريا (٢)

فقال لها الهوى ، ويحك وشيب اللمة (٣) الواضحه هو الملمة (٤) الفادحه لقد زاد التألم على القادحه ، فقالت : ويحك اذا ابيض الفود (٥) الأسود اسود العيش الأبيض ، أما تغيير اللحية يغير الحليه ، تالله لقد لاح اللاحى فصاح النذير بالصاحى :

وغير التصابى للكبير تعلّة * وغير الغوانى للمشيب صحاب

أؤمل مالا يبلغ العمر بعضه * كأن الذى يعد المشيب شباب

وطعم لهازى الموت لا شك مهجتى * أسف على رأسى فطار غراب

وأثقل محمول على العين ماؤها * اذا بان أحباب وعز ايا ب

كان الشباب لوقود اللذة كالحصب (٦) ، وكان الصبى يترقرق فنضب تقشع (٧) الشيب تقشع سحاب اللهو ، وذهب ، فقد بقيت سبق فيها سول ، ولا قوة لى ولا حول :

دعنى فان غريم العقل لازمنى * وذا زمانك فامرح فيه لازمنى

ولى الشباب بما أحببت من منح * والشيب جاء بما ابغضت من محن

فما كرهت ثوى (٨) عندى وعنفنى * وما حرصت عليه حين عنّ (٩) فنى

---

١) الجوى : حرقة الوجد ، ريا مقصور رياء .

٢) الفلج : الظفر والفوز (٣) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الاذن

٤) الملم : الشديد من كل شئ

٥) الفود : معظم شعر الرأس مما يلى الأذن

٦) الحصب : ما توقد به النار

٧) تقشع الشيب : كثر

٨) الثواء : طول الاقامة

٩) حين عرفنى : ح

كان الشباب صافيا فمذ قر الشيب امذقر[1] ، وكان لص اللذات مغالطا فمذ وقع سوطه أقر ، كانت غربان شبابى مقتنصة لكل حوراء دملصه[2] فما بقى فى لبانة لبانه[3] وذهبت مع الغادة العادة[4] .

قد ذقت لذة أيامى وشد تها
فما بقيت على صاب[5] ولا عسل

وقد أرانى الشباب الروح فى بدنى
وقد أرانى المشيب الروح فى بدلى[6]

ثم تأوهت ومالت وتفوهت وقالت :

سقى الله أيام الشباب فانها * لبست بها برد الفخار قشيبا
أضمت لها جهلا قراها ففادرت * على سخطها منى المفارق شيبا

فلا وجه أيها الهوى المعنى لنقارك[7] ، ولا معنى لنفارك ، فعن قليل تبعد عن وجارك[8] وجارك .

عزلونى وأنكروا أخلاقى * وتواصوا جميعهم بقراقى
قلت لا تعجلوا على بلوم * وتأنوا فللأمور مواقى
فركتنى الدنيا[9] فطلقتها عمدا * وما للفروك[10] غير الطلاق

---

١) امذقر : اختلط
٢) الحوراء : هى التى فى عينيها حور ، الدملصه : التى يبرق لونها .
٣) اللبانة : الحاجة ، واللبانة : الفتاة اللينة .
٤) الغادة : المرأة الناعمه اللينة
٥) الصاب : المر
٦) بدل الشىء : الخلف منه
٧) النقار : المراجعة فى الكلام
٨) وجارك : بيتك ، وأصل الوجار بيت الضبع ونحوه
٩) فركتنى : أبغضتنى .
١٠) الفروك : المرأة المبغضه

ثم قالت ضحك سماح سماح ، هل بقى للشيخ من مناسك حج المعرض الوداع :

الأبيات للصمة

قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى * وقل لنجد عندنا أن يودعا

واذكر أيام الحمى ثم انثنى * على كبدى من خشية أن تقطعا

فليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى * وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا (١)

فلما أنس الهوى منى ذكاء أذكى من اياس ، (٢) سكت عنها قاطعا على اليأس

ومضى يقول فى محجة طريقه ، مقرا بحجه رفيقه ، من يفاضح الخنساء (٣) اذا تشهدت

ومن يفاضح رابعه (٤) وقد تزهدت ، ثم عاد بالطمع عليها ، يكرر الكلام عليها

الى أن قال : هلمى معى الى الحاكم ،

---

١) الليت : صفحة العنق ، الأخدع : أحد عرقين فى جانبى العنق ، وهما الأخدعان .

٢) هو أبو وائلة اياس بن معاوية بن قرة المزنى ولد سنة ٤٦ هـ ، كان قاضى واحد أعاجيب الدهر فى الفطنة والذكاء يضرب المثل بذكائه وزكنه . توفى بواسط سنة ١٢٢ هـ . (وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٦) .

٣) الخنساء هى تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد وتكنى أم عمرو ، وانما الخنساء لقب غلب عليها وهى الظبية . والخنساء من شواعر العرب المعترف لهن بالتقدم وهى تعد من الطبقة الثانية فى الشعر وأكثر شعرها فى رثاء أخويها معاوية وصخر . وقد أسلمت مع قومها بنى سليم عند ظهور الاسلام ، واستشهد لها أربعة بنين فى وقعة القادسية سنة ١٦ هـ فلم تجزع وقالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجوا من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة . وكانت وفاتها فى أول خلافة عثمان رضى الله عنه سنة ٢٤ هـ وكان موتها فى البادية

٤) هى أم الخير رابعة بنت اسماعيل العدوية ، مولاة آل عتيك البصرية الصالحة مشهورة من أهل البصرة ومولدها بها . لها أخبار فى العباده والنسك . قيل أنها رائده التصوف الاسلامى الاولى . توفيت فى القدس وقيل بالصبره سنة ١٣٥ هـ ، وقيل سنة ١٨٥ هـ — جـ ١ ص ١٨٢ وفيات الأعيان .

ليضرب على يد الظالم ، فأتيا شيخا قد عسا (١) ، فكل منهم يقول عسى ، فشرحا له قصتهما ، وسرحا يذكران غصتهما ، فقال : أنت أيها الهوى قد أحرجك فقد اللذات ، وأنت أيتها النفس فقد أزعجك خراب الذات ، أيها الهوى كم جنيت من جناية ، وكم نقلت قبيحك الى الغواية في الرواية ، فابك تفريطك في أمرك باقي عمرك لعلك تستدرك ، وأنت أيتها النفس في ندبك الطلل (٢) ، عله عجيبة من العلل ، وندم ماذكرت من قرب الأجل ولكن في القصد خلل ، علا على قلبك لفقد الأهيمين عين (٣) ، واعتراض سكان لعلع قد لعلع (٤) ، وانما ينبغي أن يكون بكاؤك لموافقة الطبع في مخالفة الشرع ، ولتبديد البذر في زمن الزرع .

وهت عزماتك لما كبرت

وما كان من عزمها أن تهي

ولكن نهاك النهى فانتهيت

كرها وان قلت لا أنتهي

---

١) عسا : كبر .

٢) الطلل محركة : الشاخص من آثار الدار والشاخص من كل شيء . والمراد هنا بطلل النفس : ماضيها .

٣) الأهيمان : الطعام والشراب .

٤) لعلع : ضجر وتكسر من الجوع .

وأنكرت نفسك عند المشيب

فلا هي أنت ولا أنت هي

ولعمري ان الشيب اذان والموت اقامه ، ولست على طهارة ولا استقامه .

فقلت : أعد فما أحسن هذه العبارة ، فأعاد المعنى وأحسن الاستعاره فقال : ان العمر صلاه ، والشيب تسليم ، والسليم في أيام الكبر سليم . ، وقد نزل الرخم (١) ، وطار الغراب ، ترك الرجل رجله في الركاب ، ان الشيخ حي وهو كمن درج ، ومن بلغ الشطر الأخير من الدرج درج ، اذا غلب عليه في اليوم الضعف ، استولى عليه في غد الضعف ، فليسابق سابق البوار فما يتلا في التلف ، وليقطع حبل الأمل فآمال الكبار خرف ، وأشير على من بقي له اليسير ، أن يسير مع الذل ، فانه أسير في العسير من الغل (٢) ، وانه ان يُفتل الى الهوى يقتل ، وان يُقبل الى التُقى ويقبل يُقبل

لما أتونا والشيب شافعهم

وقد توالى عليهم الخجل

قلنا لتلك الصحائف انقلبي

بيضاء فان الشيوخ قد قُبلوا

قلت له : أظنك أبا التقويم ، فان العهد بك قديم ، فقال لي : أنا ذاك ، ومن شبه عليك آذاك ، فقلت : أضحك فاني أرى طيب فضلك ينفح ، فقال : شتان مابين الشمعان والطلنفح (٣) ، ففارقني فأرقني .

---

١) الرخم : طائر واحدته رخمة .

٢) الغل : القيد .

٣) الطلنفح : الجائع .

" " المقامة الخامسة عشر

في الخائفين (١)

==========

خرجت من كركرى الى السياحة (٢) ، أتشبث تشبث من لا يعرف السباحة ، فبينا أنا أجول في القفار (٣) ، واقنع الجوع العجول بالقفار ، اذا صوت صهصلق (٤) ، من ماشرين الجبال منطلق .

ياذا الذى أنس الفؤاد بذكره

أنت الذى ما ان سواه أريد

تفنى الليالى والزمان بأسره

وهواك غض في الفؤاد جديد

فأنست بالصوت فخفى ، وآنست اللهب فطفى ، فدهدمت (٥) بقاع القاع دهدمة باقعة (٦) ، وسرت حتى وقعت الى أن وقعت على الواقعة ، فاذا حسن الخلق هصفر ، قد هرب من الخلق وفر ، فسلمت فرد ، فقصدته فصد فقلت : أتفر ثكلى من نائحة ، أو حبلى من رائحة فقال : كل جارحة لآدمى جارحة ، وما حاصلة الوصال ؟ وانما طلبت بخروجى الوحدة ، فليسر كل منا وحده ، فقلت : ان الذى أخرجك أخرجنى ، والذى أحرجك ؟ قرينان مرتعنا واحد ، غير أنى صاحب وأنت مصحوب ، ومحب وأنت محبوب ، فسكن

---

١) في الوحدة والعزلة : ح

٢) السياحة : الذهاب في الأرض للعباده .

٣) القفار : الخبز وحده .

٤) صوت صهصلق : شديد .

٥) دهدمت الشيء : قلبت بعضه على بعض .

٦) الباقعة : الرجل الداهية .

الى سكون السكن (١) ، ثم قال لى أنت من ؟ قلت : مكروب تضايقت حاله ، ومحزون تقطعت حباله ، سيرت فى تضييع البطالة عمرى ، وقد تحيرت فى جميع أمرى ، لا من الصادقين فى طلب الأخرى ، وفقد القلب صيحة أخرى ، مر فى ابدال سعودى بالشر زمنى ، وأمر منه قعودى عن الخير وزمنى كلما بنيت قاعدة توبة هدمت ، وكلما وجدت عزيمة أوبة هدمت ، فقال لو صح منك الهوى أرشدت للحيل ، أنت ترفع البناء بلا أساس ، وتملأ الاناء ثم تبخر الكاس ، فقلت : ياعبد الله ، من أين أقبلت ؟ فقال من عند قوم " لايلهيهم تجاره ، ولا بيع عن ذكر الله " (٢) ، قلت : والى أين ؟ قال : الى اخوان " تتجافى جنوبهم عن المضاجع " (٣) قلت : ائذن لى واصل الله صلاحك ، أن أصل جناحك ، لعلى أنتفع برؤية الصالحين فللوصال حين ، فقال مرحبا وأهلا وحى هلا فلا والله ماقطعنا بمفر الفلا حتى أشرفنا على واد رحيب ، فاذا صوت البكاء والنحيب واذا بيوت القوم متناوحة ، وفى ناحية كل بيت نائحة ، واذا عيونهم تسح (٤) كأنها كريع لايشح (٥) ، فقلقنا لقلقهم ، واحترقنا لحرقهم ،

---

١) السكن : أهل الدار وبالتحريك مايسكن اليه .

٢) " رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار " .
(النور آية ٣٧ .)

٣) يشير الى قوله تعالى " انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لايستكبرون (١٥) تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون . " (١٦) سورة السجده

٤) تسح : تسيل .

٥) لايشح : لايبخل .

وقفنـــا فمن باك أجابت دموعـــه

ومعتصم بالصبر لم يملـــك الصبـــرا

ومن ساتر أجفافـه بيمينـــــه

وملق علـى أحشائه يده اليســـرى

وقد قلقت خوص الركاب (١) لبثنـــــا

فلم نستطع ضعفا لشاردها زجـــرا

فقال لى : قف على وجه الاجتماع مكانك ، وابذل فى الاستماع امكانك ، فسمعنا هتملة لوذعى (٢) يحاسب نفسه ويقول نهارك بالذنوب مظلم ، وليلك بالغفلة عظلم (٣) ، ونعمه عليك كالسيل القعاف (٤) ، وخطاياك اكثر من العقنقـــل (٥) بفيـك الكثكـث .

تعالـى تجدد عهد الرضـــا

ونصفـح فى الحب عما مضـــى

ونجرى على سنن الصادقيـــن

فاضمن على وعنك الرضـــا

فأصغينا الى آخر وهو يقول : اذا جمعنى المحشر ، تفرق عنى المعشـــر ، فليس لى فى المصيـــر نصـــير ، ولا فى المقيـل مقيـل .

أعفنى وأقلنى عثرتـــى

ياعياذى لملمـات الزمـــن

لاتعاقبنـى فقد عاقبنـــى

ندم أقلـق روحى فى البـــدن

---

١) الخوص : ورق النخل وسعافه .

٢) الهتملة : صوت خفى ، الفصيح الذكى الحديد الفؤاد .

٣) عظلم : ســـود ٤) القعاف : الجارف .

٥) العقنقل : الكثيب ، الكثكث : التراب وفتات الحجارة .

لا تطيري وسنا عن مقلة * أنت أهديت لها طيب الكرى

واذا آخر يقول : أتتك بخائن رجلاه أنا المقر على نفسي بالخيانه ، الشاهد عليها بالخيانة ، طريقي طويل ولا زاد ، وتقصيري كلما جاء زاد ، ثم بكى حتى التقى الثريان (١) . وأنشد :

وزادي قليل ما أراه مبلغي * أللزاد أبكي أم لطول مسافتي

أتحرقني بالنار يا غاية المنى * فأين رجائي فيك أين محبتي

فدنونا من آخر فاذا هو أبكى من يتيم وأيتم من المرقش (٢) وهو يقرأ " لها سبعة أبواب " (٣) ثم يكرر حديث القوم وعينه كالذنوب (٤) ، ويكر على نفسه باللوم على الذنوب ، ثم يقول : وا أسفاه يخرجون كضبائر الفحم (٥) ، ثم بكى حتى فحم (٦) ، فدنونا من آخر فاذا هو مزؤود (٧) كأنه قد تناول

---

١ — يصف كثرة دموعه على الأرض ، والعرب تقول : التقى الثريان : اذا جاء المطر الكثير فرسخ في الأرض حتى التقى هو وندى الأرض .

٢ — المراد المرقش الأصغر وهو ربيعه بن حرملة شاعر ، كان متيما بفاطمة بنت الملك المنذر وله معها قصة طويله وبلغ من أمره أخيرا أن قطع ابهامه بأسنانه وجدا عليها جـ١ ص ١٤٨ مجمع الأمثال .

٣ — يشير الى قوله تعالى : " وان جهنم لموعدهم أجمعين (٤٣) لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم " . (٤٤) الحجر .

٤ — الذنوب : الدلو الكبيرة العظيمة .

٥ — ضبائر الفحم : قطعه .

٦ — فحم : بكى حتى انقطع نفسه .

٧ — المزؤود : الفزع .

السم القشب (١) فلونه قد اسلهم (٢) وذهب الويص (٣) فاذا هو يقول : كان لى قلب قد رق وصفا ، فاليوم قد صار كالصفا (٤) ، كانت لى خلوة حلوة مرة فالآن خلوتى وجلوتى مره ، الهمى عجل الجهر لى ، فلا صبر الى حتى متى زفراتى فى تصاعدها

الى الممات ودمعى فى تصوبه (٥)

ولى فؤاد اذا طال الغرام به

طم اشتياقا الى لقيا معذبه

واذا آخر يقول : وعزتك مانقصت عهدك ، ولاضيعت ودك ، انما غلبنى الهوى فى الزلة ، وأنت طبيب هذه العلة :

إن جرى بيننا وبينك عتب

أو تنائت نا ومنك الديار

فالخليل الذى علمت مقيم

والدموع التى عهدت غزار

واذا آخر يقول : ثكلت خاطرا أنس بسواك ، وفقدت روحا ترتاح بغيرك وعدمت قلبا يسكنه غير حبك . :

---

١) القشب : مادة سامه مختلفة التركيب تفرزها بعض الميكروبات والبكتريات .

٢) اسلهم : ذبل وتغير لونه أو جسمه .

٣) الويص : البريق والمراد نضارة الجسم . ٤) الصفا : الحجارة الصديدة

٥) تصوبه : انسكابه

الأرض الا فى ذراك فلا فـــــلا[1]

بســـوّت أما لى ذراك فلا فـــلا

من كان يفرى الأرض الا للمنـــــى

يبغى ويطلب فى ذراك فلا فـــلا

أسرى ومن أملى ومن أنعامكـــــم

نجمان لى طلعا فإن أفلا أفـــلا

واذا آخر يقول : ليت شعرى ما الذى اسقطنى من عينك ، أقلت هذا فـــراق بينـــى وبينـــك :

ويلـى من الجيم بين الهاء والـــراء[2]

كأنه الواو بيـن الميم والتـــــاء[3]

ثم سال صاحبه وأنشد :

أرى ذلك القرب صار ازورارا

وصار طويل السلام اختصـــارا

تركتنـى اليوم فى خجلـــــــة

أموت مرارا وأحيى مـــــرارا

وأعلم أنى اذا ما اعتـــذرت

إليك أراد اعتذارى اعتـــذارا[4]

---

١) الفـلا : الصحـــراء .

٢) يريد الهجـــــــر

٣) أى كأنه المـــــوت .

٤) هذه الأبيات لأبى الطيب المتنبى من قصيدته التى يمدح بها سيـــف الدولـــه الحمدانـى . (جـ٢ ص٩٤ شرح ديـوان المتنبـى لأبـى البقـــــاء العكبـــرى .) .

فجزنا على آخر قد جمع دموع الأسى فى حومه الأسف فما تكاد ، تنزح وهو يقول :

قرة عينى لابد منك وان

أوحشرينى وبينك الزلل

قرة عينى أنا الفريق فخذ

كف غريق عليك يتكل

واذا آخر يندب أيام الوصال ، ويبكى على انفصال الاتصال ، فتمجهت لقلقة وبلباله (١) ، وحفظت من لفظه ومقاله .

دع عنك تذكار العقيق انه

يبيح من سر الغرام ما حمى

اى دم على العقيق ماجرى

يوم النوى وأى دمع ماهمى

يجذبنى الى الحمى وأهله

وجد بسكان الحمى لا بالحمى

تحام (٢) أنفاس الصبا فهى الجوى

وعد عن ماء اللوى فهو الظما

فمشيت خطوات واذا بعناج ربه فى الخلوة ، فاذا كلمات عجيبة حلوة ،

---

١) البلبال : شدة الهم .

٢) تحام : توق . وتحاش

ماسمعت مثلها من عالـــم ، ولا يتكلـــم بمثلهـــا العوالم ، فحفظت منهـا أنـــه قـــال : إلهـــى عظمـة قدرك لا تتركنـى أقنـع لك بعمل ، وسعـــة فضـــلك لا تدعنـى أقنـع منك بعطاء ثم أنشـــد :

فراق لا يفارقـه اشتيـــــاق

وذكـــــرى بعضها ألم وشهـــد

جوى قالت له كبدى أقلنـــــى

وقالت لوعتـى ماعنـــه بـــد

واذا بصوت من آخر البيـــوت ، يخبـــر عن قلـق مالـه ثبوت ، وهو ينـــادى فى نهايـــة الـــوادى :

تحمل أصحابـــى ولم يجدوا وجدى

والناس أشجان ولـى شجن وحـــدى

أحكمُ مادمت حيا وإنْ أمـــتُ

فواكبدى ممن يحكـــمُ بعـــدى

فقلـت لصاحبـى : ماالذى أخرجهم الى هذا الحد ، فقال : غير المحـــب لا يعـــرف الوصـال والصـــد :

من لم يبت والحب حشـو فـــؤاده

لم يدر كيف تفتت الأكبـــاد

ثم قال لوم المحب علاوة علـى مايلاقـى . وأنشـــد :

مادهانـــى عند العواذل إلا (١)

أنها مارأت حبيبـى عيانـــا

---

١) العـــواذل : اللـــوام .

لو رأته صار الملام اعتـــذارا

ولعاد استقباحهـــا استحســانا

ثم قال : ويحك إلو عرفت المحبوب مالمت المحب ، لما عاب النسوة زليخـــا (١)
فى يوسـف أخرجتـــه عليهن " فقطعن " (٢) ، فقالت بلسان الحال : هـذه حالكـــن معه فى الجلـوة ، فكيف أكون أنا فى الخلوة ، ثم أعلمتهن أنـــه لم تكمـــل صورتـــه الظاهرة حتى تكلمت صورتـــه الباطنـه ، " ولقـــد راودتـــه عن نفســـه فاستعصم " (٣) ، (قلت : انما يكون الخوف مع التقصيـــر فما لى أرى القـوم كلما جدوا خافـوا حتى أن عمر يقـول : ليتنـى كنت تبنـــة (٤) وعمران يقـول : ليتنـى كنت رمـــادا ، وعائشـــة تقول : ليتنـى كنـــت نســـيا منسيـا ، فقـال : لما خرج القوم الى بيداء الوجود رأوا أعراب الابتـــلاء قد ملأت أرض زرود (٥) ، فتمنوا لو لم يخرجـوا من الكوفـة ، فرجعنـا حيـارى ، وتركناهم فى ناديهـم سكارى ، فقلت : أيها الرفيق الرفيـق أنت دللتنى على هـــذه الطريـق ، وأنت تعرف مساكن العباد ، فاحسبنـى فى صحبتك بعض العبـــاد فان هذه الساعة التـى أبصرت فيهـا أمرى هى التى أحسبها من عمرى ، فقـــال الشواغل للشـوى غـــل (٦) ، والوحده فى الطريق أجود ، ولو صحبك ابن أجود .

---

١) زليخـا هى زوجة عزيز مصر ، وهى التى راودت يوسف عليه الســلام عن نفسه

٢) " فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكـأ وآتت كل واحدة منهـن سكينـا وقالـت أخرج عليهن فلمـا رأينـه وأكبرنه وقطعن أيديهن وقلـــن حاشـى للـه ماهذا بشـرا ان هذا إلا ملك كريم " . يوسف آية ٣١ .

٣) " قالت فذ لكن الذى لمتنـى فيه ولقد راودته عن نفســه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين " . يوسف آيـة ٣٢ .

٤) التنبيـه : واحدة التبن وهو ماتهشم من سيقان القمح والشعير بعد درسه .

٥) زرود : موضع . وقيل اسم رمل مؤنـــث .

٦) الشـوى : اليدان والرجـلان والرأس من الآدميين ، والغل : القيد .

فقلـــــت :

فواحسرتـــا لم أقض منكم لبانـــــة (١)

ولم أتمتـــع بالجوار وبالقـــرب

يقولون هذا آخر العهد منهـــــم

فقلت وهذا آخر العهد من قلبـى

ثم قلـت : عرفنـى نفسك وسم ، فأرانـى الجادة (٢) وقال سـم ، فقلت : لابـــد من الاعلام بما سألت ، فقال : عين وقاف ولام قد فعلت ، ثم غرب فشرقـــــت وأشأم وأعرقـــت (٣) فكنت أبدو عن المساكن اذا اشتقت وأحدوا فى تلك الأماكـــن اذا نطقـــت :

ســوف أقضـى حق الديار ومـــا

أحسب أنـى لذاك بالمستطيـــع

يوم ودعتهم كئيبـــا ونفســـــى

حين بانوا (٤) أحـق بالتوديـــــع

دارهم بعضهم ووجدى ببعض

الشىء منهم وجدى لهم بالجميـــع

فإذا حَنَّ نازع أو مشـــــوق

زادنـى فى تشوقـى ونزوعـــــى (٥)

وقف الطل بالطلول ولا زا

ل الندى رابعـــا بتلـــك الربـوع

---

١) اللبانـة : الحاجـــة .

٢) الجادة : معظم الطريـق .

٣) أى سار الـى الشام وأنا سـرت الـى العراق .

٤) بانـوا : فارقـــوا

٥) نزوعـى : اشتياقـــــى .

" المقامة السادسة عشر "
في النفس (١)

==========

مازالت صحبة الفكر الأمينة ديدنى (٢) ، فمشيت معه يوما فى مدينة بدنى فرأيت بواطنها بعد وثيق عمارتها وأنيق نقوشها ، هاوية خاويه على عروشها ، واذا قصر جنانها (٣) يشبه بالصريم (٤) بلى قد أثر هصر (٥) البلى فى ذلك القصر والحريم ، فنظرت الى القلب فاذا هو منقلب ، فتأملت مسكنه فاذا هو بالقلب قد خرب ، فقلت لآلآت الحس لو عرفت الحراس ، لما عرقب الأساس ، ماسبب هذا الخف والعيث (٦) ؟ وكيف استهدف بهذا الليث ؟ قالوا : ان ملك البدن النفس ووزيره العقل ، والملك مشغول عن وزيره بزيره (٧) ، لايسلك سبيله فى تدبيره ، (ولايعرف قبيله من دبيره (٨)) ولايفلح قوم تملكهم امرأة (٩) ، فقلت : ألا تنصحونها ، فقالوا : شب عمرو عن الطوق (١٠) واتسع الخرق على الراقع (١١) . فدخلت على الوزير فاذا هم ذوهم (١٢) ، قد أوغل فى السن ، ولم يهن له عظم ، فسلمت فرد ، فهزلت فجد ، فقلت :

---

١) فى سلطانه النفس والهوى وسلطنة القلب : ح

٢) ديدنى : عادتى ٣) جنانها : عقلها .

٤) الصريم : الليل . ٥) الهصر : الكسر والجذب وشدة الغمز والهصر أن تأخذ برأس شئ ثم تكسره اليك من غير بينونة .

٦) الخف : الطيش ، العيث : الفساد . ٧) الزير : كالعود يغنى به .

٨) لايعرف قبيله من دبيره : أى لايعرف ما أقبل مما أدبر ، والمثل ناقص من نسخة : ح

٩) يشير الى حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم : " لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة " . (أخرجه البخارى ك ٩٢ ، ب : ١٨ ، الترمزى ك ٣١ ـ ب ٧٥ ، النسائى ك ٤٩ ، ومسند أحمد جـ ٥ ص ٣٨) .

١٠) عمرو هو ابن أخت جذيمة بن الأبرش غيب عنه فى صغره فأتى به فى كبره فألبسته أمه طوقا فقال جذيمة : شب عمرو عن الطوق فضرب مثلا لكل فعل لايليق .

١١) يضرب هذا المثل حينما يستفحل الأمر ويصل الى حد اليأس من صلاحه .

١٢) الهم : الكبير .

من أنت ؟ قال : أبو التقويم ، قلت : ما صناعتك ؟ قال : التعليم قلت : مالى أراك حزينا ؟ قال :

ألا صديق فى الزمان ما جد * أشكو اليه عجرى وبجرى (١)

يمتشق من رق الهوان ما تقا * عج من الضيم عجيج الأدبر (٢) (٣)

حسبى من رعى الهيشم المجتوى * حسبى من ورد الأجاج الكدر (٤)

ما أنا الا النصل مغمودا ولو * جرد فى الروع جوهرى

دونك فانظرنى ان جهلتنى * فربما دل على مخبرى

كيف وقد طلعت أصول دوحتى (٥) * تعو للجانين يوما ثمرى

قلت : فمالى أراك وحدك ؟ فقال :

وفارقت حتى لا أبالى من النوى * وأن بان جيران على كرام

فقد جعلت نفسى على النأى تنطوى * وعينى على فقد الصديق تنام

قلت : ماسبب نفورك عن الأصحاب ؟ فقال : يعرفون قدرى ولا يمتثلون أمرى وقد علم سكرانهم أن نصحى يصحى :

لحا الله من لا ينفع الود عنده * ومن حبله ان مد غير متين

---

١) عجرى وبجرى : أى عيوبى وأحزانى وما أبدى وما اخفى .

٢) عج : صاح .

٣) الأدبر : الجمل الذى أصيب بالدبره وهى قرحه تصيب الدابه .

٤) الماء الأجاج : الملح المر .

٥) الدوحة : الشجرة العظيمة .

قلت فدارهم ، قال : قد أخرجونى من دارهم ، وما فيهم إلا من برأيى قد استجن (١) ثم يقلب لى ظهر المجن (٢) ، ويلبس جلد النمر (٣) ، اذا أمر فقد جزونى جزاء سنمار (٤) ، وأنا بنيت لهم الدار .

وأعجب منى كل يوم سلامتى
وما بِتُّ إلا وفى نفسها أمر

قلت : فمالى أرى جسمك قد انهشم ؟ قال : لكبره الهم ، ومن أيقن بما ثم انشم (٥) ، وأنشد :

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفى أثوابه أسد يزير
ويعجبك الطرير فتبتليه
فيخلف ظنك الرجل الطرير (٦)
بغاث الطير (٧) أطولها جسوما
ولم تطل البزاة ولا الصقور
لقد عظم البعير بغير لب
ولم يستغن بالعظم البعير

---

١) استجن : استتر .
٢) قلب له ظهر المجن : يضرب هذا المثل لمن انقلب عن الود ، المجن : الترس
٣) يلبس جلد النمر : أى يظهر العداوة الشديدة .
٤) جزاء سنمار : يضرب هذا المثل لمن يجزى بالاحسان الاساءة وقصة هذا المثل فى مجمع الأمثال جـ١ ص١٥٩ .
٥) يقال انشم الشيخ : ولى وكبر وهرم ، ويقال انشم جسم فلان : أى ذاب .
٦) الطرير : الحسن الهيئة . ٧) بغاث الطير : التى لاتصيد ولاتمنع .

فان أك فى شراركم قليـــــلا
فإنـى فى خياركـم كثيـــــر (١)

قلـت : ماغايـة جلسك أيها الحبـــر ؟ قال : تلمح المواقـب وتعليم الصبـــر
قلـت : فمن عدوك ؟ قال : الهوى ، قلت : كيف يقهرك ؟ قـــــال
جنده أكثـــر . قلـت : من جنده ؟ قال : الحواس كلهـــا غير أن قائـــد
هذا الجيـش الأرعن أرعن (٢) (٣) . ثـم أنشـــد :

تميرنا أنّا قليل عديدنـــــــا
فقلت لها ان الكـــرام قليـــل

وما ضرنا أنا قليل وجارنـــــــا
عزيز وجـار الأكثريـــن ذليـــل

وننكر ان شئنا على الناس قولهـــم
ولا ينكرون القـول حيث نقـــول

وأيامنا مشهورة فى عدونـــــا
لنا غـــرر ماتنقضـى وحجـــول

وأسيافنـا فى كل شرق ومغـــرب
لها من قراع الدارعين فلـــول

معوّدة أن لاتسلّ نصالهـــــا
فتغمد حتى يُستباح قتيـــل (٤)

قلـت فلم جند الهوى أكثـــر ؟ قال : لأن جامكيتـه للعسكر نقـد ، وجامكيـتي حوالـــه ، والنفـس مولعـة بحب العاجل ، ثم قال : هولا يـرى الا الحالـــة الحاضـرة ، ولا يتأمل عاقبـة الآخـرة ، وخوفـى أنا فى المواقـب من الـــذل

١) هذه الأبيـات للعباس بن مرداس المتوفى سنـة ١٦ هـ .
٢) الجيـش الأرعـن : الكثيـــر ٣) الأرعـن : الأهـوج .
٤) هذه الأبيات للسموأل بن عاديا التميمى ، من قصيدته التى يطلعها :
إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضـه فكل رداء يرتديه جميـل .
(ص ٩٠ ـ ديوان عروة بن الورد والسموأل ـ دار صادر ـ بيروت .)

قيد لى عن الانبساط وغل ، وأنشد :

الـمـز فى كلف الرجال ولم يُنل
عزبلا نصب ولا تكليف

والجدب مضن للأعزة دارة
والذل ينبت فى مكان الريف

ولقد تمرفت النوائب صمدتى
فأجاد صرف الدهر من تثقيفى

فبدار أندية الفخار اقامتى
وعلى الفضائل مرسمى ومصيفى

قلت فهل تقوى حربك ، وينتصر حزبك ؟ ، فقال : اما بالحجة فأنا باقرار الكل قاهر ، واما بكف كف العدو فأنا عند الفطناء ظاهر ،

قلت : فهم بان فضلك على ضدك ؟ قال : ما يخفى ارتفاعك على عدك . على أنه بالثمر يعرف قدر الشجرة إنّ بُستانى ذُوبان ، وفى قاع الهوى ذَوبان . ثم أنشد :

ألا صاحب أهدى إليه نصيحة
فإنّى بها إلا عليه بخيل

إذا المرء لم يغلب هواه إقامة
بمنزلة فيها العزيز ذليل

قلت فما لهذا القلب منقلب ؟ ، قال ضعف عزمه فغلب ، قلت : فهل الى الصلاح سبيل أم على الفلاح دليل ؟ قال : كنت حارسا فى ولاياتهم فعزلونى لسوء اختياراتهم ، وقد صاروا يستخدمونى فى مراداتهم ، فأنا كالفقيه الكبير تكلف الغنا بالزير (١) ، وكالمسلم الأسير ، يستخدم فى رعاية الخنازير ، وأنشد :

---

(١) الزير : آلة كالعود يغنى به .

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدوا له ما من صداقته بد (١)

قلت : واعجبا ! كيف يغلب مثلك ؟ قال : اعلم أنى كنت شاه الرقعه ففغل اللاعب بى الى أن ضاقت على المنازل ، أما علمت أن الهوى شطرنج النفس يغضب العقل المنازل الى أن يحضره فإذا ضاق به قفص الحصر غافصه (٢) فاستله فقاده الى ما يهوى أذل من مخزوم (٣) ، فلما قهرت تمكن العدو من المدينة فتتابعوا فى النهب والسلب ، فان عدت الى الولايه أريتك من الأعداء العجب ، ان شق على القلب اقامة الجند فعلى الجمر ، وما أريد من حرابتهم إلا الصبر ، فصحت بالقلب فنهض ، وبخته فامتعض ،

كم اصطبار على ذل ونقصة
وكم على الذل اقرار واذعان

ثوروا لها ولتهن فيها نفوسكم
إن المناقب للأرواح أثمان

فمن اباء الهوى حلت جماجمها
على مناصلها عس وذويان

---

(١) هذا البيت لأبى الطيب المتنبى من قصيدته التى يمدح فيها محمد بن سيار بن مكرم التميمى ومطلعها :
أقل فعالى بله اكثره مجد * وذا الجد فيه نلت أم لم أنل جد
جـ١ ص٣٣٧ ـ شرح ديوان المتنبى لأبى البقاء العكبرى) . (٢) غافصه : فاجأه وأخذه
(٣) المخزوم : الذى جعل فى جانب منخره الخزامة على غرة

فدردب لما عضه الثقاف (١) ، ورمى التكاسل من وراء قاف (٢) ، ثم قام فى جند المسكر على ضعفه ، ووعد يوم الحرب بضعفه ، ثم قال له العقل : اقبل ان صدقت نصيحتى ، واحمل على النفس وقت صيحتى إنه قد تشيطن هذا الجبار ومتى أهمل أهلك وأبار (٣) ، وأرى الهوى قد غطّى وران (٤) ، على قلب هذا السكران ، وكم قد حذرته بلسانى وزجرته ، فلما أعيانى هجرته ولقد تلطفت حتى لاحيله ، غير أنى ما يسمع اللاحى (٥) له ، وكلما نال ما بغى بغى ، ومتى طرأ له مراد طغى ، انما يمشى مطلقا على بساط حبسه ، أما ترى العاصى لقا (٦) بين أرباب جنسه ، كم عاث عاثَ فسلب ، كم أغلب غلبَ ثم غُلب . فقال القلب أنت أمير هذا المسكر فدبر لكف كف هذا المدبر ، فقال : ما يتصل بنا غير اللعن والحرب ، وما يقع بيننا من الطعن والضرب ، فاستحضر العزم الصؤول (٧) فاحضر ، فرأيت الحزم المهول المنظر ، فقال له : اهجم على هذا الفاغل فى القصر ، والله يمدك بنوافل النصر ، فخرج من حصن النفس موجب الهوى يدافع ، فصاله على العزم بالسيف القاطع ، فهلك كسرى الهوى وتهمه قيصر ، ولم تمر ساعة حتى ملكت خيبر ، فأتى بالنفس الى العقل ذليله أسيره ، فوقفت لديه ذليلة حسيرة ، فصاح العقل السجن والقيد ودعوا قول عمرو وزيد ، فقال العزم : لابد من الرفق والحلم ، فقال : ما أتعدى مثوى العلم ، انزلها فى مطمورة التواضع (٨) ، وقيد جوارحها بقيود الكف (٩) ، وأضرسها

---

١) فى المثل دردب لما عضه الثقاف : أى خضع وذل .

٢) القاف : يقال انه اسم جبل محيط بالأرض . (٣) أبار : أهلك .

٤) ران : غلب وغطى (٥) اللاحى : اللائم

٦) لُقَا : ملقيا

٧) الصؤول : الوثاب .

٨) المطمورة : الحفيرة تحت الأرض

٩) الكف : المنع

بسياط الجوع ، ففعل بها ذلك فلان جنبها يا فلان ، كأنه ليس بالذى كان صاحب الإقالة الإقالة ، قبل انتشار القالة ، فصالحها وتولاها ، وعقد لها وولاها ، فجلست على سرير الملك ، وبنى لها سور البلد بأحجار الاحتياط ، فرخصت فى المدينة أسعار الطاعات ، ونادى منادى البشاره بالفتح ، وعاقبة الصبر الجميل جميلة .

المقامة السابعة عشرة
في المواعظ (١)

تغشاني غم أعشاني (٢)، فشغلني وكف شاني عن شاني، فهربت من مجلس الفكر الى مجلس الذكر، فمنع الزحام من قرب المنبر، فلما تورطت (٣) توسطت المنبر، فاذا الكلام أحلى من العسل وأذكى من العنبر، واذا المتكلم ذو هيئة وهيبة، فصيح اللهجة، مليح الشيبه، فحفظت مما يقول، وقد حير العقول، يا أسراء الجهل فكوا قيودكم بالعلم تسلموا وقووا أنفسكم الضعاف بالتقوى تقوى، واحذروا الاغراق في بحر المعاصي فان ذنوبا (٤) من الذنوب يغرق، واعلموا أن حياة الفاجر فضيحة الدهر لأن الدنيا همته، واللذة نهمته، يبيع الآجل العاجل بالعاجل الأقل، يلبس ثياب الحر على جسد عبد قد أنضاه (٥) الحرص وأضناه الطلب، يمشي في ظاهر أرباب السمت (٦)، وباطن أصحاب السبت (٧)، يسافر اذا عامل الى بلد الغش ولا ينزل الا خان من خان، فقلت له لو أعدت ما قلت لأحفظه فأحفظه (٨) ما قلت، وقال ليس لي بالاعادة عادة بلى أشرع في الفراهة وأسرع ولا كراهة (٩)، ثم أنشد :

---

١) نصيحة واعظ : ح
٢) أعشاني : غطى على بصري .
٣) تورطت : هلكت
٤) الذنوب : الدلو الكبيرة
٥) أنضاه : أضعفه وأهزله .
٦) السمت : هيئة أهل الخير
٧) أصحاب السبت : اليهود .
٨) أحفظه : أغاظه
٩) الراهة . الغزاله

اذا تحدثت فى قوم لتؤنسهـــم

بما تحدث من ماض ومن آت

فلا تعيدن حديثا ان طبعهـــم

موكل بمعاداة المعـــادات

فصحت اليـه :

يا خطيبا رقى المنبـر * فاهتز رطيبـــا

وغدا ينفح ســـكا * حين حلاّه خطيبا

أترى ضم خطيبـــا * مثك أم ضمّخ طيبا (١)

ثم قلت : ياسيدى لقد وصفت عيوبى ، فمن أين عرفت غيوبى ، فزدنى توبيخـــا بذكر صفاتى ، فلقد قرعت موءُك صفاتى ، فقال : تجود بالمعروف اللهو جـود حاتم ، وتبخل بفضل الطاعة بخل الحباحب (٢) ، وتمشى بالكبر أزهى مـن طاوس وتلج فى غرضك لجاج الخنفســاء ، وتنام عن مصالحك ولانوم عـود (٣) ، وتعد بالتوبة وعـد عرقـوب (٤) والزمان يأكل عمرك أكل السـوس وكأنك بالموت أســرع من طرف يستلبك ، وأنت أخيب من الدقابر على الماء ، فيحلك قبـــرا أوحش من يومـه تلقى فيه أذل من نعل ، فتندم على التفريط ندامة الكسعى (٥) ثم ترجع يوم حشرك بخفى حنين (٦) فقـام صبى فقال مما ضحكت أننى عققـــت

---

١) ضمّخ : لطخ (٢) أبو حباحب من محارب كان يعرف بالبخل ، قيل إنه كان لا يوقد ناره الا من حطب الشخت لئلا ترى فتأتيه الأضياف . (٣) ولا نوم فهد : ك ، وفى المثل : أنوم من عود ، وفى قصة عود هذا قولان : أحدهما : أنه كان حطابا فبقى فى محتطبه أسبوعا لم ينم ثم انصرف فبقى أسبوعا نائما ، والثانى أنه قال لبناته يوما أندبنى وتنوحن فندبنه فاذا هو ميت .

٤) عرقوب هذا كان يضرب به المثل فى خلف الوعد . وقد ذكرت قصته من قبل .

٥) الكسعى : قيل هو محارب بن قيس وقيل هو غالب بن الحارث من بنى كسع . ويضرب به المثل فى شدة الندم . وقد ذكرت قصته فى موضع سابق .

٦) يقال فى المثل : رجع بخفى حنين وهو يضرب مثلا لمن يرجع خائبا ، وقد ذكرت قصة المثل آنفا .

والدى ، فلما أفقت وضعت له خدى ويدى ، فأبى الا أن يقتلنى بالهجـــــر ولا يدرى ، فقال الشيخ أقسم على أبيه ان كان حضر ، أن يبيحـه من العفـو ماكان حظر فقام الأب فقال : ربيته حتى تم ونما ، وعلمته الكلام فما فرغ حـتى ففر (١) بشتمى فما ، وبئس ما يفعل بى من بى سما ، فقال العذكـر أقـــل عثرتـه هـذه النوبـه فإن الدم متوبـة ، فقام آخر فقال : ألبّ (٢) حب الدنيـا لُبّى ، فقلب عن الصـواب قلبى ، فأنا حسليل (٣) فى كل دردبيس (٤) على أننى لا أشفى لفرضى ، ولا أشـفى من مرضى ، فقال تلمح عيب محبوبك ، وتأمل عيب مطلوبك ، أما الحب فيجوز ، ولكن لا للعجوز ، تالله ان أخسر الزبون زبون (٥) زبون ، وان أقبح الجهات حيز حيزبون (٦) ، ويحك الى كم تجـــول فى طلب هجول (٧) ، أتعجبك الدغفقه وتنس الوهمقه (٨) ، انه ليكفى فى الزجـــر عنها وينفـع ، ما يسمع من سلفع (٩) ، فقام شاب يهرطم على افلاسه ويلطم عـلى راسه ، فقال الشيخ لم تضـرب الناقـة أنت عطفت زمامها عن نجد ، فما شعرت الا و الصبيان قد قطعوا بالأُوبة الوعـور ، وقطّعوا لتصحيح التوبة الشعور ثم قال الشيخ : الشّعر أوتار رباب على عود الشـباب ، فصاح رجل ليس له شعر ماذا أقطع ؟ فقال : سقط غسل اليد عن الأقطع ، هؤلاء قطعوا أوتار العود يا أبله ، فاكسـر أنت الطبلة ، فبكى الرجل بكاء الأسير أو الغريب فقال الشيخ : أفارقت إلفاً أو جفاك حبيب ؟ فقام مويد فقال : أندب لـى زمان الوصال ، فصاح الشيخ وصال :

---

١) ففر : فتح
٢) ألبّ : أقـام
٣) الحسـليل : الماضـى
٤) الدردبيس : الداهيـة
٥) الزبون : التى تمنع جابنها . هكذا فى هامش النسخة المخطوطه
٦) الحيزبون : العجـــوز
٧) الهجـول : الهفـى .
٨) الدغفقة : صب الماء فى الاناء ، الوهمقه : خبث الريح .
٩) السلفع : الجريئـه البذيئـــة .

ألا هل الى ظل الأثيل تخلص
وهل لثنيات الغوير طلوع
وهل لياليا الطوال تصرم
وهل لياليا القصار رجوع

فقام آخر ودمعه قد هما ، فصاح الشيخ بهما :

ياصاحبي رحلي قفا ∴ فسائلا لي الدمنا
وامطرا دمعيكما ∴ ذاك الكثيب الأيمنا
ما الدار عندي سكن ∴ اذا عدمت السكنا
وبارق أشيمه (١) ∴ كالطرف أغضى ورنا
ذكرني الأحباب والذكرى تهيج الحزنا
من بطن قرٍّ والسرى ∴ توم غسفان بنا
وبالعراق وطني ∴ يا بعد مالاح لنا

فتواجد المريدون ومزقوا أطمارهم (٢) ، فقال لهم الشيخ : نبلوا أخباركم انه لا ينظر إلى ما لفقتم من الخرق وصبغتم ، انما ينظر الى ما تلقفتم من الحرق وصبرتم .

ان صدقتم في هواه ∴ ومعاناة الحرق
مزقوا القلب وموتوا ∴ فيه مازنب الخرق

فقال سائل ما الذي وجد هؤلاء حتى قلقوا ، وماذا من اليقين دون الباقين علقوا ؟ فقال : إذا راح باكر الصبا (٣) من أكناف نجد ، ناح ذاكر الصبي بأصناف الوجد ، قال : فكيف السبيل الى سلوك الطريق ومتى أخرج عما أحرج من المضيق ؟ فقال : لوعاينت الحب عانيت الحب ، قال : قد بلغني أن العارفين وردوا بحر المعرفة ، ثم هم عطاش فكيف بمن لم يناله

---

١) أشيمه : أنظر اليه .
٢) الأطمار : جمع طمر وهو الثوب الخلق البالي
٣) الصبا : ريح مهبها من مشرق الشمس اذا استوى الليل والنهار .

البلل ولا الرشاش ، فقال الشيخ : نعم هيم المحبين على ضحضاح (١) ، وليل العارفين بلا صباح ، ثم ترنم :

وعدوه اللقاء يوم النفـــــر
أى يسر قد برقموه بمسـر
فتشوا لى قلبا فقد ضاع قلبي
وأروني صبرا فقد عل صبرى
هل حياة لديكم لأسير الحب ان لم يكن فكاك الأسـر
آه من راحة وما يجلب التأويـــه للمستهام غير الذكـــر

فقام بعض المتصنعين (٢) فصاح ، فأنشد الشيخ :

دع حب فحواه فى سنابلـــه
وسكر الاعتبار فى قصبـــه

ثم قال ما سبقت خميرة وجد فكيف دار رغيف صحبه تخهـــــزون فطيـــرا فلا ينهضم ، لا تشربوا على خوى (٣) ، فتكون عربدتكم مراريـة الشـــرب على غير الدسم سم ، وعلى غير النغم غم ، ياصبيان التوبـــه تدرجوا فى الأعمال لا تسلقوا الى السطوح ، اشتغلوا ببناء الدرج ، فخلف ما أخرجت خلالا (٤) بعد ، أفتفتحون كاركة للدبس (٥) ، فقام سائل والشيخ فى حدة الكلام يطول ، فقال الشيخ : عقد بلا خطبه (فضول) (٦) فشبق الأفهام مستعجل فطول القارى فى النظائر ، فقال : سر سير مشوق الى نجـــد نشيط ، فمكروب الوجد لا يحتمل البسيط ، ثم وقع طرفه على شخصيـــن

---

١) الضحضاح : الماء القليل .
٢) بعض العارفين : ح
٣) الخوى : خلو الجوف من الطعام
٤) الخلال : الرطب يطلب بين سعف النخل بعد جمعه .
٥) الدبس : عسل التمر وعسل النحل .
٦) + : ح

يتكلمان ، فقال : ذهب الأدب وفسد الزمان ، أتتكلمون وأنا المتكلم ؟ الآن انزل ولا أتم ، فضجوا يعتذرون عن تلك الكلمات فقال : " ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات " (١) ، ثم أنشد :

أفدي صِلفاً شكوت ما بي
للوجد به فما رثى لي
ان عربد بالقلى عليكم
فالذنب لنشوة الزلال

(فقلت له : ما هذه المعاني ؟ فقال مخبئآت المغاني (٢) :

طرف نجديه وطرف عراقي
أي كاس يديرها أي ساقي
طلعت والقلوب مطلعة ترعى
وغابت وكلها في وثاق) (٣)

فصحت هذه الفصاحه من أين ، أما تخاف على نفسك العين ؟ فأنشد :

ما هذه الكلم الفواتن
الا سهام في كنائن (٤)
ترمي فلا تخطى المقاتل
من مثل شاد أو كشادن
ما غردت حركاته
الا تراقصت السواكن
أنا من اذا صاغ الكلام
فمن يوازي أو يوازن
يا مدّع لي ضرة
سلم لقولي أو فراهن

---

١) الفتح : آيه ٢٥ (٢) المغاني : جمع مغنى وهو المنزل الذي غنى به أهله
٣) مابين القوسين ناقص : ح
٤) الكنائن : جمع كنانة وهي جعبة صغيرة من أدم للنبل .

فقلت له : قد سمعنا بابن سمعون (١) ، وما الابكار مثل العون (٢) ، (فقال هل سمعتم مثل كلامى ، وهل يخط كاتب كلامى ، فصاحوا بأجمعهم ما سمعنا مثل هذا الكلام الا منك أيها الحبر الامام (٣)) فأنشد :

أبى الله الا أن سرحة مالك

على كل أفنان العضاة تروق

ثم قال : من سمع كلامى طرب ودهش ، والعجب لمن لم يُطرَ ولم يطش شرب من أكثر من شوبه عطش ، يعجب من سماعه ابن سمعون لو نمش أحسن من ثوب موشى قد نقش ، فطى على اشارات الشبلى (٤) ونكت المرتعش ، فصاحة .

---

١) ابن سمعون : (٣٠٠ ـ ٣٨٧ هـ) .
هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن اسماعيل بن عنبس بن سمعون : زاهد وأعظ ، يلقب " الناطق بالحكمة " مولده ووفاته ببغداد ، ـ علت شهرته حتى قيل " أوعظمن ابن سمعون " . جمع الناس كلامه ودونوا حكمه . (صفة الصفوة جـ٢ ص٢٦٦) .

٢) العون : جمع عوان وهى من البقر والخيل التى نتجت بعد بطنها البكر .

٣) مابين القوسين + : ح ٤) الشبلى هو أبو بكر دلف جحدر الشبلى أحد كبار صوفية بغداد (٢٤٧ ـ ٣٣٤ هـ) . وقد احتل فى تاريخه مدرسة التصوف ومكانة كبيرة ، وعاصر كبار مشايخها : الحلاج والجنيد وله شطحات صوفية وأشعار جميلة قيل أنه تركى الأصل وقيل أنه فارس وكانت وفاته ببغداد . (وفيات الأعيان جـ١ ص١٨ .

وصباحة حسناء وتنقيش ، كم بين فتاة معصر وبين قنفرش (١) ، كم بين هيفاء غضة وجحمرش (٢) ، كم بين أسد مزئر وجرو نحورش (٣) ، كم من قرم (٤) صكتته وتركته يرتمش ، أنا عند المنصف مليح وعند الحسود وحش ، كم قام لمقاومتي قوم ، فصاح فضلي بهم نبش ثم نزل فتبعته ، أكرر (في الطريق (٥)) ماسمعته ، فولج داره فقلت : ضيف ، فقال امتزجت مني بالخيفة ، فنزع ثيابه وألقى ، ثم رمى بنفسه واستلقى ، وقال لاتعب من تعب ، فتأملته فاذا أبو التقويم فأخذني وجد مقعد مقيم ، فقلت : ياسيدي ما أشوقني ، فقال : ياولدي ما أتوقني ، فبت عنده ليلة فما أحسن ليله ففارقته وقد فارقني همي ، وعدت كما ولدتني أمي .

---

١) الفتاه المصر : التي بلغت شبابها ، والقنفرش : المجوز الكبير .

٢) الجحمرش : المجوزه الكبيرة والمرأة السمجة .

٣) المزئر : الشديد القلب ، جحرش وحورش : تحرك وخدش .

٤) القرم : الشديد .

٥) مابين القوسين ناقص : م

"المقامة الثامنة عشرة"

(١)
في ذكر الحج

سمعت يوما صوت ضجيج ، فقلت ماذا ؟ قيل الحجيج ، فاستلب قلبي التوق الى الحج ، ثم ساعده الشوق رضح ، فرأيت أن تقاعد القادر على قطع الفج فج ، (٢) فاغتنمت المزيمة اغتنام النهبة (٣) ثم قمت مناهبا للأيام في الأهبة فقلت لأصحابي : أفي الكون رفيق فانه أعون على صون الطريق ، فقالوا : في الرفقاء كثرة ، فقلت هذه الكلمة عثرة ، انما أريد رفيقا رفيقا ، وصاحبا شفيقا ، ان ركبت زاملني ، وان كريت لازمني ، يحمل عني كل كل ، (٤) ويجمل اذا نبا خلقي وكل ، فقالوا : أفرخ روعك (٥) ، فافرح هذا طوعك ، هذا سيد هذه البقعة ، وشاه الرقعة ، فاذا هم بديع (٦) ، فقلت : أنا أول مطيع ، فعاشرت منه في طريقي أحكم من لقمان ، وأحلم من الأحنف (٧) وأذكى من اياس ، (٨) في أخلاق أحلى من الشهد ، فلما خرجنا من الكوفة وتشبهنا ببني صوفه (٩) حدا الحداه ، فرحنا وقد فرحنا ، فقال : أسمع جعجعة ولا أرى طحنا ، (١٠) ان تقصير الحداه ليحدو ، على أن أحدو

---

١) في الحج والعمره : ح ٢) الفج الأولى : الطريق الواسع بين جبلين وفج الثانية : غير ناضج ٣) اغتنام البهيمة : ب ، ز ، م اغتنام الهزيمة : ح ، النهبة والغنيمة) الكل : الاعياء .

) الهم : الكبير ، والبديع : الحلو الظروف .

) أفرخ روعك : اطمئن وهدئ من روعك .

٧) هو الأحنف بن قيس وكنيته أبو بحر واسمه صخر ، من بني تميم ، وكان في رجله حنف (وهو الميل والاعوجاج) وكان حليما موصوفا بذلك ، حكيما معترفا له به . (جـ١ ص٢١٩ ـ مجمع الأمثال) .

٨) تقول العرب : " أزكى من اياس " و"أذكى من اياس " : وهو اياس بن معاوية بن قرة المزني . كان قاضيا فائقا زكنا ، وقد روى له نوادر كثيرة تدل على حذقه وفطنته . (أنظر مجمع الأمثال جـ١ ص٣٢٥)

٩) بنو صوفه : قوم تعبدوا ولازموا الكعبة ١٠) تقول العرب : جعجعة ولا أرى طحنا أي أسمع جعجعة ، والطحن الدقيق فعل بمعنى مفعول ، كالذبح والفرق بمعنى المذبوح والمفروق يضرب لمن يعد ولا يفي .

فنزل يترنم ، وأنا أتفهم . :

حب اليها بالفضا موتهما

وبالنخيل موردا ومشرعا

وبأثيلات النقا ظلائلا

تفرشها كراكرا وأذرعا

منى لها لو جعل الدهر لها

أن تأمن الطارد والمدعدعا

إلى الضياة فانها

جرعة حتف أن تجوز الأجرعا

أسل بها الوادى رفيقا انما

يسيل منها أنفسا وأدمعا

من بمنى وأين جيران منى

كانت ثلاثا لاتكون أربعا

سلبتمونى كهدا صحيحة

أمس مفردوها على قطعا

عدمت صبرى فجزعت بعدكم

ثم ذهلت فعدمت الجزعا

ارتجعوا لى ليلة بحاجر

إن تم فى الفائت أن يرتجعا

وقفلة سرقتها من منى

بلعلع سقى الغمام لعلعا

فجعل الركبان وسيلتهم أنا ليميد (١) ، فقال : ذاك وحق منى منيّ بميد (٢)

ثم أنشأ يقول ، (فأعجبنى المقول ، فظننا الأعشى يقول) :

---

١) يريد أن الركبان جعلوه وسيلة إليه كي يعيد ماقال .

٢) مابين القوسين ناقص : ح .

سل الغوير السائق المفلسا

هل يستطيع ساعة أن يحبسا

فان فى الدار أهالى لوعة

شوقا ضمافا وعبرة نحسا

وثملين ما أدارت بينهم

الا السهاد والدموع أكؤسا

راح لهم فانهم وفد هوى

يرضين أن يرود أو يسلسا (١)

ماعلمت نفوسهم أن الردى

ميقاته الصبح اذا تنفسا

تركت من خلفك أجسامهم

مابين يديك الأنفسا

لولا أمانيهم ومايرجونه

ونعم روح الكرب أرجو وعسى

لأغرقوك دمعة فدمعة

وأحرقوك نفسا فنفسا

أين تريد عن رياض حاجر

وماؤها يشفى الغليل اليبسا

فنظرت فاذا الابل قد جمجع بها الطرب ، وكان فى صحبتنا ذو قلب فأنقلب واشتد الحنين (٢) فما يسمع إلا الأنين ، ثم خف الواحد فترنم فى انقلابه

---

١) البيت زيادة فى ح ، ك .

٢) الخنين : صوت يخرج من الأنف .

ترنم مهجور قد عبثت كف القلى به

هل السائق الغضبان يهلك أمره
فهاكل سير اليعملات وخيد (١)

رويدا بأخفاف المطى فإنما
تداس جباه تحتها وخدود

فوقف الركب ريثما أفاق ، ثم حرك صاحبى وساق ، وأخذ مما رق وراق .

لعلهم لو وقفوا
أبل ذاك المدنف (٢)

هل أنت ياقلبى معى * أو معهم منصرف
قل لهم عن جسدى * ان سئلوا فأسعفوا
قفوا على فارطكم * يا أيهذا السلف
يا سائق الأظعان أرود (٣) * بعض ما يعتسف
فان بين سوقها * أغيدة تختطف
يا زمنى على الفضا * ما أنت إلا الأسف
لهفى عليك ماضيا * لوردك التلهف
ملكتم نفسى فيا * لى عنكم منصرف

---

١) الوخد : ضرب من سير الأبل وهو سعه الخطو فى المشى .

٢) البيت زيادة : ح ، ك ، والمدنف : الذى لازمه المرض .

٣) أرود : أرفق وتمهل .

فـلا بـرا وجـدى بكـــــــــم ولا افـاق الشـــــــــغف

لسـت وان اعرضتـــــــــم أيأس ان تـعطفـــــــــوا

وصـبر يعقـوب معـــــــــى حـتى يـرد يوســــــــف

فقلت اليك فقد قتلت الناس ، فقال فاعليك مما قلت باس ، فجذبته الى فنسكل (١) ثم ركب و ما رأيته شرب ولا أكل ، فقلت له : أين الحزم ؟ أيتبدلت ؟ فقال : لماذا قلت تبذلت ، ان لك فى القلوب مكانه ، فصار يترنم بالشيء مكانه ، فسمعته ينشد ليله و الظلام قد عم ليله :

ذكر العيش فى الحمى فبكى لـــه ور أى العذل حظه فاستقالـــه

من تناسى بـ البان معنى هـــــواه فهنفسي يغصونه الهيالـــــه

ونسيم من تربه حملتـــــــه لفؤادى ريح الصبا الحمالـه

كلما قلت قر قلبى على بـ ابنك هيت فهيجـــــــت بلبالـــــه (٢)

لا وايام حـاجر وليالـيـــــــه قصيرة مستطالـه

لا يقـول الوشاة عنى محـــــب غير النـاى و ده وأحالـــــه

وكان كلما علا شرفا كبر ، واذا غلبه البـــكا صفا ثم تصبر ، ثم لم يـــزل يصلى كلما نزل ، فلما رأيت شوقه وتعبده يزيـد ، أبى قلبى ان يذكر أبا يزيـد الزفرة ثم كان يتبع الزفرة فقلت لله دره من سفره ، فلما حل الناس وادى الاحـــرام يتأهبون لقصد البيت الحرام ، علا على نشزه (٣) حتى لاح للخلق وبرز ، ثـم قـال : أيها الناس أتدرون من تقصدون ، والى من تعمدون ، أتظنون أن الحج

---

(١) نكل : نكص ورجـع

(٢) البلبال : شـدة الهم .

(٣) النشز : المكان المرتفع .

مفارقة الأوطان ، و ترك مقارفة النسوان وجوب السباسب (١) على النجائب (٢) وقطع المراحل على الرواحل ، كلا والله بل خلوص النيه ، للبر (٣) قبل البريه وأصلاح الطويه ، قبل امتطاء مطا المطويه ، والترهب ليوم الميقات ، قبل التأهب فى الميقات ، ونزع لباس الألباس (٤) قبل خلع هذا اللباس ، وهجر التخليط والتفريط قبل ترك المخيط ، (أفينفع الغسل بالذنوب (٥) وأنت منغمس فى الذنوب ، أو نزع المخيط (٦)) من لم ينزع عن حوب (٧) ، أو يدفع الدخول فى الأحرام عمن يجول فى الحرام أو حلول وادى عرفه لمن جهل الحق وما عرفه ، أو الرمى بالأحجار الجمرات من قى قلبه من نار الإصرار جمرات ، أو نزول وادى الخيف (٨) أهل الجنف والحيف (٩) ، او التلفع بكسر الثوب لاضطباع من هوفى أسر الحوب لموافقته الطباع ، أو التطواف حول البيت ، بقلب غافل ميت أو السعى بين الصفا والمروة ، لمن ليس له صفا ولا مروة ، أو يرد حلق الرأس عن يريد حلق الناس ، فابدأوا رحكم الله بأخذ أهبة الباطن لهذه المواطن ، فان الأمر اذا نفضل فى الورود والصدود ، حصل مافى الصدور ، فلما عقد الاحرام قال :

لما رأيت منادیهم الهم بنا ... شددت مئزر احرامى ولبيت

---

(١) السباسب : جمع سبسب وهى المفازة أو الأرض المستويه البعيده .

(٢) النجائب : الإبل النجيبه .

(٣) البر : من اسماء الله عز وجل .

(٤) الألباس : التخليط والتدليس .

(٥) الذنوب : الدلو الكبيرة

(٦) مابين القوسين ناقص : م

(٧) ينزع : يقلع وينتهى ، الحوب : الإثم .

(٨) الخيف : ناحية بمنى .

(٩) الجنف : الميل عن الحق وكذلك الحيف .

وقلت لنفس جدى الآن وأجتهدى ... وساعدينى فهذا ما تمنيت

لو جئتكم قاصدا أسعى على بصرى ... لم أقض حقا وأى الحق ادیت

فلما لاح جهل الرحمه مصاح ونزل فى الزحمه :

وكيف عرفنا (١) رسم من لم يدع لنا ... فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا

نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة ... لمن بان عنه ان يلم به ركبا

ثم بث ماكان أخفى من البث ، وأظهر كل وجده المستتر ببث ، فسمعته يقول لما جعجع بالابل وحث :

أذكراها فى سراها ما عراها ... ففدت تنفخ شوقا فى براها

تقطع البر وتنسى ما جنى ... سيرها والسير امر قد براها

كلما ظنت منى قد قربت ... وتدانت دارها طار كراها

أسعداها ياخليلى على ... مادعاها فى الهوى او فدعاها

كربها مازال من عهد الصبى ... خلياها وانصبا فهو رضاها

غنها يا ايها الحادى لها ... بالحمى أو بالنقا وانظر سراها

نح عنها السوط يكفى شوقها ... قد رأت فى نفسها ماقد وراها

باعها الوجد بكتمان النقا ... عجبا اذ باعها كيف اشتراها

لو تراها علمت من حملت ... ليتها قد عرفت من فى ذراها

أنت ان لاحت لك الاعلام قف ... فهى المطلوب لا شىء سواها

قف على الوادى وسل عن كبدى ... كبدى واكبدى ماذا دهاها

يارفيقى اهذى دارهم ... ودعانى ودعانى وشراها

أنا مقتول بسهم عجب ... قوسه خيف منى أوفا زماها (٢)

---

(١) ولما رأينا : ك

(٢) مأزم : مضيق بين مكة ومنى .

حرم الصيد على من حجـــــــــه فانظرا لي مهجتي من قد رماها

اكتبا في لوح قبري عشتمـــــــا مهجة ماتت وقالت مذ اهـــــا

ومازال يُظهر عِلْماً عند كل علم ، فلما شاهد البيت ظهر الوجد المكتتم فرأيت دمعه نزيفا ، وسمعت صوته ضعيفا ، وهو يترنم لطيفا

هذه دارهم وأنت محـــــــب مابقاء الدموع في الآماق (١)

ثم تشاغل بالتعبد طول مقامه ، فصدفت ايثارا لمراده عن كلامه فلما رمى الجمار علا على أعلى مدار ، وجعل ينشد الأشعار :

هكوا وقد هتكوا السجوف متيمـــا حرموه طيب النوم لما احرمـــوا (٢)

ورموا جمار منى فكم ابدى الحصـــا من راحة راحت بصبرى عنهـــم

ان كان صبرى راحلا برحيلهـــــم عنى العشية فالغرام مخيـــم

قسما بهاتيك المشاعر بـــــره لابد منهم أن جدوا أم أتهمـــوا

فلما أن طاف طواف الوداع ، قلت سماع لقوله سماع ، واذا به يجول ويقول :

قفا قليلا بهـا على فـــــــلا أقل من نظرة ازودهـــا

ففي فؤاد المحب نار هـــــوى أحر نار الجحيم ابردهـــا

ثم انصرف متلفتا ، فسمعت من ذلك الفتى :

ترحلت عنكم لي امامي نظـــــرة وعشر وعشر بعدكم من ورائيـــا

ثم أخذ يكـــرر :

فلله عينا من رأى متفـــــــرق أشت وأنأى من فراق المحصـــب (٣)

غداة غدوا فسالك بطن خلـــــه وآخر منهم جازع نحو كبكـــب (٤)

فلما قربت فوق الرحيل ، ظهر داء شوقه الدخيل ، فتعللي بالانشاد الدليل :

---

(١) صدفت : أعرضت وأنصرفت .

(٢) السجوف : جمع سجف وهو الستر .

(٣) المحصب : موضع رمي الجمار بمنى وقيل هو الشعب الذي مخرجه الى الابطح بين مكه ومنى .

(٤) كبكب : جبل بعرفات .

لما اقاموا (١) قبيل الصبح عيسهم ... ورحلوها وسارت بالهوى الابل
وطاش عقلي من هول الفراق لهم ... ناديت لا حملت رجلاك ياجمل
ياحادي العيس قف كيما نودعهم ... ياحادي العيس في ترحالك الأجل
اني على العهد لم انقض مودتهم ... فليت شعري لطول العهد مافعلوا

فلما خرجنا من مكه امتد التفاته اليها ، واشتد بكاؤه عليها ، وأنشد :

تلفت حتى لم يبن من ديارهم ... جناب ولا من نارهن وقود
وان التفات القلب من بعد طرفه ... طوال الليالي دحوكم ليزيد
ولوقال لي الغادون مالنت مشيه ... غداة جزعنا (٢) الرمل قلت أعود
أصبروا الوعساء (٣) بيني وبينكم ... وأعلام خبت (٤) إنني لجليد

فلما أخذنا نضرب الى يثرب نادى بين الحرمين :

أسكان نعمان الأراك تيقنوا ... بأنكم في ربع قلبي سكان
ودوموا على حفظ الوداد فانني ... بليت (بأقوام) (٥) اذا حفظوا خانوا
سلوا الليل عني قد تنأت ديارکم ... هل اكتحلت بالغمض لي فيه اجفان
وهل جردت أسياف برق ديارکم ... فكان لها الا جفوني أجفان (٦)

فلما قربنا من حرم الزياره ، شنت على صبره من الجزع غاره وأخذ يقول والعقول مستطاره (٧) :

نزلوا جبال تهامه فلأجلهم ... يهوى الفؤاد تهامة وجبالها

---

(١) لما أناخوا : ح
(٢) جزعنا : قطعنا .
(٣) الوعساء : الأرض اللينه ذات الرمل وقيل هي الرمل تغيب فيه الأرجل والوعساء ايضا رابيه من رمل لينه تنبت أحرار البقول .
(٤) خبت : صحراء بين الحجاز والمدينه على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.
(٥) ـ : ز
(٦) الأجفان : أغماد السيوف .
(٧) مستطاره : مذعوره .

يا صاحبيّ قفا عليّ بقدر ما ... أسقى بواكف (١) عبرتي أطلالها

فلما وصلنا مدينة الرسول ، قال قد تم السؤل ، فزار وصلى وودع ، وقال في مدح المكان ما أبدع ، فلما رحل تنفس فمد النفس ، قال لسلع (٢) سلع لسع ليس لمسل لمس ، فلما توجهنا الى العراق كان يتنفس تنفس مشتاق ، ويذكر الحرمين فيبكي الرفاق فأنشد يوما وهو يبكي على الفراق وقد كفكف دمعه المهراق (٣) :

عرّض ابي ركب الحجاز فسائله ... متى عهده بأيام سلع

واستمليا حديث من سكن الحيف ولا تكتباه الا بدمعي

فاتني أن أرى الديار بطرفي ... فلعلّي أرى الديار بسمعي

كلما سل من فؤادي سهم ... عاد سهم لهم مضيض الوقع

من معيد أيام جمع (٤) على ما ... كان منها وأين أيام جمع

طالما بالعراق ينشد هيهات زمانا أضله بالجزع

(وأنتبه ليلة بنسيم السحر ، فترنم فأبكى البدو والحضر

هبت لنا من رياح الغور رائحة ... بعد الرقاد عرفنا بريّاها (٥) ك

ثم انثنينا اذا ما هزنا طرب ... على الرحال تعللنا بذكراك

سهم أصاب وراميه بذي سلم ... من العراق لقد ابعدت مرماك

سقى منى وليالي الخيف ما شربت ... من الغمام وحيّاها وحيّاك

اذ يلتقي كل ذي دين وما طلبه ... هناك ويجتمع المشكو والشاكي (٦))

---

(١) الوكف : المطر

(٢) سلع : جبل بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

(٣) ما بين القوسين + : ح

(٤) أيام جمع : أيام منى .

(٥) رياك : رائحتك الطيبة .

(٦) ما بين القوسين ناقص : ح .

فقلت هذا والله الافتضاح فولول وصاح :

دع ملامى بالحمى أو رح ودعنى ... واقفا أندب بقلبا ضاع منى
ما سألت الدار أبدى رجعها ... ربع سؤول سواها لم يجبنى
أنا يا دار أخو وحش الفلا ... فيك من خان وعزى لم يخنى
ان خبت (١) نار فهذى كبدى ... أو جفا الغيث فهذا الك جفنى

ثم لم يزل يتذكر تلك الأماكن ، ويقلق وجده الساكن وهو يوما يقول :

ليت بيتا بالخيف لم يستفنا ... قرانا ولو غراما ووجدا
لا عدا الروح من تهامة أنفاسا ... اذا استروحت تمنيت نجدا

فقام حاد يحدو فصاح الشيخ :

لأى مرمى تزجر الأيانق (٢) ... ان جاوزت نجدا فلست عاشقا
وانما كان بكاى حاديا ... ركب الغرام وزفيرى سائقا
فظعنوا علمت أنى منهم ... أشيم (٣) فى اعلى السحاب بارقا
أحبس دمعى فينثنى شاردا ... كأننى أضبط عهدا آبقا (٤)
ومن محاشاة الرقيب خلتنى ... يوم الرحيل فى الهوى منافقا

فسمع ناقته ليلة تحن فأجابها وهو يئن :

أمن خفوق البرق ترزمينا (٥) ... حنى فما أضحك الحنينا
سيرى يمينا وسراك شاما ... فضلة ما تتلفتينا (٦)

---

(١) خبت : سكنت وطفئت .

(٢) الأيانق : جمع ناقه .

(٣) أشيم : أنظر من بعد ، يقال شام السحاب والبرق : نظر اليه اين يقصد وأين يمطر .

(٤) آبقا : هاربا .

(٥) الارزام : صوت الناقه وذلك اذا حنت على ولدها .

(٦) البيت ناقص : ح

نعم تشاقين ونشتاق لـــــه ... ونعلق الوجد وتكمينـــا

فأين هذا اليوم أومنك الهـــوى ... وأين نجد والغور بينـــا

سقى الحيا (١) عهد الحمى أعذبها ... سقى السماء به الأرضينـــا

وخص بانات على كاظمـــة ... وزادها نضارة ولينـــا (٢)

وواصلت ما بينها ريح الصبـــا ... فعانقت غصونها الغصونـــا

ورد الأوطارا على كاظمـــة ... على آوأحبه ماضينـــا

عيش نصلت من حلاه والفـــتى (٣) ... يلبس حينا ويبز حينـــا (٤)

وكان كلما يفكر في أحبابه بـــاح (٥) ... وكلما تذكر من انتحابه نـــاح

فنزلنا ليلة من البقاع بقاع وسيم قرواح (٦) ... فهب من رقاده إذ هب نسيم الريـــاح

فصـــاح :

واذا هبت صبا أرضكـــم ... حملت تربا الغضا بانا ورنـــدا (٧) (٨)

لا م في نجد وما استصحبـــه ... بابلي لا اراه الله نجـــدا

رد لي يوما على وادي مـــنى ... ان قضى الله لأمر فـــاترددا

---

(١) الحيا : المطر .

(٢) البيت ناقص : ب ، ز ، م .

(٣) نصلت : خرجت .

(٤) يبز : ينزع .

(٥) صاح : ح

(٦) القاع : الأرض السهلة المطمئنة ، القرواح : الفضاء من الأرض ، التي ليس بها شجر ولم يختلط بها شيء .

(٧) الغضا : واد بنجد .

(٨) البان : شجر معروف ، الرند : شجر طيب الرائحة .

عجباً لي كيف أبقى بعدهم غير أنّ قد خُلِقَ الإنسان جلدا / ثم التقينا بأعراب يصعدون ويتحدّرون، فأرزمت المطايا فقال بطرفه منكسر (١) :

ماضاع من ايامنا هل يغرم	هيهات والايام كيف تقوم
يوم بأرواح يباع ويشترى	وأخوه ليس يسام فيه درهم
لي وقفة في الدار لا رجعت بها	أهوى ولا يأسي عليها يقدم
وكفاك انى للنوائب عاتب	ولصم أحجار الديار مكلم
واذا البليغ شكا اليها بثه	عيّا فما بال المطايا ترزم
كل كنى عن شوقه بلفاته	ولربما ابكى الفصيح الأعجم
ترجو سلوكا في رسوم بيننا	الا نحان سكرى والحمام متيم
هذى تميل اذا تنسمت الصبا	والورق تذكر إلفها فترنم

فلما وصلنا الى بلدنا أشار الى وقال في الدعه ، فضاقت على برحبها السمه ، وقلت أحدث عندك ، بما رأيت منك فقال :

وبجرعاء الحمى قلبي فعج (٢)	بنا لحمى واقر على قلبي السلاما
وترحل فتحدث عجما	ان قلبا سار عن جسم أقاما
قل لجيران الغضا آم على	طيب عيش بالحمى لو كان داما
حملوا ريح الصبا نشوكم	قبل أن تحمل شيحا وثماما (٣)
وأبعثوا أشباحكم لي في الكرى	ان اذ نتم لجفوني أن تناما

---

(١) بضم الراء وتكسير : ح ، ك .

(٢) عج : قف .

(٣) الشيح والثمام : نبتان .

وقف الظامى على ابوابكم * أيمضى وهو لم يشف أوامها (١)

أشتكيكم والى من اشتكى * غليل الداء فى بيدى السقاما

فقلت فراق نفسى دون فراقك ، فعرفنى أسمك قبل انطلاقك ، فقال : اسمى جار البيت (٢) ، فتفكر فيه وقد اهتديت ، فعلمت أنه أبو التقويم ، وبكيت لبعده بعده بكاء السليم (٣)

---

(١) الأوام : العطش أو حره .

(٢) جار البيت : أى الحجر والحجر من اسماء المقل .

(٣) السليم : اللديغ .

المقامة التاسعة عشـــــــــرة
في الخلـــــــوه (١)

سمعت بشخص قد تحلى بالوحده فأتيته فرأيته وحده وقد كسى شاهده حلـة مهابة ، فكل من شاهده أجله وهابه ، فقلت له وفرائصي ترعد كأنه أداط ماتوعد ما الذي أوحش بينك وبين الناس ، وبهم يقع نفع الاستئناس ، فقال : خالفوني في طريقي فصرت استوحش من رفيقي . وأنشـــد :

ان كنت حرا حمى الأنف فاعـــــتزل ... الأنام طرا ولا تركن الى كنف (٢)
فالناس أكثرهم ان تبل ســـــرهم * لا يستفيقون من ظلم ومن جدف
يبدون للمرء بشرا رقّقا خضـــــلا (٤) * وفي السرائر ما فيها من الشنف (٥)
جربت ستين عاما أمرهم فـــــاذا * أصحّهم نية أودى عن الدنـــف (٦)
قلّ بغير حجى عيزلا بصـــــــر (٧) * أذن بلا أذن أنف بلا أنـــف

ثم قال : إنّ مخالطتهم توجب التخليط ، ومحادثتهم لا تخلو من تفريـــط ، إن صادقوا نافقوا وان غابوا عابوا ، (يزوّقون القول فيسرقون العقول (٨)) ثم يقذفون بالغيوب ويكشفون العيوب ، (ويطمحون الى ما في الجيوب ولا ينفسون عن مكروب) (٩)

---

(١) في العزله : ح
(٢) الكنف : الجانب والناحيه .
(٣) الجنف : الجور (٤) البشر : الطلاقه ، خضلا : نديا .
(٥) الشنف : شدة البغض .
(٦) أودى : أهلك ، الدنف : من لازمه المرض وأعياه (٧) الحجى : العقل .
(٨) ما بين القوسين ناقص : ح (٩) + : ح .

ولما بلوت الناس جمعا فلم أجد * أخا صادقا في عشرة وتودد

ولم أر إن أصفى المودة خائنا (١) * رجعت أداري وحدتي وتفردي

ثم تغنم افادتي فترنم :

لقاء اكثر من يلقاك أو زار (٢) * فلا تبال أصدوا عنك أو زاروا

لهم لديك اذا جاءوك أوطار (٣) * فان قضوها تنحوا عنك أو طاروا (٤)

أخلاقهم فتجنبهن أو عار (٥) * وصلهم مأثم للمرء أو عار

أوضار أخلاقهم تعدي معاشرهم (٦) * فلا يروك قديما (٧) ما رأوا ضاروا (٨)

فقلت له أما تستوحش في خلوتك لمن كنت تأنس في جلوتك، فقال كل الأنس في البعد عن الإنس . ثم أنشد :

عفاء على هذا الزمان فإنه * زمان عقوق لا زمان حقوق

فكل رفيق فيه غير موافق * وكل صديق فيه غير صدوق

ثم قال : عزلة المرء عزّ له ، فقلت له : أجل على سمعي إحدى فوائدها ، وأجل على بصري إحدى فرائدها (٩) ، فقال : إن القلب مشغول بوظائف معارفه اللازمات ، والحس ينقل اليه اخبار الحسيات والسمع يوصل احاديث المسموعات

---

(١) صاحبا : ح (٢) الأوزار : الآثام .

(٣) الأوطار : الحاجات .

(٤) ناقص من نسخه : ح من هذا حتى نهاية المقامة وكذلك المقامة العشرون وبعض الحادية والعشرون .

(٥) أو عار : صعبة (٦) الأوضار : الأوساخ .

(٧) قديما : قديما

(٨) ضاروا : ضروا

(٩) الفرائد : جمع فريدة وهي الجوهرة .

والبصر ينقش صور المبصرات فربما أفسده سماع كلمات ، وربما غيرته ولم تناظره النظرات ، وقد تعجز عن الإصلاح المجاهدات ، وربما كل المنقاش ولم يخرج كل المنقوشات ، وربما مرض القلب ببعض ذلك ومات ، فاذا فرغ منها تفرغ للمهمات ، قلت : فقد حصلت عندى الآفات وفات ، فقال استدرك قبل الفوات تلك الهفوات فقلت : من يشفى هذا الداء هيهات هيهات ، فقال : اسمع وصفى الدواء ، فقلت له هات ، قال : الخلوة سكر (١) فى وجه ماء التفريط يمنع المستقبل (٢) .

ثم تهب سموم الخوف على ماقد حصل فينضب فتصلح أرض القلب لزراعة المعرفة ، فينهض الفكر بقلبها بآلة الحذر ، ثم يلقى فيها بذر الفكر ويدير دولاب الحزن على سالف الزلل فيأخذ من عين العين فتصبح الأرض مخضرة ، فلو رأيت ورق الأشجان (٣) على ورق الأغصان ، كلما سجمت شجمت روح الاشتاق لاستوحشت من الدنيا كلها ، تبكى وتنادى شوقا الى ذلك الوادى ، ولقد جنيت من ثمر غرس الخلوة كلمة سمعتها من بعض الصلاح :

أوحشتنى خلواتى بك من كل انيس * وتفردت فما أبتك بالغيب جليس

وبدا لى أن مهر الحب اقتحام النفوس * فكتبت العهد للحب على طرس الرسيس (٤)

فقلت له : زدنى لأذهب ، فقال والوجد قد ألهب :

---

(١) السكر : سد النهر .

(٢) تمنع : ك

(٣) الورق : الحمائم .

(٤) الطرس : الصحيفة ، الرسيس : الشئ الثابت الذى قد لزم مكانه ، والمعنى أنه كتب العهد على صحيفة ثابته . والمراد بالصحيفة صحيفة القلب .

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت جسمى من أراد جلوسى

فالجسم منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيس

فلما خرجت عنه الى مخالطة الخلق ومعاناة المكسبة، قيل لى آدم قد أخرج من الجنة فنصب للنصب (١)، فاشتد لهذا قلقى، وهمت بقطع ما آنس به من علقى وقلت فى الصمت فضائله، فلقيتها التقويم بخصم من لقى، فسألنى عن عار أى من حرقى، فأجابته دموعى قبل منطقى، فقال اذكر حالك الصمت ودع السكوت فسألته عما جرى لأسمع علما كالقوت، فقال كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت، فبكيت لما قال، وقلت على هذا الحال أموت، ففرشت فراش الحزن على حزن (٢) الأسف وقرعت سن الندم بأنامل الأسف، فعصفت رياح الزفرات فأقتلع سكر (٣) الدمع فصاح بى صاحبى: ويحك ما الذى أقرع بابك مما نابك، ولماذا تبكى وتقرع مما نابك؟، فقلت: كلما هممت أن أهرب من الذبح تشبثت بى الفراخ مع ضيق المرجع وفراغ الحوصلة وخلو الصناخ فلا يحصل لى أعمال رضاهم، ولا يمكننى اهمال مرضاهم، فيذهب عمرى فى سد جوع الأكله ولكن اذا أراد الله لأمر هيأ له، فكيف لا أندب تضييع ما اليه أندب، وتضييع العمر فيما يؤكل ويشرب، فقال: لقد أبطنت لك النفس مكيدة شرد فنتها فى الخير وكم من كلمة حق أريد بها باطل، وسوء يلحق المرء وهو عنه غافل، انما العزلة اعتزال المعتدين لا مفارقة أهل الدين المتعبدين، فأما طلبا لعزله عن الكل فانه رأى ضل بن ضل (٤)

---

(١) النصب: التعب

(٢) الحزن: ماغلظ من الأرض. والمراد على كثير من الأسف

(٣) السكر: سد النهر

(٤) ضل بن ضل: أى منهمك فى الضلال.

فأن الكسب للعيال أشد العبادتين ، والرفق بالأطفال أقوى المجاهدتين ، وكم بين من فرى(١) ارض الفرائض وبين من نوى فعل النوافل ، أتظن الزاهد من بنى رباطا(٢) وتأخر عن كسب الدنيا وتباطى ينتظر فتوحا ماتعب فى تحصيلها ، ويأخذ (فتوحا(٣)) لا ينظر فى جملها وتفصيلها ، أقطع يستلذ الوسخ ، كلما جذب الى علو الهمه رسخ أما علمت أن حمل المتن ولو من أهل الكرم أثقل عند أولى الهمم من الصبر على العدم ، انه من قت لفيك ، قت فيك(٤) ، لقد كان الصديق ومايوازى بزازا وكان(٥) على يستقى كل دلو بتمرة ، وكلهم يرى أن المنه جمرة ، وكان ابن أدهم(٦) ينظر المحاقل(٧) وهل يرضى بأوساخ الناس عاقل ، وأنما العابد الذى رأيته خال من العائلة(٨) ، ومسألتك أنت لا شك عائله ، ثم اعلم أن ترك النكاح رهبانيه والمتزوجون فى العلو بابانيه(٩) ، فينبغى أن تحقق القصد ولا تأبى نية ، وأن التسبب فى الاولاد أقوى عباده ، فاذا اتيت بولد كثرت لله عُبَّاده واذا لاحظت

---

(١) فرى الارض: سارها وقطعها .
(٢) الرباط : ملجأ الفقراء من الصوفيه .
(٣) أموالا : ك (٤) المعنى أنه من أطعمك من غير كسب فقد أضعفك والحق الضرر بك .
(٥) مايوازى : لا يماثل ، البزاز : بائع الحرير والثياب .
(٦) هو ابراهيم بن أدهم زاهد معروف ، سبق التعريف به فى المقامه العاشره .
(٧) ينظر المحاقل : يحرس المزارع . فكان بن أدهم رضى الله عنه يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين .
(٨) وانما المعتزل العابد الذى بيته خال من العائله : ك
(٩) بابانية : ك . والجمله غير واضحه فى باقى النسخ .

الأهل من خير الصلات ، كان خيرا من الصوم والصلاة ، أما مذهب أحمد (١) مذهب ، وهو الى تفضيل النكاح (على النفل) (٢) يذهب ، أما هذا شأن النبى وأصحابه ، فدع عنك هذا الوسواس ولا تعبأ به ، اما ليلة بات فيها أبو الثلفمى (٣) مع زوجته ، ووالد أحمد مع امرأته حتى حملتا من حمل ما حمل من الصوم أفضل من تعبد عابد ألف سنه يصلى ويصوم ، قلت فربما جاء نوح (٤) بكنعان ، قال وربما أتى صهيب (٥) وسلمان (٦) ، ثم ان الثواب على قدر نيه الانسان ومهما كان كان ، فطر ما سمعته من لطف هذا البيان كتاب عطف على الصبيان .

---

(١) يعنى أحمد بن حنبل رضى الله عنه وهو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى الوائلى ، امام المذهب الحنبلى وأحد الائمة الاربعه ، أصله من مرو ولد ببغداد سنه ١٦٤ هـ وسافر الى الكوفه والبصره ومكه والمدينه وغيرهم ، له كتاب " المسند " يحتوى على ثلاثين ألف حديث . توفى ببغداد سنه ٢٤١ هـ (وفيات الأعيان ج ١ صـ ١٧) .

(٢) على التبتل : م

(٣) الامام الشافعى هو أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى ، أحد الائمة الاربعه . ولد فى غزه ـ ردها الله لاصحابها ـ سنه ١٥٠ هـ وحمل الى مكة ، وزار بغداد ، وقصد مصر سنه ١٩٩ هـ وتوفى بها عام ٢٠٤ هـ . وضع علم اصول الفقه ، وله تصانيف كثيرة أهمها " الرساله " فى أصول الفقه . (طبقات الشافعيه ج ١ ص ١٨٥) .

(٤) كنعان هو ابن سام بن نوح عليه السلام وقد خرج عن دين آبائه .

(٥) هو صهيب بن سنان بن مالك (٣٢ قبل هـ ـ ٣٨ هـ) من بنى النمر بن قاسط : صحابى من أرمى العرب بسهما ، وله بأس . وهو أحد السابقين الى الاسلام ، وعرف بصهيب الرومى لان الروم قد سبوه وهو صغير . شهد بدرا وأحد والمشاهد كلها الى ان توفى بالمدينه سنه ٣٨ هـ (الاصابه ت ٤٠٩٩) .

(٦) هو سلمان الفارسى ، صحابى من مقدميهم . كان يسمى نفسه سلمان الاسلام ، أصله من مجوس أصبهان ، عاش عمرا طويلا فكان قوى الجسم ، صحيح الرأى ، عالما بالشرائع وعمرها وهو الذى دل المسلمين على حفر الخندق فى غزوة الاحزاب ، جعل أميرا على المدائن فأقام فيها الى ان توفى سنه ٣٦ هـ .

(الاصابه ت ٣٣٥٠ .) .

المقامة العشرون
(١)
في الصدقة

أنقض على بابي كالصقر سائل ، فانقض قبل جوابي من الفقر دمعه السائل ، وكانت عليه جبة لا تساوي تصحيفها ، ولا يذكر لطول جدتها ريفها (٢) ، فكلما توقى بها أو توقت ، قرأت اذا السماء انشقت فقال يا أهل بيت الأبرار الأهل ، لازال على بابكم راغ وصاهل (٣) ، ليس في جوفي ثميله فهل عندكم خطيفه (٤) ، فقلت ولا قطيفة ، فقال (٥) فوكيرة ، قلت ولا خزيرة (٦) ، قال فبحيرة ، قلت ولا نكيلة (٧) ، قال فحسيلة (٨) ، قلت : ولا وثيمة ، قال (٩) فنقيمة (١٠) ، قلت ولا نخيخة ، قال (١١) فبسيسة (١٢) ، قلت : ولا ربيكة (١٣) ، قال : فنحيسة (١٤) ، قلت : ولا قطيبة (١٥)

---

(١) المقامه ناقصة : ح

(٢) ولا تذكر لطول جدتها ريفها : ك والمراد أنها لقدمها وطول عهدها لا تذكر أيام نضارتها .

(٣) الرغاء : صوت الابل ، الصهيل : صوت الفرس .

(٤) الثميله : بقية الطعام ، الخطيفة : دقيق يذر على اللبن ثم يطبخ .

(٥) القطيفه : من القطائف المأكولة .

(٦) الوكيره : طعام يصنع عند بناء البيت ، الخزيرة : شبه عصيدة بلحم وبلا لحم ، وهي لحم يقطع صغارا على ماء كثير ودقيق أو مرقة من بلالة النخالة .

(٧) البحيرة : اللبن الحليب يجعل عليه السمن ـ النكيله : سويق وتمر بلا بلبن .

(٨) الحسيلة : خشف النخل الذي لم يحل بسره فيبس ويودن باللبن أو بالماء ويعرس له تمر حتى يحليه فيؤكل لقيما .

(٩) الوثيمة : اللبن المحض يسخن (١٠) النقيمة : طعام القادم من سفره وكل جزور جزرت للضيافه .

(١١) النخيخة : زبد دقيق يخرج من السقاء اذا حمل على بعير بعد ما خرج زبده الأول فيمخض فيخرج منه زبد دقيق ـ (١٢) ـ البسيسه : هي السويق أو الدقيق أو الاقط المطحون يلت بالسمن او الزيت ـ (١٣) ـ الربيكة : تمر يعجن بسمن واقط .

(١٤) النحيسه : لبن المنز والنعجه يجمع بينهما ـ (١٥) ـ القطيبه : لبن الابل والغنم يخلط .

قال : فمصيده (١) ، قلت : ولا لهيده (٢) ، قال : فغريقه (٣) ، قلت : ولا جليحه (٤)
قال : فسخينه (٥) ، قلت : ولا خصيه (٦) ، قال : غضبيه (٧) ، قلت : ولا وهيسه (٨)
قال : فخريقه (٩) ، قلت : ولا عبيثه (١٠) ، قال أف أصابتكم فليقه (١١) ، أو ادركتكم
حليقه (١٢) ، أو أهلكت أموالكم شعيله (١٣) ، أو مانيكم للخير نحيرة (١٤) ، ثم أنشد :

من أجوجت كه الليالـــــى ... الى سوى الله بافتقـــــار
أعرض وجه اللئيم عنـــــه ... ورده الحر باعتـــــذار
لا قدر الله فى كريـــــم ... حاجه يمشى الى يســـــار

---

(١) المصيده : دقيق يلت بالسمن ويطبخ .

(٢) اللهيده : المرغوه من الصائد (٣) الفريقه : تمر وحليه تطبخ للنفساء للنفاء .

(٤) الجليحه : عصارة نحى سمن أو لبن أنقع فيه تمر .

(٥) السخينه : طعام رقيق يتخذ من دقيق .

(٦) الخصيه : حنطه تعالج بالطبيخ .

(٧) الغضبيه : سمن وزبد يجعل للصبى .

(٨) الوهيسه : أن يطبخ الجراد ويجفف ويخلط بدسم .

(٩) الخريقه : ماء يغلى ثم يذر عليه الدقيق .

(١٠) العبيثه : الأقط يفرغ رطبه على يابسه حين يطبخ .

(١١) الفليقه : الداهيه

(١٢) الحليقه : ماتحلق الأموال وتهلكها .

(١٣) الشعيله : فتيله فيها نـــار .

(١٤) النحيره : بمعنى ناصر . والمعنى : أما فيكم ناصرا وفاعلا للخـــير .

ثم قال : لقد كنت ربّ أنّه وحانّة (١) وثاغية وراغية (٢) ، كم صدقت فـــى الشتاء بهيج (٣) ، وكم فرقت فى الربيع من ربح (٤) ، وكم ضحت فى الصيف مرسلا بنافطه (٥) ، وكم ذبحت للضيف من عافطه (٦) ، ما أكل عندى سنخ ولا غـــاب (٧) ولا فى وفدى كهل أو شيخ غلب ، ولم يكن للحادث فى الأحادث الى لومـــى طريق ، والردى ماتنوول ، والمذيق (٨) مذيق ولقد كان خيرى للخليقه ينفح ، فأصبحت وأنا على الحقيقة طلنفح (٩) لا أقدر على هلع ولا هلعة (١٠) ولا لى سنعـــة ولا ضعه (١١) ، ولا قذعطة (١٢) ، ولا سبد لى ولا لبد (١٣) ، وما بى حمـــص ولا بيض (١٤) ، ولقد فرقت الجعبه ، فما أملك قرطعبه (١٥) ، فياغزالة سحـــاب نحس آها لواكه (١٦) ، وياحسن وجه عيش أعرض ، واها لسالكه ، فلولا أن الحاج الحاج (يقيم فى المقام الخسيس) (١٧) ما أسلت ماء وجهى (لاطعام) (١٨)

---

(١) الانّه : الشاه وكذلك الثاغية .

(٢) الحانه : الناقه ـ وكذلك الراغيه .

(٣) البهيج : مانتج فى الصيف (٤) الربح : مانتج فى الربيع .

(٥) المرمل : الذى ذهب ماله ، النافطة : أنثى الماعـــز .

(٦) العافطه : أنثى الضأن .

(٧) السنخ : المتغير الريح ، الغاب : الذى قد بات ، وكل ذلك كنايه عـــن جـــوده وكرمـــه .

(٨) المذيق : اللبن الممزوج بالماء (٩) الطلنفح : الجـــائع .

(١٠) يقال ما له هلع ولا هلعة : أى ماله جدى ولا عناق ، والعناق : الانثى من أولاد المعـــز .

(١١) يقال ماله سنعة ولا ضعة : أى ليس له شىء .

(١٢) يقال ماعنده قذعطه ولا قرطعبه : أى ليس له شىء .

(١٣) السبد : الشعره اللبد : الصوف (١٤) مابى خيص ولا بيـــص : أى مابى حركه (١٥) يقال ماعنده قرطعبه : أى لا قليل أو اكثر أو شىء .

(١٦) لواكه : لقظره (١٧) مابين القوسين ناقص : ك . (١٨) ـ : ك .

سجيس (١) عجيس لكن خرجت ولا ادرى الى اين حتى بلغ السيل الزبى (٢) وجاوز الحزام الطبيين (٣) وهل انا الا مقحة من مريس (٤) ، وخرقه من شعوب دريس (٥) ، فأين من يقول ها ، كلمة قل من يقولها ، فقلت له فهم هذم المفهوم تكدى (٦) ، قال : اقبلت فى العلوم كدى ، فلما أظهرت للمسئولين من العلم ما عندى ، قابلنى كل منهم بما عندى .

---

(١) يقال لا افعل كذا سجيس عجيس : أى أبدا

(٢) تقول العرب : بلغ السيل الزبى وهو مثل يضرب للأمر اذا جاوز الحد والزبى جمع زبية وهى "حفرة تحفر للأسد اذا أراد واصيده" ، وأصلها زبية لا يعلوها الماء فاذا بلغها السيل كان جارفا مجحفا . (ج ١ ص ٩١ مجمع الأمثال) .

(٣) تقول العرب فى المثل : جاوز الحزام الطبيين ، يضرب عند بلوغ الشدة فتهاها . والطبى للحافر والسباع كالضرع لغيرها . (ج ١ ص ١٦٦ - مجمع الأمثال) .

(٤) المريس : الثريد والتمر الممروس (أى المدقوق) أو اللبن .

(٥) الدريس الخلق .

(٦) تكدى : من الكدية وهى التسول .

عرضت على الحجاز نحو المسير * بوكتما حسانا للخليل بن أحمد

وروى ابن سيرين وخط مهلهل * وتوحيد عمرو بعد فقه محمد

وأنشدته شعر الكميت وجرول * وغنيته لحن العريض ومعبد

فعانقنني دون أن قلت هاكها * هدوء بيضاء تطن على اليد

ثم قال كان لي اخوان يجتمعون عندي على خوان (١) ، فاذا كلهم لما عدم أكلهم خوان ، وعشت والله الخُلة بإخلال المخليل بالخُلة (٢) لأجل خله ، ثم أنشد :

اسمعي مني أبثك شأني * انما يهدى ضمير لسان

كم أخ لي كان مني فلما * ان رأى الدهر جفاني جفاني

لم يرعني منه الا عدو * موتر نحوي (٣) قوس الزمان

مستعد لي بسهم فلما * ان رأى الدهر رماني رماني

ثم اقبل علي وأشار الي :

تنبه لبرد وايقاد حر * اذا رقدت عنك عين الخطوب

ولا يخدعنك بشر الزمان * فوجه الزمان سريع القطوب

فبورته بعد اللجاجه (٤) فمضى وكر يقول السؤال الا عند الحاجه شكر فاعطيته (ما حضر) (٥) فعاد في اليوم الثالث ، فقلت زدني فقال :

---

(١) الخوان : مايؤكل عليه الطعام كالمائده .

(٢) الخله : الصداقه .

(٣) موترا نحوي : معينا نحوي .

(٤) اللجاجه : الخصومة .

(٥) + : ك

لعذرني بالفقر بلعت ، فناولته شيئا وقلت له اصبك ولا تجعلني باذا الدها ،
ثم ضربك ، فعاد فقلت : قد اعطيتك مرارا فأرسل عنه بالهكلي مرارا ، ثم أنشد :

رأيتك تكويني بسهم ضـــــــــة * كأنك قد اصبحت علة تكهـــــني
وتلويني الحق الذي أنا أهلـــــه * وتخرج في امري الى كل تلهـــن
فمهلا فلا تمن على فبلغـــــة (١) * من العيش تكفيني الى يوم تكفيني

ثم كرر السؤال فقلت له اصلح الله شأنك ، فصاح بي شخص ان الرد قـــــد شانك ، ويحك أشكر من افقره الى الشي وأفقرك (٢) ، وأمانه بالعدم وهو حي وأنشرك ، وما قدر كسرة تعطيها ، او ما سمعت أن الرب يربيها (٣) ، فيراهـــا صاحبها كسجيل أحد ، أفيرغب عن مثل هذا الخير أحد ، واعجبا للقمة كانـــت قليلة فكثرت ، وغانمة فبقيت ، ومحفوظه فحفظت ، أما علمت أن الصدقـــه اذا صدقت في اخراجها نفس تقي تقي (٤) منه السوء وتطفي غضب الرب ، أن اللقمة اذا أكلت صارت أذى وقبائح في الحشى ، واذا تُصدق بها صافت اذاً مدائح عنـــد العرش ، ان تطوعات البدن لا تتعدى المتطوع ، وأن نفع الصدقه متعد متسوع ، ان تهم جسد الفقير بأسباب صلاته ، شريك له في ثواب صلاته ، ومن فطّـــر صائما قد صبر الى عشائه من فجره ، فله مثل أجره (٥) ، تالله لقد عُدم علم الغمر (٦) أن الصدقه تزيد في العمر ، ثم أنها والله سريعة الخلف ، وحافظة بعد الموت للخلف ، واعلم أن انفاق كل حبه تثمر لك الوفاق والمحبة في كل سنبلة مئة حبه ،

---

(١) البلغه : ما يتبلغ به من العيش

(٢) أفقرك : جعلك تركب فقار الظهر أي ظهور المطايا . وهو كناية عن الغنى .

(٣) قال المصطفى صلى الله عليه وسلم ، من فطر صائما فله مثل أجره غير انـــه لا ينقص من أجر الصائم شيء (أخرجه الترمذي ٣ : ١٦٢ ، وأخرجه ابن ماجه ١ : ٥٥٥

(٥) الغمر : من لم يجرب الأمور . (٣) يربيها : يزدها وينميها .

(٤) هذا من حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد أخرجه الترمذي في كتاب الزكاة

ثم قدر أنك لا تثاب على هذه اللقمة ، أيهن الحنو على الأخ والرحمة عليه على الأمس طالق الدبر (١) ، قلت : فما قدر لقمة لا يبالي بها أحد ، حتى تصير كجبل أحد ؟ ، فقال : زادت النسيئة (٢) في قدر الثمن ، ثم قال : قد كان حاتم الطائي كافرا ، وكان يطعم حاضرا ومسافرا ، فاذا فضلت لقمات القاهن على الرمل ، وقال انهن جارات يعني النمل ، كان الصالحون يثورون الى الايثار وأنت رصاصة (٣) ، (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة :) (٤)

كان الكرام وأبناء الكرام اذا * تسامحوا بكريم ناله عدم

تسابقوا فيواسيه أخو كرم * فهم يرجع باقيهم وقد ندموا

فاليوم صاروا يعدون الندى سرفا * وينكرون على المعطي اذا طلبوا

فقلت : والله لقد وصلت كلماتك الى سمع قلبي فوصلت ، وأسرت الى سري فسرت وأسرت ووكفت (٥) سحائب نفسها فما كفت حتى كفت غرفي للمسه شفة شفت منها هذه البلاغة فشفت ، قلت فدعني أكون في الصحبة ، فقال ودعني فما تصبر على الغربة ، فالزم لفعل الخير مكانك ، واطعم البر إمكانك ، وأفوض ربك

---

(١) هان على الأمس طالق الدبر : يضرب هذا المثل في سوء اهتمام الرجل بشأن صاحبه .

(٢) النسيئة : التأخير والتأجيل .

(٣) الرصاصة شدده : البخيل .

(٤) " والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . الحشر آيه ٩ .

(٥) وكفت : قطرت .

فقد بلك ، وعاطل مولاك بما اولاك ، ولا ترفن سعاقلا بلا ، فانه بوت عضـــه بل بلي ، ومتى أدمت الصدقة فلا بلا ، فاجعل لا تملي ، خذ هذه الوصيـــة اليك والسلام عليك ، قلت فما اسمك ، فقال اسمي مشتق من المقال ، قلـــت : فأنت المقل ، قال يقال ، ثم انحرف فانحرفت فبدا واريفت (١) .

---

(١) بـدا : سار نحو البادية ، وأريفت : صرت نحو مكان الريف ، والريـــف : ارض فيهـا زرع وخصـــب .

المقامة الحادية والعشرون
في ذم البخل والطعام وذكر المريدين (١)

شاعت هموم قلبي لبلايا بلا كيل إعترت بباعث فيها الغموم لبي طول الليل واشترت كلما قلت قد قرب مجنون الصبح من ليلي يستأخر ، فظننت ليلي ليلا بلا آخر ، فعلمت أنه ما يسر وما يحرو (٢) الا الواعظ ، فبقيت الفجر (٣) وبقيت الاحظ ، وعزمت أن أبكر الى مجلس مذكر ، فلما فروز (٤) الصبح ذيل الظلام تأهبت فغلط قضيت فرض الصلاة مع الامام ذهبت ، فاذا هلوف (٥) قد تصوف وعليه برد مصوف (٦) وبيده عكاز مجوف ، فقام واعظا وخوف ، فجال في بيداء المعاني وطوف ، بينما هو في شام المبارات كوف (٧) ، فقام اليه جلف جاف بجباجه (٨) ، فقال له الشيخ : ألك حاجه ؟ فقال مسأله من دقائق الاصول ، فقال : لا تزاحم حقائق الفضول ، سلم السلامة للتسليم ، وعقد المستسلمين سليم ، قال انما هي في القضاء والقدر ، قال : ومن حام حول ذاك الحمى فقدر ، قال : كيف قضى (علي) (٩) وعاتب ؟ قال له : الحكم مدح أو عاتب ؟ (١٠) قال :

---

(١) ناقص من نسخة ح من أول المقامه حتى قرأنا من ذلك السيد ماهال فقال الشيخ السليقة خليقة .

(٢) يحرو : يأتي بالمعروف . يقال عرا فلان فلانا : أتاه طالبا معروفه .

(٣) بقيت الفجر : انتظرته (٤) فروز : عذل وقطع .

(٥) الهلوف : الهرم (٦) الصوف : المخطط .

(٧) كوف : اتجه الى الكوفه . والمراد أنه يأتي بألوان الكلام المختلفه فيأتي بالمبارات الشامية ، وكذلك بالمبارات الكوفية العراقيه .

(٨) البجباجه : السمين الثقيل البدن (٩) ـ : ك

(١٠) مدح أو عاتب : م .

ماشفاني هذا الحذار ، قال : أمرنا بالسكوت عند ذكر القدار فاكتف بهذا ولا تحارني فكم قد لقي في هذا مارنه (١) ، وأقبض على وصيتي بأسرار الكف (٢) ، فمثل للأسرار مثل الكف (٣) ، الكلام في القدر بحر من خاضه غرق ، عرضه لا يقطع بالسباحه ، وماؤه لا يروى من عطش فجز على شاطئه واترك البحر رهوا (٤) ، فقال له : قد كانت العقائد مشرعة صافية فما الذي كدر الورد ، فقال : اختلاف الدلاء (٥) ، فقطع الكلام فقير فقال : ياقوم مالي نقيرة (٦) ، اخرجني السؤ الكم الجوع ، والي امثالكم الرجوع ، فقال الشيخ : الفقر داء الكرام ، فرحم الله من واسى هذا الغلام ، فبادروا الارباح في هذه التجاره فسكتوا كأنه كلم حجارة ، فقال الشيخ :

أرى اخواننا اثروا ولكن * تراهم على التحقيق فقر

لانهم يخافون المرجا (٧) * كأنهم حبارى وهو صقر (٨)

وان قلنا أضيفوا الناس وأقروا * ففي آذانهم من ذاك وقر (٩)

---

(١) المارن : الانف أو طرفه .

(٢) أسرار الكف : الخطوط التي في باطنها

(٣) الكف : المنع والحبس (٤) رهوا : ساكنا .

(٥) الدلاء : جمع دلو .

(٦) النقير : النكتة أو النقره في ظهر النواة .

(٧) المرجا : الذي يرجوهم

(٨) الحبارى : طائر طويل العنق . رمادي اللون على شكل الاوزه في مقداره طول ، الذكر والانثى والجمع فيه سواء .

(٩) الوقر : الصمم .

ثم بالغ فى ذم البخلاء وأنشد /:

خلقوا وما خلقوا المكرمة * فكأنهم خُلقوا وما خُلقوا

رزقوا وما رزقوا سماح يد * فكأنهم رُزقوا وما رُزقوا

ثم قال : هذا المسكين ماذاق الليلة لما جا (١) ، ولو علم مثله بخلكم لما جاء ، إن البخل بالطعام من أخلاق الطغام (٢) ، وأن العقلاء واسوا يقدر طاقتهم ، ولم يتناسوا ، قرب فاقتهم ، هذا لأن عادات السادات سادات العادات ، وشيم الأحرار أحرار الشيم ، فقام رجل فحثا له من الحثالة (٣) ، فقال الشيخ : لو كتم بالخلف (٤) تصدقون ، ماكتم بالخلف (٥) تصدقون ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون (٦) ، فأشرف جار للمسجد عليه ، وضمن جميع القلوب عليه ، فكان وعده وانجازه لام على ألف ، فألفينا شخصا للمعروف قد ألف ، فخرق للعاجله سجوف الكلة (٧) ، وقال لغلامه : كِل له فهال عليه من الجيد ماهال (٨) ، فرأينا من ذلك السيد ماهال (٩) فقال الشيخ : السليقة خليقة ، وهى بالكرام خليقة ، والنحيزة غريزة (١٠) ، وهى فى الخُلق عزيزه ، لايقول المجد واطرباه ، حتى يصيح المال واحرباه هيهات أن يُسمن المدح حتى يهزل الكيس ، قال : فبماذا أداوى البُخل ؟ فقال : اعلم أن مالك ما أتلفت ، ومالك ماخلفت

---

١) اللماج : الشىء ، يقال : ماذقت لما جا أى شيئا .

٢) الطغام : أوغاد الناس .

٣) الحثالة : الردىء من كل شىء والنفاية من الحب والتمر ونحوهما .

٤) الخلف : العرض .

٥) الخلف : البقيه من كل شىء ، يقال : أكل طعاما فبقى فى فيه خلفه .

٦) " ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ماكسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم آخذيه الا أن تغمضون فيه وأعلموا أن الله غنى حميد " البقرة آية ٢٦٧ .

٧) السجوف : جمع سجف وهو الستر ، الكله بالكسر : الستر الرقيق وغشاء رقيق يتوقى به من البعوض .

٨) من أول المقامه حتى هنا ناقص : ح ٩) ماهال : ماأدهش .

١٠) النحيزة : الطبيعة .

ومتيقن أن البخيل فقير لا يؤ جر على فقره :

يفنى البخيل بجمع المال مدته

وللحوادث والوراث ما يدع

كدودة القز ما تبنيه يهدمها

وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

ياهذا اطلق يدك فى التصدق على جميع الأحياء حتى على احياء الموتى اذا جزت على المحبسين فى القبور ، فلا تبخل بآيتين فانها صدقة سهلة ، واجمع لقلمة الحبس مايكفيك أيام الحصار (١) ، قال : زدنى زادك الله ، قال اعلم ان القدرة برق خلب (٢) ، والدولة ريح قلب (٣) :

اذا هبت رياحك فاغتنمها

فان لكل عاصفة سكون

ولا تغفل عن الاحسان فيها

فما تدرى السكون متى يكون

بادر بالعافية العافية ، واغتنم فى المعيشة الصافية العطية الضافية ، فستصفى على قبرك سافية (٤) ، وتنصب موازينك ناقصة أو وافية ، " يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية " (٥) ، فقال السائل : انى قد أسرنى الهوى ، كلما بنيت عزما هوى ، فقال : در مع هواك باللطف فى دار المدارة فان شط (٦) فانشط

---

١) يريد بقلمة الحصار : القبر وبأيام الحصر : الرقود فيه .

٢) برق خلب : أى خادع لا طائل فيه .

٣) أى كثيرة التقلب .

٤) تصفى : تثار . والسافية : الرمال الكثيفة .

٥) الحاقة آية ١٨ .

٦) شط . جار وبعد عن الحق .

فقال : قد تلف عمري فكيف اتلافي أرى ، فقال : من خرق ثوب إيمانه بالذنوب فليرقعه بالاستغفار ، انت تجمع نَوى المعاصي وقالب الجزاء في الكفة

قال : قد تملكني عشق الدنيا فأذلني ، فقال :

وكنا نعشق الدنيا قديما
ولكن لا سبيل الى الوصال (١)

ويحك تَعَزَّ عن الدنيا (٢) تَعزَّ أنت ، تحزن اذا فقدتها وليساوي الميت البكاء اذا بقي لك مايقوت ، فلا تيأس على مايفوت ،

اذا رضيت بميسور من القوت
بقيت في الناس حياً غير مقوت (٣)

ياقوت يومي اذا مادر خلفك لي
فلست آسى على در وياقوت

فقال : دُلني على الجادة ، وداومني بالجادة ، فقد وثقت من الآن بعزمي وأوثقت مالان من حَزم حزمي ، فقال : علائقك عوائقك فتفوز ، شمر في جادة الجد ذيلا ، وادّرع في طلب الفضائل ليلا ، ودع لطلب السعاده سُعدى وليلى ، ويحك انه من طلّق الدنيا بصدق عزم كرهت الآخرة أن يبيت عزبا ، فعجلت الخطبة ، فقال : كم أطلقها واطلقها وتعود الى البيت ، قال : علمت مذهك السُرَجيه (٤) ، فوكل العزم

---

١) هذا البيت لأبي الطيب المتنبي من قصيدته التي يرثي فيها والدة سيف الدولة الحمداني ومطلعها :
نعد الشرفيه والعوالي وتقبلنا الضون بلاقتال .
(ج١ ص١٤ ـ شرح ديوان المتنبي ـ لعبد الرحمن البرقوقي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٢) أي تصبر وتسلى .

٣) غير مقوت : غير مبغوض .

٤) ربما كانت السرجيجة ، والسرجوجو : الخلق والطبيعه والطريقة .

وقد بت أنت مشغول عن عالم القلب بعالم النفس ، ومن مطلوبات الروح بشهوات الحس ، انما همتك ببيت قد شيد أو بيت من نشيد ، تعجب ببرده (١) وتحجب بشرده (٢) ، وتستوطى مواطى الكسل (٣) ، وابر النحل دون المسل (٤) تالله لو تنقلت على عيطموس (٥) العزم وجلمباة (٦) السير ومهجور القصد وهرجاة (٧) الطلب ، وشملة (٨) الجد ، ووصلت الديجور (٩) بالضحى لانقطمت الديمومة (١٠) القذف ، لكنك قنعت بجدبار (١١) الادبار عن المرمس (١٢) فبعت الاغذاذ بالفتور فقراً بين يديه قارئ سورة هل أتى (١٣) ، فقلت : ياسيدى مثل قد أتى ، كيف ذكر في هذه السورة كل سرور ولم يتعرض بذكر الحور ، فقال : هذه نزلت في مدح أهل البيت ، فنقص من القميد ذاك البيت ، ولذلك سميت بسورة الانسان

---

١) بشرده : بلونه ، والشرد : غمس الثوب في الصبغ .

٢) هذا من قول المتنبي :

تريدين ادراك المعالي رخيصة ولابد دون الشهد من ابر النحل .

٣) العيطموس : الناقة التامة الخلق الحسنة .

٤) الجلمباه : الناقة الشديدة .

٥) المهجور : الشديدة .

٦) الهرجاه : الضخمة .

٧) الشملة : السريعة .

٨) الديجور : الليل .

٩) الديمومة : الأرض القفر ، القذف : البعيدة .

١٠) الجدبار : الناقة الضعيفة الضخمة .

١١) المرمس : الناقة الشديدة .

١٢) الاغذاذ : الاسراع في السير .

١٣) سورة الانسان .

أحدهما أنه لم ينتصف من فاطمة بذكر الضرائر ، والثاني : أن الحور مملوكات والمملوكات لا يذكرن مع الحرائر ، فقرأ آخر : " والصبح إذا تنفس "(١) فقال الشيخ : فارقه المتهجدون فقد الصعداء فلما ذا حمامة تصرّت فانزعج الشيخ وقال :

يا رعى الله حمامات اللوى
أنها تشدو الأغاني فتجيد
(جمعتنا روضة منسوجة
فوقها من زهر الروض بُرود
فتوافقنا فلي منها غنى
ولها مني نشيج ونشيد)(٢)
فظللنا كلنا في طرب
نحسب الأرض بنا منه تميد
ثم فرقنا وكل واحد
منه نحو الأخر جيد
أتمنى لو أعادت سجعها
وتمنى أن نشادي يعود

فقام مريد يبكي ويقول : ذكرتني أيام بدايتي ، فواحنيني وواحسرتي فقال الشيخ :

دعها لك الخير ومابدا لها
من الحنين ناشطا عقالها

---

(١) التكوير آية ١٨ .
(٢) مابين القوسين ناقص : ح .

ولا تحقها عن عتيق رامة
فانها ذاكرة إنا لها (١)

ولا تملها بجو بابل
فهو أهاج بالجوى بلبالها (٢)

نشدتك الله اذا جئت الربا
فُرَّدَ أضاها واستظل ضالها (٣)

وناج الوق بشجو ثاكل
أطغى لها رنب الردى أطفالها

فقام مهند آخر فلعثقها يمكيان فصاح الشيخ :

البين يا أيدى المطايا البينا
لا يشتكى شوقك البطينا

يا حاديها عن يمين حاجر (٤)
حدا بها عن حاجر يمينا (٥)

حلا على وادى الغضا نسوعها (٦)
وأرخيا برامة الوضينا (٧) (٨)

وكا بها ضاء المذيب علله
يشفى ويطفى داءها الدفينا

واستخبرا بالجزع أنقا من الصبا
أين استقل الجيرة الظاعنونا

---

١) اقالها : أولادها . والاقل جمع أفيل وهو ابن المخاض فما فوقه والفصيل .
٢) بلبالها : شدة همها .
٣) الأضاه : المستنقع من سيل وغيره .
٤) غامر : ج ، ك
٥) خذا
٦) النسوع : جمع نسع وهو سير طويل عريض تشد به الرحال
٧) رامة : موضع بالباديه .
٨) الوضين : بطان عريض منسوج من سير أو شعر أو لا يكون الا جلد .

فقام مجد آخر فصاح :

آه والشوق ماتأوهت منه

لليال بالصفح لو عدن أخرى

قلبوا ذلك الرماد تصيبوا

فيه قلبي إن لم تصيبوا الجمرا

فقام آخر يعول (١) وهو يقول :

من لقلب هائم دنف

كلما سكّنته قلقا

كان لي قلب أعيش به

فاصطلى بالنار فاحترقا

أنا لم أرزق مودتهم

إنما للبعد مرزقنا

فصاح الشيخ وقال :

ضحوا يوم تنادوا للنوى

موقف يعرفه من عشقا

ملتقى جم وخفنا أنه

آخر العهد لطيب الملتقى

فتشاكينا الذي حل بنا

وبدنا بالدموع الحرقا

عللونا بلقاء نافع

إننا للبعد كالشيء اللقا (٢)

وخذوا أرواحنا خالصة

وذروا في كل جسم رمقا

---

١) يعول : يرفع صوته بالبكاء والصياح .

٢) اللقا : الشيء الملقى .

وارحموا من تنقضي ايامه

حسرات والليالي ارقا

ثم نزل مسرعا فأسرعت اليه واجدت وارات(١) ودنقست(٢) واسجدت ، فقلت له : فماذا

ابو العتوم فشكرت الله وسجدت ، فقلت له :

ان أنعمت بالموافقه ، فقابل العاسور من خانقه ، وانجد

واعنت(٣) واشام وما مت .

---

١) وارات : برقت عيني .

٢) الدنقسه : تطأطو الراس والنظر بكسر الميم .

٣) أنجد : سار الى نجد ، واعنت : ذهبت الى عمان .

" " المقامة الثانية والعشرون " "

في حسن الصحبة والمداراة

بت ليلة أسهر النجوم في البيت ، وقلبي حسير(١) بالهموم كالميت ، فطرق الباب كف طارق ، وقال ضيف ، فقلت من لي بوكف(٢) بارق وكبسف ؟ فدخل ذو هدمل(٣) قد شسف ، فقلت : بدر ليلتي قد خسف ، فتلمح ضيق معاطني(٤) ، وتلمح ريق باطني ، فقال : يازول(٥) أنا زور ، والقول على البواطن جور ، فأفردته في صُفه وأبردته في أهل الصُفه(٦) ، فاجتمع للبرد كأنه قُفه ، وأنشد :

اياك أن تزدري الرجال فما ... يدريك ماذا يجنيه الصدف(٧)

نفس الكريم الجواد باقية ... فيه وان كان مسه عجف(٨)

والحر حر ولن ألم به الدهر ففيه الحياء والأنف

فصحت بخادمي : ياكافور ، فقدم لنا قدرا تفور ، فقلت : ويحك اغرف ، فأعرض هنا ولم يعرف ، فقلت للشيخ : اسمعني ذمه فالكلام يشفي صدري ، فقد حيرني هذا الغلام في أمري ، فزفر الشيخ لما حيز زفرة القيظ ، وكاد يتميز من الغيظ ، (وقال تملم على غلامك كظم الغيظ)(٩) ثم باداه فناداه :

---

١) حسير : تعب مجهد من الاعياء .

٢) الوكف : القطر .

٣) الهدمل : الكثير الشعر ، الأشعث ، شسف : يبس والشاسف : اليابس ضمرا وهزالا .

٤) ضيق معاطني : أي ضيق صدري .

٥) الزول : الحلو الظريف ، الزور : الزائر .

٦) أهل الصفه : كانوا أضياف الاسلام وكانوا يبيتون في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، والصفه : موضع مظلل من المسجد .

٧) الصوف : غشاء الدر . ٨) العجف : ذهاب السمن .

٩) مابين القوسين ناقص : م .

أكافور قُبحت من خـــادم
ولا قتـك سرعـة جائحـــه (١)

حكيت سمّيك فـي بـــرده (٢)
وأخطاك اللون والرائحـــه

فاستعدت أنا بخدمة ضيفي ، وأعدت للخادم سوطي وسيفي ، ثم دعوت جماعة كانوا يفطرون عندي (٣) فأسنيت طعامهم ونسيت عبدي ، ثم حنين قلبي اليه فصالحته ، وعفوت عن جناية يديه وسامحته فقال : منذ ساعة لدى تناصيتما (٤) ، ولكن على تواصيتما :

من بعد ما دبرت في دستكم (٥)
وصرت من أجلكم شنعه (٦)

أخرجتماني وتفرزنتما
صدقتما قد ماتت الصنعه

ثم قال : العجله والندامة فرسارهان ، (ثم قال : كلام فرسارهان) (٧) ثم جعل يقول :

---

١) الجائحه : الشدة والنازله العظيمة .
٢) يريد بسميه : الكافور وهو شجر من الفصيله الغاريه يتخذ منه مادة شفافه بلوريه الشكل يميل لونها الى البياض .
٤) تناصيتما : تناوشتما ؛ ٣) فاستلبت : ك .
٥) الدست : صدر البيت .
٦) الشنعه : الاسم من الشناعة وهي الكراهية والقبح .
٧) مابين القوسين ناقص : ح .

لا بأس بمدارأة من تقاسيه ، فلن العفو يلين من قاسيه ، فلما أكلوا تناولوا بالأصابع ثم بالراح ، وشغلوا جميع المسامع بحديث الأفراح ، فناول الشيخ ناقة الجوع لقمات ثم شنق(١) وقال : أعوذ بالله من الشره والسنق(٢) ، فقلت له : فما الذى توثر من الحلوى ؟ قال : السلوى(٣) ، فازداد منها ، وقال لا بأس ، فان فيهما شفاء للناس ، فلما فرغ ففر(٤) فاه بالشكر فقلت لعلك ممن هواه فى النكر(٥) فقال : أعوذ بالله من كلمة السكر(٦) ، أن الشمول تبدد شمل الهاجرين وليست من شأن الفطناء ولا المهتدين ، كم بين معروف(٧) وأبى نواس(٨) ، هذا كاس بالزهد(٩) وذاك شانئه الكاس ، ثم ما لمن تقرقف والقرقف(١٠) ، فلما رأى الآكلين قد لعبوا وأشروا(١١) ، قال : " فاذا طعمتم فانتشروا(١٢) " ثم أب لذهبه(١٣)

---

١) شنق الناقه : كفها زمامها ومد رأسها اليه وهو راكب . وهذا على التشبيه فهو يريد أنه كف جوعه .

٢) السنق : التخمه .

٣) السلوى والسلوانه : العسل

٤) ففر : فتح .

٥) النكر : ح ، ك ، م .

٦) الشمول : الخمر أو الباردة منها .

٧) هو معروف الكرخى رضى الله عنه وهو من كبار الزهاد وقد سبق التعريف به .

٨) أبو نواس : هو الحسن بن هانى الشاعر العباسى المعروف ، توفى سنة ١٩٥ أو ١٩٩هـ

١٠) تقرقف الرجل : أصابه البرد وآلمه حتى اصطدمت ثناياه بعضها ببعض . والقرقف الخمر .

٩) كاس بالزهد : أى مكتس بالزهد ومتحل به .

١١) أشروا : أخذوا فى المرح .

١٢) الأحزاب آيه ٥٣ .

١٣) أب : تهيأ .

فقلت : ملفيها مذهب ، قد عرض لي أن تبهت ، فقال : لاعرضن في البيت ، فمر للرحيل ذيله ، فقلت انما هي ليلة ، فقال : ان شكر النعم مستحق ، ولك بما فعلت حق ، فلما أصبحت أسجت لسري خلقا ، فزهزق (١) مني حتى استلقى (٢) وقال : أتفني زمانك بحديث الكذابين ، لقد قمت في مقام غبي غبين (٣) ، احذر من اذا قلت هات جاء بترهات (٤) ، فقلت ان الحدث يحب الحديث ، قال : فأنا (٥) أسرد عليك القديم والحديث ، فقلت : أنسني أنسى الأفاك (٦) وحدثني لافض الله فاك ، ثم قلت له عندي مسائل فقال : ولك عندي وسائل ، فقلت وكيف أروز (٧) علمك (*) ؟ قال سل واحضر فهمك ، وقل مابدا لك ، قلت يعترضني غم ، لا أجد منه مخلصا ، ويأخذني هم ، فقال : من عصى قرع بعصا ، ومن هم عوقب بهم ، قلت : ماتقول في صحبة الاخوان فقال : وهل بقي الإخوان ، فما هم الناس بالظاهر والإعلان ، ولا تطالبهم بخلوص السرائر والجثمان ، فقد دخل المخلصون في خبر كان .

هموم زماني في أمور كثيرة
وهمي من الدنيا صديق مساعد
يصير كروح بين جسمين فرقا
فجسماهما جسمان والروح واحد (٨)

---

١) زهزق : ضحك .
٢) حتى استلقى : ح ، ك - استلقى : نام على ظهره .
٣) غبين : ضعيف .
٤) الترهات : الأباطيل والأقاويل الخاليه من الطائل .
٥) ان المحدث : ح ، ورجل حدث السن : أي فتى .
٦) الأفاك : الكذاب .
٧) أروز : أجرب .
*) والقلب واحد : ح ، ك

قلت : أو أعاشر من ذاوقته (١) ؟ قال : نعم باشر فمذاوقته ، انك ان طلبت الصحيح لم تجد ، وان طالبت الصحيح لم يجد .

دع المرء طبها على ماذ مته

ولا تنشر الداء العضال فتندما

اذا العضو لم يؤلمك الا قطعته

على بعضه لم تبق لحما ولا دما

وحك ان العاقل يداري كل شخص بما يصلح له فان صحبة العاقل (٢) للبهائم أحوجت الفصيح أن يقول للذباب كش ، ثم قال : كل صاحب يخالط فالواجب عليه أن ينزل الأصحاب بمنزلة الشعر فان منه مايكرم ويخدم ولا يتحنى كشعر الرأس ومنه مايقص اذا طال كالشارب والباقي يستأصل ، الصديق الصدوق لايحتاج الى مداراة كحلواء السكر تحركها في فيك وقد عبرت ومن المعاشرين كلحم البقر يتعب الأسنان في مضغه والمعده في هضمه ، ومنهم كالفجل لاينهضم أصلا وأنشد :

لاتركنن الى هذا الزمان ولا

أبنائه ساعة واستعمل الحذرا

فان أبيت فجرب من تعاشره

حتى يقول لك التجريب كيف ترى

الصاحب كالرقعة في الثوب اذا لم تشاكله شانته ، وأنشد :

أرى خللا تصان ولا تهان

وأعراضا تهان ولا تصان

يقولون الزمان به فساد

وهم فسدوا وما فسد الزمان

---

(١) ذاوقته : أطعمته مرة بعد مرة .

(٢) صحبة العالم : خ .

قلت : ان أصدقائي يطرونني (١) حتى يطغوني ، قال : من وصفك بما ليس فيك فقد هجاك ، قلت : ويلغني عنهم مالا يصلح ، فقال : عورة الجاهل بين فكيه ، قلت فان وجدت صديقا مخلصا ، قال : من لك بعنقاء مغرب (٢) :

يا من يروم صديق صد
ق بعد ما فسد الأنام
ذهب الصديق وصار حلما مثل ماذهب الكرام
فتمز عاقات منه فليس يوجد والسلام .

ثم قال : ويحك كان الناس أصدقاء فدخلوا في خبر كان ، قلت فما سبب قلة الصفا ؟ قال تساوي الصبابة (٣) ، قلت : ومتى تتساوى ؟ قال : اذا تماثلت جواهر الأصول ، ويحك الصديق الصدوق ثاني النفس وثالث العين لقاؤه روح الحياة وفراقه سم الحيات ، كم كان لي أنا من أخ جربته فلم يصلح لي حبه ففتحت البزال (٤) :

طلبت صديقا في البرية كلها
فأعيى طلابي ان أصيب صديقا
بلى من تسمى بالصديق عبارة
ولم يك في معنى الوداد صدوقا
فطلقت ود العالمين صريمة (٥)
فأصبحت من أسر الوداد طليقا

---

١) يطرونني : يبالغون في مدحي .
٢) عنقاء مغرب : طائر توهم لا وجود له .
٣) الصبابة : الشوق . والمعنى : ان الصفاء بين الخلان يحدث باتفاق الشوق بينهم
٤) البزال : الموضع الذي يخرج منه الشيء المبزول (المراق) وهفاة الثواب .
٥) الصريمة : القطيعة والعزيمة .

ثم قال : وبصر للرائي تروق ، ولنما في المعاني الفروق :

فلا تعيين ولا تخدعك بارقة

من ذي خداع يرى بشرا وألطافا

فلو فليت جميع الناس قاطبة

وسرت في الأرض أوساطا وأطرافا

لم تلق فيها صديقا صادقا أبدا

ولا أخا يبذل الانصاف ان صافى

قلت : فان رأيت من أخواني منكرا ؟ فقال : إنصح ان نصح ، قلت : فما بال هذه النفس كرهت دخول البدن ثم كرهت الخروج ؟ فقال :

نزلنا كارهين لها فلما

ألفناها خرجنا مكرهينا

ولحب الديار بنا ولكن

أمر العيش فرقة من هوينا

ثم جعل يترنم :

ولولا هوى الأوطان ما حن نازح

ولولا لقاء الالف ما أن مفرد

فقلت : مابال الكبير يعلم قرب الرحيل ، وأمله طويل ؟ فقال : لو كشف الغطاء عن العواقب مات الحرص والأمل ، ولهما أجل ، قلت : انى لأقنع بالبلغة (١) وعندي شره فقال : لو قنعت مارهنت دار القلب على شهوة وسلمت كتب الأصل فقلت : مابال الأعراب يعشقون ولا يفسقون ؟ قال : كان الحب في القلب فانتقل الى المعدة ، قلت : كل الزهاد فرسوا أشجار المعاطسة

---

(١) البلغة : مايكفي لسد الحاجة ولا يفضل عنها .

في بساتين المعرفة ، فلماذا لا ذكر معروف (١) ؟ فقال : معروف ركّب (٢) ، قلت : بلغني أنه كان لا يلزم للزهد ناموسا (٣) ، قال فهذه طريق محمد وموسى وموسى ، أما علمت أنه من رمى عن رأسه قلنسوة التعظيم تواضعا ردها القدر بمنزل من (٤) نزل في بئر الدالية (٥) صعد له الماء ، قلت : فما ذنب العوائق ؟ قال : دعا باسم ليلى غيرها ، قلت : قد أطلت عليك فقم وهم ، فقال : مانحن فيه ألزم وأهم ، قلت : ما رأيت أكثر مما عندنا من البرافيث فقال : ذاك لأن البرافيث وأنشد :

يا ليلة باتت برافيثها
ترقص إذ غنى لها البق
فكدت من حزني بأفراحهم
أنشق لولا الصبح يتشق

---

(١) يريد معروف الكرخي رضي الله عنه وقد سبق ذكره .

(٢) يريد أنه قد ركب فيه من الفضائل وطعم بالمكرومات . وأصل التركيب هو أن ينحت مثل القلم من شجرة فيغرس في أخرى فيجيء الثمر جيدا .

(٣) الناموس : بيت الراهب .

(٤) المنزل : التجربة والبصر بالأمور .

(٥) الدالية : الناعورة (الساقية) .

فسكت لئلا أمنعه النوم ، ونمت أن ليلتي ألف يوم ، فلما أصبح خرج يسحب الذلاذل (١) ، فأزعجني فراقه ازعاج الزلازل ، فحلفت له الوفاء لقد خلقت الوفا (٢) ، أيمكن أن أصحبك أو أن تقيم ، وتأملته فاذا أبو التقويم ، فقال : لابد من الرحيل وان لم أختر بعدك ، فقلت : لاكانت الدنيا بعدك .

---

١) الذلاذل : أسافل القميص الطويل .

٢) هذا من قول المتنبي :

خلقت ألوفا لو رحلت الى الصبا
لفارقت شيبي موجع القلب باكيا .

من قصيدته التي يمدح فيها كافورا الاخشيدي والتي مطلعها :

كفابك داء أن ترى الموت شافيا
وحسب المنايا أن يكن أمانيا .

(ج ٤ ص ٢٨١ ـ شرح ديوان المتنبي ـ للعكبري) .

" المقامة الثالثة والعشرون "

في الربيع

كانت نفسي تطالبني بالنزهة ، وأنا أماطلها برهة (١) ، فمضى صيف وأتى خريف ، وحل خصب وأناخ ريف (٢) ، وأنا أتكاسل لقوة عصر (٣) غسى الذي يعوق عن الخروج ، على أن خصر همسى أضيق من دملوج (٤)

فلما هبت على الأشجار نسائم الربيع ، وعرضت سلع الثمار نفوسها على السائم (٥) عرض المبيع ، (ونجمت (٦) نجوم الثريا خالصة من القران والتربيع (٧)) ، خرجت في اخوان لا أشترى شيئا دونهم ولا أبيع ، فلما برزنا الى البراز (٨) ، حيتنا أراييح الرياحين ، وصدقتنا عن ضمائرها والريا حين (٩) ، واذا في التعاشيب (١٠) تعاجيب ، فمررنا في بعض البقاع (١١) بقاع تنفس أنفاسه عن نفوس الناشقين (١٢) ، وتروح أرواحه أرواح العاشقين ، فجلسنا في بعض تلك الرياض ننظر الى تلك الغياض (١٣) متكئين على خمائل الخضرة ، معجبين بما حوت تلك الخضرة (١٤) ، فكنا في بستان كأنه من خلائق الصباح خلق ، أو من شمائل الملاح

---

١) البرهة : الزمان الطويل أو أعم ، ووهم من خصص البرهة بالزمان اليسير .
٢) أناخ ريف : أتى الخصب والنماء .
٣) لعلة : ح . ٤) الدملوج : المعضد في الحلى .
٥) السائم : الذي يسأل عن السلعة .
٦) نجمت : ظهرت . ٧) مابين القوسين ناقص : ك
٨) برزنا : خرجنا ، البراز : الأرض الفضاء .
٩) الريا : الريح الطيبة ، والحين : الوقت .
١٠) التعاشيب : القطع المتفرقة من العشب .
١١) القاع : الأرض السهلة المطمئنة ١٢) الناشقين : ح
١٣) الغياض : جمع غيضة بالفتح وهو مجتمع الشجر في مغيض ماء .
١٤) الخضرة : أي الجلسة .

سرق ، نسمع فيه من الأصوات طارق وراق من قمرى (١) وهدهد وشقراق (٢) ، فلما رأينا السماء فاختية (٣) والأرض طاوسية (٤) ، أخذ كل منا يترنم بشجوه ويتغنم زمن لهوه ، ونحن لانمل ماتمل علينا اللذات ، وكل منا يقول لصاحبه هات فنفضنا المزاود (٥) وأفضنا فى الترهات (٦) ، وهناك شيخ يلاحظ حالنا ويرى دوران الرحالنا ، فتقدم الينا ، وأقدم علينا ، وقال : أراكم قد افترشتم بساط الراحه فى هذه الساحه ، ومذ حللتم نقاب المشتهى ، ومانقتهتم عن المبتدأ والمنتهى ، فقلنا : أخبرنا أيها الحبر الخبير (٧) ، فالعلم الكثير عند الكبير ، فقال : تفكروا فى الأرض اذا تأيت من زوج القطر ووجدت لفقدان انفاقه مس الجدب ، كيف تحد فى ثياب " ترى الأرض خاشعة " (٨) فتلازم حفش (٩) الصبر وتسكن مسكن المسكنه ، فاذا ضج أطفال البذر وقوى نقر القفر القواء (١٠) ، مدت أكف الطلب تستعطى زكاة السحاب ، فهبت الجنوب (١١) من جناب اللطف ، فسحبت ذيل

القمرى : ضرب من الحمام .

٢) الشقراق : طائر مرقط بخضرة وحمرة وبياض ويكون بأرض الحرم .

٣) فاختيه : مضيئة من الفخت وهو ضوء القمر .

٤) الأرض الطاوسية : المخضرة فيها كل ضرب من النبت .

٥) المزاود : جميع مزود وهو وعاء الزاد .

٦) الترهات : الأباطيل ٧) الحبر : العالم الصالح .

٨) يشير الى قوله تعالى : " ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحى الموتى انه على كل شئ قدير " فصلت آيه ٣٩ . ٩) جيش : ح ، والحفش : البيت الصغير جدا .

١٠) القواء : قفر الأرض .

١١) أى ريح الجنوب .

النسيم على صحاصح (١) الصحارى ، فتحركت جوامد الجلامد (٢) وانتبه وسنان العيدان بقبول تلقيح اللواقح فلبس الجو مطرفه (٣) الأدكن ، وأرسل خيالة القطر شاهرة أسياف البرق فينذر بالقادم صوت الرعد ، ويقوم فراش الهواء فيرش خيش النسيم فيستمير السحاب جفون العشاق واكف الأجواء فتملىء الأودية أنهارا كلما ستها أكف النسمة حكى سلسالها (٤) سلاسل الفضة ، فينعقد بين الزوجين (٥) عقد حب الحب ، ثم لا يزال السحاب يسقى ذر البذر فدى النوى ، وكلما احتاج الى فضل موت ، كر الرك (٦) ، وطش الطش (٧) ، ودق الودق (٨) فطم (٩) الى أن فطم الطفل ، فاذا وقعت شمس الشتاء فى الطفل (١٠) نشأ أطفال الزرع فأرتبع (١١) الربيع أوسط بلاد الزمان فأعار الأرض أثواب الصبى وروح كربها بنسيم الصبا ، فانتبهت عيون النور من سنة الكرى ، فكم نهضت من الغروس عروس بين يديها الاوراق كالوصائف (١٣) متبرجة لا تمنع كف لامس ، فالورد

---

١) صحصح : ح ، ك ، والصحصح ما استوى من الأرض .

٢) جوامد الجلامد : الصخور الشديدة .

٣) مطرفه : رداءه . والمراد أن الجو قد تلبد بالغيوم .

٤) سلسالها : ماؤها المنحدر .

٥) المراد بالزوجين : الأرض والمطر .

٦) الرك : المطر القليل .

٧) الطش : المطر الضعيف وهو فوق الرذاذ . ويقال طشت السماء : أمطرت مطرا ضعيفا .

٨) ودق : قطر ، والودق : المطر .

٩) طم الماء : غمر .

١٠) الطفل : طفل الغداة وطفل العشى من لدن أن تهم الشمس بالذرور الى أن يستمكن الضح من الأرض . وقال ابن سيده : طفل الغداة من لدن ذرور الشمس الى استكمالها فى الأرض ، الجوهرى : والطفل بالتحريك بعد العصر اذا طفلت الشمس للغروب . ١١) أرتبع : أقام .

١٢) النور : الزهر أو الأبيض منه وأما الأصفر فزهر .

١٣) الوصائف : جمع وصيفة وهى الخادمة .

يحاكى لون الخجل ، والياسمين يصف اصفرار الوجل ، واللينوفر[1] يغفى وينتبه ، والأغصان تعتنق وتفترق ، وقد ضرب الربيع جل ناره[2] فى جلناره[3] ، وبثت الأرايييج أسرارها الى النسيم فنم ، فاجتمعت فنون القيان ، فهلا كل ذى فن على فن ، فتطارحت الأطيار مناظرات السجوع ، فأعرب[4] كل بلغته عن شوقه الى إلفه ، فالحمام يهدر[5] ، والبلبل يخطب ، والقُمرى يُرجّع والكُمَيْت[6] يغرد ، والأغصان تتمايل ، كلها تشكر الذى بيده عقدة النكاح ، ثم وجد قلبه وصاح :

لى بذات البان أشجان ∴ حبذا من أجلها البان

حبذا وُرق الحمام اذا ∴ أرنحتها منه أغصان

داعيات بالهديل لها ∴ فيه أسجاع وألحان

أعجميات اذا نطقت ∴ ليس الا الشوق تبيان

كلما غنينى هزجا ∴ هاجنى للذكر أحزان

مال بى ميل الغصون بها ∴ طربى فالكل نشوان

ياحمام البان يجمعنا ∴ وجدنا اذ نحن جيران

بُحن بالشكوى الىّ فما ∴ بين أهل العشق كتمان

يتشاكى الواجدون جوى ∴ واحد والوجد ألوان .

ثم قال : هل لاحظ فكركم هذه النعم ، أو لاحظّ لكم منها إلا حظّ النعم.

---

١) اللينوفر : ضرب من الرياحين ينبت فى المياه الراكدة .

٢) أى كل نارة ٣) الجلنار : زهر الرمان وهو أحمر اللون .

٤) أعرب : أوضح وأفصح .

٥) يهدر : يصوت .

٦) الكُمَيْت : طائر صغير يألف الريف ، يجمع يديه ثم يصفر فيهما صفيرا حسنا .

هل علقتم قلوبكم بحب الصانع ، أو ما اشتقتم إلا الى الحب اليانع ، قد نضجت الثمار وثمرة معرفتكم بعد فجة(١) وما نقضت شبهة ولا نقصت حجة ويحكم اذا رأيتم ميت الزرع قد عاش بالقطر ، فابكوا على قلوبكم الميتة ، لما وجد الغيث الزرع قابلا للحياة أعاشه زمانا ، وما وجدت المواعظ قلوبكم قابلة للنضج ، فلهذا تأخر البعث ، لو تدبرتم الغصن اليابس كيف عاش ، لحار الذهن وطاش ، غير أنكم تغطون العقل بالخمر ، فلا تفهمون حقيقة الأمر ، ثم انكم تزرون الثمر وسيما ، مليح الصورة والسيما ، وتنسون أنه يصير هشيما ، فلو تلمحتم العواقب تلمح مراقب ، علمتم أنه شال للجنة ولا شال ، وهو في المعنى شل من الأشال ، فاعتبروا في معبر الاعتبار فلستم بسكلن ، " وان الدار الآخرة لهي الحيوان "(٢) ، فقلنا : قد حصل لنا من فوائدك التي أفدتنا أضعاف لذاتنا التي أفتنتنا(٣) ، أفما يجوز عندك التنزه ؟ (فقال : بلى بشرط التنزه)(٤) ، فقلت أليس قد قيل :

أفد طبعك المكدود بالجد راحة ∴ تجم وعلله بشيء من المزح

---

١) فجة : غير ناضجة .
٢) العنكبوت آية (٦٤) .
٣) أفتنتنا : أضعفنا وأهنت أمرنا .
٤) مابين القوسين ناقص : ح ، التنزه : البعد عن الخطايا .

شعر

ولكن اذا أعطيته ذلك فلكن على مقدار ما تعطى الطعام من الملح/ قلنا نسألك عما يليق بهذا المكان ، فقال : أجيب بقدر الامكان ، قلنا : أيما أفضل الربيع أو الخريف ؟ قال : هما كالعامى والشريف ويحكم ريح الربيع عبير ذهبت حيثما ذهبنا ، ودُرّ حيث درنا ، وفضة فى الفضاء الربيع شهاب الزمان والصيف انتهاء قوته ، والخريف ، اكتهاله ، والشتاء شيخوخته ، ثم أرشد فأنشد :

ان كان فى الصيف ريحان وفاكهة ∴ فالأرض مستوقد والجو تنور (١)

وان يكن فى الخريف النخل مختزفا (٢) ∴ فالأرض محسورة (٣) والجو مأسور

وان يكن فى الشتاء الغيث متصلا ∴ فالأرض عريانة والجو مقرور (٤)

ما الدهر الا الربيع المستنير اذا ∴ جاء الربيع أتاك النور والنور

فالأرض ياقوته والجو لؤلؤة ∴ والنبت فيروزج والماء بلور

تظل تنشر فيه السحب لؤلؤها ∴ فالأرض ضاحكة والطير مسرور

حيث التفت تقمرى (٥) وفاختة (٦) ∴ تغنيان وشفنين وشحرور (٧)

اذا الهزار (٨) فيه صوّتا فهما ∴ لحسن صوتهما عود وطنبور

---

١) التنور : كانون يخبز فيه .

٢) المختزف : كثير الثمر

٣) محسورة : منكشفة

٤) مقرور : بارد

٥) القمرى : ضرب من الحمام مطوق حسن الصوت .

٦) الفاختة : ضرب من الحمام المطوق اذا مشى توسع فى مشيه وباعد بين جناحيه وابطيه وتمايل .

٧) شفيق وزرزور : كالشفين : طائر ، الشحرور : طائر غريد مشروم المنقار ، ذكره أسود وأنثاه وأعلاها أسمر وصورها الى الحمرة . ـ الزرزور : طائر أكبر من العصفور وله منقار طويل ذو قاعدة عريضة ويغطى فتحة الأنف غشاء قرنى ، جناحاه طويلان مذببان ويستوطن أوربا وشمالى آسيا وافريقية .

٨) الهزار : طائر حسن الصوت (فارسى معرب . ويقال له هزار دستان .

تطيب فيه الصحارى للمقيم بها ∴ كما تطيب له فى غيرها الدور
من شم ريح تحيات الربيع يقل ∴ لا المسك مسك ولا الكافور كافور

قلنا : أيما أفضل النرجس أو الورد ؟ فقال : لا يفضل النرجس الا وغد (١) ،

قلنا : فالنرجس يقول : أفضل ما فى الدنيا الذهب والفضه وقد جمعهما لونى ، والعيون الملاح بى يشبهها قوسى ، قال : والورد يجيب ذكرت مكاريس اذا سرا غرا ، واذا ختلا قتلا (٢) ، ولا خير فى التشبيه بشرك (٣) تخفق جثته ، ولا بمحبوب يعشق يهلك فى عشقه أحبته فان كنت أشبهت خدا عين ، فأنا خدا عين ، قلنا : فالنرجس يقول : صفرتى تحكى لون المتعبدين ، وعينى ساهرة كعيون المتهجدين ، وأنت أيها الورد طول الليل كالنائمين ، قال : فان الورد يجيبه أن المتشبهين لا يماثله مفتضح ، فان العنكبوت تنسج ولكن لا قزا ، لونك باصفرار الموتى أشبه من ألوان المهاد ، (فلا يفضلك الا قليل الاجتهاد (٤)) فلا يتشبه بما ينافيك فما فيك ، أنا فى خدر الاجتماع الى حين الانتفاع فلا أبرز للخطاب الا وقت الخطاب ، أشد لكيس كيسى ، فاذا بلغت الأشد أشد فى الإنفاق ، وأنت كبغى تتبرج وتتبهرج طلبا للنفاق ،

قلنا : فالنرجس يقول : أنا سهل المأخذ لمن جناه ، وشوك الورد يمنع جناه ،

---

١) الوغد : الأحمق الضعيف الرذل الدنئ .
٢) ختلا : خدعا .
٣) الشرك محركة : حبائل الصيد وما ينصب للطير .
٤) ما بين القوسين ناقص : ح ، ك .

قلنا : فان الورد يقول : وصفتنى بحسن المحميات :

بيض وسمر فى قبابهم ∴ محمية بالبيض والسمر (١)

قلنا فالنرجس يقول : أنا سبقتك الى الوجود والسبق أحمد ، قال : فالورد يقول قد سبق الأنبياء وتقدم أحمد ، أنت تنظر نظر الدهش المبهوت واذا فارقت الماء ليلة تموت ، وحتى سلبت روحك ، ذهبت ريحك ، فرحلت عقيما لاتخلف نسلا ، وأنا اذا ذهبت طراوتى بقيت رائحتى ، وفضلت الوجوه طول السنة بدمعتى ، قلنا : ما أرصف نظامك ، وما أنصف كلامك ، فان رأيت أن تذكر لنا اسمك للتعريف ، فقال : أنا الذى قرن بى التكليف ، فدلنى المعنى القويم على أنه أبو التقويم ، ثم تولى وولى على قلبى البلابل (٢) ، فلا أنساه ما أرزمت أم حائل (٣) .

---

١) البيض : السيوف ، السمر : الرماح .

٢) البلابل : شدة الهم والبرحاء فى الصدر .

٣) تقول العرب : " لاأفعل كذا ما أرزمت أم حائل " أرزمت الناقة اذا حنت والحائل : الأنثى من أولادها . أى لاأفعله أبدا .
(جـ٢ ص ٢٢٣ مجمع الأمثال .) .

" المقامة الرابعة والعشرون "
في شيء من اللغة (١)

مازلت أحب في العلوم الاعراب ، فحللت مرة بحلة (٢) أعراب ، فعجبت لما سمعت من الاغراب ، فأقمت أحتلب فوائدهم ، وأجتلي (٣) فرائدهم (٤) ، فكانت تقوم قياماتي لفصاحتهم ، مدة اقامتي بساحتهم ، حتى كنت أطرب اذا رغا البعير ، وصهل الفرس ، وشحج البغل ، وناجت النعجة ، وثغت الشاة ، وهدر الحمام ، وزقا الديك ، فاشتد على الحر في يوم عك أك (٥) ، فأتيت بيتا من بيوتهم خضرا نضرا فاذا شيخ أشق أمق (٦) كأنه عفريت نفريت أو شيطان ليطان (٧) ، فقلت : حياك الله وبياك ، جائع نائع (٨) ، عطشان نطشان (٩) ، وهذا يوم حار يار (١٠) ، فهل من خفير نفير (١١) ، فقال غدي طعام كثير يثير ، سيغ ليغ (١٢) ، وهذه عين حذرة بدرة (١٣) ، فقلت : حسن بسن على أن ناقة النافقة (١٤) تقنع بالتافه النافه (١٥) ، فدخلت ذلك البيت (١٦) ، وأنا من الحر والجوع كميت ، فأنساني المضيف بفصاحته الأعشى والكميت ثم

---

١) في اعراب النحور وسكان البوادي : ح .
٢) الحلة : منزل القوم ، وجماعة البيوت ومجتمع الناس .
٣) أجتلي : استكشف وأستوضح .
٤) الفرائد : جمع فريده وهي الجوهره .
٥) يقال يوم عك أك : شديد الحر ٦) الأشق : الطويل وكذلك الأمق .
٧) شيطان ليطان : لعين أو هو اتباع . ٨) جائع نائع : اتباع ، متمايل جوعا .
٩) عطشان نطشان : اتباع ١٠) اليار : مثل الحمار
١١) الخفير : المجار والمجير والمراد الثاني ، والنفير : النصير .
١٢) طعام سيغ ليغ : اتباع : يسوغ في الحلق ١٣) حذرة : عظيمة وعين بدرة تبدر النظر أو تامه ١٤) يسن مثل حسن .
١٥) النافه : الذي أصيبت نفسه بالاعياء أو تامه .
١٦) النافه مثل التافه أو اليسير .

قدم خوانا فقلت : هذه مائدة فقال لاتمد ، وعدها فائدة ، لايقول العرب مائدة الا اذا كان عليها طعام والا فهى خوان ، ولايقال للعظم عرق الا مادام عليه لحم ، ولاكاس الا اذا كان فيه خمر (١) ، والا فهى زجاجة ، ولاكوب الا اذا لم يكن له عروة والا فهو كوز ، ولارضاب الا اذا كان فى الفم ولا أريكه الا للسرير عليه قُبّة ، ولا ريطة (٢) الا اذا كانت لفتين (٣) ، ولاخدر الا اذا كان فيه امرأة ولا للمرأة ضعنة الا اذا كانت فى الهودج (٤) ، ولاقلم الا اذا كان هريا ولاعهن الا اذا كان مصبوغا ، ولاركيّة (٥) (الا اذا كان فيها ماء ، ولا خاتم الا اذا كان عليه فص ، ولارمح (٦)) الا اذا كان له زج (٧) وسنان ، ولالطيمه الا للابل التى يحمل عليها الطيب والبز ، ولابدنه الا للتى تُجعل للنحر ، فذكرته على افهامه ، وشكرت من طعامه ، فخرج اليه صبيان كأنهما غصنا بان ، فوقفا يلعبان ، فقلت : بارك الله فى ولديك ، فقال : وفيما لديك ، فجاءا أحدهما باكيا ، فجاءا الآخر شاكيا ، فقال للأول : مالك باقرة العين ، فقال : لاأثر بعد عين ،

---

١) شراب : ك

٢) الريطة فى تاج العروس : كل ملاءة غير ذات لفقين . أى لم يضم بعضه بعضا بخيط أو نحوه (كلها نسيج واحد وقطعه واحدة ، أو كل ثوب لين رقيق) . وفى اللسان والقاموس المحيط : الريطة : الملاءة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين . وقيل الريطة : كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد .

٣) لفقين : ح ، ك ، م .

٤) المهن : الصوف

٥) الركية : البئر .

٦) مابين القوسين ناقص : م .

٧) الزج : حديدة فى أسفل الرمح .

لطم شواتى (١) ، ولطخ لهاتى (٢) ، ولكم شراسيفى (٣) ولدم جؤجؤى (٤) ، فقال للآخر : ويحك عاقبت أخاك وماراقبت أباك ، فقال : رأسنى فبطشته (٥) وكبدنى فطلختنه (٦) ، وفادنى فوثئته (٧) ، فقال الأول : أحال الحال (٨) وقال المحال ، فقال الشيخ : تفديكما نفس أبيكما ، انما أنتما كثمرة وسط لحا (٩) ، فاقبلا منى واصطلحا ، ولاتؤذيا بالتكدير ضيفنا فليس بضيفنا (١٠) ، فقلت للشيخ : جئت انما لأقتبس علما ، فقال : سلهما عما بدا ، فقلت لأحدهما : حدثنى عن بعض تصرف العرب ، فسمعت من ذلك الصبى العجب ، فقال : أيها المسترشد طباعنا تتصرف ، وغيرنا يتكلف ، نأتى الى اللفظة فنغير حركتها تارة فيختلف معناها ، كالحِمل والحَمل ، والرُوح والرَوح ، وتارة نوقع التغيير بالاعجام (١١) كالنضح والنضخ ، والقبضة والقبصة ، والمضمضة والمصمصة ، وتارة نقلب حرفا من الكلمة ولا يتغير معناها فنقول أبيض فى القوس وأيض واضحل واضمحل وما أطيسه وأيطسه ، وبطيخ وطبيخ ، وجبذ وجذب ، وخزن اللحم وخنز (١٢) ، ودقم فاه بالحجر ودمقه ، وبرض ورضب (١٣) (١٤) ، وسبب وبسبس (١٥) ، وماء سلسال (١٦) ولسلاس ،

---

١) اللطم : ضرب الخد وصفحة الجسد بالكف ، الشوى : الأطراف وقحف الرأس وما كان غير مقتل . ٢) لطخ : لوث ، اللهة : موضع القلادة من الصدر .

٣) اللكم : الضرب باليد مجموعة أو اللكز والدفع ، الشراسف جمع شرسوف وهو غضروف معلق بكل ضلع أو مقط الضلع وهو الطرف المشرف على البطن .

٤) اللدم : اللطم والضرب بشئ ثقيل يسمع وقعه ، الجؤجؤ : الصدر .

٥) رأسنى : أصابنى فى رأسى ، البطش : الأخذ بالعنف والسطوة أو الأخذ الشديد فى كل شئ ، وفى ك ، ح : رأسنى فبطنته : أى أصبته فى بطنه .

٦) كبدنى : ضرب كبدى ، والطلخ : التسويد . وفى نسخة ح : وكبدنى فلطخته وفى نسخة ك : فكبدنى فطحلته أى أصبت طحالـه .

٧) فادنى : أصاب فؤادى ، ووثئته : أى أجزلت عطيته . وفى نسخة ح : وقادنى فوثبته

٨) أى غير الحال وعكس المقال . ٩) اللحا قشر الشجر .

١٠) الضيفن : من يجئ مع الضيف متطفلا . ١١) الاعجام : وضع النقط على الحروف .

١٢) خزن اللحم : تغير ، خنز اللحم : أنتن ١٣) دقم ودنف : كسر أسنانه ودفعه مفاجأة .

١٤) وبض ورضب : رشف ١٥) السبسب : المفازة والبسبس : القفر الخالى

١٦) الماء السلسال : العذب أو البـارد .

ومسلسل وبلسلس ، وشخر الشباب وشرخه (١) ، وصاعقه وصاقمه وناقه ضمرز (٢) وضرمز ، وطريق طامس وطاسم (٣) ، وعاث يعيث ، وعثى يعثى ، وعميق ومعيق ، وقوس عُطُل (٤) وعَلُط ، وثفنات القدر وثفناتها (٥) ، وقفا الأثر وقاف الأثر ، وقاع البعير والناقة وقعاهما وجاريه قنيت وقتين (٦) ، وكبكبت الشيء وكبكته ، وتنح عن لقم الطريق ولمق الطريق (٧) ، ولعمرى ورعلى وأسير مكبل ومكلب ، وسحاب مكفهر ومكرهف ، وتارة نضع للشيء الواحد أسماء من غير تغيير يعتريه فنقول : السيف والمهند والصارم ونغير الاسم بتغيير يعترى فنقول لمن نزل فى الركى (٨) يملأ الدلو ماتح وللمستقى من أعلاها ماتح فالتاء المعجمه من فوق لمن فوق ، والياء المعجمه من تحت لمن تحت ، ونضع للشيء الواحد اسما يختلف باختلاف محاله فنقول لمن انحسر الشعر عن جانبى جبهته أنزع ، فاذا زاد قليلا قلنا أجلح ، فاذا بلغ الانحسار نصف رأسه قلنا أحلى وأجله ، فاذا زاد قلنا أصلع ، فاذا ذهب الشعر كله قلنا أحص ونقول صدر الانسان ونسميه من البعير الكركره ، ومن الأسد الزور ومن الشاة القص ، ومن الطائر الجؤ جؤ ، ومن الجراد الجوشن ونفرق فى الشهوات فنقول جائع الى الخبز وقرم الى اللحم ، وعطشان الى الماء ، وعيمان الى اللبن ، وقرد الى التمر وجعم الى الفاكهة ، وشبق الى النكاح ، ثم قال

---

١) شرخ الشباب : أوله .
٢) ناقة ضمرز : حسنة كبيرة قليلة اللبن .
٣) طريق طامس وطاسم : مظلمة .
٤) قوس عطل : بلا وتر .
٥) الأثفية بالضم وبالكسر : الحجر توضع عليه القدر والجمع أثافى .
٦) امرأة قنيت وقتين : نحيفة قليلة الأكل .
٧) لمق الطريق ولقم الطريق محركة : معظم الطريق أو وسطه .
٨) الركى : جمع ركية وهى البئر .

لأخيه : ياأخي دونك فيما اشتد دونك ، قد تمت فأعني ، فقال لي الصبي : احفظ عني انا لنفرق في نظر الانسان الى الشيء فاذا نظر بمجامع عينيه قلنا رمقه ، فاذا نظر اليه ببصره مع حدة قلنا حدجه ، فان نظر اليه نظر المعجب أو الكاره قلنا شفنه ، فان أعاد لحظ العداوة قلنا نظر شزرا فان كانت نظرة محبه قلنا نظر نظرة ذي عُلَق ، فان كسر عينه في النظر قلنا ونقس ، فان فتح عينه وجعل لا يطرق قلنا شخص ، فان أدام النظر مع سكون قلنا أسجد

ونفرق في اسماء الجماعات فنقول : كوكبة من الفرسان ، وكبكبة من الرجال وحومة (١) من الغلمان ولمة من النساء ، ورعيل من الخيل وصرمة من الابل وقطيع من الغنم ، وسرب من الظباء ، وعرجلة من السباع ، وعصابة من الطير ، ورجل من الجراد ، وخشرم من النحل .

ونفرق في اسم اللين فنقول : ثوب لين ، ورمح لدن ، ولحم رخص ، وريح رخاء ، وفراش وثير ، وأرض دمثة ، ونقول في الأمر وهن وفي الثوب وهي ، وفي الحساب غلت ، وفي غيره غلط . ومن الطعام بشم (٢) ، ومن الماء بغر (٣) ونفرق في المنازل فنقول للمنزل من المدر بيت (٤) ، ومن الوبر بجار ، ومن الصوف خباء ، ومن الشعر فسطاط ، ومن الغزل خيمة ، ومن الجلود قِشع . ونقول : وطن الانسان ، وعطن البعير وعرين الأسد ، ووجار الذئب ، وكناس الظبي ، وعش الطائر ، وقرية النمل ، وكور الزنابير ، ونافقاء اليربوع . ونقول لما يصنعه الطائر على الشجر وكر ، فان كان على جبل أو جدار فوكن

---

١) حومة : م وهي تصحيفه والحومة : القطيع الضخم من الابل الى الألف .
٢) البشم : التخمة .
٣) البغر : داء يشتد معه العطش فلا يخففه الماء .
٤) المدن : ح .

وان كان فى كِن[1] فعش ، وان كان على وجه الأرض فأفحوص ، والأُدحِيّ[2] للنعام خاصة ، فقلت للشيخ : بارك الله للأسد فى الاشبال ، فقال : أو تعرف الفروق فى الأطفال ، كل ولد سبع جرو ، وولد ذى الريش فرخ[3] ، وولد كل وحشية طفل ، وولد الفرس مهر وفلو ، وولد الحمار جحش وعفر ، وولد البقرة عجل ، وولد الظبية خشف ، وولد الضب حسل ، وولد الأرنب خرنق ، وولد النعام رأل وولد الناقة حوار ، وولد الثعلب هجرس ، وولد الدب الدَّسيم وولد الخنزير خنوص ، وولد اليربوع والفاره درص ، وولد الحيه حريش ، وولد الأسد شبل ، فقلت له : كم لك فى هذه البادية ؟ .

فقال : مذ رأيت شعرات وجهى باديه ، ثم قال : عليك بتقويم الحفاظ قبل تعليم الألفاظ . وأنشد :

سيبلى لسان كان يعرب لفظه ٭٭ فياليته فى وقفة العرض يسلم

فما ينفع الاعراب ان لم يكن تقى ٭٭ وما ضر ذا تقوى لسان معجم[4]

فقلت له : عرفنى نفسك لأنسب اليك هذا التعليم ، فقال : أنا أبو التقويم فرجعت عن ذلك العلم النبيل بعلم سيبويه[5] ، والخليل[6] .

---

١) الكن بالكسر : وقاء كل شىء وستره .

٢) الأدحى ويكسر والادحية والأدحوه : مبيض النعام فى الرمل .

٣) ذى العش : ح ٤) البيت ناقص : ح ، ك .

٥) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثى بالولاء أبو بشر الملقب سيبويه امام النحاه ، وأول من بسط علم النحو . ولد فى احدى قرى شيراز لسنة ١٤ هـ وقدم البصرة ، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه . توفى على الأرجح سنة ١٨٠ هـ . (جـ٥ ص٢٥٢ ـ الأعلام) .

٦) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدى الأزدى اليحمدى ، أبو عبد الرحمن من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض ، وهو أستاذ سيبويه النحوى . ولد ومات فى البصرة . وعاش فقيرا صابرا . (جـ١ ص٣٤١ ـ انباه الرواه) .

" المقامة الخامسة والعشرون "

في طب القلوب

==========

استولت على قلبي أمراض مختلفة ، فسألت عن طبيب قد راض (١) بمعرفة فقيل لي : هنا شيخ قد جرّب وتدرب ، وشرّق في طب القلوب وغرّب فسرحت (٢) اليه فسلمت وشرحت ، وطرحت نفسي لديه واستسلمت واستطرحت فقال : يافتى أبشر بالنجاء والنجاح ، وانشر لأخذ راحتك الراح ، فقلت : بي أدواء لا أعدها ، فقال : هذي أدوية أعدّها ، فجس نبضي ونظر الى سحنتي (٣) ، فأحسن ببلاي وفهم محنتي ، ثم قال : أمراضك قلبيه ، ومحنتك حُبيه ، ودواؤها أعلا المراتب الطبيه ، وكما أن معالجة أمراض الأبدان بأضدادها فمعالجة أمراض النفوس بهجران مرادها ، أما أنت فأودواؤك داؤك ، قلت فرّ عنهم لافر منهم ، (قال : فر عنهم) (٤) ، ثم قال : الشهوة والحرص والشره والغضب والكبر والأمل : فالشهوة مجنونة ، والحرص جاهل ، والشره صبي والغضب أهوج ، والكبر أحمق ، والأمل طَموع وقد وَلّيت هؤلاء مدينة بدنك ثم توليت عن ملاحظتهم شغلا بمحبتك ، والسوس لا يسوس ، وقد استلب قلبك في محبتهم هوى ، ماصعد به أحد الا هوى ، ولاتظنن أني أذم أصل وضعهم ، ولاأنكر الحكمة في جمعهم ، انما المذموم عُلوّهم ، وبه يتمكن عدوهم وقد خلا جميع نادبهم ممن يأخذ على أيديهم ، وقد كان لهم مؤدب يأمر من الأمور بالأوساط ، فتعتدل الحال كما تعتدل الأخلاط ، فلما عدموا

---

(١) راض : تذلك .

(٢) سرحت : خرجت .

(٣) السحنة والسحناء : لين البشرة واللون .

(٤) ـ : ح ، ك .

رائضهم هدموا فرائضهم ، قلت : مارأيت طبيبا أحذق منك وأصنع ، فصف لي ما أفعل وما أصنع ، فقال : ان عوجلت أمراضك فعولجت (١) والا ملكت فأهلكت ، وسأتلطف لك فالآلة القوية تؤذي الأبدان الضعيفة ، اصرف الأغبياء الى مكانتهم ، واعطف الأغنياء على مكانتهم ، وول من عزلت واعزل من وليت ، واستوثق من القفل فاللص في البيت ، ثم تلطف بهؤلاء فانهم صبيان وناداهم في كل وقت " ألم يأن " (٢) ، حدثهم بلسان التوبيخ قبل أن يسمعوا صوت الصريخ ، قل أيتها الشهوة كم ضرت شهوه ، أيها الحرص جاء الموت فما ذي السهوة ، أيها الغضب والكبر الناس أخوه ، أيها الأمل عقدتك لو فهمت رخوه ، مارحل أحد يطلب الآمال الا مات في السفر ، قلت : كرر على بعض ماقلت ، فقال : أوثق سبع غضبك بسلسلة حلمك ، فانه ان افلت أتلف ، فمتى بحدة الغضب انطفى مصباح الحلم ، اذا خرجت من شفة عدوك كلمة سفه فلا تلحقها بمثلها تلقحها فنسل الخصام مذموم ، فقلت : (ان الصبر دواء مذموم) (٣) ، فقال : هو قوت الحر الصبر عن الأغراض صبر غير أن الحازم يجعل مراقبة العواقب تقوية أما علمت أنه من قبّل فم اللذه عضته أسنان الندامه ومتى بانت العواقب ضحك العقل بالهوى وأنشد : الصبر أوله مر مذاقته لكن آخره أحلى من العسل

قلت : طبع النفس كثير الضجيج ، فقال : من رق لبكاء الطفل لم يقدر

---

١) ناقص من هنا الى آخر المقامة : ك .

٢) يشير الى قوله تعالى : " ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون " الحديد آية ١٦ .

٣) مابين القوسين ناقص : م .

على فطامه ، قلت : الدنيا حلوة ، قال فيّ أصم الله سمع الهوى فما يسمع الا ما يريد ، ويحك مازالت الدنيا مرة في العبر ولكن قد مرض ذوقك ، لسان قلبك في عقله غفلة ، وسمع فهمك مسدود عن الفطنة ، وبصر بصيرتك محجوب بعماء عمي ، وفراج تقواك منحرف عن الصحة ، وأما نبض الهوى فشديد الخفقان ، سارت أخلاط الأمل في أعضاء الكسل فثبطت(١) عن البدار(٢) وقد صارت مفاصل في مناقد الفهوم سدد وما يسهل عليك شرب مسهل . احذر حلواء الشره فانها سبب الحمى . خَل خِلّ البخل فانه يؤذي عصب المروة ، الزم باب الطبيب يركب لك أدوية تستفرغ قولنج(٣) الأمل ، وترفع خدر الكسل وتجلو ناظر البصر فترجع الفطرة الى أصلها ، قلت : اختصر لي مُفردا من الدواء ، فقال : اعص الهوى وأطع من شئت ، قلت : كيف أقوى على خلاف الهوى قال : بالنظر الى العواقب ، واعلم أن ايثار ما يفنى على ما يبقى برسام(٤) حاد ، قلت : ان عندنا قوما يدعون القوة ، وينتحلون الفتوة ، يخرجون لقتل سبع ، فقال : واعجبا لرجل يدعي الرجلة(٥) في قتل سبع ما آذى ويستسلم لكلب الهوى العقور ، قد بيت عوام بغداد كم كان لهم معنى في كان وكان ، قد سمعت منشدا منهم يقول (من بحر كان وكان(٦))

وحشروحق المصحف تكون سلطان(٧) الهوى ٠٠ ولا يكن لك قدرة تقبض على الهجران

قلت : لقد وجدت روحي(x) العافية قبل استعمال صفتك ، فلا عدم من شفى وأشفى

---

١) ثبطت : عوقت ٠

٢) على البدن : ح ، البدار : المعاجلة ٠

٣) القولنج : مرض معوي مؤلم يصحب معه خروج البراز والريح سبب التهاب القولون ٠

٤) البرسام بالكسر : علة يهذي فيها ٠

٥) الرجولة : ح ، والرجلة بالضم : القوة على المشي ٠

٦) + : ح ٠

٧) يكون : م ٠

نطق شفتك ، فقال : ان القِنية(١) تعاود القِنية بعد القِنية ولا تكاد تنقطع ، فراجعني بعرض العوارض ولا تنقطع ، فتردد اليه نهارا وليلا ، وصرت في حبسه كمجنون ليلى ، التقط من فيه فنون الحكم وأقعده عند خصام الهوى مقام الحكم ، وكان لا يضيع من وقته لحظة لحظة ، ويحاسب نفسه على فضل لفظه ، ثم قال : أنا عازم على السفر ، فنفر قلبي منزعجا ومانفر ، فبت عنده لآخذ حظي ليلة وأردت أن أنظر كيف يقضي ليله ، فاشتغل عني بالتعبد في تفصيل أوراده ، وأقبل على التزيد من تحصيل زاده ، فطلبت منه سبب هذه المحاسبة ، وكيف اكتسب هذه المراقبة فقال : ويحك ان العمر يسير يسير وخلعة ينتزعها من المعار المُعير ، ينقص مع اللحظات كلما زاد ، ويحث أهل البطالات على إعداد الزاد ، أنفاس معدودة ، وينقضي المدد ، وأبنية ممدودة فستنقض في أقرب المدد كم شاب شاب كم راج راج له انجاب ، لو قدرت النفس بشطر عمرها ستين سنة أما شطر دهرها نوم وسنه ، ثم ينقسم قسم اليقظة الى مطعم ومشرب ، ومنكح ومكسب ، خسرانها فيه أقرب من أن تربح فيبقى للتعبد منه اذا كمل قليل ، وصحيح تلك العبادة اذا تُؤُمِّلَ عليل ، فما زال يعظني حتى اطلخم(٢) الليل وابهار(٣) ، وودت أنه لو وصل به النهار .

---

١) ان القِنية تعاود القِنية بعد القِنية : ح
والقنية : ما اكتسب ، والقِنية : الساعة والحين .
والصواب : ان القَيْنة تعاود القينة بعد القينة .

٢) اطلخم : أظلم .

٣) أبهار الليل : انتصف أو تراكمت ظلمته أو ذهبت عامته أو بقي نحو ثلثه .

فكأن قسا في عكاظ يخطب (١) ∴ وكأن ليلى الأخيلية تندب (٢)
وابن المقفع في اليتيمة يسهب (٣) ∴ وكثير عزة (٤) أذ يقول فيطنب
ثم ضج جرسه (٥) وأرم (٦) ، وجمع نفسه وضم ، فقلت : سبحان من جعلك
سبب نجاتي وسعاداتي ، بلغك الله جميع محابك فقد محابك قبح عاداتي
أنا تائب من إفراطي وتفريطي ، نادم سادم (٧) على تخليطي ، فمن لي أن أكون
حلال عقلك ، اخرجني لي لأشكر لك بعض فضلك ، فقال : ودعني فاني رائح
ودعني فالوحدة لذة السائح قلت : فما الكنية وأين المسكن ؟ لعلي ألقاك يوما
إن أمكن فقال : أما الكنية فأبو القعقاع ، وأما المسكن فالحرم المظلم ، قلت :

---

١) هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك ، من بني اياد أحد حكماء العرب ومن كبار خطبائهم في الجاهلية ، انه أول عربي خطب متوكئا على سيف أو عصا ، وأول من قال في كلامه أما بعد ، وهو معدود في المعمرين ، توفي نحو سنة ٢٣ ق هـ (ج٦ ص٣٩ ـ الأعلام .

٢) هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد ابن كعب ، الأخيلية ، من بني عامر بن صعصعة شاعرة فصيحة ذكية جميلة ، اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير ، حتى قال لها عبد الملك بن مروان : مارأى منك توبة بعشقك ؟ فقالت : مارأى الناس منك حتى جعلوك خليفة ! وسميت الأخيلية لقولها أو قول جدها من أبيات :

نحن الأخايل ميزال فلاننا ∴ حتى يدب على العصا مذكرا

توفيت نحو سنة ٨٠ هـ . (ج٢ ص١٤١ ـ فوات الوفيات) .

٣) هو أبو محمد عبد الله بن المقفع أحد فحول البلاغة وثاني اثنين مهدا للناس طريقة الترسل ورفع لهم معالم صناعة الإنشاء ، أولها عبد الحميد ، فارس الأصل ، قتل سنة ١٤٢ هـ مصلبا بالزندقة . وله كتاب الدرة اليتيمة نشره شكيب أرسلان .

٤) هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي ، أبو صخر ، شاعر متيم مشهور ، من أهل المدينة ، أكثر اقامته بمصر ، كان محبا لعزة بنت جميل وكان عفيفا توفي في المدينة سنة ١٠٥ هـ أو سنة ١٠٧ هـ . (ج٤ ص٤٣٢ ـ وفيات الأعيان)

٥) جرسة : صوته .

٦) أرم : سكت .

٧) سادم مثل نادم .

فأوصني قبل الفراق ، فلدغني قد أتعبت ألف راق (١) ، فقال : انتهب زمانك قبل الزمن ، وانهني لنفسك فإن لم تفعل فمن ، واستغث بحولك فإن لم تستغث به فبمن ولا تغتر بالدنيا فإنها خضراء الدمن (٢) ، وودعها ودعها ، ولا تجمعها ولمن ، واطلب حقيقة صدق واعرف حقه من ، هذا يكفي ولا تسألن أهل العراق عن أهل اليمن ، فجعلت أتهيأ للوداع وأملأ وطبي وقد قل يرضى عاشقه ، فارقته وبودي لو تفارقني روح الحياة وأني لا أفارقه .

---

(١) الراقي : الذي يرقي الملدوغ أي يعوذه .

(٢) الخضراء : الروضة الخضرة ، والدمن : السرقين المتلبد والبعر . فابن الجوزي يشبه الدنيا في حسن ظاهرها وسوء باطنها بالروضة الخضرة على المنبت السوء . وهذا من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " إياكم وخضراء الدمن . قالوا : وما خضراء الدمن يا رسول الله قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء . " فالرسول صلى الله عليه وسلم قد شبه المرأة الحسناء بالروضة الخضرة لجمال منظرها وشبه منبتها السوء بالدمنة لقباحة باطنها وللعلماء في هذا الحديث تأويل آخر . انظر المجازات النبوية للشريف المرضي ص٦١ — مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٣٧م .

" المقامة السادسة والعشرون "
في ذم الدنيا ومدحها (١)

ضاق عطني (٢) من وطني فطلبت السفر ، فأضاقني مضيق الطريق الى نفر ، كلهم مما نفرت منه قد نفر ، فتوافقنا وترافقنا ، فقلت : هذا الظفر ، فسرنا في يوم مسقر (٣) أذهب الماء وأنضبه ، فما بقي هنا قطره ما لشفه ، فلما جزنا وادي المحتفل (٤) اذا واد كالسجنجل (٥) وقد انصب الدمكمك (٦) والعشوزن ذلك البر ، فنزلنا البُهرة (٧) الى أن باخ (٨) الحر فلاحت لنا آرام (٩) ، فشبهنا اليها الأقدام ، فاذا قوس في قرقوس (١٠) ، فمن عابد في طرمال (١١) كانه شن بال (١٢) ، فنزلنا اليه وسلمنا واستطرحنا لديه واستهللنا ، فقال : كيف سلمتم في هذه السباريت النفانف ، أما علمتم أن القفار السباسب (١٣) متالف لقد قطعتم أرضا سبعة ملصة (١٤) ، وخفتم من أن تكونوا لقسورة (١٥) أو معروط حصه (١٦) ، قلنا :

---

١) المقامة ناقصة من نسخة : ك .
٢) عطني : مكاني وأصله مبرك الابل حول الماء .
٣) مسقر : شديد الحر .
٤) المحتفل : الرمل الكثير .
٥) السجنجل : المرآة .
٦) الدمكمك والعشوزن : الشديد .
٧) البهرة : وسط الوادي
٨) باخ الحر : برد .
٩) الآرام : الأعلام
١٠) القوس : صومعة الراهب ، والقرقوس : قاع أملس
١١) الطارمال : الصومعة العظيمة
١٢) الشن البال : القربة اليابسة .
١٣) السباريت والنفانف والسباسب : الأرض القفر .
١٤) أرض سبعة : كثيرة السباع ، وأرض ملصة : كثيرة اللصوص .
١٥) القسورة : الأسد .
١٦) المعروط : اللص .

أخرجنا أو زاد حرجنا ، فعرض علينا الزاد وما أحوجنا ، فدخل في عسلول(١) فاعق فأتى بعرق(٢) ووطب مشأق(٣) ، ثم جاء بنيطل من النقاخ(٤) ، فحمدنا ذلك المساء فلما وجدنا من الألم لما تعبنا ، نهضنا الدنيا وقلنا وعينا ، فقال : أحدنا : بئس نصب من تنع من النصب بهذه الدار ، أو ليس النصب حولها قد انتصب(٥) دار ، انها لظلال سرور ، مدت على ظلال غرور ، تمامها ناقص ودوامها واقص(٦) وسماؤها وامض(٧) ، وملأوها فامض ، كم درست حسنا وأخرست لسنا ، ونكست ذقنا ، وجلدت لقنا(٨) ، كم عقدت عقدا وأحلت حلها ، وكم نقدت نقدا فاستلبت من حلها ، كادت تغنى ثم كادت(٩) ، وعادت تضنى ثم ما عادت(١٠) ، وتظهر المحبة وقد عادت(١١) ، أن أضحكت في أفراحها شهرا أبكت في أتراحها(١٢) دهرا ، تعطى تفاريق وتسترجع جملا ، وترضع أفاويق(١٣) وتقطع عجلا ، يواتي خيرها ان واتى ليحا ، ثم يأتي شرها ضحى أو بياتا دفعا ، عوضها بابلية ، كم تفتح باب بلية ولا حيلة كحيلة من عين كحيلة .

---

١) العسلول : بطن من الأرض غامض .
٢) العرق : الزبيل (جراب أو وعاء) .
٣) الوطب : سقاء اللبن — ومشأق : ممتلئ .
٤) النيطل : الدلو ، النقاخ : الماء العذب البارد .
٥) النصب : الاعياء والنصب
٦) الوقص : العيب والنقص .
٧) الومض : اللمع الخفيف
٨) درست : أبلت .
٩) اللقن : سريع الفهم والحفظ
١٠) كادت الأولى : قاربت والثانية : من الكيد
١١) عادت : من المداوة
١٢) أتراحها : أحزانها .
١٣) الأفاويق جمع فيقة وهو اسم اللبن يجتمع في الضرع بين الحلبتين .

خطبت يا خاطب الدنيا مهرة ∴ في ذبح أزواجها الصيد الغرانيق (١)

كم من ذبيح لها من تحت ليلتها ∴ زفت اليه بعساف وتصفيق

كم أفردت من أرفدت (٢) ، كم أخدمت من أخدمت ، كم افقرت من أرفقت كم فارقت من رافقت

كم ساع اليها سعي الرخ ردته (٣) معكوسا رد الفرازين (٤) أف لعاشقها مع شدة مراشقها (٥)

انها لأقبح من زبلة قمام وأغدر من تاء تمتام (٦) .

ميزت بين جمالها وفعالها ∴ فاذا الملاحة بالقباحة لا تفي

حلفت لنا أن لا تخون عهودنا ∴ فكأنها حلفت لنا أن لا تفي

فشخصا بصر الصايد اليه انكارا للمقالة ، ثم أخذ يرد عليه في كل ما قاله الى أن صاح بنا صاحبنا الإقالة (٧) الا قاله ، قال له : ان كنت تفهم الفاسد من المصلوح وتحصل وتميز بين المذموم والممدوح (٨) وتفرق بين المهجو والممدوح وتفصل ، فانه اذا زل عالم ضل عالم ، أتذم الدنيا لذاتها أم للذاتها ، هل هي الا مهاد موضوع ، وسقف مرفوع وشمس وقمر وزروع ، وشعر ومياه تجري ، وركائب تسري ، ومطاعم تحفظ الأبدان ومعادن لحاجات السكان ، زاد يبلغ في أسفار الأعمار وقرى للضيف

---

١) الغرانيق : جمع غرنوق وهو الشاب الأبيض الجميل .

٢) أرفدت : أعطت ووصلت .

٣) الرخ بالضم : طائر كبير يحمل الكركدن أو هو طائر خرافي بالغ القدامى في وصفه .

٤) الفرازيق : م .

٥) الرشق : الرمي بالنبل وغيرها .

٦) التمتمة : رد الكلام الى التاء والميم فهو تمتام .

٧) شخصا : شخص .

٨) الممدوح : م

الى أن يصل دار القرار ، مطهرة ترحض (١) بالرياضة العيب ، ودليل يدل حاضرة على الغيب ، حكت فيها جواهر الفضلاء فبانت ، وظهرت بها فضائل العلماء فزانت ، ليلها يصلح لمناجاة القوم ، ونهارها لتعبد الصوم ، والعلم مثوث يدل المهتدين ، ويواصل الحاجات لإيثار المساكين ، كان آدم في الجنة يأكل ويشرب ويلهو بلا أذى ويطرب ، ثم سجدت له الملائكة فضاهى الربوبية ، فلما بان عن (٢) الجنة بان أثر العبودية ، عين تبكي ولسان يذكر ، مبتلى يصبر ، ومنعم عليه يشكر ومستدل يفرق بين الحجة والشبهة وينظر ، ومحجور عليه فلا يحصر مايخطر ، فالصائم جعل صومه جنته ، والقارئ يحاقب درسه ، والشهيد يبذل للموت نفسه ، والمتصدق يواسي بالقوت جنسه ، ومشتهي النظر يغض طرفه والفقير يقنع من نهر الهوى بحرفه والحجيج يضجون في البوادي ، ويلبون المنادي ، حتى يلبون بذلك الوادي ، والموت ينتقي الأحباب والمحبون صابرون والعرض يقلق الألباب والمرضى شاكرون ، ويلقى الخليل في كفة المنجنيق (٣) ، فيعارضه جبريل في الطريق ، فيناديه ها أنا لديك في هذا الفلا ، ألك حاجة ، فيقول أما اليك فلا ، ثم يقال ياخليل أمدد يدك ، فاذبح ولدك ، فيقول للولد انظر ماذا ترى ، فيقول : الحكم لمن يرى ، أنا أطلب الصبر ممن ينجدني (٤) ستجدني ، وزليخاء (٥) تهيء مجلس الهوى ليوسف وتعبي (٦) ، فيقول : "معاذ الله انه ربي" (٧) ، وأيوب

---

١) ترحض : تغسل ٢) بان : بعد .

٣) يشير الى القاء سيدنا ابراهيم عليه السلام في النيران . والمنجنيق : آلة قديمة من آلات الحصار ، كانت ترمي بها حجارة ثقيلة على الأسوار فتهد مها (هو نشه) .

٤) يشير الى قوله تعالى : " فلما بلغ معه السعي قال يابني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال ياأبت أفعل ماتؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين " (الصافات آية ١٠٢) .

٥) زليخاء : هي زوجة عزيز مصر . وهي التي راودت يوسف عليه السلام عن نفسه .

٦) تعبي : تتزين وتتهيأ . ٧) " وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله ان ربي أحسن مثواي انه لايفلح الظالمون . " سورة يوسف آية ٢٣ .

يعيد الدود وقد مضى الى جسده لعله أن البلاء رضى سيده ، ومسى يمقوت قلوب الشجر ، وحى يبكى من زمان الصغر الى الكبر ، ومحمد يشد الحجر من الجوع ، وأصحابه يهجرون بالليل الهجوع ، يبذلون أنفسهم فى الجهاد للسيوف ، ويتسابقون الى التلف والحتوف (١) ، وكم فيهم من صائم قد أضناه الصوم ، وقائم قد أنضاه (٢) ترك النوم ، ينهض من فراشه الى الماء البارد ويبادر ، ويهجر لذيذ الشتهى من الهوى فى الهواجر (٣) ، ويؤثر بما هو محتاج اليه ، ويقلقه خوفه ولا خوف عليه ، تعرض عليه الدنيا حلالا فيخاف على عزمه انحلالا ، فيقول لداعى الهوى لالا ، أفى هذا شىء يوجب الذم ، أما هو أعجب من تعبد الملائكه ، ثم على أنه ليس لأولئك من العباده شاغل ، ولا يدخل عليهم من طلب العبادة واغل (٤) ولا يحتاجون الى تناول طعام ، ولا يريدون توطئه منام ، ولا لهم منظر يوجب الغضن ، ولا يصابرون ترك لذيذ فضن ، وانما الذموم من الدنيا فعل الجاهل والذنب فى الشرق لا للماء بل للناهل (٥) ، يجمع ابل الأموال منها ويلزمها (٦) ويتركها لغيره هنيئا (وقد التزمها) (٧) ، فاذا نودى للرحيل ذم المناخ (٨) وقد كان يمكنه التأهب منذ أناخ ، وقد ضربت له الأمثال ، بأخذ الأثال ، ويكفى فى العبر رحيل من عبر (٩) ، فهل غرت الدنيا ساكنها وقد ضربت مساكنها ، ولقد وعظت قاطنها ،

---

١) الحتوف : جمع حتف وهو الموت والهلاك .

٢) أنضاه : أضعفه وأهزله .

٣) الهواجر : جمع هاجره وهى نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر أو عند زوالها الى العصر لأن الناس يستكنون فى بيوتهم كأنهم قد تهاجروا .

٤) الواغل : الداخل على القوم فى طعامهم وشرابهم من غير دعوة .

٥) الناهل : الشارب .

٦) فيها ويبركها : ح .

٧) — : ح

٨) المناخ : مكان الاناخة . والمراد الدنيا

٩) قاطنها : ساكنها .

لما عرفت معاطنها[1] ، فإني لوم لمن خوف وحذر ، والله لقد أعذر من أنذر ، فقال الذام للدنيا : كنت جاهلا وقد تعلمت ، وأقررت بالخطأ فيما قلت ، وكنا قد رضي يا من قرا قسطك فعرفنا قبل الفراق اسمك ؟ فقال : سماع سماع اسمي الحجى[2] ، وباتباع رسمي نجا من نجا ، فقلت لأصحابي هذا أبو التقهم الذي ملأ الدنيا صوت صيته ، ثم ولى كالمتفلت وتولى كل منا متلفعا (بليته[3]) .

---

(١) معاطنها : أماكنها .

(٢) الحجى : العقل .

(٣) — : ح ، والليت : صفحة العنق .

"المقامة السابعة والعشرون"
(١) في تفضيل العلم والعمل

خرجت يوم جمعة هائما أطلب الجوامع وأنا دائما ما ضمت الموانح مصر فقصدت جامع المنصور (٢) ، فانفردت وقت الضحى عند الصناديق فألفيت قوما كلهم قد صحا للتحقيق ، فمنهم قائم في صلاته يتأود (٣) كغصن بان ، (ونشر سوقه كلما تجدد غصنه بان) (٤) ، ومنهم من قد أخذ بجامعه حب القرآن ، فتلاوته تكشف عن قلب سامعه الران (٥) ، ومنهم من قد تكس رأسه خشوعة للرحمن ، وما يخفى الصادق ولا من مان (٦) ، فعلق بروحي روح ذلك المكان ، وحدثت نفسي أن أستبدل بالخوان (٧) معاشرة تلك الاخوان ، فآثرت زحامهم في تلك البقاع وثابت طربا على ذلك السطح ، فزعم قلبي انه قد عزم للازماع (٨) على التزهد وأقبل لبي يلبي للانقطاع الى التعبد ، الى أن صيح بالتأذين فأجبت المنادين وأنا أرى أن ذلك المشي الدين ، فمت الى حلقة الفقه فجرت في الحرام والحلال (٩)

---

١) ناقص من أول المقامة حتى قوله (العلم والعمل توأمان تراضعا بلبان واحد) : ك

٢) خرجت يوم الجمعة هائما وأنا دائما محصور فضمت الموانح وقصدت جامع المنصور : ح

٣) يتأود : يتمايل من الاعياء .

٤) وأثر شوقه كلما تجدد غصنه بان : ح

٥) الران : النعاوة .

٦) مان : كذب .

٧) الخوان : ما يؤكل عليه الطعام .

٨) الازماع : المضاء في الأمر والعزم عليه .

٩) في الحلال والمباح : ح .

مباحثات ، تشفي بصدورها من الصدور النفثات ، فعظم قدر العلم النبيل في عيني ، ووقعت الخصومة في التفضيل بيني وبيني ، فجعلت أميل بين الأمرين (١) ، وأخيل أمرّ الأمرين ولا يثبت على تقديم أحدهما قدم ، ولا يبين لعلمي في صحراء التحيير عَلَم ، فاذا شيخ قد قدم على التسعين (٢) ، وانهرم لكثرة مر السنين ، وهو من أولى الألباب والنُّقل ، فقلت في نفسي هرم السن شاب العقل ، فسلمت عليه ثم استشرته ، واستوزرت رأيه واستزرته ، فقال لأجعل في مثل هذه المسائل رأيي ورأيك ، ولأظهرن الدلائل للسامع والرائي ينبغي للمفتي أن يفصّل الجُمل ، ومتى قام الحساب استقام العمل ، اعلم أن الواقف على صورة العلم من غير فهم لمعناه والعمل بمقتضاه حادي جمال ودليل بادية وربما جج الركب ولم يحرم هو ، والواقف مع صورة التعبد من غير ملاحظة المراد بعين الفهم ، أجير عينه الى اجرته ، هذا اذا صحت النية في العلوم والأعمال ، فان دخلها الرياء ضاع الربح ورأس المال ، فاذا خلص الاخلاص في الأمرين ، ورأيت الصحة حال المرأين ، فالعلم أفضل وأوفى ، ومتى وزنته بالتعبد أوفى ، العلم عمل القلب ، واكتساب الذهن والفهم ، وبه يعرف الصواب من الزلل ، والاستقامة من الخطأ والخطل (٣) ، وكلما امتدت المعارف اشتدت المخاوف فالعلم هدهد الماء وناتئ (٤) المركب ، وابن أجود الطريق والعالم أمين عند الخلق في الخَلق ، العالم شمس تضيء في جميع العالم ، وانما بيد العابد قبس ، العلماء ورثة الأنبياء (٥) ، وأعز الميراث النيابة ، العلماء هم الأصل في اقامة المعالم ومدادهم يوجح على دم الشهداء لأن اراقته تليذ نطق ، العالم العالم حي بعد الموت ، تنطق تصانيفه بأفصح صوت ، فتصانيفه أولاده المخلدون ، دون

---

١) يريد بالأمرين : العلم والعمل (كثرة التعبد) .

٢) قد قدم على السبعين : ح .

٣) الخطل محركة : الكلام الفاسد الكثير .

٤) الناتئ : الملاح .

٥) هذا من حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم أخرجه البخاري ك ٣ ب : ١٠ والترمذي ك ٣٩ ، ب : ١٩ .

أولاده ، مياه المعانى مخزونه فى صدر العالم يفتح منها لزرع قلبه سيحا بعد سيح (١) ، وبعد خر أصفاها قوتا للروح ، فاذا تكاثرت عليه صاح السبيل السبيل أما علمت أن الجهل خندق يحول بين الطالب والمطلوب والعلم يدل على القنطرة ، العالم يتعدى ، فكم قد كف من يتعدى ، والعبادة لا تجوز عتبة العابد ، والزهادة لاتنفع غير الزاهد ، ثم ان المخلصين من الفريقين يتفاوتون (٢) ، ورب سحاب ينفع وليس بهتون .

قلت : فما تقول فى عالم لا يعمل بعلمه ؟ قال : عربى فأفاء (٣) العلم والعمل توأمان تراضعا بلبأ واحد وأمها علو الهمه ، قلت : فالزاهد الجاهل؟ قال : مخاطر وربما هلك بخاطر (٤) ، قلت : فصف لى الكامل علما وعملا ؟ فقال : خذ منى كيل الملا ، اذا اختار الله عز وجل شخصا أمده بالتحقيق من بداية عمره ، وأيده بالتوفيق فى جميع أمره ، " ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل (٥) " فترى الصبى يلبس برد شبابه على عقل مكتهل ، وأقل الرياضه يؤثر فيه كما يؤثر المِسَن فى الفولاذ ، فهو يحرك جناح الجد ومانبتت بعد القوادم الى أن يمكنه الطيران فى فضاء الفضائل الى جو التمام ، فتراه يقطع من العلم مهمها بعد مهمة (٦) وقلبه معرض عن اللهو بتصحيح قصده ، يتلفت عن الدنيا

---

١) السيح : الماء الجارى الظاهر .

٢) الهتون : كثير القطر .

٣) الفأفأ : مردد الفاء ومكثرة فى كلامه .

٤) الخاطر : الهاجس .

٥) " ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين " الأنبياء آية ٥١ .

٦) المهمه : الصحراء الواسعه .

يقنع بقوت وقته ، عفيف عن الناس حفظا لعرضه فقد سادهم بغناه عنهم وأزال فسادهم بوعظه على أنه مشغول عن الكل بنفسه همه كله في جمع رحله يستكثر من الزاد لعلمه بطول شوطه ، يتقلب طول دهره بين رجائه وخوفه فاذا تكاملت رياضته وصفا القلب أشرفت به المعرفة على وادي الحبيب فاستغرقه الحب فهو حاضر بين الخلق غائب عنهم ، قريب اليهم بعيد منهم ، منتخب (١) السر صامت ذاكر ∴ منعجم الأمر غائب حاضر

يرقد في ليله بلا وسن ∴ فهو لدى الليل راقد ساهر

يؤيسه الحب ثم يؤنسه ∴ فهل رئي مثل آيس ظافر

كل من رآه يقول هذا حيران أو ذو وله (٢) ، وانما هو سكران وله ولـه (٣) :

مكتئب ذو كبد حرّى ∴ تبكي عليه مقلة عبرى

يرفع يمناه الى ربه ∴ يشكو وفوق الكبد اليسرى

يبقى اذا حدثته باهتا ∴ ونفسه مما به سكرى

تحسبه مستمعا ناصتا ∴ وقلبه في أمة أخرى

ثم قال : غيبة القوم حضور ، وقد شغلتهم عن الدنيا أمور ، رماهم الشوق بسهامه فباتوا شاكين ، وأقلقهم التوق (٤) فأصبحوا باكين ، فهم في بوادي القلق يهيمون ، وفي زروع الآمال يسيمون ، وأحوالهم لا تخفى وهم يكتمون وأمارة (٥) الحب أنه اذا استكتم يخون :

---

١) منتخب : مختار .
٢) الوله : ذهاب العقل .
٣) الوله : الحزن والتحير من شدة الوجد .
٤) التوق : الشوق .
٥) أمانة : ح .

يرنحنـــى اليك الشوق حتى ∴ أميل من اليمين الى الشمال

كما مال المعاقر(١) عاودتـــه ∴ حميا الكاس حالا بعد حـال

ويأخذنى لذكركم ارتيـــاح ∴ كما نشط الأسير من العقال(٢)

وأيسر ما ألاقى أن همـــا ∴ يغصصنى بذا الماء الزلال.

ثم قال : السلام على القلوب التى تحن الى مهدئها ، والرحمة للنفوس المحيدة عن منشئها ، والتسميح لناظم الكل فلما أنهى القول فر من بعده منا ، فأمض(٣) بعده عنا وعنى ، فقلت : ما يقدر على هذا الكلام الا أبو التقويم ، فقال وفوق كل ذى علم عليم(٤) ، فاغتنمته قبل انطلاقه الى أن عرفته ، واغتممت لفراقه وقد ألفته ، فلا أنسى كلماته الموصوفه مابل بحر صوفه(٥).

---

١) المعاقر : ملازم الخمر .

٢) العقال : القيد والوثاق .

٣) أمض : أحزن وآلم . ٤) سورة يوسف أية (٧٦) .

٥) يقال لأأفعل كذا مابل البحر صوفه ، وما أن فى الفرات قطرة : أى أبدا . (جـ٢ ص ٢٣٠ مجمع الأمثال) .

" المقامة الثامنة والعشرون "

في ذم الهوى

==========

تناصى (١) العقل والهوى في خصومة ، ثم رضي من تعاصى منهما بالحكومة ، فقالا للنفس اجعلي لنا من الانصاف نصيبا " ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " (٢) ، فانتصبت في منصب حاكم ، وقالت لأميزن المظلوم من الظالم ، ثم أقبلت على الهوى فقالت : ما يزال زرعك يزكو (٣) ، فمم تشكو ؟ فقال : قد حرف (٤) مزاجي بما يحمينى ، وان قصدني عدوى فما يحميني ، ان لذ لي طعام قال امسك ، وان لاحت نظرة قال أغمض وان عرضت كلمة قال أسكت ، وان أردت حركة قال اسكن ، كلما علقت يدي بمحبوب جذبه مني ، وكلما ركنت الى مطلوب أخذه عني ، يشترى مني النقد العاجل ، بالوعد الآجل ، وطفل طبعي ما يعرف النسئه (٥) فمنا قرنته لي دائمة ، وأقدامي في تعثري معه دامية ، وانه ليضيق على أنفاسي فأتمنى التلف مما أقاسي ، فقالت النفس للعقل قد سمعت فأجب ، فتلمظ (٦) تلمظ من قد عجب ، ثم قال : لمن أعاتب مالي أين يذهب بي ثم استرجع (٧) ورجّع :

---

١) تناصى : تناوش .

٢) هذا من قوله تعالى : " اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " الاسراء آية ١٤ .

٣) يزكو : ينمو ٤) حرف : صرف

٥) النسئه : التأخير والتأجيل .

٦) تلمظ بشفتيه : ضم احداهما على الأخرى مع صوت منهما .

٧) رجع : أنشد .

تضيق بى الدنيا اذا عنّ جاهل (١) .·. يسمى بانسان وليس بانسان
وان سعدت عينى برؤية فاضل .·. وأعوزه مثوى فمثواه انسانى (٢)

ثم قال : أيشك فى قدرى من يدرى ، أنا أبو التقويم ، ومنى يصدر التعليم أنا الآلة التى بها عرف الاله ، صيدت الأطيار بتعليمى وقيدت البهائم بتقويمى ، وصنعت حكمة الدابة بحكمتى ، وصيغت الأمور الدابة بمشورتى أنا الذى أخرجت الحكماء والعلماء الى فضاء الفضائل ، والعباد والزهاد الى رياض الرياضة ، بمن صار مالك (٣) مالكا ، وعظم قدر شافى العلى الشافعى (٤) ، وأنا أحمد (٥) أحمد وقد أظهر بشرى بشر (٦) وكشف سرى السرى (٧) وألاح فضلى الفضيل (٨) وركب أدهمى ابن أدهم (٩) ومعروف بى معروف من (١٠)

---

١) عن الشىء : اذا ظهر أمامك واعترض .
٢) انسانى : أى انسان عينى .
٣) يريد الامام مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى رضى الله عنه أحد الأئمة الأربعة ، عالم المدينة وفقيهها فى زمانه . توفى فى صبيحة أربع عشرة من شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة فى خلافة هارون ودفن بالبقيع وهو ابن همس سنين وثمانين سنة . (جـ ٢ ص ٦ ١٧ صفة الصفوة)
٤) سبق التعريف بالامام الشافعى رضى الله عنه .
٥) يريد الامام أحمد بن حنبل وقد سبق التعريف به .
٦) أى بشر الحافى رضى الله عنه ، كان من كبار المتصوفين من زمانه . وقد سبق التعريف .
٧) هو السرى بن مغلس السقطى من كبار الزهاد فى عصره ، وقد سبق التعريف به .
٨) هو أبو على الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى اليربوعى شيخ الحرم المكى ، كان ثقة فى الحديث . روى عنه خلق وكان من أوائل الزهاد المتصوفه . ولد فى سمرقند سنة ١٠٥ هـ ودخل الكوفه وهو كبير . ثم سكن مكة وتوفى فيها سنة ١٨٧ هـ (جـ ٨ ص ١٤ ـ طبقات الصوفية .
٩) يريد ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه من كبار الزهاد . وقد سبق التعريف به
١٠) أى معروف الكرخى رضى الله عنه من كبار المتصوفين . وقد سبق التعريف به .

جنـد ى الجنيـد (١) ومن نورى النـورى (٢) ومن أشبالـى الشبلـى (٣) ولولا أنـا ماصلـح هذا الشخص لخطاب الحـق ، ولا أحسن المداراة للخلـق أما يكفـى هذا أنـى ربيتـه ، فأنا أبـوه وأمـه وبيتـه ، أو يظـن أنـى منعتـه عن مصلحـة ، كـلا بل أنا لـه مسلحـه (٤) ، أو يعترض علـى الطبيب فيما يفعـل ! أو ليس علـى المريض أن يقبـل ، ها أنا الامـام وهو المأموم ، وهو الخاطـئ وأنا المعصـوم ، وأنا المتيقـظ وهو النـؤوم ، وأنا اللائم وهو الملوم ، وكـم أتحنن عليـه كأنـى رؤوم (٥) ان حرص قلت الرزق مقسـوم ، وان آثـر الدنيـا قلت له مـاتدوم وان قارب شيئـا منها منهيا قلت هذا مذموم ، وفى الجملة هـو محـروم مرحـوم فى أخلاقه مكار وفـى أخلاقـه شـوم :

ومن يـك ذا فم مـر مريـض ٭٭ يجد مـرا به الماء الـزلالا (٦)

ذ نبـى اليـه (٧) أنه اذا انتصبت له شهوة أو سهوة من الفانـى الفانـى (٨) قد نصبـت لهما ميزانـى ، ووزنت عاجل مسرتهما بآجـل مضرتهمـا فـاذا

---

١) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادى الخزاز ، من كبار وأوائل صوفيـة بغداد . ولد ونشأ وتوفى ببغداد سنة ٢٩٧ هـ (جـ٢ص٤١٦ صفة الصفوة

٢) هو أبو الحسين النورى أحمد بن محمد من كبار الصوفية بغداد ، ولد ونشـأ ببغداد ، وأصله من خراسـان . قيل انه لم ير أعبد منه ، توفـى فى سنـة خمـس وتسعين ومائتين . (جـ٢ ص٤٣٩ ـ صفة الصفـوة) .

٣) هو أبو بكر الشبلى من الزهاد المتصوفين . وقد سبق التعريف به .

٤) المسلحـة : وعاء السـلاح .

٥) الرؤوم : التى تعطف على ولدها وتلزمـه .

٦) هذا البيت لأبى الطيب المتنبـى من قصيدته التى يمدح بها بدر بن عمار ومطلعها .

بقائى شاء ليس هم ارتحـالا ٭٭ وحسن الصبـر زموا لا الجمـالا .

(شـرح ديـوان المتنبـى لأبـى البقـاء العكبـرى) .

٧) ناقص من نسختك من هنا حتى (يتعلم منى ثم يعلمنـى ، ويكلمنى بما يكلمنى) .

٨) الفانـى الأولـى : اسم فاعل من الفناء ، والثانية : وجدنـى .

رأيت زيادة الضرر تنوب كفت كفيه عن المطلوب لأن معاناة السلو أسهل من تجنى المحبوب تالله ما للطف بالمحتسب طاقة ، متى تغيرت الكفه كسر العلاقه ، هل ذل عزيز الا بموافقة شهوته ، هل ارتفع ذليل الا بصبره عن لذته ، أما فى لقمه آدم وصبر يوسف عبره ! بلى والله يفهمها أهل الخبرة ساعتان ذهبتا وتفاوت الساعيان ، جنى هذا من جنا ماجنى ثمر الترح (١) ، وأثمر صاب صبر (٢) هذا ثمار الفرح . :

رب مستور سبتته صوره ∴ فتمرى صبره فانهتكا

صاحب الشهوة عبد فاذا ∴ غلب الشهوة صار الملكا

لوقنعت الذبابة بطرف ظرف العسل ماتلفت ، لو عرفت قيمة نفسها رخصت أو غلت ما أوغلت (٣) ، شقاشق اللذه تروق بصر الحس ، وسن العواقب تضحك من المغرور .

شهوات الانسان تورثه الذل ، وتلقيه فى الهلاء الطويل

كم سهم غرض (٤) خرق غرضا (٥) ، كم دواء شهوة عاد مرضا (٦) ، كم لذيذ أرضى يصير الوجه أرضا ، والعاقل بالذل ولو فى نيل الكل لا يرضى ، أما يقدم الصائد على حبسه ، بترك هوى نفسه ، هذا دنى الهمه وبه بله ، يعجبه خضرة على مزبله ، فكيف لو رأى فردوس الملك :

---

١) الترح : الحزن

٢) الصاب : شجر مر

٣) ما أوغلت : بالغت فى الذهاب .

٤) الغرض : الطرى اللين .

٥) الغرض محركة : الهدف يرمى فيه .

٦) صار : م

الغور يا ركابنا الغـــور اذا ∴ قد صدق الرائد فى هـذا الخبر
وان خننت للحمى وروضـــه ∴ فبالغضا ماء وروضات أخـــــر

هذا لا يفـرق بين الأخيـر والأول ، ولا يدرى أى طرفيـه أطـول ، يميل الى البطالـه فيفـوت العلم ، والـى التشـفى فيضيـع الحلـم ، والـى التوانـى فيذهب العـزم والـى التفريط فيبطـل الحـزم ، والـى فضـول المطاعم فتقع الأمراض ، والـــى التكاســل فتفـوت الأغراض ، ثم يتضاعف عليه من الزلـه أضعاف ما نال من اللـــذه كم قلـت له مرارا اذا كنت كلمـا لاحت لك شهوة طفيلـى العرائـس فانتظر قتلـــه وضـــاح اليمـن ، (١)

مـن نال من دنياه أمنيـــة ∴ أسـقطت الأيام منها الألـــف (٢)
يرجو خلودا فى ديار البلـى ∴ ان الذى يطلبـــه مختلـــف

كأنه به وقد كسر مركـب الأجـل ، فى بحر الكسل ، وبقـى علـى لوح الشـــيب فهل ينتظر الا تفريق الموج أو ضـرب التمسـاح والعجـب منه يعيب سـواه بمـــا يفعـل ، ويقبـح لغيـره ما يعمـــل .

وكل امرئ يدرى مواقع رشده ∴ ولكنـه أعمى أسير هـــواه
يشير عليه الناصحون بجهدهم ∴ فيأبى قبول النصح وهو يـراه
هوى نفسه يعميه عن قصد رشده ∴ ويبصـر عن فهم عيوب سـواه

---

١) هو عبد الرحمن بن اسماعيل بن عبد كلال من آل خولان مـن حميـــر : شاعر ، رقيق الغزل . قدم مكـه حاجا فى خلافة الوليـد بن عبد الملـك فرأى " أم البنين " بنت عبد العزيز بن مروان زوجـة الوليد ، فتغـــزل بها ، فقتلـه الوليـد سنـة ٩٠ هـ . جـ٤ ص ٦٩ ـ الأعـلام .

٢) أى أسقطـت الأيام من الأمنية حرف الألف فصـارت منيـة .

والمحنة العظمى أنه يدعى أنه طبن(١)، وفى أى تجاره تقلب فهن، ثم ما يكتفى بالجهل العظيم والسرف(٢) حتى ينسب رأى الحكيم إلى الخرف(٣)، يتعلم منى ثم يعلمنى، ويكلمنى بما يكلمنى، وكلما عدلت فى خطابه يظلمنى فهو فى ليلة الجهل كالحيارى، (لا يعرف صباحها، وفى الندى كالحبارى(٤)) سلاحها سُلاحها، ثم آخذ يكرر على نفسه، كأنه فى اعادة درسه. :

ياعازلين على الغرام متيما ∴ ألف الصبابة مألكم ولعبتم

أنى يفيق عن الهوى من نفسه ∴ رضيت بضر الحب مذ ولعت به

ثم قال : ايهاً(٧) ضاع الكلام عند الأصم وتعب الصاحى مع السكران رضا اليه وقد راحت به الراح(٨)، فقال الهوى كم قد سألتك أن ترافقنى وما توافقنى وأنشد :

يقولون لو عاشرتنا ووصلتنا ∴ وهيهات أين القوم منى ومن جنسى

وكيف وصالى عصبة بعد بينهم ∴ وبينى كبعد الجن من فرق الانس

فيوحشنى الهزل الذى فيه أنسهم ∴ ويوحشهم جدى وفيه مدى أنسى(٩)

فلما قال العقل على فعله الأرشد، أنشد :

---

١) فطن : ح، الطين : الفطن.

٢) السرف محركة : الاغفال والخطأ.

٣) الخرف : فساد العقل.

٤) مابين القوسين ناقص : ك. والحبارى : طائر طويل العنق رمادى اللون على شكل الأوزة فى منقار طويل، الذكر والأنثى والواحد والجمع فيه سواء وألفه للتأنيث.

٥) المتيم : من ذلله الحب وأضناه.

٦) الصبابة : الشوق أو رقته.

٧) انما : ح، ك.

٨) الراح : الخمر.

٩) أرى أنسى : ح.

يا أيها السائل عن مذهبي ∴ ليقتدي فيه بمنهاجي

منهاجي العدل وقمع الهوى ∴ فهل لمنهاجي من هاجي

فقالت النفس : شكر الله فعلك ، ووفق الهوى أن يحمل عملك فلانؤاخذ طفلا بكلامه ، فما يفرق بين ألفه ولامه ، ثم أقبلت على الهوى تسير اليه ، وتشير عليه :

عوّل(١) على رأيه اذا حدثت(٢) ∴ نائبة من نوائب الزمن

فليس في الخلق معقل أشب(٣) ∴ كرأيه في كرائه المحن

ثم جعلت تترنم :

اتبع العقل انه حاكم الله ∴ ولاتمش في طريق عناده

ما الهوى في فريقه أن تأملت بقرن(٥) للعقل في أجناده لاتعرض سداد رأيك للطعن عليه من ناقص في عداده فقال العقل : وبعد فلابد من مداراة مرادته ، وهذه ابل الجائزات مناخات(٦) على باحاته لمباحاته(٧) ، ثم قال :

" أيتها النفس التي وكلها في الخصومة وولي ، أبانت حجتي ؟

قالت : نعم . قولي . "

---

١) عول : اتكل واعتمد .

٢) حزبت : ك ، اذا حزبت نائبه : اشتدت .

٣) أشب : ح ، أشبه : م .

٤) لفيفه : ح ، ك

٥) القرن : لدة الرجل والمساوي له .

٦) الجائزات : المقودات .

٧) باحاته : ساحاته ، المباحته : المكاشفة وخلوص الود .

** المقامة الثامنة والعشرون **

في ذم ابليس

==========

خرجت بغمى الطارق بكرة أحد ، وهمى المطارق كجمل أحد ، فنظرت فما يطرف الطرف أحد ، فتحيرت في الفحص فاذا بشخص قد انفرد ، فقلت أغثني ، حدثني أين أهل البلد ، فقال :

خرج الناس في الفلس (١) ، الى واعظ قد جلس ، فخلس قلبي استلاب الخلس فأطلقت اللجام الى المجلس ، فلم أقدر للزحام أن أجلس ، فوقفت أسمع من بعيد ، فاذا هو يبدي في الدعا ويعيد فحفظت منه يامن عنده مفاتح الغيب اغفرلنا بقاع العيب ، تلاعبت خوادع آمالنا ببضائع أعمارنا فصرنا مفاليس كم عدنا مريضا وما عدنا ، (٢) كم رأينا اللحود تبنى وما تبنا ، بادرنا ما يضرنا وانتهبنا ، أنت هبنا ، بلينا فجددنا ، وبلينا فسددنا أبنا منا وبتنا لنا ، نوّر دنيانا بضوء من توفيقك ، واقطع أيامنا في الاتصال بك ، لاتسلط جاهل الطبع على عالم القلب ، ارحم من قد زل قدم فطنته (٣) في مزلق فتنته ، الهي ضع في ضعفي قوة من فضلك ، ودع في كفي كفي عن غيرك ، ثم قال : أيها الناس ساوا المنعم بمستحسن القول أن يسلمنا من مستقبح الفعل فان النطق بالعلم محجة ، فان فقد العمل به فحجة ، فقام سائل فقال : ما الحكمة في تحريم الخمر ؟ فقال : انها تميت العقل وتحيي النفس ، وينبغي أن يكون الأمر بالعكس ، فقال :

---

١) الفلس : ظلمة آخر الليل .

٢) أي كم زرنا مريضا وما رجعنا عن غينا .

٣) قدم خطيئته : ح .

ما الحكمة في تقدير الذنب ؟ فقال : اذا تكبرت النفس عجبا بخير فعلت نكس رأسها من الزلل ما فعلت ، قال : أيقضي على ويعاقبني ، قال : عند هذه العقدة انكسر الفاس ، (أما علمت أيها السائل أن الملك يتصرف في ملكه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)(١) فقال : قد أهلكتني الذنوب فقال سحبت ذيل الغرور نحو الشرك ، وتبخترت(٢) حول الفخ حبا للحسب(٣) فاذا السكين في الحلق ، خدع قلبك الهوى فاسترق(٤) واسترقاق المعاصي ينكس الرؤوس ، ويوجب الحبوس في الهؤس ، من لم يشم(٥) برق طمع لم يشم ريح ذل ، قال : فما أصنع الآن ؟ قال : قد هاجرت بالهجر فسر الى الصلح في سر ، فقام شيخ يبكي فقال المذكر : يا من قد علا سنه وقوى ضعفه ارتقب ساعة الموت فقد جاء أشراطها(٦) فاستغاث وصاح ، فقال الواعظ : الصواب في الصوب الأسد(٧) ، لا في الصوت الأشد ، فقال : قد استوثق مني الشيطان ، فالتقت حلقتا البطان(٨)

---

١) ما بين القوسين ناقص : ك ، " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " ، الأنبياء آية ٢٣ .

٢) تبخترت : مشيت متعجبا .

٣) حبا للعلف : ك .

٤) استرق الأولى من السرقة واسترق الثانية من الاسترقاق والمعنى أن الهوى خدع قلبك فسلبه منك فصرت عبدا له .

٥) يشم : ينظر .

٦) أشراطها : علاماتها .

٧) الصوب الأسد : الطريق المستقيم .

٨) البطان : حزام يشد على البطن . وقوله : التقت حلقتا البطان : كناية عن شدة ايثاقه .

فما أزال أتملص، ولا أتخلص، فقال ومن الشيطان حتى يذكر، ولولا أنه معروف لكان من المعروف أن ينكر، أنا أصف لك حاله، وأكشف محاله، الكبر أول ماصدر عنه، بقوله "أنا خير منه"(١) نظر الى ذل الطينة ونسى عز الآصرة صان وجهه عن تراب السجود ورضى ببرقات اللعنة(٢) (ولقد أحسن من قال فيه):

عجبت من ابليس في نخوته ∴ وخبث ما أظهر من نيته
تاه على آدم في سجده(٣) ∴ وصار قوادا لذريته.

ثم رد على الحق حكمته في التفضيل، ورد الجاهل على الحكيم تفضيل، ثم طلب الأنظار ليغوي الخلق، لا ليعتذر عن مخالفة الحق، ثم أخذ البغيض يقول: ولأضلنهم ولأمنينهم كأنه يغيظ بما يعارض، وقد علم أن الحق منزه(٤) عن العوارض، ثم ما يقدر أن يبعد عن الحق من أدناه، فقد اختار أمر الجنون أدناه، فما يغتر به غيره لا يعرف(٥) بسرا من هره(٦)، وغاية أمره أنه بحث على حلو المشتهى، وقد علمت

---

١) يشير الى قوله تعالى: "قال مامنعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين" الأعراف آية ١٢.
٢) بتربان اللعنة: م، والتربان: جمع التراب: والتربة، وفي ك: ببزقات اللعنة، وفي ح: ببوقات اللعنه. ويحتمل أن تكون ببزقات اللعنه. فالبزقان آفة تصيب النبات وهو مرض أيضا. وعلى هذا يكون المعنى رضى بآفة اللعنه. لم أجد للبرقات معنى مناسب.
٣) تاه: تكبر وترفع بنفسه.
٤) الخالق: ح، ك ٥) الفره: الغافل.
٦) "لا يعرف برا من هره". في هذا القول ثلاثة أقوال: أحدهما لا يعرف شيئا من شيء، والثاني لا يعرف من يبره ممن يكرهه، والثالث لا يعرف السنور من الفار. هكذا في هامش النسخه المخطوطة.

مرارة ذلك المنتهى ، ويكفى فى التحذير منه ، ماصدر الى المدم عنه وكيف يلتفت الى من رضى بهلاك نفسه ، واختار من كل أمر أقبح جنسه ، أترى من غراباك ينصحك ، ومن أفسد شأن نفسه يصلحك ، وكم قد وقعت لى معه واقعه حتى أقر لى بأننى (١) ياقمه ، فصاح أهل المجلس : حدثنا بعض ماجرى لك ، فكلنا يحبك ويرى لك ، فقال : أصحرت (٢) يوما وفجر الفكر قد أشرق ، فلقينى ابليس العدو الأزرق فتزاورت (٣) عنه فاذا به قد أطبق ، فيتكلم وما سلم فعلمت أنه أحمق ، قال : ويحك أتمشى وحدك قلت : الأسد لايفرق ، قال : قد عبقت الألسن بذكرك ، قلت : القلوب أعمق قال : فأنا لاأجد هذا ، قلت : حبين المشتنشق ، قال : تدعى العلوم ، قلت لصدقى أصدق ، قال : سترى طوفان جدالى ، قلت : عرج لاتغرق ، قال : فكأن جادتك (٤) صعبه ، قلت : تمشى تزلق ، قال : مثلك كثير ، قلت : على مهل لاتزعق ، قال : ما أكثر زحامك قلت : شرابى مروق ، قال : ماأنفق وعظك ، قلت : من لا يعدو (٥) مايلحق ، قال : يشتاقون الى كلامك ، قلت : وهو اليهم أشوق ، قال : عندك بزمصر ، قلت : مابزمصر بل أنفق ، قال : يشبهونك (٦)

---

١) البلقمة : الرجل الداهية والذكى العارف لا يفوته شىء .
٢) أصحرت : سرت فى الصحراء .
٣) تزاورت : تمايلت .
٤) الجادة : الطريق .
٥) يغدو : ح ، يغدوا : يبكر
٦) أنفق : أروج .

سحبان (١) ، قلت غلطوا بل أنطق ، قال : يحلفون بالطلاق ، قلت : مافيهم من طلق ، قال : المحنه أنك فصيح ، قلت : القمرى مطوق (٢) قال : أودعك ، قلت : ما أدعك أنت فى حبسى موثق ، قال : ماتريد منى ، قلت أحضر مجلس عمر فى المطلق (٣) ، قال : أشقيتنى بما قد سقيتنى ، قلت : مرادى أن تشرق ، قال : لآخذن التائبين من يديك ، قلت : مانقدر على موفق ، فولى يولول خيفة وصحت خلفه الى الف مطبق (٤) ، ثم نزل عن النهر يمشى فتبعته فى اللجب (٥) وقلت لقد ذكرت عن ابليس العجب ، فقال : ولو حضرت ماجرى على معه أمس ، فقلت : اجمع لى نور القمر وضوء الشمس ، فقال ماج المجلس بالتائبين وتحرك ، وكلما سكنت القلوب عاد الوعظ فحرك ، فصلح ابليس باضيف التخويف ما أحرك ثم سمع كلامى فى الوجاء فقال ما أظرف أحمق ، فقلت : هذه أدوية المرضى وأنت فى المجانين تترك ، ويلك اجلس فحدثنى ، قال أستخشن المبرك (٦) ، قلت اخبرنى خبرك وان كنت قد عرفت شرك (٧) ، قال : قد عبدت ربى طويلا ، قلت : ولكن ضيعت درك ، قال : فكيف ذلك ، قلت : نسحرت وقد أبصرت فجرك (قال صمت طويلا ، قلت) (٨) وأفطرت بشمس فهدمت أجرك علمت (٩) ثم

---

١) سحبان : من خطباء العرب وفصحائهم فى الجاهليه . وقد سبق التعريف به

٢) القمرى : ضرب من الحمام مطوق حسن الصوت .

٣) المطلق : الذى يتمكن صاحبه فيه من جميع التصرفات .

٤) المطبق : السجن تحت الأرض ، ومن الجنون : الذى يغشى صاحبه ويعمه

٥) اللجب محركة : الجلبة والصياح .

٦) استخشن المبرك : أى لا أستطيب المكان .

٧) سرك : ك .

٨) — : ح ، ك

٩) علمت : ح .

أرسلت على جيف الخلاف صقرك واها لذباب اللعنة (١) ما يقصد الا مقرك (٢)
قال : أنا فقير الى الرحمة ، قلت لأغنى الله فقرك ، قال :
ربما نالتني المغفرة ، قلت : ابسط حجرك ، قال : لاتطل المجلس
واقطع ، قلت : نعم ظهرك ، قال استرني لاتذكرني ، قلت :
لأهتكن سترك لأخرقن (٣) رقعة قمارك ولأريقن خمرك ، قال :
أنا أخرجت أباك فخذ مني حذرك ، قلت لآخذن بثأر أبي يارب نصرك
قال : أتطيق قتالي ، قلت : فانزل في المعرك ، قال : كل
ما فيهم من أشرك ، قال جميعهم فراخي قلت قد هجروا وكرك ، قال :
x من عندك ذو ذنب ، قلت : مخرجون وأفسدهم قلت : أخطأت حزرك
ماتابعوا الا صادقين فمن هنا استدرك ، يافضيل (٤) اكسر سيفك ، ياعتيبة (٥)
فتت زهرك ، يارابعة (٦) خرقي طبلك ، يا ابراهيم بن أدهم (٧) أحصد
بذرك ، يابن أسباط (٨) أسقف خوصك ، يابشر (٩) خذ مرك ، ياجنيد أين

---

١) ذئاب : ح ، م .
٢) المقر : وسط الدار
٣) لأخرين : ح ، ك .
٤) هو الفضيل بن عياض من كبار الزهاد ، سبق التعريف به .
٥) يحتمل أن يكون المراد عتبه الغلام وهو عتبة بن أبان بن صمعة من كبار زهاد البصرة وقد سمي الغلام لجده واجتهاده في العبادة لا لصغر سنه ، ولم يذكر ابن الجوزي تاريخ وفاته لكنه ذكر أنه قتل شهيدا في احدى الغزوات . (ج٣ ص ٣٧٠ ـ صفة الصفوة) .
٦) يريد رابعة العدوية رضي الله عنها . وقد سبق التعريف بها .
٧) سبق التعريف بابراهيم بن أدهم رضي الله عنه .
٨) الخوص : ورق النخيل وسعفه .
٩) ياشبلي : ح .

تعمك ، بابشر ماضرك ، فصاح ابليس : ما أبلغ وعظك ، قلت : سنهلى قد أفرك (١) ، قال : مالقيت مثلك ، قلت : كفانى الله شرك ، قال : أحمد ربك فقد نشر (بين الناس (٢)) ذكرك ، قلت : لاتخدعنى فانى أعرف والله مكرك ، فخرج من المجلس يعمن تفرك (٣) وأذنين تعرك (٤) وهو يقول لنفسه قل لى الى ذا المجلس من جرك ، فصحت به اجعل كل سبت علينا مقرك فقلت : أشهد أنه ماتنكش (٥) علمك ، فانعم على بمعرفة أسمك ، فقال الحجر على اليتم ولكن بكسر الحاء قبل الجيم (٦) فقلت : أظنك أبا التقويم فأمعن فى الاسراع وعن (٧) ، وتركنى أسأل ولاأدرى عن من .

---

١) أفرك الحب : نضج وحان له أن يفرك .
٢) بين التائبين : ح .
٣) تفرك : تمغض .
٤) تعرك : تدلك وتحك حتى تعفى .
٥) ماتنكش : ماتنزح ولاتغيض .
٦) يريد الحجر : وهو من أسماء العقل .
٧) عن الشئ المكان : توجه اليه .

"المقامة الثلاثون"

في المحبين

رأيت يوما أعرابا يرحلون الى بواديهم ، فشاقني وساقني ترنم حواديهم ، فتبعتهم ولا أريد الا البر الى أن وصلت الى البر (١) ، فمن فيه (٢) شيخ قد اقفعن (٣) فرأيت في البوادي أفانين الزهر (ترتح وتروح (٤)) ، وأرابيح الشيح تفوح ، والشيخ ينادي ياغافلين الصبوح ، فقلت : وقع عش الفراخ في الفخاخ ، ووقعت بعيشر رخي (٥) رخاخ ، فقلت له الكساد (٦) أفردك في البرية ، فقال : لابل فساد البريه ، ثم أنشد :

أوصاك ربك بالتقى ... وأولوا النهى أوصوا معه

فاختر لنفسك طول دهرك مسجدا أو صومعه

فقلت : مالي أراك كمود (٧) أراك ، فقال

وكم ناحل بين تلك الخيام تحسبه بعض أطنابها (٨)

قلت : ماهذا المرض ؟ فقال : عناء به مات المحبون من قبل .

قلت : ماأحر نفسك ؟ قال : ففي فؤاد المحب نار هوى

---

١) البر الأولى من أسماء الله عز وجل ، والثانية بمعنى الصحراء .

٢) عن الشيء : بدا وظهر .

٣) اقفعن : ك .

٤) ـ : ك

٥) رخي : لين ، عيشر رخاخ : رغد واسع .

٦) الكساد : ضد الرواج .

٧) الأراك : شجر من الحمض يستاك به . والمراد مالي أراك . الناحل الجسم .

٨) الأطناب : جمع طنب بضمتين وهو حبل طويل يشد به سرادق البيت أو الوتد .

قلت : ويحك ! ارفق بنفسك فقال : قد رضى المقتول كل الرضا ،
فلما رأى عذلي علاوة تأوة وصاح : لأحملن اللوم فيها والغرام
بها قلت : اشرح لي بعض أمرك ، لأكون مقيما لعذرك ، فقال : كنت
عزيز الهمة فرأيت محبوب الدنيا يفارق ولم تمض لي غير ليلة فرفضتها لانكشاف
عيبها فنضت لي(١) الأخرى نقابها فصاحت العاجلة بالنفس : سقى الله
أربعنا بالحمى ، فقلت : ألا لا أحب السير الا مصاعدا(٢) فلما ظننت
أني قد علقت بالكمال ، برز لي جلال ذي الجلال ، وكان فؤادي خاليا
قبل حبكم ، فأول أمر جرى ، جرى حبه مجرى دمي في مفاصلي ، فصار
ظلام الليل يسهرني نهارا كأن سهاد(٣) الليل يعشق مقلتي ، فالخلوة
عندي بالحبيب ،

قميص يوسف في أجفان يعقوب ، فقلت : صف لي أحوال الزهاد
والمحبين ، فان الموصوف بالوصف يبين ، فقال :

شم العرانين في آنافهم أنف ∴ عن القبيح وفي أعناقهم صيد(٤)

ثم التوى ومال ، ثم استوى فقال : صحبني مضوا فمد امعي منهلة
في أثر صحبي ثم أشاح وصاح :

وأين سكان الحمى من ولهي ∴ بعدهم سقيا لسكان الحمى

فقلت بالله عليك أين استقل الجيرة الغادونا ، فقال تغلسوا
من زرود وحثوا(٥) ∴ وحطهم لظلال الهان تهجير

---

١) نضت : خلعت وكشفت .
٢) تصاعدا : ح .
٣) السهاد : الأرق .
٤) هذا البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه .
٥) تغلسوا : ساروا وقت الغلس وهي ظلمة آخر الليل .

ثم بكى وناح ، وأنشد فعاشت الأرواح :

يا صاحبى سلا الأطلال(١) والدمنا(٢) .. متى يعود الى عسفان(٣) من ظعنا

أستودع الله قوما ما ذكرتهم .. الا تحدر من عينى ماخُزِنَا

أشتاقهم اشتياق الأرض وابلها(٤) .. والأم واحدها والغائب الوطنا

قلت : زدنى من شرح أحوالهم ، وأفدنى بذكر أعمالهم ، فقال :

لو سمعت أنين المحب قد سلأمداه الدجى يقول : ولو حملت صم الجبال الذى بنا ، فاذا أطمعه الرجاء قال : أسكان رامة هل من قرىً فيصيح به الخوف : وليست عشيات الحمى برواجع ، فيقول لسان الشوق على بعدك لا يصبر من عادته القرب ، فاذا لم يسق من التماسك كُبابه زادت(٥) عليه الصَبابه(٦) : باح مجنون عامر(٧) بهواه .

---

١) الأطلال جمع طلل وهو الشاخص من آثار الدار .

٢) الدمنا : آثار الدار والناس .

٣) عسفان : عين على مرحلتين . من مكه

٤) الوابل : المطر الغزير .

٥) زادت : ح

٦) الصبابه : البقية من الشيء ، والصبابه : الشوق أو رقته أو رقة الهوى .

٧) مجنون ليلى : هو قيس بن الملوح مزاحم العامرى .

شاعر غزل ، من المتيمين من أهل نجد . كان هائما بليلى بنت مهدى بن سعد العامرية ـ توفى سنة ٦٨ هـ .

(ص ٩ ـ ديوان مجنون ليلى ـ عبد الستار أحمد فراج) .

قلت : زدنى من أوصافهم ، فقال : صاحبهم أوصافهم ، نائبهم يقول : أعف عنى وأقلنى عثرتى ، ومفرطهم يصوت : ماضاع من أيامنا هل يغرم ، ومتعبدهم يتمثل : تريدين ادراك المعالى رخيصة (١) ، وباكيهم يستغيث : فضلت دموعى عن مدى حزنى ، وخائفهم يصيح : علمت ياهجر جنبى هجر مضجعه ، وحزينهم يهتف :

أسقيتنى دمعى وما يروى به ٠٠ ظمأى ولكن لاعدمت الساقى

ومتقلقهم ينشد : لاتهر عودا أنت ريّشته ، ومبلبلهم (٢) يرجع شجوا كشجوى ياحمام ساعدى ، والعارف يزمزم (٣) : ومابى الهان بل من داره الهان والمحب يترنم : وهبت السلو لمن لامنى ومشتاقهم تمنى : وعللانى (٤) بحديث حاجر ٠

ومضناهم يتنفس : الصبا ان كان لابد الصبا ، ومكمدهم (٥) يتأوه عندى رسائل شوق لست أذكرها (٦) ، ومنبسطهم يخاطر :

أنت النعيم لقلبى والعذاب له ، ثم خرج الشيخ من بيته يجول فى البر ، فقلت : ما أطيب قلب هذا البر ، واذا به يقول :

---

١) هذا صدر بيت أبو الطيب المتنبى وجماعة :
تريدين ادراك المعالى رخيصة ولابد دون الشهد من ابر النحل ٠
٢) المبلبل : المهيج ٠ يقال : بلبلهم بلبلة وبلبالا : هيجهم وحركهم ٠
٣) الزمزمة : الصوت البعيد له دوى ٠ وتراطن العلوج على أكلهم وهم صوت لا يستعملون لسانا ولا شفه لكنه صوت تديره فى خبا شهمها وحلوقها ٠
٤) عللانى : شاغلانى ٥) المكمد : الحزين والمتغير لونه حزنا
٦) هذا صدر بيت الشريف الرضى وهو :
عندى رسائل شوق لست أذكرها ٠٠ لولا الرقيب لبلغتها فاكى ٠
ص ١٠٩ ـ الشريف الرضى ـ بقلم محمد عبد الغنى حسن ـ دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٠ م ٠

وأخرج من بين البيوت لعلني ∴ أحدث عنك النفس يالبل خاليا
يمينا اذا كانت يمينا وان تكن ∴ شمالا ينازعني الهوى من شماليا

فجعلت أمشي خلفه (١) احفظه في المسالك ، فأحفظه (٢) مني ذلك ، فقال :

دعوني ونعمان الأراك أروده ∴ يجاوب صوتي طيره المتناوحا
هسي سانح (٣) من دارمية يامنٌ ∴ يُقَيِّض (٤) لي عن شائم طار بارحا

فسمع صوت حمامة على شجرة ، فرأيت من قلقه مالم أره ، وجعل يجول ويقول :

وشت حمامة سلع في الأراكة بي ∴ كأنما عندها من لوعتي خبر

ثم رجع فرجع :

حمامة الواد بين الخبر ∴ أعرسوا (٥) بالفراة أم عبروا

ثم عاد وأعاد :

أحب البانة الفنناء ∴ ذات الظل والليـن
وأستحلي بها الأوراق ∴ في الصبح تغنيني
لها أنة مشتاق ∴ وترجيعة محزون

ثم أخذ يقول : تعلة وقوفنا بطلل وضله شؤ النا لصلد (٧) ، ثم قال :

---

١) حوله : ح ، ك
٢) أحفظه : أغاظه .
٣) السانح : طائر أو ظبي وغيرهما ، مر من ميامنك الى مياسرك فولاك ميامنه . والعرب يتيمنون به والبارح عكس ذلك .
٤) يقيض : يبدل .
٥) أعرجوا : ح ، ك .
٦) البان : شجر معروف .
٧) الصلد ويُكسَر : الصلب الأملس .

اقبضى النوح حمامات اللوى ∴ هيهات ماعند اللوى ماعندى

فلاحت له أشخاص سانحين (١) ، ففدا يصيح خلف الرائحين :

عرضابى ركب الحجاز أسائله ∴ متى عهده بأيام جمع (٢)

فلما سلموا صاح :

خبرونى عن العقيق خبيرا (٣) ∴ أنتم بالعقيق أقرب عهدا (٤)

فقالوا عما ذا تسأل ؟ فقال :

هل روضت قاعة الوعساء (٥) مطرت ∴ خميلة الطلح (٦) ذات البان والغار (٧)

وهل أبيت وداري عند كاظمة ∴ داري وسمار ذاك الحي سماري

ثم قال : أين كنتم ؟ قالوا : كنا فى زيارة اخواننا بالقدس ، تنازعنا (٨) هناك كؤوس الأنس ، فقال :

ألا لاتذكرنى الحمى ان ذكره ∴ جوى للمشوق المستهام المعذب

أتت دون ذاك العهد أيام جرهم (٩) ∴ وطارت بذاك العيش عنقاء مغرب (١٠)

فأخذوا يتشاكون مالا أعلمه ، ويتباكون مالا أفهمه ، فلما رأيت جزعهم قد آذى ، قلت : هذا كله لماذا ؟ فقال :

---

١) سائحين : ح ، ك .

٢) أيام جمع : أيام منى

٣) العقيق : عين بالمدينة .

٤) أحدث عهدا : ح ، ك .

٥) هل روضت : هل صارت فى قاعة الوعساء روضة . والروضه .

والريضه من الرمل والعشب : مستنقع الماء لاستراضة الماء فيها .

والوعساء : رابية من رمل لينة تنبت أجود البقول .

٦) الطلح : شجر عظام ترعاه الابل ، والطلح أيضا : الموز .

٧) الغار : شجر عظام له دهنية .

٨) تنازعها : تناولنا .

٩) مضت : ح .

١٠) عنقاء مغرب : طائر متوهم لا وجود له .

دع الهوى لأناس يعرفون به ∴ قد مارسوا الحب حتى لان أصعبه

بلوت نفسك فيما لست تخبره ∴ والشيء صعب على من لا يجربه

افن اصطبارا وان أستطع جلدا ∴ فرب مدرك أمر عز مطلبه

أحنو الضلوع على قلب يحيرنى (١) ∴ فى كل وقت ويهيبنى تطلبه

تناوح الريح من نجد يهيجه (٢) ∴ ولامع البرق من نعمان يطربه

فقلت كيف الطريق الى هذه الطريق ؟ فقال : يا طفلا فى حجر العادة ، محصورا بقماط (٣) الهوى مالك ومزاحمة الرجال يامخنث المزينة لقل مافى الرقعة البيدق (٤) ، ولما نهض تفرزن فودعوه وذهبوا ، ولا أدرى أى وجه طلبوا ، فرجع الشيخ حزينا متقلقلا ، يقول فى بكائه على المحمد القلى فارقتهم والعين عين بعدهم والقلب قلب.

فالعين لا يرقى لها غرب (٥) ∴ كأن العين غرب

ماكنت أحسب أننى ∴ جلد على الأرزاء صعب

أو أننى أبقى وظهرى ∴ بعد اقرانى أجب (٦)

ما أخطأتك النائبات ∴ اذا أصابت من تحب

---

١) يعنينى : ب ، م .

٢) النعمان : وادى وراء عرفه وهو نعمان الأراك .

٣) القماط : الحبل والخرقة التى تلف على الصبى .

٤) المراد بالرقعة رقعة الشطرنج ، والبيدق : الجندى الراجل ومنه بيذق الشطرنج .

٥) الغرب الأولى : الدمع ، والثانية : الماء الذى يقطر من الدلو بين الحوض والبئر .

٦) أجب : مقطوع وأصل الجب قطع السنام .

ثم جعل يبكي ويعدد ، ويترنم ويردد :

بأبي اخوة ترحلت عنهم ∴ فترحلت عن سروري وأنس

فارقوني فارقوني واذكروا ∴ شعل الوجد في خواطر نفسي

فجعلت أسلي في حاشيته ، وعرفت أنه لم يقم بعيته فمضيت باكيا على نفسي من تلك الأماكن ، أقول أما هؤلاء من جنسي ولكن :

(بذا قضت الأيام مابين أهلها) (١) .

---

١) ـ : م

هذا صدر بيت أبي الطيب المتنبي وعجزه :

بذا قضت الأيام مابين أهلها ∴ مصائب قوم عند قوم فوائد .

"المقامة الحادية والثلاثون"

في التعازي

درج (١) لبعض اخواننا ولد ، فدرج القوى والجلد ، وكان طفلا لم يبلغ طفلة الغسق (٢) ، فعسق (٣) حزن لميته بباطن الفحث (٤) فاحترق ، فاذا اخوانه عزون (٥) يعزون ، وهو لا يلتفت الى من يعزى ويقول ذهب جاهي وعزى :

وأعددته للنائبات ذخيرة ∴ فأضحى أجل النائبات وأفظعا

وبعدك لا آسى على فقد هالك (٦) ∴ مضيت فهونت المصائب أجمعا

وقبلك ما أخشاه جهدي ولم أطق ∴ لرد قضاء الله اذ حل مدفعا

وبعد خلوعي عصبة مستكنة ∴ مجاورة قبلها مذكرك موجعا

ثم جعل يتململ ويتمثل :

لئن كنت ملهى للعيون وقرة ∴ لقد صرت حزنا للقلوب الصحائح

وهون وجدك أن يومك مدركي ∴ وأني غدا من بعض أهل الضرائح

ثم يستريح ويصيح :

---

١) درج : مات .

٢) طفلة الغسق : قرب الغروب . وقوله لم يبلغ طفلة الغسق : كناية عن صغره .

٣) عسق : لزم

٤) الفحث : الجوف .

٥) عزون : جماعات في تفرقة .

٦) لا آسى : لا أحزن .

كنت المسود لناظري ∴ فعليك يبكي الناظر

من شاء بعدك فليمت ∴ فعليك كنت أحاذر

ثم يجول ويقول :

فان يطق انتزاعك من يدي الموت ∴ فلن يطق الموت انتزاعك من فكري

وان تمحو المحاسن بالبلى ∴ فانك محفوظ المحاسن في صدري

فلا وصل الا بين عيني والبكا ∴ ولا هجر الا بين قلبي والصبر

فقلت له : يا أخي تهلك ولا تدري ، فقال لي : ما أملك أمري ، فسل لي عن من يسلي وأنشد :

بم أنس وقد فجعت بأنس ∴ أعزي نفسي بفرقة نفسي

ولد زين المهنين والملـ ∴ ـطاهر الجيب (١) ذكره غير منسي

أخذ الموت عدتي للمسرا ∴ ت وسيفي على المداة وترسي (٢)

كان غرسا يرجى له الثمر الـ ∴ ـزاكي فياحسرتي ولهفي لغرسي

أسفي للوضيع أحسن ماكا ∴ ن ارتوى من لبان ستم ونكس

مات من كنت ميتا من حذاري ∴ أن أرى ما رأيته فيه أمس

ولو أني استطعت فرقت للحسـ ـرة والوجد بين كفي وخمسي

لا سبيل الى البقاء لخلق ∴ غلب الموت كل جن وانس

جبل الخلق أولا أولا يبلي ∴ وتفني النفوس في حسن مس

---

١) الجيب : القلب والصدر .

٢) الترس من السلاح : ما يتوقى به .

فبعثت الى أبى التقويم وقلت هل لك فى أجر عظيم ، فجاء فجلس بين الجماعة وقال : الشجاعة صبر ساعة ، ثم أشار الى صاحب المصيبة وقال : لسمعها عجيبة :

فان كنت تبكيه طلبا لنفعه ∴ فقد نال جنات الخلود مسارعا

وان كنت تبكى أنه فات عوده ∴ عليك بنفع فهو قد صار شافعا

ثم قال : اذا قيس الجزع بالصبر فالصبر أولى ، غير أنه انما يكون عند الصدمة الأولى (١) :

اذا لم (٢) بك الأمر (٣) ∴ فكن بالصبر لوّا ذا

والا فانك الأجر ∴ فلا هذا ولا هذا

الجزع (٤) لا يرد الفائت ، ولكن يسر الشامت (٥) ، ثم انه زيادة فى العذاب ، لأنه مصاب يضاف الى مصاب ، وأنشد :

المرء (٦) نصب مصائب ماتنقضى ∴ حتى يوارى جسمه فى رمسه

فمؤجل يلقى الردى فى غيره ∴ ومعجل يلقى الردى فى نفسه

وهل يرجو الذى يطول عمره الا أن يختل أمره ؟

من يتمن العمر فليتخذ ∴ صبرا على تفقد أحبائه

ومن يعاجل يرو فى نفسه ∴ مايتمناه لأعدائه

---

١) هذا من حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم : " انما الصبر عند أول صدمة " . أخرجه مسلم جـ ٢ ص ٦٣٧ ـ ترتيب فؤاد عبد الباقى ، وأخرجه الترمزى جـ ٣ ص ٣٠٤ طبع مصطفى ؟ .

٢) ألم : نزل ؟

٣) اذا طالمك الكرة : ح ، ك

٤) الجزع : نقيض الصبر .

٥) الشامت : الفرح ببلية العدو .

٦) النصب : العلم المنصوب .

ثم قال : في المصائب نعم ، وانما تخفى على النعم ، توقظ الغافل للعبر ، وتنبه الواحل بمن عبر ، وتحصل الثواب لمن صبر :

اصبر لما يأتيك من خطة[1][2] ∴ فهي سواء والتي ولت

وارهف الصبر فليس الظبا ∴ تمضي وتفرى كالتي كلت

ثم التفت فرأى بكاء المصاب قد تشدد ، فأنشد :

قد آن للصبر أن ترجى مثوبته ∴ ومولع بهمول الدمع[3] أن يدعا

فقد الشفيق غرام ما يرام وفي[4] ∴ فقد التجمل[5] وهن[6] يعقب الظلما[7]

كلاهما عب مكروه اذا افترقا ∴ وكيف يلقيهما الموهى اذا اجتمعا

ليس المصيبة في الثاوى مضى قدرا[8] ∴ بل المصيبة في الباقي هفا جزعا

ان البكاء على الماضين مكرمة ∴ لو كان ماض اذا بكيته رجعا[9]

صعوبة الوزء تلقى في توقعه ∴ مستقبلا وانقضاء الوزء ان نفعا

وهم ونحن سواء غير أنهم ∴ أضحوا لنا سلفا نمضي لهم تبعا[10]

---

١) صابتك : ح

٢) الخطة : الأمر أو الحالة .

٣) همول الدمع : فيضانه . يقال همات العين همولا : فاض دمعها .

٤) الغرام : الولوع والشر الدائم والهلاك والعذاب .

٥) التجمل : ح

٦) الوهن : الضعف

٧) الظلع : الضعف والعيب والمشي فيه غمز .

٨) الثأى : ح ، والثاوى : الميت .

٩) أبكيته : ح ، م .

١٠) نمضي : ح .

فقال له صاحب المصيبة : لقد نفعتنى بما أسمعتنى ، ولقد كنت فى حضيض الجزع فرفعتنى ، فزدنى من فصيح لفظك ، لأشتغل بصبح (١) وعظك فقال : اعلم أن الهبات ذاهبات ، والليالى متناهبات ناهبات ، أين الذين كانت الألسن تهذى بهم ، لتهذيبهم ، فأصبحت فلك الاختبار تجرى بهم لتجريبهم ، أقامت قيامتهم منادى الرحيل ، لتفرى بهم ، لتفريقهم (٢) فهاتوا فى القبور وحدانا (٣) لا أنيس لغربتهم أين أهل الوداد الصافى فى التصافى ، أين الفصيح ان شاء أنشأ اذا أنشأ فى القول المشافى (٤) أين قصورهم التى تضمنها مديح الشعراء صار ذكر القوى فى القوافى ، لقد نادى الموت أهل العوالى (٥) والقصور العوالى الشوافى ، تأهبوا لقدومى فكم غرثان (٦) طوى فى طوافى ، رحل ذو المال وما أوصى فى تفريق كدر أو صافى ولقى من أمره أمرا مرا لا تهلفه أو صافى ، ذاقوا طعام الآمال فأنتزع من أفواههم يوم المآل وعاد الخوى (٧) فى الخوافى ، عوى فى ديارهم ذئب السقام (٨) لتكذيب العوافى ، انقطعت آمالهم وصار كل ألمنى فى رفع المنافى (٩) تزلزل ود أحبابهم والتوى وفت التوى فى التوافى (١٠) (١١) تالله لقد نال الوجود

---

١) ناقص من نسختك من هنا حتى قوله : " انها لعجوز وهى فى عينيك كالقمر .

٢) تفرى بهم : تولعهم وتحركهم ، تفريقهم الثانية : تذهب بهم .

٣) وحدانا : مفردين .

٤) الصافى : م ٥) العوالى : الرماح .

٦) الغرثان : الجائع .

٧) الخوى : الخلو من الشىء يقال خويت الدار : خلت من أهلها . والخوى : خلو الجوف من الطعام .

٨) السقم : المرض . ٩) المنافى : بقية الأشياء . والمراد أن آمالهم انقطعت من الدنيا وهم يتمنون أن ترفع عنهم سيئات أعمالهم التى أعتبرت كالمنافى .

٩) التوى : الهلاك ١١) التوافى القوم التمام . يقال توافى القوم أى تناموا

والهلى ما أرادا منهم وألفيا فى القيافى ، وآلت عبورهم الى الخراب أولا ، فلا يدرى أهذا قبر المولى أولا ، وهم سواء فى السوافى (١) ، كم أعرضوا عن نصيح ورفضوا ماقد تلافى التلافى ، كم ندموا على ضياع زمانهم الذى خلا فى خلافى ، كم رأيت عاصيهم قد أعرض عنى الى عدوى والتجى فى التجافى ، أما أخبرتهم بوصف النار أنها " نزاعة للشوى (٢) " فى الشوافى ، فاعتبر بحالهم فانه يكف كف الهوى وهو الوعظ الكافى ، أيها العاقل (٣) التفت عما لديك شغلا بما بين يديك ، وانظر لنفسك وما عليك ، فقد دنا ذاك الرامى قبل تصويب المرامى ، اليك اليك اليك ، فقال المصاب : سلبتنى أجزل الله جزاك ، فقال زاد الله صبرك وأحسن عزاك ، فقال : أيها الشيخ عد الىّ غدا وهو الثالث ، فكلامك يلهى عن المصاب والمثالث ، فبكر الشيخ واجتمعنا ، وأخذ فى الكلام واستمعنا ، فقلنا : اجعله اليوم مجلس تذكير وأوقد على حديد قلوبنا فى كير (٤) ، فقال : من لا ينسى اهلاك الموت لا ينسى استدراك الفوت ، لو ذكرتم أنكم تبادون ، ماكنتم بالمعاصى تبادون ، لقد صوت بكم الحادون ، وما كأنكم للموت ترادون (٥) واعجبا تصادون (٦) المواعظ ولا تصادون الى متى تراوحون الذنوب وتغادرون

---

١) السوافى : الرياح التى تسفى التراب .

٢) هذا من قوله تعالى " : كلا انها لظى (١٥) نزاعة للشوى (١٦) المعارج

٣) أيها الغافل : ح ، م .

٤) الكير : جهاز من جلد أو نحوه يستخدمه الحداد وغيره للنفخ فى النار لاشعالها .

٥) كأنكم للخير ترادون : ب ، ز ، م .

٦) تصادون : تلوون وتتمرضون .

يامقيمين وهم حقا غادون ، أتعادون من يقول انكم تعادون ، كانكم بكم وأنتم تغادون الى مقام فيه تتصادون (١) ، أما سمعتم كيف نادى المنادون كل شيء دون المنى دون (٢) ، قلنا : زدنا زاد الله زادك ، فقال : الدنيا مجاز والأخرى وطن والا يطان فى الأوطان أوطا (٣) ، فقال : قائل قد قتلنى حبها ، فقال : انها لعجوز وهى فى عينك كالقمر ، وقد قمر (٤) هواها قلبك فما أبقى منه الا قلب قمر (٥) ، ويحك ! ماخلقت للدنيا رفيقك قيسي وأنت يمانى ، والله لو كنت من رياشها (٦) أكسى من الكعبة لم تخرج منها الا أعرى من الحجر الأسود ، فقال : قاتل الأمل قد أهلكنى ، فقال : ماقتل أحد بأحد من سيف سوف ، ثم صاح : يامهلين النظر فى العواقب سلفوا وقت الرخص فما يؤمن تغير السعر (٧) ، فقال قائل : كم أعد نفسى بتوبة ولا أفى ، فقال : وعدك بالتوبة كذب الصناع (٨) ، ومقدار ثبوت عزمك تهاجر العشاق ، فقام شاب يبكى فقال : العمل على بكا قلبك فان اخوة يوسف (جاءوا عشيا يبكون (٩)) مراكب البحار لاتفتر من الريح بزوبعة ، فقال الشاب : دلنى فلعلى ، فقال : انضج النية (١٠) واحلل عقد الاصرار واحكم عقد

---

١) تغادون : أى توقدون .
٢) دون : حقير
٣) أوطى : أوفق
٤) قمر : خدع
٥) قلب قمر : قلب مخدوع
٦) الرياش : اللباس الفاخر
٧) أى استغلوا أيامكم واعملوا صالحا قبل أن تتغير الأحوال واقرضوا الله قرضا حسنا " ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم " ٠ التغابن آية ١٧ ٠
٨) يشبه من يعد نفسه بالتوبه ولا يفى بالصانع الذى يكذب لترويج سلعته ٠ ويقال فى المثل : " أكذب من صانع " ٠
٩) " وجاءوا أباهم عشاء يبكون " ٠ يوسف آية ١٦ ٠
١٠) انصح : ح ٥ م ٠

التوبة واغض عينك عن عينك (١) فرب نظرة تنظر (٢) ، واستوثق من لسانك بقفل الصمت فانه متى لم يكن لجام اللسان خزامة (٣) رمى الكجاوة (٤) ومن فيها ومتى رزقت يقظة فضنها في بيت عزلة فان أيدي المعاشرة نهابة واعلم أن بقايا الشهوات متبرجات في أسواق الهوى يتشبثن بأثواب الطماع ، فمن خرج من الزهاد عن ديار العزلة خاطر بدينه وأنشد :

حذار عليها أعينا بدوية ∴ بطيل فتورا في العظام فتورها

وانتهب الزمان في فعل الخير فان موهبة العمر مسترجعة بالأنفاس حتى تستوفي ثم أب للذهاب (٥) ، فعرضنا عليه الأذهاب (٦) فأسرع في خطواته وأجرى ، يقول "لا أسألكم عليه أجرا" (٧) .

---

١) عينك : ذاتك .

٢) رب نظرة لم تنظر : ح

٣) الخزامة : حلقة من الشعر ، توضع في ثقب أنف البعير ، يشد بها الزمام . ويقال : جعل في أنف فلان الخزامة : أذله وسخره .

٤) بحثت فلم أجد تعريف لهذه الكلمة .

٥) أب : تهيأ

٦) الأذهاب : جمع ذهب .

٧) هذا من قوله تعالى : " ياقوم لا أسألكم عليه أجرا ، ان أجري الا على الذي فطرني أفلا تعقلون " . (هود آية ٥١) .

* المقامة الثانية والثلاثون *
في ذم البخل (١)

==========

كنت قليل الصبر عن زيارة المشاهد ، كأنني عند القبر لصاحبه مشاهد ، فقوي توقي (٢) الى ابراهيم بن أدهم (٣) ، فامتطى شوقي اليه الأدهم (٤) ، فخرجت من بنية المنصور ، بنية بلدة صور ، فاعتنقت المشقة اعتناق الأحباب بالبديهين الى أن انطبقت بعد بعد المشقة (٥) مع ركاب البحر فلاح مركب فامتطينا عيدانه (٦) ، فسرنا في ريح ريدانة (٧) ، ثم انقلبت فصارت زفزافة (٨) ، فقويت علينا المخافة ، ثم تذاءبت (٩) فعادت هجوما (١٠) ، وسجى الدجى (١١) فما نرى نجوما ، فما مضى قطع من الليل حتى صار المركب قطعا ، وافترق الركاب في شنيع الغرق شيعا ، فأمكنتني ساجة (١٢) فصعدت عليها ، وسعدت اذ وصلت دون فسيري اليها ، فألقتني بعد أيام الى جزيرة (١٣) ، فتمنيت وأني لي لقمة أو خزيرة ، فرأيت هناك من الأطيار الغريبة ، والمخلوقات العجيبة ، ما آنسني وأنساني المصيبة فتكلمت ببغاء فقالت (١٤) : ماتبغي ؟

---

١) في ذم البخل ومدح الكرم : ح ٢) توقي : شوقي .

٣) ابراهيم بن أدهم من كبار المتصوفين . وقد سبق التعريف به .

٤) الأدهم : الأسود ويكون في الخيل والابل وغيرهما .

٥) الشقة : ح ، ك ، م . ٦) عيدانه : خشبه .

٧) الريدانه : اللينه ٨) الزفزافة : الشديدة .

٩) تذاءبت : اختلفت جهاتها (مهابيبها فهي تأتي تارة من ها هنا وتارة من هاهنا .

١٠) الهجوم : التي تشتد حتى تقلع البيوت

١١) سجى الدجى : دام الظلام ١٢) الساجه : الخشبه والجمع ساج . وهو خشب يجلب من الهند . ١٣) فتمنيت وأني لي لقمة من حريره : ح

والحريرة : دقيق يطبخ بلبن أو دسم . والخزيرة : حساء من الدسم وايضا شبه عصيدة بلحم وبلالحم عصيدة أو مرقة من بلالة النخالة .

١٤) ماتبغي : ماتطلب .

قلت : من طلب قدر قوته فما يبغى (١) ، فقالت : ها هنا شيء من الأشياء فتناول منه ماتشاء ، فارتقيت فى الكرانيف (٢) الى البسر (٣) وقد أشقح (٤) ، فالتقطت منه عشرين بسرة أو أصلح ، وجعلت أتأمل محاسن تلك الخلق ، وانظر اليها نظرة ذى علق (٥) ، فقالت المتكلمة : مخالطة جنسك أولى أولا ؟ فقلت: ومن أين لنفسى ، رؤ يتجنسى ، فقالت : سر يمينا تمام يومك ، وقد وصلت أمينا الى قومك ، فمشيت خطوات واذا قاع قرقوس (٦) (٧) سربخ (٨) واذا الأرض بيهماء (٩) صرماء (١٠) هوجل (١١) الا أنى كنت مستأنسا فيها بما ألقى من الحيوان والجماد الملقى ، وكنت أسمع من أرنان الأصوات ماليس له نظير ، فان شبهته فبالعيدان (١٢) والمزامير ، ورأيت فيها أشخاصا على هيئة النسوان ، وشممت ريح المسك يفوح من الغزلان ، والعنبر ينفح والكافور فى الأغصان فبينا أنا أستبين الآثار بان لى بنيان ، فدخلت مدينة حصينة ، وأبنية رصينة (١٣) ، واذا منبر عليه عالم (وبين يديه عالم) (١٤) ورئيس البلدة حاضر ، وكان حزر بمال (١٥)

---

١) مايبغى : مايظلم .
٢) الكرانيف : أصول السعف الغلاظ الواحدة كرنافة .
٣) البسر : التمر قبل ارطابه .
٤) الأشقح : تغير الى الحمرة .
٥) نظرة ذى علق : ذى محبة .
٦) القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنهنا الجبال والآكام .
٧) قرقوس : مستوى
٨) السربخ : الأرض الواسعة .
٩) البيهماء : الفلاة لا يهتدى فيها
١٠) الصرماء : التى لا ماء بها .
١١) الهوجل : التى لامعالم بها .
١٢) العيدان : جمع عود وهو من آلات العزف
١٣) رصينة : محكمة ثابتة .
١٤) ـ : ح
١٥) حزر : ح ، م ، وحزر : قدر ، حرز : تحسن وحاز .

وافـــر ، فوقفت مكانـــى ، وقلـــت لاخوانـــى : ياقوم انى جائع ، والجوع مـــن احدى الفجائـــع ، ولعلـــى قد كنت أشبع كل يوم ألف جائع فقال المذكـــر : رحـــم اللـــه من واســـى . فما ســـمح (١) أحد منهم رأسا (٢) ، فقـــال الشيخ : الأيام صحائـــف الأعـــــار فخلدوها أحسن الأعمال ، الفرص تمر مر السحـــاب ، والعجـــــــز عن استدراكها شأن الخوالف (٣) ، ثـــم عرض المذكر بالرئيـــس ، فجعل يذم الخسيس:

يجنى الغنى للئام لو عقلـــوا ∴ مالـيس يجنى عليهم العـــدم

هم لأموالهم ولســـن لهـــــم ∴ والعار يبقى والجرح يلتئـــم

ثم قال : قد حركت بتحريضى كل مساكن ولكن كف البخيل كمك قميـــد (٤) (كفت (٥)) كفـــه شلت ، شـــلا ماينفتق منه غـــرزه ، يحرق جسمـــه كله الا اليد ؟ــ

ومن يجعل المعروف من دون عرضه ∴ يفره ومن لا يتقى الشتم يشتم

ومهما تكن عند امرئ من خليقـــة ∴ وان خالها تخفى على الناس تعلم (٦)

ثم قال : البخيل فعل لازم (٧) لا يتعدى ، يجمع الدراهم ، جمع الثريـــا (٨) والأقـــــدار تفرقهـــا كبنـــات نعـــش (٩) .

---

١) سمح : جاد وكرم .

٢) يحتمل أن يكون رأسا بمعنى فورا وسريعا يقال : استجاب للأمر رأسا أى سريعا .

٣) الخوالف : النساء

٤) ولكن قيد البخيل كمك : ح يبدو أن الجملة فيها نقص واضطراب .

٥) ـــ : ح ، ك .

٦) هذان البيتان للشاعر الجاهلى زهير بن أبى سلمى .

٧) يقول : البخيل كالفعل اللازم أى أن البخيل يبقى محصورا فى نفسه لا يتعدى أثره الى غيره .

٨) الثريا : مجموعة من النجوم قيل سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها فكأنهـــا كثيـرة العدد بالاضافة الـى ضيق المحل ، لا يتكلم به الا مصغرا . وهو تصغير على جهـــة التكبيـــر .

٩) بنات نعش : سبعة كواكب تشاهد جهة القطب الشمالى ، شبهت بحملة النعش .

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله ∴ مخافة فقر فالذى فعل الفقر (١)

ثم قال وقال :

مال البخيل أسير تحت خاتمه ∴ فليس يطلق الا يوم مأتمه

ثم أشار الى الغنى الغبى بالمقول ، وذاك لجهله لا يدرى ما يقول :

أظاعن أنت أم مقيم ∴ يا أيها الموسر المعديم

أنت لعمرى خراج قوم ∴ مسترق من هجاك جيم

ثم قال : يافتى اذكر قصتك - فما انكر غصتك ، فقلت : عرفت ابراهيم بن أدهم وصبره ، فأحببت أن ألمس وأشم قبره (٢) ، فركبت مركبا قد أحكمه صاحبه وشيد فانكسر ، فخرجت والجوع قد قيد ، والعرى قد أسر والآن ففى فخ الفقر الذى أسلمنى قد وقعت ، ونسد منى ماند منى على ماصنعت :

لئن سلمنى الله ∴ وبالنجح تولانى

وأوطأنى (٣) أوطانى ∴ وأعطانى أعطانى (٤)

وأخلى زرعى الدهر ∴ وخلانى وخلانى

فانى لا أجد العو ∴ د ماكر الجديدان (٥)

وان عدت لها يوما ∴ فسجانى سجانى

---

١) هذا البيت للمتنبى وهو من قصيدته التى يمدح بها على بن أحمد بن عامر الأنطاكى ومطلعها :

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر وحيدا ، وماقولى كذا ومعى الصبر

جـ٢ ص١٤٨ - التبيان فى شرح الديوان لأبى البقاء العكبرى) .

٢) الشم : أقبل .

٣) أوطانى : مخفف أوطأنى ، أوطأنى : أى جعلنى أوطأ أوطانى .

٤) أعطانى : أوطانى وأصلها مبارك الابل حول الحوض ومرابض الغنم حول الماء .

٥) الجديدان : الليل والنهار .

فقال الشيخ : ويحك ! ماء الوجه فى أى اناء وضعته أضعته ، فهلا صرفته الى من بالجود عرفته ، سر معى الى المنزل أواسك ، ويكون راسى حين انزل معك راسك ، ثم هم بالنزول عن المنبر غضبا على جماعته فجعلوننى سببا وقالوا نحن فى شفاعته ثم رمى كل منهم الى ثوبا من ساعته ، وقالوا للشيخ كلامك حير العقول ، فما فهمنا ملتقول ، فقلت قد علمت أنى اليك شفيع ومازلت لك بالصنيع ، فقال الشيخ : كنت عزمت لما جرى من حالك أن لا أجلس ، والآن لسؤ الك أتم المجلس يابنى أسمعت قصة ابن أدهم ، من عالم يفهم ويفهم ، فقلت : بالأخبار أخبر وأنت الصديق اذا أخبر ، فقال : ركب يوما لطلب الصيد ، وهو لا يعرف عمرو العلى من زيد ، فرماه سهم حظه عن قربوسه (١) وبوسه ، أمرضته التخم فاستلذ طعم الجوع ، طال عليه انتظار اللقا فصار ناطور (٢) البساتين ، مر به جندى فقال : ناولنى عنبا .

فقال : ما أذن لى صاحبه ، فضربه بالسوط فجعل يطأطىء رأسه ويقول اضرب رأسا طال ماعصى الله .

من أجلك قد جعلت أرضا ∴ للشامت والحسود حتى ترضى

مولاى الى متى بهذا أحظى ∴ عمرى يمضى وحاجتى ماتقضى

---

١) القربوس : حنو السرج .

٢) الناطور : حافظ الكرم والنخل .

لو قطعنى الغرام[1] اربا اربـــا ∴ ماازددت على الملام الا حبـا

لازلت بكم أسير وجد صبـــا ∴ حتى أقضى على هواكم نحبـا

ثم قال : يابنى اذا أراد القدر شخصا هتف به وهو فى غفلتـه ، ودله وهـــو المدلـه[2] فى حيرتـه[3] ، وليس الحسن من كسب الحسنا ، " ان الذين سبقت لهم منا الحسنى "[4] ، لما شق ختام نافجـــة[5] النبـوه فملأت الأرض ريحها استنشقها أهل العافيـه ، فوصلت الى خياشيـم سلمـان[6] فى فارس ، وصهيب[7] فى الروم ، وبلال[8] فى الحبشة ، وكان ابـــن أبـى[9] مزكومـا ، فما نفعـه قرب الدار ، ثم قال : الصفاء والكدر فـــى أصل الوضع ، ضعف عين الخفاش ليس برمد ، وحـدة ناظـــر الهدهـــد

---

١) الغرام : الولـــوع ٢) المدلـه : الساهى .

٣) وهو فى المذلـة فى حيرتـه : ح .

٤) " ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون . الأنبياء آيـه ١٠١ .

٥) النافجـة : وعاء المسك . معرب .

٦) يريد سلمان الفارسى رضى الله عنه . وقد سبق التعريف بـه .

٧) سبق التعريف بصهيب الرومـى رضى الله عنه .

٨) هو بلال بن رباح الجيشى أبو عبد الله ، مؤذن رسول لله صلى الله عليه وسلم وخازنه على بيت المال ، أحد السابقين للاسلام . وفى الحديث : " بـــلال سابق الحبشـه " . توفـى فى دمشق سنة ٢٠ هـ . (جـ١ص٤٣٤ ـ صفـة الصفـــوة) .

٩) هو عبد الله بن أبى بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجـى أبو الحبـــاب المشهور بابن سلول ، رأس المنافقين فى الاسلام من أهل المدينة ، كـــان سيد الخزرج فى جاهليتهم وأظهر اسلامه بعد وقعة بدر ، توفى سنـــة ٩هـ (جـ٤ ص١٨٨ ـ الأعـــلام) .

خلقه ، قلت : فقد بطلت اذن الحيل ، فقال : ماسكت(١) الأمر بالعمل اعملوا وسددوا وقاربوا(٢) فكل ميسر لما خلق له ، ثم نزل بهوله(٣) فهرول ، فتبعته لقوله الأول ، فتأملته فاذا أبو التقوم ، فتداخلني سرور عظيم ، فقلت: ياسيدي ما الذي رمى بك الى هذه الجزائر ؟

فقال : أسلك في طوافي منهاج زائر ، فانهى العصاة عن ركوب الجرائر(٤) وأصف للقلوب الحوائر معاملات السرائر(٥) ، وأعلم الناس أن بين الدنيا والأخرى مابين الضرائر . قلت : ياسيدي ما أحسن ما يكون كلامك حين تذكر الصالحين . فقال : أشعر الناس امرؤ القيس اذا غضب ، والنابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب ، والأعشى اذا طرب(٦) ، ثم قال : سر فوصلنا الى حفشه(٧) ، فلما دخلنا قال سر فلانفشه ، ثم قدم رغيفين لي وله ، وكان طيب القلب لي وله ، فقال : أراك متغيرا ، وأظنك متحيرا . فقلت(٨) : مع هذا العلم هذا معاشك ، فقال : ولهذا قد جاش جأشك ،

---

١) ماسقط : ك .

٢) قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : " كل ميسر لما خلق له " .
أخرجه مسلم ٤ : ٢٠٤١ من حديث عمران بن حصين .

٣) الهول : الخوف .

٤) الجرائر : جمع جريرة وهي الذنب والجناية .

٥) معالجات السرائر : ح .

٦) لست أدري ما هي العلاقة بين ذكر الصالحين وامرؤ القيس والنابغة وزهير والأعشى ، وما أظنه الا سهوا وقع من ابن الجوزي أو سهوا من الناسخين .

٧) الخفش : بيت صغير .

٨) جاشت النفس : غثت أو دارت للغثيان كتجيشت وارتفعت من حزن أو فزع ، والجأش : رواع القلب اذا اضطرب عند الفزع ونفس الانسان .

(وماضر نصل السيف اخلاق غمده)[1] ، قلت : لو عرضت في القفر والأضاليل بحالك ، لأضاء ليل الفقر الحالك ، فقال :

دعني فلن أخلق دياجتي[2] ∴ ولست أبدي للورى حاجتي

منزلتي يحفظها نزلتي ∴ وياجتي تكرم دياجتي[3]

يا أبله من مهرسم[4] ، وأبله من مهلفم ، أما علمت أنه لا يجتمع العلم والمال لأنه لا يتفق في الدنيا الكمال ، وحسبك من غنى شبع وري[5]

ويحك ! من قنع بيسير المطاعم سلم من عسير المطامع ، من غرس في نفسه شرف الهمة فنبت نبت عن الأقذار ، ومن استقر ركن عزيمته وثبت وثبت عن الأكدار ، ثم تمثل :

دعوني ورسمي في عفافي فانني ∴ جعلت عفافي في حياتي ديدني[6]

وأعظم من قطع اليدين على الفتى ∴ صنيعة بر نالها من يدي دني[7]

فثبت في قلبي حب هذا الساجع ، ثبوت الأشاجع[8] ، ثم قال لي : أنت لا تصبر على الغربة ، وقد ألفت تراب تلك التربة ، فقم معي اكتر لك مركب

---

١) ـ : ح

٢) دياجة الوجه : حسن بشرته .

٣) الباج : الطريقة من المحاج المستوية

٤) المهرسم : الذي يهذي من علة البرسام .

٥) تقول العرب " حسبك من غنى شبع وري " : أي اقنع من الغنى بما يشبعك ويرويك ، وجد بما فضل . وهذا المثل لامرئ القيس يذكر معزى كانت له فيقول .

اذا مالم تكن ابلا فمعزى ∴ كأن قرون جلتها العصي

فتملأ بيتنا أقطا وسمنا ∴ وحسبك من غنى شبع وري

(جـ١ ص ١٩٥ ـ مجمع الأمثال) .

٦) ديدني : طبعي وعادتي .

٧) الدني : الساقط الضعيف

٨) الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف . وفي هذا المعنى قال قيس بن الملوح .

لقد ثبتت في القلب منك محبة ∴ كما ثبتت في الراحتين الأصابع

(ص ١٨٥ ـ ديوان مجنون ليلى ـ جمع وتحقيق : عبد الستار أحمد فراج .

وأشتر زادك قبل أن تركب ، فقلت صحبتك نعيم وبعدك بعطيم (١)
فقال : انما يراد من العالم تعليمه ، فقلت : الموت كالموسيقى ثقيلة
القبر وخفيفة الفراق ، فقال : ماتخدعني ولو كنت في ألف
راق ، فشيعني حين أطلعني في جمع الى السيف (٢) ورجع ، وودعني
(فودعني) (٣) أشرب مع الأسف جرعا بعد جرع .

---

١) يريد ببعدك يحصل موتي فاذا أسقطنا من النعيم حرف الميم بقي النعي .
٢) السيف : ساحل البحر .
٣) ـ : ح .

" المقامة الثالثة والثلاثون "

فى وداع رمضان (١)

==========

أهلّ رمضان فقمت عجلا أحضر الىّ عبدى ، فقلت : أطلب لى رجلا يحضر عندى ، فقال : ها هنا شخص عليه مئزر من صوف (٢) ، ونعل مخصوف (٣) ، (وبالاخلاق الحسنة موصوف) (٤) ، فدخل فاذا به أبو المنقوم ، فلحقنى من الفرح ما لله عليه ، فتلقيته تلقى البرء الدنف (٥) ، واعتنقته اعتناق اللام الألف ، وقلت : أفطر عندى هذه الأيام ، أحياك الله ألف عام ، فقال : مثلك من حاز ثواب صومى ، فقلت أنا الذى فاز بهذا وقومى ، فكان طول النهار يثنى ذكر العلوم ، وفى الليل يحثنى أن أقوم ، فقلت : ما الحكمة فى تشريع الصوم ، والله غنى عن تجويع القوم ؟ فقال : أذاق الغنى فى هذا الشهر ما يذوقه الفقير طول الدهر ، ليحثه بمساواته على مواساته ، وكذلك أمر بالتعرى عند الاحرام ، ليذكر عرى الفقراء الكرام ، قلت فأى شيئ فى الاعتكاف من المصلحة (٦) ؟ فقال : انما الاعتكاف سمحه (٧) ، ثم قال : ليس الصوم صوم جماعة الطعام (٨) عن الجماع والطعام ، انما الصوم صوم الجوارح عن الآثام وصمت اللسان عن فضول الكلام ، وغض العين عن النظر الحرام ، وكف الكف عن أخذ الحطام ، ومنع الأقدام عن قبيح الاقدام ، ويحك ! ان المطلوب من الصوم التقلل ليسبق المضمر (٩) ، وهم يستوفون وقت الافطار الحل ، ويجعلون السحور حلاوة ، فيقف جمل التعبد المراد من التجويع خلوف الفم (١٠) ، والذى عندهم

---

١ ــ فى هلال رمضان : ح
٢ ــ فى جبة من صوف : ك
٣ ــ مخصوف : مخروز
٤ ــ + : ح
٥ ــ الدنف : الذى اشتد مرضه
٦ ــ الاعتكاف : الاقامة فى المسجد بنية العبادة .
٧ ــ سمحه : كرم (مكرمة)
٨ ــ الطعام : أوغاد الناس
٩ ــ الضمر من الرجال : الضامر البطن ، وفى التهذيب : المهضم البطن اللطيف الجسم ، والأنثى ضمرة .
١٠ ــ خلوف الفم : رائحته .

جشاء[1] التخم ، يصبحون وبهم من الطعام بشم[2] ومن الماء بغر[3] جاعوا بالنهار وما يفهمون كيف صاموا ، وشبعوا بالليل فناموا وما قاموا ، قلت : لو كان الشبع قد منع ، ما كان السحور قد شرع ، فقال كان السلف ربما تناولوا وقت الافطار رغيفا وتمره ، فيودفون بمثل ما حجوا به عمره ، فوقف على الباب سائل فقال انظر فى أمره فمن فطر صائما فله مثل أجره[4] ، فلما أفطرنا قال : قلل واختصر فيه على النوم تنتصر ، فلما صلينا التراويح نام ، وقال خير من ساعة القيام ، فلما ذهب نصف الليل أيقظنى وقال : احفظ هذا الوقت ولا تقل احفظنى ، ويحك ! هذا الشهر ربيع التقى ، وقد فاح قداحه[5] ، رمضان يوسف الزمان ، فى عين يعقوب الايمان ، كان ليعقوب اثنا عشر ولدا فما رجع بصره الا بقميص يوسف ، فقمنا فصلينا ما قضى الله لنا واستغفرنا[6] ، فانتقلنا الى الخيف[7] من منى ، فسمع السحر ينشد ما لا يرشد ، فقام يصيح بلسان فصيح[8] ، يا أرباب الأربعين الأولة ، يا أهل الخمسين الثانية ، يا أهل الستين الثالثة ، يا أصحاب السبعين دنا الصباح قولوا للغافل الشقى ، ما أقل ما قد بقى ، فلما كان فى الليلة الثانية انثنى يقول : يا مضطجعين على فراش الكسل اقصدوا رحمكم الله ، يا أصحاب الأربعين كلوا من طعام الجد

---

١ ـ التجشؤ : تنفس المعدة والاسم جشاء . يقال جشأت نفسه : نهضت وجاشت من حزن أو فزع وثارت للقيء .

٢ ـ البشم محركة : التخمة .

٣ ـ البغر : داء يشتد معه العطش فلا يخففه الماء .

٤ ـ قال النبى صلى الله عليه وسلم : " من فطر صائما فله مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء " . أخرجه الترمذى ٣ : ١٦٢ ـ طبعة مصطفى الحلبى ، وأخرجه ابن ماجة : ٥٥٥

٥ ـ القداح : نور النبات قبل أن يتفتح ، وقيل أطراف النبات فى الورق الغض . والمعنى : أى فاح عبيره وشذاه . ٦ ـ + : ح ، ك .

٧ ـ الخفيف : غرة بيضاء فى الجبل الأسود الذى خلف أبى قبيس وبها سمى مسجد الخفيف ، أو لأنها ناحية من منى أو لأنها فى سفح جبل .

٨ ـ فصيح : ك .

واشربوا دموع الأسف ، بارك الله عليكم ، يا أرباب الخمسين تناولوا من طعام الاستغفار ولو لقمة واشربوا من دمع الأسف ولو جرعة ، يا أهل الستين تداركوا أمركم فقد دنا الصباح (فلما جاءت الليلة الثالثة غير العمارة ونادى بلفظ اشارة ، صاح ممسك قد يئل الأمل لرؤية فجر الأجل ، دنا الصباح)(١) وكنت اذا تنبهت يعظني ، واذا رقدت يوقظني ، فتروحت به روحي طول شهر الصوم ، ووردت أنه كان ألف يوم فلما جاء العشر الأخير شمر عن الذيل ، وجد في التعبد طول الليل ، بأنين يقلق ، وحنين يحرق ، وصعداء(٢) تحرق ، وكان يخفي أكثر أمره ويسرق ، فزاحم بعبادته الأولياء الأفراد ، وتحرى بكثرة تعبده الليالي الأفراد ، وكان يقول رمضان كالخاتم ، وليلة القدر فصه المضيء ، فكنت أواظبه اذا قدرت واذا عجزت عن اصطياده انحدرت ، فلما جاءت ليلة العيد تقلقل للوداع وقال رمضان قد نزع مضارب الاقامة للرحيل فما بقي الا سراديق الخاص فقلت له : هل الى استدراك الفارط سبيل ، فقال : من أدرك مع الامام ركعة حسبت له جماعة لا بل من أدركه في التشهد ، واعجبا أحوالك تشبه شهور السنة مالك في باب الايثار المحرم وقلبك من الذكر صفر ، وهواك وشهواتك ربيعان ، وكفاك في البذل جمادتان ، وسمعك عن المواعظ رجب ، وهمك في شبابه شعبان فابن في هذا الشهر بالندم ، ماقد وهى وانهدم ، فلما خرج الخلق الى من خلق يوم العيد ، لبس الخلق وأخذ(٤) في الأناشيد :

---

١ ــ مابين القوسين ناقص : م

٢ ــ تروحت : استشعرت الراحة والرحمة .

٣ ــ الصعداء : تنفس طويل .

٤ ــ الخلق : الثوب البالي .

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه
فقلت خلعة ساق حبه جرعا

فقر وضرهما ثوبا (١) تحتهما
قلب يرى الفه الأعياد والجمعا

أحرى الملابس أن يلقى الحبيب بها
يوم التزاور فى الثوب الذى خلعا

الدهر لى مأتم ان غبت يا أملى
والعيد ما كنت لى مرأى ومستمعا

فرأى الناس يتبخترون فى ثيابهم ، فقال ما عندهم خبر من ثوابهم ، ان كانوا قبلوا فأين الشكر ، وان كانوا طردوا فأين الحزن ، ثم أنشد :

الناس بالعيد قد سروا وقد فرحوا
وما فرحت به والواحد الصمد

لما تيقنت أنى لا أعاينكم
غضضت طرفى فلم (٢) أنظر الى أحد

ثم طرب فأنشد :

اذا ما كنت لى عيدا فما أصنع بالعيد
جرى حبك فى قلبى كجرى الماء فى العود

ثم قال : يا من يفرح فى العيد بلباسه ، ويوقن بالوعيد وما استعد لهاسه (٣)
كنت فى رمضان حسن الحال ، فكيف تغيرت فى شوال ثم جال وقال :

---

١ ـ صبر : ح
٢ ـ غضت عينى : ح
٣ ـ باسه : مخفف بأسه .

يا راكبا تطوى المهامه عنسه (١) (٢)

فتُريه رضراض (٣) الحصا مترضضا (٤)

بلغ رعاك الله سكان الغضا (٥)

منى التحية ان عرضت معرِّضا

وقل انقضى شهر الصيام وودنا

باق على مر الليالى ما انقضى

ثم أخذ فى صوبه فانصرف ، فتعلقت بثوبه فوقف ، فقال : يا ولى محبتى مالك؟ أما بلغت من صحبتى آمالك ؟ فقلت : صل بالعشا الضحى (٦) ، وجعلت دموعى تنضح نضحا ، فقال : موعدنا عيد الأضحى ثم ناولنى كاس الوداع فتجرعت من أمره وتبعته خطوات فسمعته يقول فى سره :

عيدى مقيم وعيد الناس منصرف

والقلب منى عن اللذات منحرف

ولى قرينان مالى منهما خلف

طول الحنين وعين دمعها يكف (٧)

ثم جعلت أعد الأيام والليالى بالعشر ، الى أن رأيت هلال العشر ، فاذا به قد أقبل الينا ليلة العيد ، وسلم علينا من بعيد ، ثم قال قد أحرم القوم عن الحلال فاحرموا أنتم عن الحرام ، منعوا أنفسهم من الطيب (ولكل ما نوى) (٨)

---

١ ـ المهامة جمع مهمه وهى الصحراء الواسعة .

٢ ـ عيسه : ح ، م ، والعنس : الناقة الصلبة ، والعيس : الابل البيض يخالط بياضها شقرة . ٣ ـ الوضراض : الحصا أو صغارها

٤ ـ مترضرضا : ح ، ك ، مترضضا : مدقوقة ومجروشة ، ومترضرضا : مكسرة .

٥ ـ الغضا : واد بنجد ، وأهل الغضا : أهل نجد

٦ ـ صلى بالعشا الضحى : ح . ٧ ـ يكف : يقطر .

٨ ـ + : ح . وهو من حديث سيد الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام " : انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى " أخرجه البخارى ومفتتح كتابه الصحيح باب كيف كان بدء الوحى ١/ ٧ سطر ١٥ من الفتح ، وقد ورد فى مواضع كثيره فى صحيح البخارى أيضا ، وأخرجه مسلم فى كتاب الامارة ج ٣ ص ١٥١٥ .

فاحذروا أنتم من حيف(١) الهوى ، فقلت له هلم الى المنزل ، فقال : بالمقابر الليلة أنزل ، رأيت كل من مات له عزيز يضرب عند القبر خيمه فأنا أندب مع القوم قلبي ، ثم أشار الى أهل القبور وقال : كم لهم ديون في ذمة الكرام كلما طالت أيامها ربت(٢) فأقام وقال لا براح وجعل يبكي الى الصباح ، ويتقلقل تقلقل سكران بسراح(٣) ، فلما طلع الفجر رحت الى المصلى وراح ، فرأى الناس قد تزينوا فقال : الدنيا مِلَح العيد وانما تصلح للأطفال لا تقفن في الطريق على لهو فما تأمن فوت الصلاة ، بادر اجلا ما تدري متى يفجأ(٤) ، فصلاة العيد بلا آذان ، ما أراك تنزعج لشدة الوعيد ألف الزق بمثل الكؤوس(٥) ما يقشعر القلب للمعاصي ، أنس الذباح(٦) بالدم ، لو علمت النحائر أين المذهب ما تبخترت في الطريق ، لقد دلها الوقوف في غير مرعى على خبيئة السوء ، أصبحت بباب الملك وأمست(٧) في بيت النفاط لولا توسمها في المطاعم ما كان يدفع شفار الجازر(٨) ، تالله لقد أمن النضو(٩) ما وقع بهخت البخاتي(١٠) ، فلما رأى الذبائح قال واعجبا من تفاوت الرجال يقال للخليل اذبح ولدك فيضجعه للذبح ، ويقال للقوم اذبحوا

---

١ ـ الحيف : الجور والظلم .
٢ ـ ربت : زادت ونمت .
٣ ـ الراح : الخمر .
٤ ـ الزق بالضم : الخمر .
٥ ـ العل والعلل محركة : الشربة الثانية أو الشرب بعد الشرب تباعا .
٦ ـ ألف : ح .
٧ ـ أضحت : ك
٨ ـ لولا توسمها في المطاعم كان النحول يدفع شفار الجازر : ح ، ك .
٩ ـ النضو بالكسر : البعير المهزول ، وقيل هو المهزول من جميع الدواب وقد يستعمل في الانسان .
١٠ ـ بنجب البخاتي : ح ، البخت بالضم : الابل الخراسانية وجمعها بخاتي .

بقرة فذبحوها وما كادوا يفعلون (١) ، يخرج أبو بكر (٢) المال حتى يتخلل (٣) ، ويخل بعلبه بالزكاه ، يجود حاتم (٤) بقوته ، ويضن الحباحب (٥) بضوء ناره ، وكذلك التفاوت فى الفهوم فسحبان (٦) أفصح متكلم ، وباقل (٧) أقبح من أخرس وكذلك التفاوت فى الأماكن فزرود (٨) تشكو العطش والبطائح (٩) تصيح الغرق ، فقلت له هذا يوم فرح وأنت تبكى فأنشد :

---

١ - " قال أنه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون " . البقرة آية ٧١ .

٢ - هو أبو بكر عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمى القرشى أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال وأحد أعاظم العرب ، كان موصوفا بالحلم والرأفة بالعامة ، خطيبا لسنا وشجاعا بطلا ، ولد بمكة سنة ٥١ ق هـ وتوفى سنة ١٣ هـ . (جـ١ ص ٢٣٥ - صفة الصفوة) .

٣ - يتخلل : يفتقر ويحتاج ، ويقال لأبى بكر رضى الله عنه ذو الخلال لأنه تصدق بجميع ماله .

٤ - هو ثعلبة بن حاطب الأنصارى . قال للنبى صلى الله عليه وسلم : "أدع الله أن يرزقنى مالا ، فقال عليه السلام : "ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه . " ثم عاود ثانية فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تكون مثل نبى الله لو شئت أن تسير معى الجبال ذهبا لسارت . " فقال : والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله يرزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقه . فدعا له النبى صلى الله عليه وسلم فاتخذ غنما ، فلما كثرت ونمت ضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها وترك الجماعة والجمعة ومنع الزكاه . وقيل هو الذى نزل فيه قول الله تعالى : " ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين " . التوبة آية (٧٥) أنظر الجامع لأحكام القرآن جـ٨ ص ٢٠٩ .

٥ - هو حاتم الطائى وقد تقدم ذكره . ٦ - هو أبو حباحب من محارب كان من بخلاء العرب الشهيرين ، ذكر أنه كان لا يوقد ناره الا بالحطب الشخت لئلا ترى .

٧ - سحبان : من وائل من خطباء العرب فى الجاهلية وقد سبق التعريف به .

٨ - هو رجل من اياد ، قال أبو عبيده : باقل رجل من ربيعة ، بلغ من عيه أنه اشترى ظبيا بأحد عشر درهما ، فمر بقوم فقالوا له : بكم اشتريت الظبى ؟ فمد يده ولم لسانه يريد أحد عشر ، فشرد الظبى وكان تحت ابطه . (جـ٢ ص ٤٣ - مجمع الأمثال للميدانى) .

٩ - الزرود جمع زرد : اللين السريع الانحدار .

١٠ - البطائح : جمع البطيحة والبطحاء والأبطح . والبطح : سيل واسع فيه دقاق الحصى .

يقولون لا تبى يوم فطر لفرحة

تهش كما هش الرجال ولا أضحى

فقلت لهم أن السرور محرم

على عاقل أمسى بذى الدار أو أضحى

قلت فهذا البكاء الذى قد آذى ، لماذا ؟ فقال :

قالوا غدا العيد فاستبشر به فرحا

فقلت مالى وما للعيد والفرح

قد كان ذا والهوى لم يمس نازله

بعقوتى (١) وغراب البين لم يصح

أيام لم تخترم قربى المنون ولم (٢)

يغدو الشتات على شملى ولم يسرح

واليوم بعدك قلبى غير متسع

لما يسر وصدرى غير منشرح

وطائر قام فى خضراء مونقة

على شفا جدول بالعشب منتشح

بكى ونواح ولولا أنه شجن

بشجو قلبى المعنى فيك لم ينح

بينى وبينك وعد ليس يخلفه

بعد المزار وعهد غير مطرح (٣)

---

١ ـ العقوة : ما حول الدار والمحلة .

٢ ـ أيام لم تخترم قربى المنون : ح ، ك

٣ ـ غير مطرح : غير ملقى وغير مبعد .

فمـا ذكـرتك والأقـداح دائـرة

الا مـزجت بدمعي باكيـا قدحـي

ولا سمعت بصوت فيه ذكـر نـوى

الا عصيت عليـه كـل مقـترح

ثم ودعني وتسولـي ، وتـرك الهـم لقلـبي يتولـي .

* المقامة الرابعة والثلاثون *

فى وعظ السلطان

==========

كان بعض السلاطين ينتقل من سهوة سهو (١) الى بهوة (٢) لهو وهو مع ذلك معجب بمجبه قد زها على الزهو ، والملاهى قريبة منه ، والمناهى بعيدة عنه ، فقيل له ها هنا مذكر مجلسه فرجة ، فأحضره واحضر فى ميدان الحجة ، فصادف فولاذا ينفعه الصقل ، ومميزا يعرف خسة الهوى من شرف العقل ، فما زال المذكر يتلطف حتى كاشف ، ثم جاز الحد فى الوعظ بعد ما جازف فقال : أيها السلطان ان تكلمت خفت منك وان سكت خفت عليك وأنا أقدم خوفى عليك لمحبتى لك على خوفى منك (واسأل الذى ولاك أن يتولاك) (٣) ، الخلافة نيابة عن الله عز وجل فى عباده ، وقيام بأمره فى جميع بلاده ، وقد وقع الى النائب ، فيما يصنع فى كل نائب ، فالخيانة فى ذلك أعظم جناية ان الله جل وعز لم يجعل أحدا فوقك فلا ترض أن يكون أحدا أطوع له منك ، فالنظر النظر فى خلقه ، والجد الجد فى القيام بحقه ، والتلمح للنواب فى الشرق والغرب ، ومتى أهمل حفظ الجوارح تعدى الأذى الى القلب ، فقيل له : زدنا من الوعظ فقال : قد ركبت الطباع مائلة الى الهوى فافتقرت الى مقوم ثم لابد من تقلت القلب (٤) ، ان الطباع كالماء يجرى فاذا رد بسكر (٥) وقف عن جريانه

---

١ ـ السهو الأولى : المخدع بين بيتين ، والثانية : النسيان والغفلة .

٢ ـ البهو : البيت المقدم أمام البيوت .

٣ ـ ـ : ح ، ك .

٤ ـ تقلب المتقلب : ح ، تقلب القلب : م . ٥ ـ السكر : سد النهر .

ثم أخذ يتقلب في بواطن مكانه ، فكما ينبغي أن يتعاهد ذلك السكر بالاحكام ، ينبغي أن تتعاهد الطباع بالزواجر العظام وأحوج الناس الى التذكر السلطان ، لأن المملكة توجب القدرة والبطر(١) والطغيان ، فيتجدد من ذلك حالة شبيهة بحالة السكران ، ويتفق بُعد المذكرين ، وقرب الغافلين ، فلا يكلم الا بما يهواه ، ولا يتجاسر ناصح أن يلقاه ، فمن وفق جعل له واعظ من باطن قلبه ثم استدعى مذكرا لظاهر سمعه وقد قال أبو بكر الصديق(٢) : اذا زغت فقوموني ، وقال عمر بن الخطاب(٣) رحم الله من أهدى الينا مساوينا ، وقال عمر بن عبد العزيز(٤) لعمرو بن المهاجر : اذا رأيتني قد ملت عن الحق فخذ بتلابيبي وهزني وقل : يا عمر ما تصنع فقيل لهذا المذكر زدنا ، فقال : من علم ضرر الهوى وجب عليه جهاده ، ومن تفكر في قصر العمر لزمه بداره ، والأيام ثلاثة ، يوم قد انقضت لذاته وبقيت تبعاته وحسابه ، ويوم منتظر (في اليد)(٥) ليس منه الا الأمل (ويوم تملكه)(٦)

---

١ ـ البسط: ح ، البطر محركة : النشاط والأشر وقلة احتمال النعمة والدهش والحيرة أو الطغيان بالنعمة وكراهية الشيء من غير أن يستحق الكراهة .

٢ ـ سبق التعريف بأبي بكر الصديق رضي الله عنه .

٣ ـ هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي أبو حفص (٤٠ق هـ ـ ٢٣هـ) ثاني الخلفاء الراشدين وأول من لقب بأمير المؤمنين ، الصحابي الجليل ، الشجاع الحازم ، صاحب الفتوحات ، يضرب به المثل ، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين وشهد الوقائع . توفي سنة ٢٣ هـ . (جـ٥ص ٢٠٣ـ٢٠٥ـ الأعلام) .

٤ ـ هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو حفص (٦١ ـ ١٠١ هـ) الخليفة الصالح ، والملك العادل . وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيها له بهم ، وهو من ملوك الدولة الأموية بالشام (جـ٢ ص ١٢٧ صفة الصفوة) .

٥ ـ + : ح ، ك .

٦ ـ : جميع النسخ وانما كانت الاضافة ضرورية ليتم المعنى .

وانما هو يومك الذى أنت فيه فلا ينبغى أن يصعب عليك فى هذا اليوم القصير ترك شهوة توجب طول ندم فان الدنيا بالاضافة الى الاخرى أقل من لحظة ، وتبين هذه الحال بمثال لو قدرنا أن السموات والأرض ملئتا بالذر ثم صورنا طائرا يتناول فى كل ألف ألف سنة ذرة لفنى ذلك ، ومدة الآخرة لا تفنى أفلا يشتريها المتيقظ بصبر ساعة(١) عن منهى الهوى ومتى مثال العقاب هان عليه الترك ، ومن تصور رحيله اختار غير اختياره فان الأفواه حينئذ تخلو من طعم اللذات وتبقى فيها مرارة الندم ، ومن علم أن الموتى مخيمون(٢) على باب الدار لانتظاره جد فى التأهب ، وان الظلم فى الولاية أقبح سيرة(٣) والعدل فيها أزين من كل زين ، ومن تغذى بسوء السيرة تمشى بزوال القدرة وقد قال عمر بن الخطاب : لو هلكت سخلة بشط الفرات خفت أن أسأل عنها ، وأيما عامل بلغنى ظلمه ولم أغيره فأنا ظلمت فقيل له : زدنا ، فقال : ان الدنيا ملتقى الوداع ، أهلها كسطور فى صحيفة ، كلما نشر البعض طوى البعض . سهم المنون فى القوس وقد مده الرامى ، عقارب المنايا تلسب(٥) الأرواح وخدران جسم الأمل يمنع الاحساس الرواحل فى طى المراحل ، والأنام نيام ومركب الأجل(٦) يجرى والركاب فى الحديث ، ماء الحياة فى اناء العمر يرشح بالأنفاس ، واعجبا لمن أطال الوقوف على القنطرة حتى نسى اسم البلد ، وأنشد :

---

١ ـ بصبر لحظة : ح ، ك .
٢ ـ مجتمعون : ك
٣ ـ على باب البلد : ح ، ك .
٤ ـ أقبح شين : ح ، ك .
٥ ـ تلسب : تلدغ .
٦ ـ مركب الأمل : ب ، ز ، م .

تفـــوز بنـــا المنـــون وتستبـــــد

ويأخـــذنا الـــزمـــان ولا يـــرد

وأنظـر مـاضيـــا فى اثـــر مـــــاض

لقـد أيقنـت أن الأمـــر جـــد

رويـــدا بالفـــرار من المنـــايـــــا

فليـس يفوتهـــا المـــارى المجد

فأيـن ملوكنـا المـــاضـون قـــدمـــا

أعـدوا للنـوائـــب واستعـــــدوا

أعـارهـم الزمـــان نعيـم عيـــــش

فيـا سـرعـان ما نـزعـوا وردوا

هُـمُ فـرط لـنا فى كـــل يـــــوم

نمـدهم وان لـــم يستمـــــدوا

أيـن من حصن الحصـون واحـترس ، وعمـــر الحدائـــق وغـــرس ، نصـــب سريـــر الكـــبر(١) وجلـس ، وظن بقـاء النفـــس خـاب الظـــن فى نفســـن ، نازله المـوت فلمـا أنـزله عن الفـرس فـــرس(٢) ، ووجـه وجهـــه الى ديـــار البِلى فانطمـــس(٣) ، وتركـــه فى ظـلام ظلمـــه بين العيب والدنـــس فالسعيـــد من بـادر السـلامة(٤) فان السـلامة خلـــس(٥) ، وانشـــد :

---

١ ـ سـريـــر العـــز : ك .

٢ ـ فـــرس : قتـــل .

٣ ـ انطمـــس : انمحـى وزالـت آثـــاره .

٤ ـ السعيـد من بـادر الندامـــة : ح ، ك .

٥ ـ خلـــس : أى اختـــلاس .

يـــاذا الغـــنى والسطـــوة القاهـــرة

والدولـــة الناهيـــة الآمـــرة

انتظـــر الدنيـــا فقـــد أقربـــت

وعـــن قليـــل تلـــد (١) الآخـــره

فقيل لـــه : زدنـــا ، فقـــال : أيهـــا العبـــد لا تشتغـــل بالدنيـــا عـــن المولى فهو غيـــور ، وكيف تغتـــر بغـــريـــر هـــوى يغـــرى ويغـــــور (٢) وكـــم عدلـــت عـــن العـــدل وحاضـــرت المحظـــور ، أتظـــن البقـــاء وقـــلائـــد الفـــراق كالأطـــواق فى النحـــور ، أمـــا تعتـــبر بأقـــران (٤) قـــرنـــوا (٥) بقرائـــن أعمالهـــم فى القبـــور ، (أما مواضعهـــم تضعـــك (٦) على وضـــع (٧) الوضائـــع (٨) والقتـــور (٩)) ، أمـــا حلـــوا اللحـــود فحالـــت (١٠) حـــلا تلك البـــدور ، أمـــا منازلهـــم زال عنهـــا الســـرور أبالـــى بفخـــرهـــم المـــوت ؟ (١١) لابـــال (١٢) بلهـــال تلك القصـــور ، أين هـــم الآن قل لى ؟ حلى حالهـــم بالشهـــور (١٣) ، مـــال بهـــم عـــن المـــال مـــالا يـــرد وصرفهـــم صـــرف الدهـــور ، جـــرى بهـــم ومـــا جاركم (١٤) جـــارى الجـــار جـــارى المقـــدور ، أصبحـــت واللـــه وجوههـــم الصبيحـــة مصطبحـــة شـــراب الدثـــور ، مهانيهـــم أبينـــت (١٥) فلـــو أبينـــت (١٦) لم تبن الانـــاث مـــن الذكـــور ، انفصمت عرى الأوصال وخلوا بالخصال فذو الوصال منهم مهجـــور ،

---

١ ــ تلـــج : ح

٢ ــ غرير الهوى : المغرور به ، ويغرى : يخدع ويطمع بالباطل ، يغـــور : يذهب فى باطن الأرض .

٣ ــ عـــدلـــت : حـــدت .

٤ ــ الأقران جمع قرن وقرين : لدة الرجل . ٥ ــ قرنوا : شدوا وجمعـــوا

٦ ــ تضعـــك : تحملـــك .

٧ ــ على وضـــع : علـــى تـــرك .

٨ ــ الوضائـــع : الدنـــايـــا .

٩ ــ ما بين القوسين ناقص : ك .

١٠ ــ حلوا : سكنوا ، حالت : تغيرت وتحولت ، حلا : أى حلـــى .

١١ ــ أبـــالى بفخرهـــم المـــوت ؟ أى أكترث بفخرهم الموت ؟

١٢ ــ بلهال : خـــرك .

١٣ ــ الشهـــور : الهلاك والوبـــال .

١٤ ــ كمـــا : ك .

١٥ ــ الدثور : الدروس كالاندثار ، ودثور النفوس : سرعة نسيانها .

١٦ ــ أبينـــت : تغـــيرت .

سكنوا بعد بعد الودود مع الدود فى اللحود كما سور تكدر صافيهم فصافيهم يجافيهم مما فيهم معذورهم علا على أعلاهم على تراب كثير موفور ، وسكن المسكين فى كمين امكانه فاستكان فى مكان محفور ، بينا مترفهم قد اطمأن "وظن أن لن يحور"(١) ، اذ الأذى كالجذى(٢) وكذا محتذى الغرور ، كم قال واعتذر فلما لم يذر قيل هذا الهذر زور ، وصب الصاب(٣) فى فى من صبا(٤) فالصبا(٥) تسفى على منزله والدبور(٦)(٧) ، وسيأتيك يا فتى ما أتى من عتى(٨) متى فى الرواح أو فى البكور فانتبه فان الموت يدور على ساكنى الدور ، ويلتقط أرباب القصور بلا فتور ولا قصور ، وكأنك بالأمر قد فصل "وحصل ما فى الصدور"(٩) ، فمن نجا جاز قنطرة الهوى بتجارة لن تبور ، ومن لم يجعل "الله له نورا فما له من نور"(١٠) ، فتحكم سلطان الوعظ فى ذلك السلطان أما فى الباطن فبكاء انسان ذلك الانسان(١١) ، وأما فى الظاهر فافاضة البر والاحسان ، ونزل بجميع الحاضرين لتلك المواعظ أمر عظيم فتأملت الواعظ فاذا هو أبو التقويم ، فقلت : أتيت باقدامك على السلطان أمرا إمرا(١٢) ، فقال : قل الحق وان كان مرا(١٣) ، ثم أخذ نعليه وأزمع ، فقلت : الصحبة فقال : لا تطمع ، فصد وصدفنى عن السلوك(١٤) ، وسلك الخذل(١٥) وخلفنى مع ابن متروك .

---

١ ـ هذا من قوله تعالى : "انه ظن أن لن يحور (١٤) بلى ان ربه كان به بصيرا"
(١٥) الانشقاق ـ لن يحور : لن يرجع .
٢ ـ الجذى : جمع جذوة وهى الجمرة الملتهبة .
٣ ـ الصاب : شجر مر أو عصارته .
٤ ـ من صبا : من جهل ، ومن صبا : من ترك دينه ودان بآخر .
٥ ـ الصبا : ريح تهبها من مطلع الثريا الى بنات نعش .
٦ ـ سفت الريح التراب : ذرته أو حملته . ٧ ـ الدبور : ريح تقابل ريح الصبا .
٨ ـ عتى : استكبر وجاوز الحد . ٩ ـ العاديات آية ١٠
١٠ ـ هذا من آية (٤٠) من سورة النور . ١١ ـ انسان ذلك الانسان : عين ذلك الرجل
١٢ ـ أمرا امرا : عجبا . ١٣ ـ أزمع الأمر : ثبت عليه ولم ينثن .
١٤ ـ صدفنى : صرفنى ـ ١٥ ـ الخذل : التطويق فى الوبال

المقامة الخامسة والثلاثون

في وصف واعظ

==========

خرجت متغلسا[1] الى ساحة سياحتي ، متلمسا براحتي راحتي فبينا أنا أدهدم[2] تلك البقاع ، وأنتقل من قاع الى قاع[3] ، اذا بصديق أعرفه ، وقد كنت قديما آلفه ، فسلم تسليم الترب[4] وقال الى أين ؟ فقلت : سل شعب القلب والأين[5] ، فقال : هل لك في المرافقة لعلي أسل همك[6] ، وأسلي غمك ، فأنشدته :

فديتك قال الصديق الصدوق ... وقال الخليل الحفي الوفي

وأرغب فيك اذا ما وفيت ... فهل راغب أنت في أن تفي

فقال : أنا ممن ألف الوفاء ، وما قال قط ففاء[7] ، فقلت : سربي في سربي[8] ، لعلك تروح كربي ، فمررنا على ناعورة[9] ، فأنشد :

هذي تحن وما بها وجدي ... وأحن من وجد الى نجد

فدموعها تحيي الرياض بها ... ودموع عيني اترحت خدي

فقلت زدني من هذا الزاد ، فأخذ في الانشاد :

---

١ ـ متغلسا : سائرا في وقت الغلس ، والغلس : ظلمة آخر الليل .

٢ ـ دهدمت الشيء : قلبت بعضه على بعض .

٣ ـ القاع : الأرض السهلة المطمئنة .

٤ ـ الترب بالكسر : اللبدة ومن ولد معك .

٥ ـ فقلت نسلي تعب القلب والأين : ح ، الأين : التعب .

٦ ـ أسل : أنتزع . ٧ ـ ففاء : رجع .

٨ ـ السرب : الجماعة .

٩ ـ الناعورة : دولاب ذو دلاء أو نحوها ، يدور بدفع الماء أو جر الماشية فيخرج الماء من البئر أو النهر الى الحقل وهي تعرف في مصر بالساقية .

ولا أصافح أنسى بعد فرقتكم حتى يصافح كف اللامس القمرا
ولا أمل مدى الأيام ذكركم حتى يمل نسيم الروضة السحرا

ثم قال: الى أين تعزم ؟ قلت : لا أدرى ، فقال : أقسم أن هذا أمرى ، فهلم فلنجب الفلوات ، لعلنا نقع بالف الفؤاد ، (فلا أحصى كم طفنا من البلاد ، وما وقعنا على المراد)(١) ، الى أن دخلنا بلدة استطبناها ، فنزلنا فيها وأحببناها ، فولجنا مسجدا من مساجدها ، وسألنا عن عالمها وزاهدها ، فقيل لنا عندنا ما تطلبونه مذكر قد جمع الأمرين ، قلنا : أتحبونه ؟ قالوا ما نرى به القمرين(٢) ، قلنا : صفوا وانصفوا ، قالوا : هذا أخطب من سحبان ، وأبلغ من قس بلفظ أرق من النسيم فى معان أدق من الشعر بعجلة أسرع من البرق ، بخاطر أجود من الريح بحسن أخلب من يوسف ، يخرج الكلام من فيه خروج العروس من الخدر ، مضمخة بأذكى العطر ، مزينة بنفائس الدُر ، فترى أجمل من الهدر فيعمل عشقها فى القلوب عمل الخمر ، ويلين بوعظه كل قلب أقسى من الصخر ، فترى المتخلف يبكى على الهجر ، بكاء أمر من الصبر ، والعاصى يبالغ فى العذر عن الغدر ، وقلب النادم أحر من الجمر ، فمجلسه عند الفطناء ألذ من الفتى بعد الفقر وأطيب من غناء العود والزمر ، قلنا فمتى مجلسه ؟ قالوا : بعد العصر وجمعه يوم حتم قبل الظهر ، ففرحنا بالمسابقة الى المكان فرح الحاج بمكة وزحمنا حتى رحمنا فظننا أننا ببكة(٣) ، فأقبل شيخ سيماه يدل عليه ، وهديه يهدى اليه :

---

١ ـ مابين القوسين ناقص : ك .
٢ ـ القمرين : الشمس والقمر .
٣ ـ بكة : من أسماء مكة المكرمة .

وما زلت حتى قادنى الشوق نحوه ... يسايرنى فى كل ركب له ذكر

واستكثر الأخبار قبل لقائه ... فلما التقينا صغر الخبر الخُبر

فارتقى المنبر فهلل(١) وسبحل(٢) وحمدل(٣)، ومر فى الذكر كأنه يضرب بالمندل(٤)، ثم أخذ يفتى فى الحرام والمباح والجائز، وقد صاحت فصاحته بالفصحاء هل من مبارز، فرأيته أمة فى شخص، وعالما فى فرد، وظرفا حُشِىَ ظُرفا:

فيه وجز لكنه لا يخل ... ويطنب لكنه لا يُمل

وكيف يخل وتوفيق من ... أفاد العقول عليه يُنال

تجود قريحته بالهدى ... يع عفوا كجود القراح(٥) المفل(٦)

مُدق مجل وأولى الكفاه ... بأعلى الصفات مُدَق مجل

فقام شيخ فقال: أنا أبيع وأشترى فى السوق، فكيف يسلم مثلى من الغبوق؟ فقال: ما فتحت حانوتك حتى عرفت كل النقد، وما تعرفت المشروع فى الحل والعقد، يا عُبيد فلسه، يا عُدى نفسه، ترشماء الغش حول الحانوت، وتنظر فى الدراهم لا فيه(٧) وتنصب ميزان البخس ومكيال التطفيف والغدر ثالثة الأثافى(٨)، ويحك!

---

١ ـ هلل: قال لا اله الا الله.

٢ ـ سبحل: قال: سبحان الله.

٣ ـ حمدل: قال الحمد لله.

٤ ـ ضرب من السحر.

٥ ـ القراح من كل شىء: الخالص. يقال: ماء قراح.

٦ ـ القراح المفل: الماء الخالص الذى يتخلل الأشجار ويجرى فيها.

٧ ـ وتنظر الى الدرهم لا فيه: م.

٨ ـ الأثافى جمع أثفية وهى أحد أحجار ثلاثة توضع عليها القدر، وثالثة الأثافى حرف الجبل يجعل الى جنبه أثفيتان. ويقال: رماه بثالثة الأثافى: بداهية كالجبل.

قد شربت فتائل السنين فى قناديل السنين زيت الحياة فاستدرك ذبالة المصباح (١) ، ويحك ! خيل الرحيل قد اسرجت (٢) ولم تتحوج (٣) ، وناقد الهائع على الباب والعزل بهرج ، عليك يا مسرف مشرف ، ليت شعرى متى يضاف الى النضاف (٤) ، فقام آخر فقال : ما أرانى الا بالنهار مع الحطام ، وبالليل أنام ، فقال الى متى ترضع ثدى الهوى ، أين الأنفة من قبح أخلاق الظئر (٥) لا يغرنك عيش أحلى من الشهد فالمحاسبة أمر من العلقم ان بارد الرغد (٦) غدر ، وان الجرم جمر (٧) ، ويحك ! قد فنى عمرك فى خدمة البدن وحوائج القلب كلها واقفة ، أنت ترى ما تشتهى وتضرب انجر (٨) على فهمك ، فقام سائل حسن الهيئة فخلط فى كلامه فقال الشيخ : (بيت جيد لو كان فيه ساكن) (٩) فعاد فخلط فقال الشيخ : فى الناس خفيف على القلب ومنهم جفيف (١٠) على القلب ، معاشرة المبغوض كالاصبع الزائدة ان تركت شانت وان قطعت آلمت ، من امتحن بقرب من يكره كان كمن بلى ببعد من يحب الثقيل عظم اللقمة وشعرة القلم ، وحصاة الخف ، وقذاة العين ، واللطيف نسيم السحر ونسيب الروح .

---

١ ـ ذبالة المصباح : فتيلته . ٢ ـ أسرجت : لبست السرج .
٣ ـ لم تتحوج : لم تتخذ حاجات الرحيل . والمعنى أن العمر قد أزف وأشرف على الانتهاء ولم تتخذ للرحيل عدته .
٤ ـ الى النظاف : م .
٥ ـ الظئر : العاطفة على غير ولدها المرضعة له من الناس والابل .
٦ ـ بارد الرغد : العيش الهانئ والعيش الرخاء .
٧ ـ الخمر جمر : ح .
٨ ـ الأنجر : مرساة السفينة وهى خشبات يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كصخرة اذا رست رست السفينة مصرب لنكر . ٩ ـ ما بين القوسين ناقص : ح .
١٠ ـ وفيهم جفيف على القلب : ح ، والجفيف : ما يبس فى النبت .

فقلت : يا سيدى ما السبب فى أن مجالسة الثقيل[1] أثقل من الحمل الثقيل ؟ فقال : لأن الحمل يشارك البدن الروح فى حمله ، والرجل الثقيل تنفرد الروح وحدها بحمله . وأنشد :

الأرض تشكوه الى ربها ... والموت من وطأته منقله

وما له معنى سوى أنه ... قد أمنت بلدته الزلزله[2]

فقام آخر فقطع الكلام بسؤال بارد ، فقال الشيخ : لا تقطعوا علينا فان مقطعة لا تطرح معها انكار[3] ، فقام سائل فقال : لى جار يؤذينى ، فقال ويحك ! اذا رأيت الصديق قد خان فلا تنكر جور الجار ، وأنشد :

قد كنت أطلب من عدوى عثرة ... فالآن أطلب من صديقى مخلصا

فقال له قائل : ما أكثر حسادك . فأنشد :

يحسدنى قومى على صنعتى ... لأننى فى صنعتى فارس

سهرت فى ليلى واستنمسوا ... هل يستوى الساهر والناعس

ثم قال : ما ينفعهم حسدى ، وقد مشى فوقهم قبل يدى .

كم مذنب قد ضافنى ... فقريته صفحا وغفرا

كم حاسد صابرته ... فقتلته بالصبر صبرا

ثم قال : الحسد فى أبدان القلوب دمامل[4] الجزيرة : وطحال البحرين المحسود فى ريف الطائف والحاسد فى حمى خيبر

---

١ ـ مجاورة الثقل : ح .

٢ ـ البيتان ناقصان من نسخة : ح .

٣ ـ روز كار : ب ، ك . والجملة قلقة ويبدو أن بها نقص .

٤ ـ الدمامل جمع الدمال : وهو ما رمى به البحر من خشارة .

الحسود تنفذ[1] من أى وجه مستسه خدش :

ما للحسود اذا جلس ... عندى سوى ضيق النفس

أتلو عليهم هل أتى ... ووجوههم تقرأ عبس

ثم قال: لا يحسد الا ذو رتبة زائدة ، وفى الحسد للمحسود أكثر فائدة ، قلت الحسد من الدواهى ، فالفائدة ماهى ؟ . قال : تقع العيوب فيتقيها المحسود وأنشد :

اذا شئت أن تلقى عدوك راغما ... وتقتله غما وحرقته هما

فسلم العلى وازدد من العلم انه ... من ازداد علما زاد حاسده غما

ثم قال كلامى أنور من الشمس وحديث مجلسى أنم من جلجل[2] فما يعيبنى الا من هو أقل من لا[3] ، الا أن حاسدى فى ظل سلمى أمن من ظباء الحرم ، ولو شئت تركتهم أبكى من يتيم وكما أن كلامى أحر من النار فحسودى أبرد من الثلج غير أن ذا الحسد أدب من قراد[4] ، وأنشد :

---

١ ـ القنفذ : دويبة من الثدييات ذات شوك حاد ، يلتف فيصير كالكرة ، وبذلك يقى نفسه من خطر الاعتداء عليه .

٢ ـ الجلجل بالضم : الجرس الصغير . قال الميدانى : "أنم من جلجل" هو من قول الشاعر :

فانكما يا ابنى جناب وجدتما ... كمن دب يستخفى وفى المنق جلجل

(ج٢ ص ٣٥١ ـ مجمع الأمثال) .

٣ ـ أى أقل من لفظ . يقال فى المثل : أقل من واحد ، ومن أوحد ، ومن تبنة فى لبنة ، ومن لا شىء فى العدد ، وفى اللفظ من لا .

٤ ـ القراد : دويبة متطفلة ذات أرجل كثيرة .

يريد أن حاسده لا يواجهه بالكلام ولكن يتحدث عنه من بعيد لأن القراد يدب الى مطلوبه من بعيد .

ذنبي الى الهيم الكواذب أنني الـ (١) طرف المطهم والأغر الأقرح (٢) (٣)

يولينني خزر العيون لأنني (٤) غلست في طلب العلى وتصبحوا (٥)

وجذبت بالطول الذي لم يجذبوا ومنحت بالقرب الذي لم يمنحوا

لو لم يكن لي في الصدور مهابة لم يطعن الأعداء في ويقدحوا

نظروا بعين عداوة لو أنها عين الهوى (٦) لاستحسنوا ما استقبحوا

من حيث خيف الليث حط له الزبى (٧) وغدت لشرته الكلاب النبح (٨)

فصاح الناس بأجمعهم : نفوسنا وقاؤك ، وكلنا محبوك ورفقاؤك ، فقال : الصديق الألوف ، بالألوف ، كم مدع أنه من الأصادق ، وهو غير صادق ، اذا لمح مدح واذا غاب عاب ، كنت أقول لا يصلح لي من الأصدقاء الا فلان أو فلان فمحكت التجارب إلا واف وأنشد :

كم جبت طولا وعرضا وجلت أرضا فأرضا

وما ظفرت بخل من غير غل فأرضى

فقال قائل : ما سمعنا قط أسرع من جوابك ، فأنشد :

---

١ ـ الطرف : الكريم من الخيل ، المطهم : التام من كل شيء .

٢ ـ الأغر : الأبيض من كل شيء .

٣ ـ القرحة في الفرس : دون الغرة .

٤ ـ شزر العيون : ح ، والخزر : النظر كأنه في أحد الشقين أو أن يفتح عينيه ويغمضهما ، الشزر : النظر من أحد الشقين أو النظر فيه أعراض أو نظر الغضبان بمؤخر العين .

٥ ـ غلست : أي سرت في وقت الغلس وهي ظلمة آخر الليل ، تصبحوا : أي صاروا في الصباح .

٦ ـ يريد بعين الهوى : عين الرضا والمحبة .

٧ ـ الزبى جمع زبية وهي حفرة للأسد .

٨ ـ البيت ناقص : ح .

قالت له البرق وقالت له ... الريح جميعا وهما ما هما

أأنت تجري معنا قال إن ... نشطت اضحكتكما منكما

ان ارتداد الطرف قد فته (١) ... الى الذى سبقا فمن أنتما

قلت يا سيدى نراك تسرد (٢) الهديه كأنه محفوظ وفى بعض الأوقات تتوقف يسيرا ، فقال : تزدحم الألفاظ على جادة اللسان فأقف لتقديم المستحسن والمستحق ، ثم قال : حسنوا كلامى فان التحسين كتحريك الأصابع على الضرع ، وأنشد :

وتهتز للقطر البحار وإنها ... لمستغنيات عن نوال السحائب

فقالوا : قد جمعت العلوم فما رأينا مثلك فى زمن ، فقال : من أفتى وما أفتنّ افتات (٣) وافتتن ، وأنشد :

أما الكلام فميدان فوارسه ... تقر أنى دون الخلق عنتره

فهل سوى كلمى در سمعت به ... القلب ينظمه والنطق ينشره

فقام ذو قلب (٤) فقال :

دلنى على طريق الفضائل ، فقال : مطيتها العزم وقوتها الصبر وحسكها (٥) يمنع الاضطجاع على الجنب ، فقال : قد غلبنى الفتور فقال : زحل فى بيت النشاط ، قال السائل : كيف بقيت اذكار الصالحين أبدا ؟ فقال من اشتغل بالعماره استغل الخراج ، ما أفاح العود حتى احترق ، فطرب ذو القلب وتواجد فأنشد الشيخ :

---

١ ـ فته : سبقته .

٢ ـ سرد الشيء : تابعه وواله ، يقال سرد الحديث : أتى به على ولاء ، جيد السباق .

٣ ـ افتات : استبد برأيه .

٤ ـ + : ح ، ك .

٥ ـ حسكها : شوكها .

رأى البرق نجد يا فحن الى نجد (١) وبات أسير الشوق فى قبضة الهمد

يعالج قلبا قلبته يد النوى على جمرة الوجد فى لهب الوجد

وما أنطقته الهارقات تشوقا لنجد ولكن للمقيمين فى نجد

فصاح دلنى على طريق القوم ، فقال المضحى بوادى الجوع والمعشى بوادى السهر الى أن تلوح بوادى القبول ، فقال : أنى لأرجو أن ألحق بالقوم ، فقال : هذا رأيته فى النوم ، ويحك! آمال الأبرار بأعمال الأشرار (٢) ، يا مخنث العزم أيمن أنت والطريق سبيل نصب (٣) فيه آدم وناح لأجله نوح ، ورمى فى النار الخليل ، واضطجع للذبح اسحٰق (٤) وبيع يوسف بدراهم ، وذهبت بالبكاء عين يعقوب وتحير بَرْدُلن موسى (٥) ، وزاد على المقدار بكاء داود ، وتنفص فى الملك عيش سليمان وهام مع الوحش عيسى ، وعالج الفقر محمد :

فيا دار هم بالحَزن (٦) ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

أول قدم فى الطريق بذل الروح ، يا جُنيد احضر ، يا شبلى اسمع

بدم المحب يباع وصلهم فمن الذى يتباع بالسعر

---

١ ـ البيت ناقص : م .

٢ ـ ويحك أتنال الأبرار بأعمال الأشرار : م .

٣ ـ نصب : تعب .

٤ ـ واضطجع للذبح اسماعيل : ح .

٥ ـ لعله يريد تحير سيدنا موسى عليه السلام حينما أجابه المولى عز وجل " لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى " وذلك حينما طلب موسى عليه السلام من ربه أن يراه .

٦ ـ الحزن : ما غلظ من الأرض .

٧ ـ الجنيد والشبلى من أعلام الصوفية المشهورين . وقد سبق التعريف بهما .

ثم نزل متواجدا ومسرورا فقلت : علمهم علي[1] وزهد أبي ذر[2] فتبعته الى المسكن حتى سكن ، وأنا أقول روحي تفديك من سكن ثم امتلأت الوحاب بالأصحاب ، فقلت : ما اسم هذا العالم النقاب[3] ؟ فقالوا : ما كشف لنا عنه النقاب ، وكم قد سألناه مترددين الى الباب ، فيقول : قد دفنته في الألباب ، فقلت : أوما فهمتم ما يقول ، أو ليس الألباب العقول ، هذا أبو التقويم فرجعت أنا وصاحبي بالنفع العظيم العميم .

---

١ - هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي أبو الحسن (٢٣ ق. هـ - ٤٠ هـ) أمير المؤمنين ، رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة وابن عن النبي صلى الله عليه وسلم وصهره ، وأحد الشجعان الأبطال ، من أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء ، وأول الناس اسلاما بعد خديجة رضي الله عنها . (جـ ٥ ص ١٠٧ - الاعلام .) .

٢ - أبو ذر هو جندب بن جناده بن سفيان بن عبيد ، من بني غفار من كنانة بن خزيمة ، صحابي ، قديم الاسلام ، يضرب به المثل في الصدق والزهد . هاجر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الى بادية الشام ، ومات بالربذه (من قرى المدينة) سنة ٣٢ هـ . وقد استفاضت أنباء زهده في كتب التصوف . (جـ ١ ص ٥٨٤ - صفة الصفوة) .

٣ - العالم النقاب : الذي ينقب عن العلوم .

المقامة السادسة والثلاثون

فى دواء العشق

==========

علق بقلبى شخص هوى ، فكلما رفعته عن نقص هوى ، فكنت أعانى من ثقل حمل ذلك وأعالج (١) ، أكثر من ثقل رمل عالج (٢) فبينا أنا ليلة فى قلق عظيم ، اذ طرق على أبو التقويم ، ففتحت له فارتحت اليه فحدثنى الغرائب ، وأنا بين يديه كالغائب ، فقال مالك؟ فقلت : قلبى مشغول ، فقال : لعله غالته غول (٣) ، فقلت : صدق حدسك (٤) الجارى أنا عاشق ، فقال : واعجبا ! صيد البازى والباشق (٥) ، دلنى على بعض سرك لعلنى أنظر فى بعض أمرك ، فقلت :

بدر وليل وغصن ... وجه وشعر وقد

خمر وورد ودر ... ريق وثغر وخد

فقال : ويحك ! ما تقول ، فقلت :

تفرق قلبى فى هواه فعنده ... فريق (٦) وعندى شعبة (٧) وفريق

اذا عطشت روحى أقول له اسقنى ... فان لم يكن راح (٨) لديك فريق (٩)

---

١ ـ أعالج : أعانى ـ ٢ ـ عالج : موضع به رمل

٣ ـ غالته : أهلكته وأخذته من حيث لا يدرى ، الغول : كل ما أخذ الانسان من حيث لا يدرى فأهلكته .

٤ ـ صدق حدسك : ح ، ك ، والحدس : الظن والتخمين .

٥ ـ البازى : ضرب من الصقور ، الباشق : طائر من جنس البازى من فصيلة العقاب النسرية وهو من الجوارح يشبه الصقور ويتميز بجسم طويل ومنقار قصير بادى التقوس .

٦ ـ الشعبة : الطائفة من الشيء . ٧ ـ الفريق : القسم من كل شيء

٨ ـ الراح : الخمر .

٩ ـ يريد ان لم يكن لديك خمر تسقنى به فريقك يكفى .

فقال عن من تقول ؟ فقلت :

عُج(١) على سلسلة الرمل عساها ... تخبر السائل عن أدم(٢) ظباها

واسأل الأرسم(٣) عن ساكنها ... وآرو من عينيك بالدمع صداها(٤)

دمنا(٥) طابت بسلمى منزلا ... قبل أن ألقت على الخيف(٥) عصاها

غادة(٦) غادرت الصب(٧) بها ... غرضا(٨) ترميه عن قوس جفاها

فلقد أصمت(٩) ببغداد الحشا ... وهي بالخيف(١٠) فلا شلت يداها

كم رمى ناظرها ناظرها ... بسهام شفتاها شفتاها

فقال : ويحك ! أجننت ؟ فقلت :

ظبي يحار البرق في بريقه ... غنيت عن البريقه بريقه

فلم أزل أرشف من رحيقه ... حتى شفيت القلب من حريقه

فقال : ويحك ! تثبت ؟ فقلت :

لها(١١) وأعارني ولها(١٢) ... وأبصر حرقتي فزها

له وجه يدل به ... ولي حرق أذل بها

---

١ ـ عُج : قف .

٢ ـ الأدمة في الظباء : لون مشرب بياضا . وقيل الأدم من الظباء بيض تعلوهن جدد فيهن غبرة فان كانت خالصة البياض فهي الآرام .

٣ ـ الأرسم جمع الوسم : وهو الأثر أو بقيته أو ما لا شخص له من الآثار .

٤ ـ الصدى : شدة العطش .

٥ ـ الدمن : آثار الديار والناس .

٦ ـ الغادة : المرأة الناعمة اللينة .

٧ ـ الصب : المشوق . ٨ ـ الغرض : الهدف .

٩ أصمت : أصابت . ١٠ ـ الخيف : ناحية بمنى

١١ ـ لها : فعل ماض من اللهو .

١٢ ـ الوله : الحزن . أو ذهاب العقل حزنا والحيرة .

فقال : ويحك ! اشرح لى مصابك ، وقل لى أى سهم أصابك ، فقلت : جملة أمرى أن امرأ دهانى ، وألهانى عن ظل عيش هانى فبعت اذ تبعت ذلك الوجه الحسن ، صحبة الحسن (١) بالحسن بن هانئ (٢) ، ارتهننى قوس حاجب ، ولا قوس حاجب حاجب ، مد الوتر (٣) فوتر (٤) فوتغ (٥) ، رمى كبدا مفروحة ، ورماها فتركها مطروحة ، فقال : هيه ، فقلت :

يا عجبا صادنى عنادا على ... وجره ظبى يصاد بالحيل (٦)
مد حبالا من الذوائب (٧) واس ... ترهف (٨) يرمى نصلا من الكحل (٩) (١٠)
ما اختص منى السقام جارحة ... كل جهاتى أغراض منتبل (١١)

فهتف بنظر (١٢) الى ، فقلت :

---

١ ـ لعله يريد الحسن بن يسار البصرى (٢١ ـ ١١٠ هـ) وهو من أشهر العباد والزهاد فى الاسلام ، أحد العلماء والفصحاء الشجعان ، له مع الحجاج بن يوسف مواقف وأخبار كثيرة . (جـ ١ ص ٢٥٤ ـ ميزان الاعتدال ، سلوة الأحزان ص ١٦٧) .

٢ ـ الحسن بن هانئ هو أبو نواس الشاعر العباسى المشهور توفى سنة ١٩٩ هـ

٣ ـ الوتر : شرعة القوس . ٤ ـ وتر : أفزع .

٥ ـ فوتر موقع : ح ، والوتغ : الهلاك .

٦ ـ الوجر : كالكهف فى الجبل .

٧ ـ الذوائب جمع ذؤابة وهى الخصلة من الشعر .

٨ ـ ترهف : رقق ، يقال : استرهفت سيفى : أى رققته .

٩ ـ النصل : حديدة السهم والرمح والسيف ما لم يكن له مقبض .

١٠ ـ هذا المعنى قريب مما قاله صاحب الخريدة قال : أحسن ماسمعته فى الكحل ما رواه أبو النصلت فى الحديقة :

وزادت على كحل العيون تكحلا ... ويسم نصل السهم وهو قتول

١١ ـ هذا قريب من قول المتنبى :

رمانى الدهر بالأرزاء حتى ... فؤادى فى غشاء من نبال
فصرت اذا أصابتنى سهام ... تكسرت النصال على النصال

١٢ ـ فهبهت بنظر : ح .

من الذى أفتى عيون المها ... بأن ما تتلفه لا يغرم

ساروا بقلبى دون جسمى فما ... تنفعنى الجلده والأعظم

واستحسنوا ظلمى فمن أجلهم ... استغفر الله لمن يظلم

فقال : كنت ترفق عزة ببوح الدعوه ، والآن أبدى الصريح (١) عن الرغوة ، فقلت : قد لقيت من العشق عرق القربه (٢) ، (فلذلك أتلوى كأنى حربة (٣)) ، ولو ترك القطا (٤) للنوم لنام ، ولكنه لا يسلم من اللئام ، وأنشد :

مستهام (٥) ضاق (٦) مذهبه ... فى هوى من عز مطلبه

كل أمر فى الهوى عجب ... وخلاصى منه أعجبه

فقلت : الآن قد أسرع بى الهوى ، فاشرع لى يا سعدوا ، فقال الرائد لا يكذب (٧) أهله ، اسمع من حلب الدهر أشطره (٨) يدلك على الطريق / ولا حُنَيف (٩) الحناتم ، فقلت : انجز حُرّ ما وعد ،

---

١ ـ الصريح : الخالص من كل شيء .

٢ ـ عرق القربة : يضرب مثلا للشدة لأن حاملها يعرق .

٣ ـ مابين القوسين ناقص : ح ، الحربة أى الحرباء : وهى دويبة تستقبل الشمس برأسها وتدور معها كيف دارت وتتلون ألوانا .

٤ ـ القطا : ضرب من الحمام . ٥ ـ المستهام : الهائم وهو الحائر . ٦ ـ مذهبه : سبيله .

٧ ـ هذا حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، أخرجه مسلم ـ ١٩٤ .

٨ ـ حلب الدهر أشطره : يضرب مثلا للعالم بالدهر والأشطر جمع شطر . وأصله فى حلب الناقة لأنك تحلب شطرا ثم تحلب الشطر الآخر كذا فى تفسير المخطوطه وفى مجمع الأمثال قال الميدانى : هذا مستعار من حلب أشطر الناقة وذلك اذا حلب خلفين من أخلافها ، ثم يحلبها الثانية خلفين أيضا ، ونصب " أشطره " على البدل فكأنه قال : حلب أشطر الدهر . والمعنى أنه اختبر الدهر شطرى خيره وشره فعرف ما فيه . والمثل يضرب لمن جرب الدهر (ج ١ ص ١٩٥ ـ مجمع الأمثال) .

٩ ـ حنيف الحناتم : كان ماهرا بالدلالة . هكذا فى تفسير النسخة الأصلية وفى المثل ، يقال : أبأى من حنيف الحناتم . من البأى وهو الفخر ، وكان بلغ من فخره أن لا يكلم أحدا حتى يبدأه هو بالكلام . (ج ١ ص ١١٦ ـ مجمع الأمثال) .

فقال : " اليك يساق الحديث "(١) ، ورب لم تلده أمك "(٢) ، فقالت : " شنشنة أعرفها من أخزم "(٣) ، فقال : احضر فهمك لما تسمع ، فقد أجمعت(٤) أن أجمع الدواء أجمع ، العشق لهج بصورة(٥) ، يصير صاحبه في صورة ، وهو من أغراض البطالين ، وأمراض الفارغين ، ينحل الأشباح النحول فينحل الأرواح بالذبول(٦) ، فالدمع هاطل ، والرأى عاطل ، والحسرات تتتابع ، والزفرات تتنابع ، والأنفاس لا تهدأ ، والوساوس بشتد والعيون طول الليل ساهرة والقلوب قد نسيت الآخرة ، ومتى زاد أخرج الى الجنون ، وقد سمعت بعروة(٧) والمجنون(٨) ، وأنشد :

قالت جننت على رأسي فقلت لها ... الحب أعظم مما بالمجانين

الحب ليس يفيق الدهر صاحبه ... وانما يصرع المجنون في الحين

ثم عاد الى الانشاد :

هل الحب الا زفرة بعد زفرة ... وحر على الاحشاء ليس له برد

وفيض دموع العين يامن كلما ... بدا علم من أرضكم لم يكن يبدو

---

١ - قيل في قصة هذا المثل : أن عامر بن صعصعة جمع بنيهم ليوصيهم عند موته فمكث طويلا لا يتكلم فاستحثه بعضهم فقال له : اليك يساق الحديث فأرسلها مثلا . وقيل في قصة المثل غير ذلك . (انظر مجمع الأمثال جـ١ ص ٤٨) .

٢ - يعنى به الصديق ، فانه ربما أربى في الشفقة على الأخ من الأب والأم . لهذا المثل قصة طويلة ذكرها الميداني في مجمع الأمثال جـ ١ ص (٢٩١) .

٣ - هذا المثل يضرب للرجل يشبه أباه ، والشنشنة : الخليقة والطبيعة وأخزم من أجداد حاتم الطائي . (أنظر قصة المثل في مجمع الأمثال جـ١ ص ٣٦١) .

٤ - أجمعت : عزمت .

٥ - اللهج : الاغراء والمثابرة على الشيء .

٦ - فتستحيل الأرواح بالذبول : ح .

٧ - هو عروة بن حزام بن مهاجر الضني من بني عذره : شاعر من متيمي العرب كان يحب ابنة عم له اسمها عفراء . حالت الظروف دون زواجه منها ، فتزوجت من غيره فضني حبها ومات . ودفن في وادي القرى (قرب المدينة) نحو سنة ٣٠ هـ . (جـ٥ ص ١٧ - الأعلام للزركلي) .

٨ - المجنون : ذكر تعريف للمجنون في موضع سابق .

ثم قال : ومن القول البارع ، قول البارع :

أبت نار قلبك الا استعارا ... وماء شئونك الا انهمارا

وكنت صبورا قهيل الفراق ... فهلا أطقت عليه اصطبارا

كأن لم يطف بسواك الهوى ... ولا احتل غير سويداك دارا

وقد مات قيس به هائما ... فما أدركت عامر منه ثارا

وأودى بعروة من قبله ... فلم يغن عروة عنه انتصارا

ومات بدائهما توبه (١) ... أحبوا كراما (٢) وماتوا حرارا

وأنت على اثرهم سالك ... سبيلهم فالفرار الفرارا

ثم قال : ولغيره على قانون سيره :

من سره أن يرى المنايا ... بعينه منظرا صراحا

فليحسر كأسا من التجنى ... وليعشق الأوجه الملاحا

يا أعينا أرسلت مراضا ... فاختلست أعينا صحاحا

قلت : أخبرنى عن بعض ما جرى على العشاق ، فقال : محن لا تطاق (٣)

كان مجنون ليلى لا يعرف نهارا ولا ليلا غلب على قلبه الوسواس ، فهرب الى الوحش عن الناس ، فهو القائل :

---

١ ـ هو توبة بن الحمير بن حزام بن كعب بن خفاجه العقيلى العامرى أبو حرب شاعر من عشاق العرب المشهورين كان يهوى ليلى الأخيلية وخطبها ، فرده أبوها وزوجها غيره . توفى سنة ٨٥ هـ .
(ج ١ ص ٩٥ ـ فوات الوفيات) .

٢ ـ وأحيوا كراما : ح

٣ ـ بحر عميق لا يطاق : ح

انى لأجلس فى النادى أحدثهم ... فأستفيق وقد غالتنى الغول (١)

يهوى بقلبى حديث الناس نحوكم ... حتى يقول جليسى أنت مخبول (٢)

ثم غير المجنون العبارة ، وأخرج المعنى فى غير العبارة :

وشغلت عن فهم الحديث سوى ... ما كان منك فانه شغلى

وأدمت نحو محدثى نظرى ... أى قد فهمت وعندكم عقلى (٣)

قلت : فكيف كان حال ليلى بعده ، فقال : ما كانت تختار بعده ، غير أنهم زوجوها وأخرجوها ، فمر المجنون على زوجها وهو يصطلى بجمر ، فقال له : يا عمرو :

بربك هل ضممت اليك ليلى ... قبيل الصبح أو قبلت فاها

وهل زفت عليك قرون ليلى (٤) ... زفيف الأقحوانة فى نداها (٥) (٦)

فقال : نعم ، فقبض من الجمر الذى لديه بيديه ، فما رماه حتى سقط لحم كفيه ، وخر مغشيا عليه ، ولقد حزم الحزم عروة بن حزام (٧) (٨) فلما طرقه العشق حال الحزام ، فنحله الحب النحول (٩) (١٠) ، وكان اذا أبصره الطب يقول (١١) :

---

١ ـ الغول : الهلكة . ٢ ـ ديوان المجنون ص ٢٢٤ .

٣ ـ ديوان المجنون ص ٢٣٤ .

٤ ـ زفت : هبت ، قرون ليلى : ضفائرها .

٥ ـ الأقحوان : نبت زهره أصفر أو أبيض ورقه مؤلل كأسنان المنشار .

٦ ـ ديوان المجنون ص ٢٨٦ .

٧ ـ حزم الشيء : شده . والحزم : ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة .

٨ ـ سبق التعريف به . ٩ ـ طوق العشق ، م .

١٠ ـ نحله : أعطاه ، والنحول : الضعف والهزال .

١١ ـ الطب بفتح الطاء : الماهر الحاذق بعمله كالطبيب .

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد ان هما شفياني
فقالا : نعم نشفي من الداء كله وراحا مع العواد يبتدراني
فما تركا من سلوة يعلمانها ولا شربة الا وقد سقياني
فقالا : شفاك الله والله ما لنا بما ضمنت منك الضلوع يدان

ثم أنشدته :

ومنتصح قال لي اذا رأى دموعي قد أحرقت مدمعي
متى تستفيق وتسلو الهوى فقلت اذا كان قلبي معي

فقلت ياسيدي قد عرفت أن العشق قلق وانزعاج ، ولكن أنا محتاج الى ذكر العلاج ، فقال : أول ما يزيل حمية(١) حُمّة العشق سكنى حمى الحميه ، فمتى نظرت نظرة ذي علق(٢) ، فاقتطع بالغض تلك العُلَق ، فربما صار هكذا ذاك القلق(٣) ، فان كان المحبوب امرأة يمكن تزويجها ، (فتلك مداواة يلزم ترويجها)(٤) ، وان كان مما لا سبيل اليه فاليأس أوفى دواء وأدل عليه ، ومتى يئس الطالب من المطلوب وتب(٥) قلع ما في القلوب وجب(٦) ، ثم ركّب لبقية الأخلاط ، أدوية من أخلاط ، منها الحذر من عقوبة الانبساط ، ومنها السفر والنكاح على رأي بقراط(٧) ، وأبلغ من هذا ، الفكر في عيوب المحبوب ، وانه أنذل(٨) من أن تهذل في مثله القلوب ، ما هو الا جسد مبني من صلصال(٩) ان قلت له صل صال(١٠) ، لو فكر العاشق في منتهى حسن الذي يسبيه لم يسبه

---

١ ـ الحمية من كل شيء : شدته .
٢ ـ نظرة ذي علق أي نظرة محبة .
٣ ـ ما بين القوسين ناقص : ح
٤ ـ ما بين القوسين ناقص : م
٥ ـ تب : قطع . ٦ ـ الجب : القطع .
٧ ـ بقراط هو
٨ ـ أنذل : أحقر وأخس .
٩ ـ الصلصال : الطين الحر خلط بالرمل أو الطين ما لم يجعل خزفا .
١٠ ـ صال : يشب وسطا .

وأنجع من هذا زجر الهمة الأبية ، عن المقامات الدنية ، مع تفويتها المراتب العلية ، وما أحسن قول أبي فراس[1] ، ولقد أحسن فراس[2]

لقد ضل من تحوى هواه خريدة ... وقد ذل من تقضى عليه كعاب

ولكنني والحمد لله حازم ... أعز اذا ذُلت لهن رقاب

ولا تملك الحسناء قلبي كله ... ولو شملتها رقة وشباب

وأجرى ولا أعطى الهوى فضل مقودي[3] ... وأهفو ولا تخفى على صواب

صبور ولو لم يسق مني بقية ... قؤول ولو أن السيوف جواب

ثم أين الأنفة من الذل ، والحب على الحقيقة كالغل[4] .

نون الهوان من الهوى مسروقة ... فاذا هويت فقد لقيت هوانا

ثم كيف تفرغ ساحة الصدر ، لساكن يرى اباحة الغدر ، فربما مال عن الوداد بسواك ، فنال غاية المراد وقتلك هواك ، وأنشد :

أفق يا فؤادي من غرامك واستمع ... مقالة محزون عليك شفيق

علقت فتاة حبها متعلق ... بغيرك فاستوثقت غير وثيق

وأصبحت موثوقا وراحت طليقة ... فكم بين موثوق وبين طليق

ثم قال انما ابتلاك بالمحبوب ، ليظهر جوهر صبرك ، فقس لقمة آدم وعفاف يوسف على أمرك ، ثم قال : شَغَلتَ لبّي بعشقك ، فقلت : لقد ذهب من قلبي وحقك ، وقد لان بما تشير الى ، فماذا الآن تشير عليّ ؟

---

١ ـ أبو فراس (٣٢٠ ـ ٣٥٧) هو الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربعي أمير ، شاعر ، فارس وهو ابن عم سيف الدولة كان الصاحب بن عباد يقول : بدئ الشعر بملك وختم بملك ، يعني امرأ القيس وأبا فراس ـ ج ٢ ص ١٥٦ ـ الأعلام .

٢ ـ فراس : شجي متبخترا والقوم اعتلى عليهم .

٣ ـ أهفو : أسرع .

٤ ـ الغل : القيد .

فقال النكاح رأس الصلاح ، ولا بد من تخير حسن ، لينوب عن حسين عشقك الحسن ، فقلت : صف لى ما يتقى وما أتوقى (١) ، فقال : المنتقى بما تميل اليه النفس حقا ، حسن فى كل عين من تسود (٢) ، قلت : صف لى الحُسن فانى متبلد ، قال : ان الطبع لا يقلد ، الحَسن معنى يتلبس بالصورة ، ويشهد به أهل الفهم ضرورة ، فاذا عم البدن وخص الأعضاء الرئيسية ، كانت الأجساد عزيزة نفيسة فأما عمومه فاعتدال قامه البيضاء مع تناسب الأعضاء ، وأما خصوصه فان الاعضاء الرئيسية فى باب الحُسن (والقُبح (٣)) ثلاثة ، كما أن الأعضاء الرئيسية فى الباطن ثلاثة ، فالوجه فى مقام الكبد ، والفم فى مقام الدماغ والعين فى مقام القلب ، فاذا تلونت وبقى بياضها مع شهولة (٤) فى السواد ولطف الفم وحسنت الأسنان واعتدلت الشفتان بسداد ، وكبر الوجه بمقدار فى يسير من سنه تم المراد ، وأحسن (٥) ما كان الجسم كالقضيب القضيف (٦)

---

١ ـ صف لى ما أنتقى وما أتوقى : ح

٢ ـ هذا عجز بيت عمر بن أبى ربيعة وجماعه :

فتضاحكن وقد قلن لها حسن فى كل عين من تسود

(ديوان عمر بن أبى ربيعة ص ٣٢١) .

٣ ـ ÷ : ح .

٤ ـ الشهلة فى العين : أن يشوب سوادها زرقة ، وعين شهلاء ورجل أشهل العين بين الشهل أنشد الفراء :

ولا عيب فيها غير شهلة عينها كذاك عتاق الطير شهل عيونها

والشهل : أن يشوب انسان العين حمرة .

٥ ـ أحسن الوجبه : ب ، ز ، ك ، م .

٦ ـ القضيف : النحيف .

ومنتهى مشتهى اللهيف الهيف (١) ، فاذا عظم الصدر والثدى والبطن فَبَيْتُ الكنيف ، فقلت له : قد وصفت فاين أجد ذاك ، قال : لا يكاد يوجد الا فى الأتراك ، وجوهرين كبار ، وعيون صغار والأفواه لطاف ، والقدود ظراف ، وشعر الرأس طويل عميم ، وهو فى بقية البدن عديم ، وكلامهن لذيذ لا بتعمل (٢) ، وحمرة وجوههن خلقة لا تجمل ، وأنشد :

هيفاء (٣) مفنج (٤) الشمائل أوجهت ... تلهى محاسن وجهها إرخاجا

درت الطبيعة أن فاحم شعره ... ليل فأذكت وجنتيه سراجا

ثم تفكر فيما أرشد ، فتذكر وأنشد :

يا عصبة الأتراك أولادكم ... من يوسف الحسن وبلقيس

ألحاظكم تحيى وتردى الورى ... وحسنكم فتنة ابليس

فقلت : هن أرشح من ضفدع النيل (٥) ، فقال : الصحة للوجه وذاك على سبيل ، ثم ان للشحم توابع مضرة ، وليس للأتراك ريح تنكر بمره ، وأنشد :

---

١ ـ اللهيف أى الملهوف ، والهيف جمع هيفاء وأهيف وهو الضامر البطن .

٢ ـ التعمل : التصنع .

٣ ـ المهفهف : الممشوق البدن كأنه غصن وجارية مهفهفة ، ومهفهفة ضامرة البطن دقيقة الخصر .

٤ ـ امرأة وغنجة : حسنة الدل ، وغنجها وغناجها : شكلها . وقيل الغنج ملاحة العينين والغنج فى الجارية : تكسر وتدلل .

٥ ـ يقال: رشح الظبى : قفز . وبديهى أن الضفدع تقفز فى مشيها فيكون المعنى أنها فى مشيها تشبه الظبى فى خفة ، وأرجح الكلمة أن تكون الكلمة : أرسح وليست أرشح ، فالرسح هو قلة لحم العجز والفخذين ويقال للذئب أرسح لخفة وركيه . فيكون المعنى أن هذه الموصوفة ليست ذات عجز وأنها قليلة لحم الوركين . وهذه الصفة قد ذكرها فى وصف الفتاة التركية آنفا وفى المثل أرسح من ضفدع .

بأبي أنت لقد طيبت لنا شما وريما * فاق فوق العنب والعين شيء لا يسمى

ثم قال : لهن خنزوانة(١) تُوجب العِفة ، ولهن حسن صحبة وألفه ، والغاية منهن أن تكون الجارية تُشَبّه بالغلام ، فذاك للغنية نهاية الكمال والتمام

وأنشد :

غلمية الاعضاء مهضومة الحشا * بقد كغصن البان أوراقه الشعر

ثم جعل يتمثل :

وفتية من كماة الترك ما تركت * للرعد كُبّاتهم صوتا ولا صيتا

قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة * حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

مدت الى النهب أيديهم وأعينهم * وزادهم فلق الأحداق تثبيتا

ثم قال : وعليك فاياك والحسن الفائق ، فقلت : منعتني الحسن الرائق ،

فأنشد :

ولن ترى الدهر مرعى مونقا أبدا * الا رأيت به آثار مأكول

ثم قال : أوليس قد نهيتك عن العشق ، أوَ ما كفاك ما رماك من الرشق ، ويحك! ما يتم في الدنيا غرض ، ولا عن الآخرة عوض واحذر أن يذهب الزمان ، فيما ينهب الايمان ، وربما علقت بالحَمَن المبين فأردك ، فعليك بذات الدين تربت يداك(٢) ، ومتى أحصنت المرأة فرجها فارجها واذا رأيت صلاح المرأة عمل فكم فيهن من غل قمل(٣) ، ثم قال : ودعني ودَعني ، فأعرضت عن جوابه فقال : اياك أعني ، فقلت : أنا معك بودي أسرح(٤)

---

١ ـ الخنزوانية : الأنفة .

٢ ـ هذا من حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم " تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك " رواه أبو هريرة رضى الله عنه أخرجه ابن ماجه في سننه جـ ١ ص ٥٩٧ .

٣ ـ غل قمل : يضرب هذا المثل للمرأة السيئة الخلق . (جـ ٢ ص ٦٠ ـ مجمع الأمثال)

٤ ـ أسرح : أذهب .

ويسودني أن لا تبرح ، ولقد كنت من مرضي على شفا[1] ، فما زال أمر الطبيب الذي شفى ، فسلم عند انطلاقه وذهب ، وفي قلبي من فراقه اللهب

---

١ - الشفا : الحافة ، يريد لقد كنت على حافة الهلاك .

المقامة السابعة والثلاثون

فى العزلة

قال الحارث بن همام : من أعجب ما ترى فى عرض أسفارى ، ما جرى فى بعض أسفارى فمررت من أذى أشجان مقيمه الى بادية (١) ، فاذا أنا بنيران عظيمة بادية ، فلاح لى الوقود على رأس جبل ، فصاح بى الجوع المجهود (٢) العجل العجل فلما قربت من أطناب (٣) تلك الحلة (٤) ، رأيت من الأعراب سادة جُلة ، كلهم قد أمشى بمال عكامس (٥) (٦) ، فالفرض لين والعرض يابس ، أقل القوم ابلا يملك هجمة (٧) ، فهجمت عليهم (٨) مستعجلا هجمه (٩) ، فلما فقالوا مرحبا ، وحللت فحلوا الحبا (١٠) ، ثم نادوا يا غلام عَجّل القرى وقالوا : ما عندنا طعام القُرى ، انما هو لبن ولبا وزبد ، وذبح من هذه الغنم الربد (١١) ، فقلت : وهل يوثر غير هذا الطعام غير الطغام (١٢) ، على أن ريق العجوز الريق (١٣) الى كل المأكول شيق ،

---

١ ـ ما بين القوسين ناقص : ح .
٢ ـ الجوع المجهود : الذى بلغ غايته .
٣ ـ الأطناب : جمع طنب وهو حبل طويل يشد به سرادق البيت والوتد .
٤ ـ الحلة : مجتمع البيوت ومنازل القوم . ٥ ـ أمشى : أى كثرت ماشيته .
٦ ـ يقال ابل عكامس : كثيرة أو قاربت الألف .
٧ ـ الهجمة : مابين السبعين الى المائة من الابل .
٨ ـ هجمت : دخلت عليهم بغتة . ٩ ـ هجم ما فى الضرع : حلبه واستخرجه كله
١٠ ـ الحبا : الجلوس على الالية وضم الفخذين والساقين الى البطن بالذراعين للاستناد .
١١ ـ الربد جمع ربدا وهى الشاة السوداء المنقطعة بحمرة وبياض .
١٢ ـ الطغام : أوغاد الناس .
١٣ ـ الريق : الذى على الريق لم يأكل شيئا .

فجلسنا على الخوان[1] جلوس الاخوان ، فكنت أتناول لجوعي الوشيقة[2] بعد الوشيقة ، كما يتناول العاشق عشيقه ، واسترط[3] الهُبينة[4] بعد الهُبينة ، وكأنها عند كثير جوعي بُذينة ، فاذدهتني[5] مطاعمهم فدحتني[6] لذاتها فدحتني[7] . ثم جيء بالحسن والمسل ، فجبت القلاة بالأمن فلا تسل ، وأكلت أكل حرص قد حرض[8] الى أن شكرت[9] فلما فرغت ففرت[10] في الثناء وشكرت ، ثم أفضنا في فنون من الحديث ، وعرضنا من عيون القديم والحديث ، فقلت لهم انكم لِمَن جاوركم للفهماء ، ولكن لو جاوركم العلماء ، فقالوا " لا تهرف بما لا تعرف[11] " عندنا فقيه البلد ، وسيد السند[12] ، اختار للعزلة في حلتنا وانفرد ، فما يخالطه من محلتنا أحد يقنع من التمر بالحَشَف[13] ، ومن الماء بالنَشَف ويؤثر الزهد والنشف[14][15] ،

---

١ ـ الخوان : ما يؤكل عليه الطعام (المائدة) .
٢ ـ الوشيقة : لحم يقدد حتى ييبس أو يغلى اغلاءة في ماء وملح ثم يرفع ثم يقدد ويحمل في الأسفار وهو أبقى قديد .
٣ ـ أسترط : أبتلع . ٤ ـ الهبينة : الزبد .
٥ ـ ازدهتني : أخذته خفة من الزهو وغيره ٦ ـ فدحتني : غالتني .
٧ ـ فدحتني : رمت بي . ٨ ـ الحرض : الجشع ، الحرض : الذي طال سقمه . ٩ ـ شكرت : شبعت .
١٠ ـ ففرت : فتحت .
١١ ـ يضرب هذا المثل لمن يقول بما لا يعلم ، والهرف : الاطناب هكذا في تفسير النسخة المخطوطة . وقال الميداني : الهرف : الاطناب في المدح . والمثل يضرب لمن يتعدى في مدح الشيء قبل معرفته . (جـ٢ ص ٢١٩ مجمع الامثال)
١٢ ـ سيد السند : العالم برفع الحديث الى صاحبه .
١٣ ـ الحشف بالتحريك : أردأ التمر أو الضعيف لا نوى له أو اليابس الفاسد .
١٤ ـ النشفة : بضم النون وكسرها : الشيء القليل يبقى في الاناء مثل الجرعة والنشفة بفتح النون : خرقة ينشف بها ماء المطر وتعصر في الأوعية .
١٥ ـ يؤثر الزهد والقشيف : ح ، م ، النشف : اليبس ، القشف : رثاثة الهيئة وسوء الحال وضيق العيش وان كان مع ذلك يطهر نفسه بالماء والاغتسال .

واذا عرض لنا معنى كشف ، فقلت : كم مشكل مشكول قد حل(١) قلبى ما حل(٢) ، كلما جال سألت الرجال فأفاضوا الى القيد الفل ،

فأنشدوا :

وما كل دار أقفرت دار الحمى ولا كل بيضاء الترائب زينب

فقلت : فأنتم أعز وسائلى اليه ، لأعرض مسائلى عليه ، فقالوا لى هلم وأم(٣) ، فتبعتهم كما يتبع الولد الأم ، فوصلنا الى خباء على ماسيح(٤) فاذا شيخ عليه شيح(٥) ، صبيح الوجه مليح الشيمة ، عليه نور النور وهيئة الهيبة ، فوطئنا بساطه وجلسنا ، واغتنمنا انبساطه واختلسنا ، فقلت : أما فى هذا العالم من يبنى لك بيتا فتأويه ، (ان العالم يبنى لنفسه بيتا هو جواب فتاويه(٦)) ، فقالوا له : هذا غريب قد جاء وله مسائل ، فقال : ليسأل ما شاء كل سائل ، فسردت عليه عويص المشكلات ، واعتمدت صعب التلخيص من المبهمات ، فما وقف فى مشكله ، ولا صدف(٧) عن معضله ، بلسان كيعبوب(٨) النهر ، فى بلاغة أحسن من جنوب الزهر ، فقلت له كيف لمن علومه هذه البوادى ، فى هذه البوادى ، أما سمعت فى الحديث عن المصطفى أنه " من بدا جفا "(٩) ، فقال : ما تعربت ولا تفربت ، وانما هربت ممن جربت ، ثم أنا وأبناء حلتى مدينة ، ومن يتقن أن نفسه غدا مدينة ،

---

١ ـ حل قلبى : سكن فيه .
٢ ـ ما حل : لم يوجد له حل (جواب) يريد أن هناك مسائل عويصة قد عرضت له وسكنت قلبه ولم يجد لها حل .
٣ ـ أم : أقصد
٤ ـ يحتمل أن يكون المعنى : وصلنا الى الخباء على سير شديد . يقال مسحت الابل الأرض يومها دأبا أى سارت فيها سيرا شديدا ويحتمل أن يكون على ماء سيح ، وسيح اسم عين واسم وادى .
٥ ـ السيح : الكساء المخطط . ٦ ـ مابين القوسين ناقص : م .
٧ ـ صدف : أعرض ـ ٨ ـ اليعبوب : شدة الجرى .
٩ ـ رواه الحكيم عن البراء بسند غريب (حسن) ـ الجامع الصغير ٢ ص ١٦٧

غدا يرفض أهل الشر ويحفظ دينه ، قد كنت في البلد أعقد مجلس المناظره ، فما بقي من اقعد معه للمحاضره ، انهم ما يتواصون بالحق ، انما يتناصون (١) على الأحمق ، أشكو الى الله لا الى المغير زمن الزمن ، وأعوذ به من السير على غير سنن السنن (٢)

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعرف

فقلت : أذكر لي الذين فارقتهم وهربت عنهم ، من هم وما حالتهم فيما عدت فقدت عنهم ، فأنشد (٣) :

ألا ان اخواني الذين عهدتهم أفاعي رمال لا تقصر في لسعي

ظننت بهم خيرا فلما بلوتهم حللت بوادٍ منهم غير ذي زرع

كنت آمرهم بإخلاص الأسرار ، في الاعلان والاسرار ، فتطاير الى الشرار من أولئك الأشرار ، فأنا أدعوهم الى النجاه ويدعونني الى النار

فقلت : صف لي أعمالهم المكروهة ، فقال : شوهة لهم وبوهة (٤) أما القراء فهمتهم الشاذ ، ونهمتهم في البعيد الفاذ (٥) ، يغربون ليشار اليهم ، ولا يقبلون من أشار عليهم ، وأما المحدثون ففرضهم من المنقول علو الاسناد (٦) ، لا بيان المقول ولا فهم المراد ، يجوب أكثرهم القفار (ويرضى بالخبز القفار) (٧) من كدر الجفار (٨) ، وحظوته من تلك الأسفار

---

١ ـ يتناصون : يتنحسون ويتأخرون .

٢ ـ سنن الطريق : نهجه وجهته ، والسنن : أحكام الله وأوامره ونواهيه .

٣ ـ تعربت عنهم : ح ، تعربت : تركت الحضر وصرت مع الأعراب .

٤ ـ شوهة لهم بوهة : أي قبح لهم ولعنة .

٥ ـ الفاذ : المنفرد . ٦ ـ أي رفع الحديث الى صاحبه .

٧ ـ ما بين القوسين ناقص : م ـ الخبز القفار : الغير مأدوم .

٨ ـ الجفار جمع جفرة وهي الحفرة الواسعة المستديرة .

جمع الكبت والأسفار[1] ، اكثرها طرق أسلم وغفار[2] ، ولا يدرى نجاسة الماء اذا وقع فيه فار ، وأما الفقهاء فربما استدلوا بأحاديث ، لا يعرفون عليها من الخبيث ، وربما تنكبوا المنقول الى القياس ، فيؤثرون ظلام الجدل على ضوء المقباس[3] ، يتشاغلون بالمسائل الطوال ، لأنه يكثر فيها قيل وقال ، يتنافسون فى الربح والمجالس ، فيتعلم منهم سوء الأدب المجالس ، فيجرى بينهم مجادلة لا مجادله وملاكمة لا مكالمه يغضب أحدهم اذا لم يلقب ، وينتظر تقبيل يده ويترقب ، يتطفلون على صنوف الظلمه ولا يأمرونهم (من المعروف)[4] بكلمة ، وربما لبسوا من الثياب الحرير وأنسوا بالكذب فى ثناء الأمير ، وربما أحيلوا فمالوا على مكاس[5] ، فاحتالوا واختالوا وقالوا لا بأس ، وربما غضوا[6] بجهلهم المتزهدين وقالوا بقولنا لا بفعلهم عرف الدين ، وما كان السلف على هذه الطريق ، ولا على هذه الجذوة من ذاك الحريق ، كان القوم لا يؤثرون التصدر فى المسائد للمسائل ، وبودهم لو أجاب غيرهم السائل ، وأما الحكام فلهم أحكام ولا أطيل ، من أقلها قبول البراطيل[7] ، يستشهدون الجاهل والغِر[8]

---

١ ـ الأسفار : الكتب العظيمة .
٢ ـ غفار : رأس جبل ، وجبل وكذل أسلم .
٣ ـ القبس والمقباس : شعلة نار تقتبس من معظم النار .
٤ ـ ـ : م
٥ ـ الماكس والمكاس : الذى يأخذ الجباية .
٦ ـ غضوا : احتقروا وأعابوا وتهاونوا فى حقهم .
٧ ـ البراطيل : الرشاوى .
٨ ـ الغر : الشاب لا تجربة له .

والشهود يشهدون وما عرفوا المقدر :

وقضاة على النفوس قضاة وعدول عن الصواب عدول

وأما المذكرون فيوردون الأخبار الموضوعة ، ويتخاشعون (١) بحركات مصنوعة وينشدون شعر ليلى والمجنون ، ويوقعون على مثل اللحون ، يجتلبون شر الحطام ، ويحتلبون در الطغام ، همتهم اللفظة العجيبة ، لا النهى عن النظرة والغيبة ، فيخرج الغبى وما أمر بالصلاة والفتى وما حث على الزكاة ، والعاصى وما يعرف طريق النجاة وجمهور المتزهدين انما صوفوا للتصنع ملهوسهم (٢) ، ونكسوا للتخشع رؤوسهم ، ليلا حظهم بالزهد من يرى ، وهم فى الباطن أسد شرى ، وأما التجار فالربا فى تصرفاتهم ، من أقبح آفاتهم ، ويصانعون ببعض زكاتهم ، فيبقى الفقراء فى شكاتهم واذا كان هذا شأن العلماء والمعلمين ، فكيف يكون حال الأمراء والسلاطين ، قلت : فكيف التخلص من هذا الزمان المظلم جهله ، الظالم أهله ؟ قال : أنظر فاذا وجدت العالم دينا عاقلا ، والافاجعل مصيب العالم معلما قلى ، فقلت سبحان من أوقعك على الجادة (٣) ، وعلمك المداواة بالحادة ، فاقبسنى من علمك ما يروح فؤادى قبل أن أرحل ، فوادى بلدنا من مثل هذا قد أمحل (٤)

---

١ ـ يتخاشعون : يتصنعون الخشوع وهو رمى البصر نحو الأرض وغضه وخفض الصوت .

٢ ـ صوفوا ملهوسهم : جعلوه من الصوف .

٣ ـ الجادة : معظم الطريق والطريق الواضح .

٤ ـ أمحل : أجدب .

فقال ان أردت العلوّ فارتق درج التقوى وان شئت العز فضع جبهة التواضع وان آثرت الرياسة فأنَ مع قواعد الاخلاص (١) فوالله ما تحصل المناصب بالمناصب والبهرج (٢) ، وان نفق مردود وما يتبهرج ، الشحم بالورم ، ويحك! أعظم من الربا والزنا الرياء ، كم حول معروف بن دفين (٣) ذهب اسمه كما بلى رسمه ومعروف معروف (٤) ، فقلت له : تصدق بصحبتك علىّ ، فقال : الوحدة أحب الىّ ، قد سمعت النصيحة الصحيحة فتسلمها وتسنمها (٥) ، ولا تكن كأشعب تتعب (٦) ، فوجدت لفراقه ما أجد لفقد اعز الأعزة ، وعددت نفسى كثيرا أو أقمته مقام عزه .

---

١ ـ فارفع قواعد الاخلاص : ح ، فأن : فعل أمر من الأناة وهى الحلم والوقار .

٢ ـ البهرج : الباطل .

٣ ـ دفين أى مدفون .

٤ ـ يقول هناك كثيرون دفنوا حول معروف الكرخى رحمه الله فاندثروا واندثرت سيرتهم لأنهم كانوا مرائين ، أحبوا الدنيا وتركوا الدين .

٥ ـ تسنمها : اعتليها . والمراد : احفظها وآجعلها مطيتك لبلوغ المراد .

٦ ـ هو أشعب بن جبير ، المعروف بالطامع ويقال له ابن أم حميده ، ويكنى أبا العلاء وأبا القاسم ، ظريف ، من أهل المدينة كان مولى لعبد الله بن الزبير ، تأدب وروى الحديث ، وكان يجيد الغناء . يضرب المثل بطمعه . توفى سنة ١٥٤ هـ .
(ثمار القلوب ص ١١٨) .

المقامة الثامنة والثلاثون

فى الأمثال

سمعت أن أبا التقويم قد قدم البلد ، وكان يعدنى فى القديم كالولد ، وكنت آلف له من حمام مكة (١) ، وأتيم به من المرقش (٢) ، فكتبت اليه كتابا ، يتضمن تشوقا وعتابا .

لعمرى لقد كذب الزاعمون ... بأن القلوب تجازى القلوبا

ولو كان هذا كما يزعمون ... لما كان يجفو حبيب حبيبا

عندى اشتياق قد جنح (٣) جواه على جوانحى (٥) ، وجرح (٤) شباه (٦) جميع جوارحى ، وكنت اذا لقيتك تصرف السرور فى ولا يتيه وطاب الذوق ومذ غبت صارت الدولة للوجد والشوق .

ما أبالى اذا النوى قربتكم ... قد نوتم من حل أو من سارا

والليالى اذا نأيت طوال ... وأراها اذا دنوت قصارا

---

١ - يضرب هذا المثل لمن يألف الشيء ويكثر ملازمته

٢ - أيتم من المرقش : يعنون المرقش الأصغر ربيعة بن حرملة كان متيما بفاطمة بنت الملك المنذر وله معها قصة طويلة ، وبلغ من أمره أخيرا أن قطع المرقش ابهامه بأسنانه وجدا عليها ، وفى ذلك يقول :

ومن يلق خيرا يحمد الناس أمره ... ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

ألم تر أن المرء يجذم كفه ... ويجشم من لوم الصديق المجاشما

أى يكلف نفسه الشدائد مخافة لوم الصديق اياه ، وأتيم : أفعل من المفعول يقال : تامه الحب وتيمه : أى عبده وذلله . (جـ ١ ص ١٤٨ - مجمع الأمثال) .

٣ - جنح : مال .

٤ - الجوى : الحزن وشدة الوجد .

٥ - الجوانح : الضلوع تحت الترائب مما يلى الصدر واحدته جانحة .

٦ - الشبا : حد كل شيء .

والعجب أنك تنزل بى بلد لا على ، وتتوجه الى أحد لا الى

أنت على الهم همومى اذا ... غبت وأشجانى على القرب

لا أتبع القلب(١) الى غيركم ... عينى لكم عين على قلبى

وانما أدل بما استدل به من محبتك ، أيام خدمتى لك فى صحبتك :

أدرجت فى أثناء نسيانكم ... حتى كأنى ألف الوصل(٢)

ولقد خفت أن يكون الود بيننا قد تزلزل ، أو حدث أمرا وجب بيننا وزلزل .

سل بسلع شجنا كان وكنا ... ليت شعرى ما الذى ألهاك عنا

أهوى أحدثته أم كاشح(٣) دب أم ذنب سوى أن تتجنى

ليت جسمى مع قلبى عندكم ... انه فارقنى يوم افترقنا

أتمناكم على اليأس ومن(٤) ... تركوه ومنى النفس تمنى

ولقد كنت ألفت مجاورتك فامتنعت ، ومحاورتك بالرسائل فانقطعت

ألا ليت شعرى كيف حادث وصلنا(٥) ... وكيف تظن بالاخاء المغيب

أدامت على ما بيننا من نصيحة ... أميمة أم صارت بقول المخيب

وتدل المكتوبات(٦) الى على التهم قد دلنى ، غير أنى أقول للفهم لعلى ولعلنى .

---

١ ـ لا أهبع الطرف : ح

٢ ـ يريد بألف الوصل : همزة الوصل فهى تسقط وتتناسى فى درج الكلام ووصله .

٣ ـ الكاشح : مضمر العداوة .

٤ ـ على الناس : ح .

٥ ـ وصلها : ح .

٦ ـ ترك المكتومات : ح .

ما كنت تصبو الى القدس فلم صبرت الآن عنا

ولقد ظننت بك الظنو (١) ن لأنه من ظن ظنا

فلما وقع المكتوب اليه ، وقع عليه .

عليك سلام الله أما جسومنا فتبلى وأما ودنا فصحيح

وانى لأستشفى (٢) بكل سحابة تجيء بها من نحو أرضك ريح

سطرت الى كلمات عاتبت ، وأنا أفدى من يعاتب .

أنهئت نعمى على الهجران عاتبة سقيا وعيا لذاك العاتب الزارى (٣)

وما أفاقنى من لقائك الفرض ، الا نوع مرض اعتراض ، ولولا أنه بحمد الله انقبض قبض .

والحمد لله عاد جسمى بعد سقام الى السلامة

وقمت من علة أقامت على أفانها القيامة

وها أنا سالما ولكن من لى من الموت بالسلامة

ولى غريم من المنايا قد لزمتنى له الغرامة

وبالتقاضى له أذان وما أرقب الاقامة

وها أنا مسرع خلف الكتاب ، فلا تقابل ودا وهى بمتاب (٤) ، فاذا بالزور (٥) قد أقبل وقال زورا تقبل ، فقلت وكأنى أصدق بأنك تتصدق على بهذا (٦) فقال : أنت أرزن فى قلبى وأوزن مما يحاذى (٧) ، ثم قال : انى قد قدمت من التشوق (٨) اليك ، وما يخفى فيما علمت رمزى عليك ، فتفكرت فاذا السين منقوطة والتا مشددة ،

---

١ ـ ظن : اتهم .
٢ ـ انى لأستقى : ح ، ك ، م .
٣ ـ الزارى : المعاتب . ٤ ـ وهى : ضعف .
٥ ـ الزور : الرئيس والزلئر والمقبل .
٦ ـ الزور : الزائر .
٧ ـ أرزن : أوقر .
٨ ـ من السوق : ك .

فقلت : ان (سهام (١)) فصاحتك ما زالت تمده فظللنا في ألطاف أعطاف (٢) من بستان الحديث ، بجتنى لطاف القطاف من كل حديث ، فقلت له : انى أوثر العلوم والعلم كثير ، فأنهاأيها الأثير (٣) ، انفح عن فطنه وأثير ، فقال الفقه في مراتب العلوم ومراقيها الأمير ، ولا بد أن تستعين بباقيها وتستمير (٤) ، العربية كاتب انشاء والحديث وزير وكلمات الحكم اذا هم الجد بالناى (٥) وزير (٦) ، ثم لا ينال العلم العزيز الا باجتهاد غزير ، ولا يحظى به غبى ولا غنى بل الفقير قلت : فالعلماء لا يلتفت اليهم ، فقال: وماذا عليهم ، على أنه من اجتلب در الكلام ، احتلب در الكرام ، ويحك تعلم العلم فلأن يذم الزمان لك خير من أن يذم بك ، قلت : قد أمسكت العلم بيد التكرار فنفر ، فقال : اثبت له فالصيد قرين الظفر ، قلت :بماذا نلت ما نلت من معرفة الشبه والحجج ، فقال: أنت ترى علو مكانى وتنسى معاناة المدرج ، كم خضت بحرا ملحا صعبا (حتى وقعت بعذب ذليل ، كم قطعت مهمها وحدى (٧) (٨)) حتى سميت بالدليل ، كان يكون حولى ألف راقد وأنا أرعى الفراقد (٩) ، قلت : أكنت تصحب ترك الهجوع طول الليل ، قال :

---

١ ـ + : ح .

٢ ـ الأعطاف جمع عطفة وهى أطراف الكرم المتعلقة منه .

٣ ـ رجل أثر : مكين مكرم . ٤ ـ التمور : التحرك والمجيء والذهاب

٥ ـ الناى : آلة من آلات الطرب .

٦ ـ الزير : الدقيق من الأوتار وأحدها ومن العود ما يقابل الهم يريد أن كلمات الحكم تخفف على النفس الهموم ووحشة الغربة والبعد فهى كآلات الطرب التى تسلى وتسرى على النفس .

٧ ـ المهمه : الصحراء الواسعة . ٨ ـ مابين القوسين ناقص : ح .

٩ ـ الفراقد : جمع فرقد وهو النجم الذى يهتدى به . وهو نجم قريب من القطب الشمالى ثابت الموقع تقريبا ، ولذا يهتدى به ، وهو المسمى " النجم القطبى " وبقربه نجم آخر مماثل له وأصغر منه وهما فرقدان .

واسحب بالنهار على الجوع الذيل :

ألفت الجد والتدآب أنسى (١) لغير الجد والتدآب آبى (٢)

فمن يك دأبه لعبا ولهوا (٣) فدرس العلم والآداب دأبى

فلا طبعى عن الايجاف (٤) جاف ولا نابى عن الاطناب نابى

فمن يصبو الى لهو فانى الى جد كمثل الصاب (٥) صابى

فمبذول لدى الآمال مالى ومفتوح لدى الألباب بابى

قلت فكيف السبيل الى مقامك فى العلم ، فقال : لا يسع رأسى الرمح الا السنان ، ثم قال : أما علمت أن سوء المكاره دون ورد المكارم ، ويحك ! ما أنت فى دعوى الحب الا غائص أيقدر على تناول الحب الا غائص .

لو قرب الدر على جالبه ما لج (٦) الغائص فى طلابه

ولو أقام لازما أصدافه لم تكن التيجان فى حسابه

ما لؤلؤ البحر ولا مرجانه الا وراء الهول من عبابه

من يعشق العلياء يلق عندها ما لقى المحب من أحبابه

فلم يزل يرتع بى فى رياض (٧) غياض ، الى أن عارضنا من الفجر اعتراض فلما رأى زر الظلام قد انحل ببنان الضوء تأهب للانطلاق ، فتخايلته معشوقة تطلب الطلاق ، فقلت زود نى كلمات فالوقت واسع ، والظلمه تويه والطريق شاسع ، فقال : أيها أحب اليك المنثور أو المنظوم (٨) ، فقلت :

---

١ ـ التدآب : الجد والتعب . ٢ ـ آبى : رافض .

٣ ـ الدأب : الشأن والعادة . ٤ ـ الايجاف : الاضطراب وسرعة السير .

٥ ـ أى اننى أحن واشتاق الى الجد كما يحن الصابى الى لهوه .

٦ ـ لج : خاض .

٧ ـ الغياض : جمع غيضة وهى مجتمع الشجر فى مفيض ماء .

٨ ـ المنظوم أو المسجوع : ح .

مهما صدر من هذا الصدر فمطبوع ، فقال : اكتب من المنثور ما هو أحسن من (الهان والورد)(١) المنثور ، قوتك قوتك من لم يكس وكس(٢) ، من سل سيف البغى أغمد فى رأسه ، من ظلم يتيما ظلم أولاده ، الشباب باكورة الحياة والشيب رداء الردى ، لا عذر لمن اعتم بالشيب الا أن يرتدى بالعقل ، مع الخواطئ سهم صائب(٣) ، اذا ترعرع الولد تزعزع الوالد ، "من سره بنوه ساءته نفسه"(٤) ، اللسان مقتل المتكلم ، من صعد بظلم نزل بعدل ، أشد من الذنب المماطلة بالتوبة ، الحلم مطية وطيه ، والمنية تضحك من الأمنية ، اذا دخلت الموعظة أذن جاهل مرقت من الأخرى ، المسئول حر حتى يعد الرشوة رشاء(٥) الحاجة ، اذا بقى ما يقوت فلا تأس على ما يفوت ، من سعادة جدك(٦) وقوفك عند حدك ، أنفس الأعلاق حسن الأخلاق ، من أحب صيد قلوب الرجال نثر لها حب الاحسان ، الهدية تعور عين الحكيم ،

---

١ - ؛ : ح .

٢ - الوكس : النقصان ، ورجل وكس أى خسيس .

٣ - وفى المثل : "من الخواطئ سهم صائب" . يضرب للذى يخطئ مرارا ويصيب مرة . والخواطئ : التى تخطئ القرطاس وهى من خطئت أى أخطأت . قال أبو الهيثم : وهى لغة رديئة . قال ومثل العامة فى هذا "رب رمية من غير رام" . وأنشد محمد بن حبيب :

رمتنى يوم ذات الغمر سلمى ... بسهم مطعم للصيد لام
فقلت لها أصبت حصاة قلبى ... ورب رمية من غير رام

وقال أبو عبيد : يضرب قوله "من الخواطئ" للبخيل يعطى أحيانا على بخله .

٤ - قائل هذا المثل ضرار بن عمرو الضبى وكان ولده قد بلغوا ثلاثة عشر رجلا ، كلهم قد غزا وراس ، فرآهم يوما معا ، أولادهم فعلم أنهم لم يبلغوا هذه الاسنان الا مع كبر سنه ، فقال : من سره بنوه ساءته نفسه فأرسلها مثلا .

٥ - الرشاء : الحبل . والمراد المسئول يبقى حرا حتى تعتبر الرشوة سبيلا لقضاء الحوائج لديه .

٦ - الجد بفتح الجيم : البخت والحظ .

من أشرق باطنه بالعلم لم يضره اظلام ظاهره برثاثة الثياب ، الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية ، النسب نسب المحسنين ، الهم يحمل فى وحر (١) النفوس عمل السوس فى حرب الهسوس ، ما حك بما ليس فيك مخاطب لغيرك ، اذا ولى الجد ضاع الجد (٢) ، من لم يجد لم يسد ، حسن الخلق خلاص العقل ، ما مزح معه من أخذ بالحزم ، لم تتجرع مرارة (٣) ولو ليمت ، من احتمل كلمة قطع جوابها ، الزمان أنصح المؤدبين وأفصح الموئنسين (٤) ، كل الشر فى الشره واللذة خناق من عسل ، الحزم مطية النجح ، والطمع مركب التلف ، والتوانى أبو الفقر والبطالة أم الخسران والتفريط أخو الندم والكسل ابن عم الحسرة وما يحصل برد العيش الا بحر التعب . ثم قال لى : استأخر فما لهذا آخر ، قلت : ان بحرا هذا ضحضاحه لعميق ، وان غصنا هذا زهوه لوريق ، قلت : فامل على من السجوع ولو كلمتين ، فقال : اللسان أقطع السيفين ، الأمل احدى اللذتين ، الفقر احدى الموتتين ، حسن الثناء أحد البقائين ترك الوطن أحد الشبابين حسن الرد احدى الصدقتين ، لطف المنع أحد البذلين ، القرض احدى الهبتين ، تعجيل اليأس أحد النجحين ، سوء الخلق احدى المصيبتين ، السؤال عن الصديق أحد اللقائين ، موانسة الرفيق احدى المطيتين

---

١ ــ فى وجد : ح ، الوحر : الحقد والغيظ والغش .

٢ ــ الجد بالكسر : الاجتهاد فى الأمر ضد الهزل ، والجد بالفتح : البخت والحظ

٣ ــ من : ح .

٤ ــ الزمان أنصح المعلمين وأفصح المؤدبين : ح .

حسن التدبير احدى الثروتين ، السامع للغيبة أحد المغتابين ذهاب المدة أحد الهلاكين ، الاياب بالسلامة احدى الغنيمتين (١) (٢) (٣) الفرك أحد الطلاقين ، الحمية أحد الدوائين ، قلة العيال أحد اليسارين ، المرق أحد اللحمين ، ثم قال : لو شئت لا مللت فأمللت صحبي الفين ، فلا تقطعني عن مراد قلبي فنحن كالفين ، فقلت عرفت كنيتك فما الاسم يا قرة العين ، فقال : لام وقاف وعين ، اقلبها تفهمها ولا أثر بعد عين فشيمته ورجعت لا أرى بما أفاد القمرين بحنين (٤) (٥) حفي (٦) (وخنين خفي (٧)) (٨) لا بخفي حنين (٩) .

---

١ ـ الفرك : البغض .

٢ ـ ما بين القوسين ناقص : م .

٣ ـ الحمية : الوقاية .

٤ ـ وقلة العيال أحد اليسارين : ح .

٥ ـ الحنين : الشوق وشدة البكاء والطرب ، أو صوت الطرب عن خوف أو فرح .

٦ ـ حفي : شديد .

٧ ـ الخنين : البكاء أو الضحك في الأنف .

٨ ـ ما بين القوسين ناقص : ح .

٩ ـ رجعت بخفي حنين : يضرب هذا المثل عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة ، وذكر في قصته بعض الأخبار .
(أنظر مجمع الأمثال ج ١ ص ٢٩٦) .

المقامة التاسعة والثلاثون

فى الوعظ

==========

خرجت مع نجى نجيب (١) ، كل منا على نجيب (٢) ، كلما فدعتنا (٣) عبره فدعتنا نجيب ، فأنفدنا الى أرض صرماء (٤) ، فقدنا فيها الماء فتقطعت بنا الأسباب فى السباسب (٥) ، وانقطعت حبال الاكتساب والمكاسب ، فقلنا : أهلكنا اشباحنا غفلة (٦) فى هذه الغفل (٧) ، وتركنا أرواحنا تتمنى قفلة وراء هذا القفل (٨) ، فلاح لنا خباء على شعف (٩) ، فأسرعنا اسراع ذى شغف (١٠) ، فاذا نحن ببدوى بَدوى (١١) ، فعجبنا من صوت فى القواء (١٢) قوى ، فقال لنا : ما الاقتراح ؟ فقلنا : ماء قراح (١٣) فراح علينا بماء من كسور البرد فشربنا وراح لناسور الملد فطربنا

---

١ ـ النجى : من تسر له الحديث أو تخلصه بالسر ، والنجيب : الكريم الحسيب .

٢ ـ على نجيب أى على بعير كريم .

٣ ـ ربما كانت فدعتنا بدل فدعتنا بمعنى سبقتنا .

٤ ـ الصرماء : التى لا ماء بها .

٥ ـ السباسب جمع سبسب وهى المفازة أو الأرض الكستوية البعيدة .

٦ ـ أشباحنا : أجسامنا .

٧ ـ الغفل : التى لا أثر فيها .

٨ ـ قفلت وراء هذا القفل : م ، القفلة : الرجعة ، والقفل : الشعب الضيق كأنه درب مقفل لا يكن فيه العدو .

٩ ـ الشعف : رأس الجبل . ١٠ ـ ذى شغف : ذى لهفة .

١١ ـ بدوى : بصوت .

١٢ ـ القواء : القفر من الأرض ، وأرض قواء : لا أحد فيها ، منزل قواء : لا أنيس به .

١٣ ـ الماء القراح : الخالص .

فأرحنا ابلنا من اللغب(١) واسترحنا ، واطرحنا(٢) ذكر التعب وانطرحنا ، ثم دخلنا المدينة واذا منادى الجمعة فأجبنا ، فتأهبنا وقربنا ، فلما جزمنا(٣) ما التزمنا من الفرض ، وحننا حنين العشار الى الانتشار فى الأرض ، علا على المنبر عالم ظريف الخلائق ، وحف به عالم كثير من الخلائق ، فولجنا فج زمره(٤) ، وقلنا نرد الحج عمرة ، فآنسنا من الكلام المحسن ، ما أنسانا كلام الحسن بعبارة أحلى من الشهد ، فى ترقيق ألين من الزبد ، بتخويف أفظع من الوعد ، فاذا القلوب تتوجع من الوجد ، وتبكى بكاء أمر من الفقد ، فمجنا من أعمال تلك المواعظ ، وكمال ذلك الواعظ .

ليس فيها ما يقال له ... كملت لو أن ذا كملا

كل جزء من محاسنها ... كائن فى فضله مثلا

لو تمنت فى تلاحنها ... لم تجد من نفسها بدلا

فقام كهل فقال : كم يختلف الى الواعظ هذا المعشر(٥) ، ويختلف عليه المواعظ وما يتأثر ، فقال : قد ضربت الأنجر(٦) فى بحر الهوى وطال بك الوسن(٧) وطاب لك المقام فى غير وطن ، قدر أنك ما تخاف جلد البرياح ، أما تشتاق بلد الأرباح ، قال السائل فليت مرضى اقتنع بما قد ورى(٨) ، انما أنا كل يوم الى ورا ، فقال له

---

١ ـ اللغب : التعب ٢ ـ أطرحنا : ألقينا .

٣ ـ جزمنا : قطعنا وأمضينا .

٤ ـ الفجة بالضم : الفرجة ، والزمرة : جماعة .

٥ ـ هذا المعشر : م .

٦ ـ الأنجر : مرساة السفينة .

٧ ـ الوسن : النوم .

٨ ـ ورى : أى بما قد ذكر .

أنت في جمع الحطام نظير الزبال ، وفي فعل الخير غلام الحبال
أندري قدر ما ضيعت فيما صنعت في أمرك ، دخلت
دار الهوى فقامرت بعمرك كنت أمس قلب أمس فنراك اليوم
تصحيف نرى (١) ، قال قد غلبني أملي ، فقال : قوة الأمل
عقدة في وجه منشار الجد ، قال : لو أرادني لأصلحني
فقال: لو كان التعلق بالقدر جنه ، لما خرج لبهوك
من الجنه ، ويحك ! الأمر جلي والقدر خفي ، وأنت مطالب
بالجلي لا بالخفي ، قال : ما أرى الا أن هذا حظيظ (٢)
وهذا في الحضيض ، قال : ويحك ! دع التعلل بالقدر ، فما حام
حوله من قدر ، ويحك (٣) لم تتعلق بالسبب في فتح دكانك ، وتتوثق
في الطلب بكل امكانك ، فأنت الزلحلح (٤) في الهوى وما تتلحلح
للتقى من مكانك ، تدبر أمر الشتاء قبل حلوله ، والصيف
قبل دخوله ، وتنسى زاد القبر قبل نزوله ، ويحك ! متى نويت خيرا
فعاقك القدر قام بالغرامة (٥) ، فأي لطف أوفى من هذا وأي كرامة ،

---

١ ـ يريد أنك كنت بالأمس سماء وأصبحت اليوم ثرا ، فسماء مقلوب أمس وثرا تصحيف ترى .

٢ ـ الحظيظ : ذو الحظ . ٣ ـ ويحك : م .

٤ ـ الزلحلح : الخفيف .

٥ ـ يريد أنك متى نويت الخير وعاقك القدر عنه لم يفتك الأجر وهذا مأخوذ من الحديث القدسي الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل قال: " ان الله عز وجل كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هم بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة . (باب من هم بحسنة أو سيئة ١١/ ٢٧١ـ٢٧٦ ومسلم في كتاب الايمان باب اذا هم العبد بحسنة كتبت واذا هم بسيئة لم تكتب ١/ ١١٨) .

الاجتهاد جناح النجاح يا مؤمن ، وكسلك مثبط لا بل مزمن

جد ففي جدك الكمال والهزل مثل اسمه هزال

فما تنال المراد حتى تكون معكوس ما تنال (١)

كف بن تبذير يؤذي فكيف ببيدر (٢) من رعونه ، فقام والى المدينة يستفهمه ويقول ما الذي منعك ، فقال الواعظ : واعجبا : أي زجر أمامك وأي رجز حرك أقدامك ، فقال : رمى شيب قذالي (٣) ، كل القذى في التوه مذ بدالي (٤) لي ، فعلمت أنه قد خبا لي خبالي (٥) ، فبدالي ، وراث عيني حالي قبل ترحالي ، فلا تعجب ان أضاليل أضالني ، فقد أبى عقلي أن أطيل أباطيلي ، قال له كيف يقبل توبتي ، وأصعب الذنوب ذنوبتي فقال له المذكر : ولم ؟ قال : لما معي من المظالم ، فبادرني ، فما أدراني بادرني ، فقال : تسمك أيها اللاهي ، رحمة الله فسر في سبيل الاصلاح ما استطعت ، والعفو يحملك اذا انقطعت فقام آخر فقال :

كيف لا أبكي على دهر مضى بعت عمري بحقير الثمن

كيف أرجو البرء من داء الهوى وطبيبي في الهوى أمرضني

فصاح به الشيخ :

خل دمع العين ينهمل بان بن تهواه فاحتملوا

كل دمع صانه كلف فهو يوم البين مبتذل

---

١ = يريد أنك لا تنال المراد وأنت نائم فمعكوس ما تنال لا تنام .

٢ ـ البيدر : الكدس : وهو المجتمع من كل شيء

٣ ـ القذال : جماع مؤخر الرأس .

٤ ـ والمعنى أنه لما كبر سنه وشاب رأسه عقل وظهرت له عيوبه وبانت له خطاياه فندم على ذلك ندما شديدا .

٥ ـ الخبال : النقصان والهلاك .

فقام الشيخ فقال: قد أنبض[1] الكبر قوسه، فحذرني، وما صدر كبيره، وكلما ابيض الشعر ينذرني اسودت السيره، فأنشد الشيخ:

ألم تستحي من وجه المشيب[2] وقد ناجاك بالوعظ المصيب

أراك تعد للآمال ذخرا فما أعددت للأجل القريب؟!

ويحك! منذ خمسين سنة تخالط مستعهة التوبة وأنت في المعاصي قح[3] أما تعلم قرب الأجل، قال: أجل، قال: فهل عمل قال: الأمل، فقال: كأنك بقرون الخطوب قد فدحت[4]، فبطحت ورمتك في زبية القبر[5] اذ فدحت:

تنام ولم تنم عنك المنايا تنبه للمنية يا نؤوم[6]

يا قليل البضاعه بل يا مفلس، ترجو النجاة بالمعاصي لقد وسوس، أتلبس ثوب الشيب ثم تلبس، جاء الصباح فنسخ حكم الحندس[7]، وأطرق الليل فر لما حدق النرجس، يا من يقوم من المجلس كما يجلس، كن كيف شئت فانما تجني ما تغرس، ألك عذر قل لي الباطل يخرس.

فخذ للسير أهبته وبادر وجود جمع رحلك للذهاب

فقد جد الرحيل وأنت ممن يسير على مقدمة الركاب

---

١ - انبض القوس مثل أنضبها: جذب وترها لتصوت.

٢ - وشى المشيب: م.

٣ - القح: الخالص من كل شيء، يريد انك تماطل في التوبة والرجوع الى الله وانك في المعاصي صريح غير مماطل.

٤ - فدحت: أثقلت.

٥ - زبية القبر: حفرته. ٦ - يا ظلوم: م.

٧ - الحندس بالكسر: الليل المظلم والظلمة.

فقال : ما سهدى زدني وعظا ، فقال : كم أرمي هدف سمعك بسرشق (١) كلام ، كم الدغ أصل قلبك بحمة سلام ، ويحك ! ضاقت أيام الموسم ، فجمجع (٢) بالابل العمر كيوم غيم لا تحس به حتى تغرب الشمس (٣) ، وذكر المتيقظ بنكام (٤) ، فقام فقير فقال : صف لي طريق القوم ، فقال : لا أصف لحسان الكسل احضروا بلال العزم كانوا يتركون على صدر بلال (٥) الصخر في الرمضاء ولسان حاله يقول : لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقى ، لا يدرك علم الربانيه ، الا من رسى نيه ، غرس القوم نخل العزائم ونبات عزمك نبات الكشوثا (٦) ، فما نزعج الفقير وصاح ، وبكى وقلق وناح فقال الشيخ :

رأى على الغور وميضا فاشتاق
ما أحلب البرق لماء الآماق (٧)

فقال سائل : ما بال المبتدى كثير الانزعاج والمنتهي ساكن ، فقال الشيخ نزل بقلب المبتدى ما لم يألف والمنتهي عود ، الثوب الجديد اذا خرق صوت والسرث عند التمزيق ساكت قد تتدرن على البلا (٨) .

---

١ ـ الرشق : الرمي بالنبل وغيره ، والرشق بالكسر : الاسم منه والرشق محركة : القوس السريعة السهم .
٢ ـ الجمجمة : أصوات الابل اذا اجتمعت وتحريك الابل للاناخة أو الحبس أو للنهوض .
٣ ـ والجاهل لا يحس به حتى تغرب الشمس : ح . والمعنى أنك تنبهه فقد ضاق العمر عليك وأزف الرحيل فقد ساق العمر ابله للرحيل وقد يكون ذلك فجأة وقد تغفل عنه ولا تشعر به كغروب الشمس في اليوم الغيم .
٤ ـ ينقضي ذكر فكر المتيقظ بزكام : ح . والجملة قلقة وغير واضحة .
٥ ـ هو بلال بن رباح رضي الله عنه . وقد سبق التعريف به .
٦ ـ الكشوث والكشوثى ويعد : وهو نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض .
٧ ـ ما أحلب الدهر : ك .
٨ ـ لم أجد لهذه الكلمة معنى وأظنها بمعنى تعود .

سماع المتواجد (١) :

واهاً لعيشي بالحمى ... لو أن لي يوماً يُرد

ويلي أحظى كلما ... من حبكم هجر وصد

ثم يمسي شيابه لشدة الوَهَج (٢) وهج ، فانقلب المجلس لما أصابه وارتج ، فأنشد الشيخ لما نكى بعد أن بكى وعج (٣) .

ذكر الأحباب والوطنا ... والصبى والالف والسكنا (٤)

يبكي شجواً وحق له ... مدنف بالشوق حلف ضنا (٥)

أبعدت كف به رجت ... من خراسان به الهنا

من لمشتاق تَمَلّله ... ذات سجع (٦) مَعلتْ فننا

لم تعرض في الحنين بمن ... صد الا وقلت أننا

لك يا ورقاء اسوة من ... لم تدع يقي طرفه الوسنا

بك آنس مثل أنسك بي ... فتعالي نهد ما كمنا

نتشاكى ما نجن (٧) اذا ... نجع شجواً صحت واحزنا

أنا لا أنت البعيد هوى ... أنا لا أنت الغريب هنا

أنا فرد يا حمام وها ... أنت والالف القرين ثنا (٨)

---

١ ـ المتواجد : الذى أضناه الوجد أو كثيره .

٢ ـ الوهج : انقاد النار

٣ ـ عج : صاح ورفع صوته . ٤ ـ البيت ناقص : م .

٥ ـ الدنف والمدنف : المريض الملازم أو الذى لازمه المرض .

٦ ـ ذات السجع : الحمامة .

٧ ـ ما نجن : ما نخفى .

٨ ـ ثنا : أى اثنان .

اسرحا راد النهار معا (١) واسكنا جنح الدجى غصنا

وابكيا يا جارتى لما لعبت أيدى الفراق بنا

أين قلبها صنعت به ما أرى صدرى له سكنا

حان يوم النفر وهو معى (٢) فابى أن يصحب البدنا

أبه حادى الفراق حدا أم له داعى الفراق عنى

ثم انصرف عن المنبر كالمغلوب (٣) وولى ، واستخلف القلق على القلوب ولى ، فتبعته كل سقيم عن شكاته ، وساروا يطلبون من غير بركاته ، فقدم اليه مريض قد أشفى (٤) ، فأخذ من الماء كفا فرش فاطرغش (٥) ، فتأملته فاذا بنور أبى التقويم ، فادركنى من السرور ما الله به عليم ، فقلت : أتختار المشى على الركوب ، أم قد عدمت المركوب ، فقال : كان جملى لى عدة ، فأخذته غده (٦) ، فحملته على الحارك (٧) فقال لى : شارك ، فدخل الى المنزل ، وقال لى : تنزل ، فرأيته قد غلبته الهوس ، واذا بيته كفؤاد أم موسى (٨) ، فقلت : أراك خليا من المال فضحك لذلك حتى مال فقلت : لو تعرضت لنوال الأغنياء ، فقال : هذه أقوال الأغبياء ، وانشد :

---

١ ـ راد النهار : ارتفاعه ٢ ـ النفر : التفرق .

٣ ـ أى أنه نزل عن المنبر وخرج بسرعة كالمغلوب .

٤ ـ أشفى : أشرف . والمراد أنه أشرف على الهلاك .

٥ ـ اطرغش : برأ . ٦ ـ الغده : مرض يعرض للابل .

٧ ـ الحارك : أعلى الكاهل وعظم مشرف من جانبيه ومنبت أدنى العرف الى الظهر الذى يأخذ به من يركبه . والمراد ظهر الجمل

٨ ـ يريد أنه وجد بيته فارغا كفؤاد أم موسى عليه السلام وهو مأخوذ من قوله تعالى " وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين " . (القصص آية ١٠) .

لا تسألوا عني تجنبي أموال أهل الرتب (١)
وحاولوا مني أن أجعل فضلي مكسبي (٢)
أف لعلمي ولما حصلته من أدب
ان زانني وشته انى اذا عين الفبي
أبعد ما أعزني اذ له بالطلب
يرزقني من كان لي من قبل أمي وأبي (٣)

ثم قال : انصدع الزمن وانقطع اللزن (٤) يسوى بين صاحبه وذى يزن (٥) وأنشد :

الحمد لله الذى ألهمني قناعتي
لو لم أكن مقتنعا لانتشرت شناعتي
وما سؤال الناس من شأني ولا صناعتي
وقد تزينت بما تبلغه استطاعتي
وليس عندي حيلة ان كسدت بضاعتي

ثم قال: وهل المقصود الا دفع الوقت ، فقلت له: صدقت ، فأنشد :

اذا رضيت بميسور من القوت بقيت فى الناس حرا غير ممقوت
يا قوت قومى اذا ما در خلفك لى فلست آسى على در ويا قوت

فلما أصبحنا قال: سر بى سربك ، قلت : أحملك ، قال: سربك (٦) ثم ودعته وجفني (٧) قد اغدودق ودمعى قد اغورق (٨) ويبس فمن صبوى عنه فما أورق .

---

١ ـ أهل الرتب : ح . ٢ ـ أجل فضلى مكسبى : ح .
٣ ـ قريب من هذا المعنى قول القاضى الجرجانى :
ولم أقض حق العلم ان كان كلما بدا مطمع صيرته لى سلما
(ص ز ـ الوساطة) . ٤ ـ اللزن : الشدة والضيق .
٥ ـ هو سيف بن ذى يزن بن زى أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو الحميرى (١١٠ ـ ٥٠ ق هـ) من ملوك العرب اليمانيين ودهاتهم . قيل اسمه معد يكرب . ولد ونشأ بصنعاء ، ملك فى الملك نحو خمس وعشرين سنة ، وهو آخر من ملك اليمن من قحطان . (ج ١ ص ٥١ ـ الروض الأنف) .
٦ ـ سربك : جماعتك . ٧ ـ اغدودق : امتلأ .
٨ ـ اغورقت عينك : دمعتا كأنها غرقت فى دمعها .

المقامة الأربعون

فى صوفية الزمان

كر (١) على كرب (٢) فضاقت بى الساحة ، فخرجت أروح (٣) قلبى فشاقتنى السياحة (٤) ، فمشيت فى البرية وجلا (٥) على الوحدة ، فلقيت من البرية رجلا يمشى وحده ، فقلت : هل لك يا انسان فى رفيق رفيق ، فقال : يا سكران مثلى أنت مفيق ، أين من اذا رافق رفق ، واذا صادق صدق ، وانما نصطحب ، وأرجو أن لا نصطخب (٥) ، فسرنا الى أن تعالى الهجير (٦) وصرنا نطلب ظلالا تجير ، فلاح لنا رباط صوفية (٧) فى الفلا ، فصاح بى صاحبى أما ها هنا فلا ، فقلت : أعندك نبأ ، يا من قد بنا لهذا الهنا ، فقال : ساخبرك حين نقعد ، فابعد ، معاناة عباب الحر فى القلوات ، ولا معاينة أرباب هذه الخلوات ، قلت : الخبر عندهم بخبر أو عن تخبير ، قال : لا والله بل بخبر خبير ، غالطونى بأعمال الصلاح ثم خالطونى بأفعال قباح ، يسمون مناخ البطالة (٨) الرباط ، ويخوضون فضل فى الجهالة الى الآباط ، فرباطهم نصب أركان النصب ، وأفعالهم خفض لا رفع ولا نصب ، انقطعوا عن الجماعات فى المساجد ، وجروا على سنن مخالف للسنن معاند ، طهارتهم اذا تأملت وسواس ، والطهارات عندهم كالأنجاس ،

---

١ ـ كر : رجع وعاد مرة بعد مرة .
٢ ـ الكرب : الحزن يأخذ بالنفس .
٣ ـ السياحة : الذهاب فى الأرض للعبرة ونحوه .
٤ ـ وجلا : خائفا .
٥ ـ نصطخب : نتصايح ونتضارب
٦ ـ الهجير : نصف النهار عند زوال الشمس وشدة الحر .
٧ ـ رباط الصوفية : مكان أو بناء يتخذ فى الخلاء للخلوة .
٨ ـ مناخ البطالة : أى مكان الاقامة والخلوة .

يخلفون الأقدام للمشي على القطيفة ، ولو قطع بطنها شافعي وأبو حنيفة بعدوا عن كلف الكسب وقعدوا على الفتوح ، ولو بعث مكاس(١) قبلوا تبلسوا وقالوا مذبوح ، لا ينظرون في المال اذا نالهم ، ولا أدراهم بدراهم الذي بسنى لهم ، يختالون في لباس الزهاد ، ويحتالون على الناس في المراد ، قد جمعوا التدليس(٢) بألوان الخرق ، ورقعوا الجديد لا الدريس(٣) الخلق فقد لبسوا للنفاق جلد حية ولمسوا بحيل كلها في النفاق حية ، يتقربون بالتمري(٤) الكشف الى الملوك ، ولا يقربون من الفقير الضعيف الصعلوك ، يتناولون من أفانين الطعام ، ويأكلون لكل المجانين الطعام ، الحجام والطبخ دائران ، والمغني والزمر زائران ، فاذا جن الليل اجتمعت منهم الجموع في الشموع ، وحاد بهم الأمرد أحسن من الشموع ، ينقر بأطراف الأنامل دف الجلاجل(٥) ، أيها ظبية الأعراب بين جلاجل وتسمع من تلفيق التصفيق ، ما يعمل عمل حريق الوحيق ، واشعار المجنون واضرابه تقال ، وعثرة الرامي لشبابه لا تقال(٦) ، يمزقونها بينهم شذر مذر(٧) كالمصائب ، ويفرقونها شفر بفر(٨) والمالك غائب ، ينكس أحدهم راسه ويغض عينيه ،

---

١ ـ المكاس : الظالم والمشح . ٢ ـ التدليس : الخداع .

٣ ـ الدريس : العف البالي .

٤ ـ يتقربون بالتقرى الكثيف : ب ، يتقربون بالقرى الكثيف : ح ، ك بالتمرى الكثيف : ك ، ويحتمل أن تكون التقرى من التثقير بمعنى الجزع ، ويحتمل أيضا أن تكون القرى ، والتقرى من أقرى أى اشتكى قراه وطلب القرى .

٥ ـ الجلاجل : الأجراس الصغيرة .

٦ ـ أى لا تقال عثرته ، والمعنى لا يؤخذ بيده .

٧ ـ يقال تفرقوا شذر مذر : أى تفرقوا في كل وجه .

٨ ـ يقال تفرقوا شفر بفر ويكسر أولهما : أى في كل وجه .

ويتزمل أحلاسه (١) كأنه يوحى اليه ، فاذا ألقى على رأسه وسواس عول عليه (٢) ، فيصبح لاسناد واقعه يربى (٣) ، ويصيح حدثنى قلبى عن ربى ، يستحسنون من قراءة القرآن وسماع الحديث ، وهذا ينبىء عن باطن خبيث ، كل العلوم الشرعية عندهم حجاب ، والهذيان فى علم الصوفية لباب ، ويعتقدون أن الدعاء عند السماع مجاب ، فهم على الحقيقة ذباب على ثياب ، ستروا ظواهرهم بالمرقاع وعيوب البواطن أكثر ، وما يجتمعون على دعوة الا وصاحبها معثر ، يسترقلون دعوة شكر بدعوة استغفار ، ومقصودهم ملازمة تلك الدار ، يحتلبون درّ مال العامى الجاهل ، ويجتلبون قلوب أهله وهو غافل ، ومتى رأت المرأة شابا يرقص ويحنكر (٤) لم يؤمن أن تقول له بكر ، فقلت : ما الذى عرفك أولا منهم ؟ ، فقال : ما عرفت من هم (٥) :

رأيت قوما عليهم سمة الخير ... بحمل الركساء (٦) مشتملة (٧)

اعتزلوا الناس فى مساجدهم ... سألت عنهم فقيل متكله

صوفية للقضاء صابرة ... ساكنة تحت حكمه نزله

فلم أزل خادما لهم زمنا ... حتى تيقنت أنهم بطله

---

١ ـ يتزمل بأحلاسه : يلتف بأثوابه ، وأصل الحلس : الكساء الذى يبسط فى البيت تحت آخر الثياب .

٢ ـ عول عليه : اعتمد واتكل عليه .

٣ ـ يربى : ينتفخ .

٤ ـ لم أجد معنى لكلمة يحنكر ، والغالب أنها يحبكر أى يتحير .

٥ ـ ما عرفت منهم : ح ، م .

٦ ـ الركاء هى رقعة تحت المواصر ، والمواصر حجارة ثلاث بعضها فوق بعض

٧ ـ مبتهلة : ح .

ان أكلوا كان أكلهم سرفا (١) أو لبسوا كان شهرة مثله

سل شيخهم والكبير مختبرا عن فرضه لا تخالـه عقله

وسله عن وصف شادن غنج مدلل لا تـراه قد جهله

علومهم بينهم اذا جلسوا علم رعاع الرعاع (٢) والسفله

استغفر الله من كلامهم ولا تعاود لعشرة الجهله

فقلت : أو على هذه الذكرى عفا أوائلهم (٣) ؟ قال : لا والله بل نفى ذكرا أوائلهم ، قلت : خصنى بسماع الخبر بنصه ، فقال : سماع للأشر من فصه (٤) ، تعبد فى الجاهلية عند الكعبة بنو صوفة (٥) وكانت جماعتهم بالطرائق الصعبة موصوفة ، فاستعمل من قدماء هؤلاء خلائق من تلك الخلائق المعروفة ، ثم حملوا بالرأى المشاق على الجسوم لا بالعلوم المألوفة ، فشلهم فى ذلك الفى كطالب الرى فى طريق الكوفة (٦) ، وكانوا يشيرون الى الحق بالعشق والمحبة ، ويتكلمون فى العلوم بما لا يساوى حبه فجاء المتأخرون يقنعون من اللباس بالصورة ، ويرتعون لا عن ضرورة ، واستبدلوا بجوع أولئك الشبع ، وقصدوا بأفعالهم الرياء والشنع .

---

١ - السرف : العجلة . يقال أكله سرفا أى عجلة .

٢ - الرعاع بضم الراء من الناس : الرذال الضعفاء وهم الذين اذا فزعوا طاروا ، والرعاع بفتح الراء : الأحداث . ورعاع الناس : سقاطهم وسفلتهم .

٣ - أو على هذه الذكرى مضى أوائلهم : ح .

٤ - الفصل من الأمر : مفصله .

٥ - بنو صوفة : قوم تعبدوا فى الجاهلية وأقاموا بالكعبة .

٦ - أى أنهم فى غواية من أمرهم فانهم لا يصلون الى شىء من مطلوبهم مثلهم فى ذلك مثل من يطلب الرداء فى طريق الكوفة .

زعموا بأنهم صفوا لمليكهم (١) كذبوك ما صافوا ولكن صافوا

شجر الخلاف قلوبهم ويح لها غرضى خلاف الحق لا الصفصاف (٢)

كان الزهد فى بواطن القلوب فصار فى ظواهر الثياب ، كان مشايخهم فى القديم أرباب قدم ، والمريد منهم حينئذ صاحب ألم ، فذهب القدم والألم كانوا يتشبهون بأصحاب الصفة (٣) ، ويقنعون من القوت بمقدار القوة ، كان التصوف عند أولئك خرقة ، فصار اليوم عند هؤلاء خرقة :

أما الخيام فانهضا كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائها

اذا كان العلوى ثابت النسب لم يحتج الى ضفيرتين ، ولا يصير المخنث تركيا بلبس القباء (وسواد المقلتين) (٤) :

تشبهت حور الظباء بهم ان سكنت فيك ولا مثل سكن

أضمت بناطق وآنس بنافر وذو خلا بذى شجن

مشبه أعرفه وانما مغالطا قلت لصحبى دار من

قف باكيا فيها وان كنت أخا مواسيا فأبكها عنك وعن

لم يبق لى يوم الفراق فضلة من دمعة أبكى بها على الدمن

ثم قال : أما هؤلاء فقد كشفوا القناع ، فما تمر حيلهم الا على (الجهال) (٥) الرعاع .

---

١ - يريد أنهم ما صفوا لمليكهم ولكنهم صافوا أى لبسوا الصوف واتخذوه كساء لهم .

٢ - ترضى خلاف الحق لا الصفصاف : ح ، والصفصاف : شجر الخلاف .

٣ - الصفة من البنيان شبه البهو الواسع الطويل السمك . وفى الحديث ذكر أهل الصفة ، قال : هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه فكانوا يأوون الى موضع مظلل فى مسجد المدينة يسكنونه وهو موضع مظلل من المسجد كان يأوى اليه المساكين .

٤ - + : ح .

٥ - + : ح .

تأملت اختبر المدعين ... بين السوالس وبين العمد

فألفت أكثرهم كالسراب ... يسروقك فنظره من بعيد

فنادیت یا قوم من تعبدون ... فكل أشار بقدر الوجود

فبعض أشار الى نفسه ... وأقسم ما فوقها من مزيد

وبعض الى خرقة رقعت ... وبعض الى ركوة من جلود

وآخر يعبد أهواءه ... وما عابد للهوى بالرشيد

ومجتهد وقته ربه ... فان فات بات بليل عنيد (١)

وذو كلف باستماع السما ... ع بين البسيط وبين النشيد

يئن اذا ما مضت رنة ... ويزأر منها زئير الأسود

يخرق أثوابه هائما ... ليستانس منها بثوب جديد

ويرمي بهيكله في الشعير ... لقلع الثريد وبلع العصيد

فيا للرجال ألا تعجبون ... لشيطان اخواننا ذا المريد

يخبطهم بفنون الجنون ... وما للمجانين غير القيود

وأقسم ما عرفوا ذا الجلال ... ولا أثبتوه بغير الجحود

واني بعدت عن المدعين ... ولو صدقوا كنت غير بعيد

ثم قال : ولقد أرشدني من أنشدني

أرى جيل التصوف شرجيل ... فقل لهم واهون بالحلول

أقال الله حين عشقتموه ... كلوا أكل البهائم وارقصوا لي (٢)

فلما أحكمنا ما لقينا من سفر ذلك السفر ، لقينا رجل رجل الشعر (٣)

فنظرت اليه فاذا عليه مدرعة من شعر ، فقلت له :

---

١ ـ البيت ناقص : ح .

٢ ـ شعر الرجل : بين السبوطة والجعودة .

٣ ـ مرقعة من شعر : ح .

الا تغسل منى بعض لباسى ، فقال : ما أمنع من يواسى ، فناولته القميص وشيئا من الذهب ، فقال : ذكرتنى يا يشارك من قد ذهب ثم قال : أنا محتاج الى عمامه ، فسترت بها راسه ستر الغمامه ، وجعلت أمسح به وأتبرك ، فصاح بى صاحبى ما غرك ، وأنشد :

وبارد التنميس بسين الورى (١) يفعل ما لا يفعل اللص

وكيف لا يصطاد أموالهم (٢) بطرحة من تحتها شص (٣)

فأيقظنى بقوله من النوم ، وعلمت أنه من أولئك القوم ، فلما بعد الرجل هنا ، وعدنا فردين كما كنا ، قال رفيقى : لقد ذهب ذهبك باطلا ، وعاد جيد فهمك عاطلا ، اخبرنى من شئت بعرض العرض ، وقد بانت لك العافيه من المرض .

واذا شئت أن تصالح بشار بن برد ، فاطرح عليه أباه (٤) ، احذر ابليس هذه الطائفة ، فان شياطين التلبيس (٥) بهم طائفة ، ان أحدهم يكون أملق من ملق (٦) فيحتال على الدنيا حيلة العمروط (٧) .

---

١ ـ التنميس : التلبيس والخداع .

٢ ـ الطرحة : الطيلسان وهو كساء يلقى على الكتف .

٣ ـ الشص : اللص الحاذق وحديدة عقفاء يصاد بها السمك .

٤ ـ هو بشار بن برد العقيلى ، بالولاء ، أبو معاذ أشعر المولدين (٩٥ ـ ١٦٧ هـ) كان ضريرا نشأ فى البصرة وقدم بغداد وأدرك الدولتين الأموية والعباسية ، واتهم بالزندقة فمات ضربا بالسياط . ودفن بالبصرة (جـ٢ ص ٢٤ ـ الأعلام) .

٥ ـ التلبيس : الخداع .

٦ ـ أملق : أفقر ، الملق : الأرض القفر .

٧ ـ العمروط : اللص والمارد المملوك الذى لا يدع شيئا الا أخذه وعم بعضهم به اللصوص .

فمصير بعد مصائب الشصائب (١) فى بلهنية من العيش ورفهنية (٢) ، فاذا بالعرصم (٣) عكوك (٤) تناخر (٥) ، وان طلب الدنيا بالقباء (٦) والدبوس أحسن من طلبها بالصوف والملبوس

لا يغرنك من المرء ازار رقعه
وقميص فوق كعب الساق منه رفعه
وجبين لاح فيه أثر قد خلعه
أره الدرهم تعرف غيه أو ورعه

ثم قال: ما كل سوداء تمره (٧) ، ولا كل حمراء جمره ، ولا كل صهباء خمره .

أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها ... مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا خرجن من الحمام مائلة (٨) ... أوراكهن صقيلات العراقيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفى البداوة حسن غير مجلوب (٩)

---

١ ـ الشصائب : جمع شصب: وهى الشدة والجدب . ويقال عيش شاحب شاق .

٢ ـ بلهنية من العيش : بضم الباء : أى سعة ورفاهية ، الرفهنية سعة العيش ورفاهيته .

٣ ـ العرصم : الضئيل الجسم واللئيم .

٤ ـ العكوك : السمين

٥ ـ القناخر : العظيم الجثة .

٦ ـ القباء : ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص ، ويتمنطق به .

٧ ـ يقال فى المثل: ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة . وهو يضرب فى موضع التهمة .

٨ ـ يروى مائله : أى شاخصة .

٩ ـ هذه الابيات لأبى الطيب المتنبى من قصيدته التى مطلعها :
من الجآذر فى زى الأعاريب ... حمر الحلى والمطايا والجلابيب

قلت : من يتميز الصديق من الكذيب ، فقال : ما يخفى زئير الأسد من عواء الذئب ، أما لك دهن توقده لى ليل تصنع المريب فتفرق بين أرباب المناصب وأصحاب المناصيب ، وأنشد :

أهل التصوف قد مضوا ... صار التصوف مخرقة (١)

صار التصوف صيحة ... وتواجدا ومطهقة

كذبتك نفسك ليس ذا ... سنن الطريق الملحقة

حتى تكون بعين من ... منه العيون المحدقة

تجرى عليك صروفه ... وهموم سرك مطرقة

فقلت : والله لقد أريتنى عوار الثوب من صقله ، فقال لى : وأخبر تقله ، قلت قد غرقت لى اللجين (٢) والرصاص ، فقال : ان الخلاص قرين الاخلاص ، فقلت : عرفنى نفسك ، فأمسك ، فأخذنى المقعد المقيم (٣) ، فقال : أنا أبو التقويم ، فلا يغرنك البهرج (٤) ، ثم تركنى وأدلج (٥) .

---

١ ـ أى كذب ورياء .

٢ ـ اللجين : الفضة .

٣ ـ يعنى بالمقعد المقيم : الهم والحزن .

٤ ـ البهرج : الباطل .

٥ ـ الدلج محركة والدلجه بالضم والفتح : السير من أول الليل وقد أدلجوا فان ساروا من آخره فادلجوا بالتشديد .

المقامة الحادية والأربعون
فى علم القرآن
والحديث وغيره من الغريب

==========

دخلت يوما الى المسجد الجامع ، فسألت العالم عن عالم جامع ، فقيل هنا هنا شيخ يفسر القرآن ويروى الحديث ، ويعرف التواريخ من لدن آدم وشيث ، فساقنى ما شاقنى ، وراقنى حلو وصفه قبل أن أذاقنى ، فقلت : هذا هو والله هو الغنيمة ، فأتيته وهو فى حلقة عظيمة ، فجلست فرد ، وقال : مالك ، فقلت : مستفيد ورد ، قال قل ما بدالك ، قلت : هل فى القرآن غير لغة العرب ، فقال : فى القرآن كل العجب ، فيه كلمات وقعت الى العرب فعربوها ، فهم على الحقيقة أمها وأبوها ، فقلت : احص لى عددها ؟ فذكرها وردها ، وأتى بها على الحروف ، لأن ذكر أبوابها مألوف ، ابراهيم واسماعيل واسحاق واسرائيل وأيوب والياس وآزر والاستبرق وابليس والانجيل (والزبور)[1] والتنور وجالوت وجهنم والدينار[2] وداود ، والربانيون ، وزكريا ، والزنجبيل والسندس ، والسجيل ، والسلسبيل ، وسليمان ، والسجن ، (والسجل)[3] وسقر ، والسرادق ، وطالوت ، وعيسى ، وعزير ، والغساق ، والفردوس والقسطاس ، والقنطار ، وكورت ، واليسع ، ولوط ، وموسى ، ومريم ، وماروت وماجوج ، (ومدين)[4] ، وميكائيل ، والمرجان ، ونوح ، وهارون ، وهاروت ، وهود ، واليهود ، ويعقوب ، ويونس ، ويوسف ، ويوشع واليسع ، ويأجوج .

---

١ ـ + : م .
٢ ـ والدنيا : ح .
٣ ـ + : ح .
٤ ـ ـ : م .

ثم قال : يا بنى : اعلم أن القرآن يحتوى على جميع الوجوه التى تصرفت فيها العرب فمن التجوز : عريد أن ينقض (١) ومن الكناية : " لا تواعدوهن سرا " (٢) ومن الاستعارة : " فى كل واد يهيمون " (٣) ومن الحذف : " الحج أشهر " (٤) معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، ومن الزيادة : " فوق الأعناق " (٥) ومن التقديم والتأخير " عوجا قيما " (٦) ، وقد نسب العرب الفعل الى اثنين وهو لأحدهما وفى القرآن " يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان " (٧) والى أحد الاثنين وهو لهما " أحق أن يرضوه " (٨) الى جماعة وهو لواحد " واذا قتلتم نفسا " (٩) ويأتون بلفظ الماضى وهو مستقبل " أتى أمر الله " (١٠) وبلفظ المستقبل وهو ماض " فلم تقتلون أنبياء الله " (١١) ، وقد تذكر العرب جواب الكلام مقارنا له وقد تذكره بعيدا عنه . فمن المقارن فى القرآن : " يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج " (١٢) .

---

١ ـ من الآية (٧٧) من سورة الكهف .

٢ ـ البقرة آية (٢٣٥) .

٣ ـ الشعراء آية (٢٢٥) .

٤ ـ " الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج " البقرة آية (١٩٧) .

٥ ـ " فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان " الأنفال آية ١٢ " .

٦ ـ " الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا (١) قيما لينذر بأسا شديدا من لديه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا (٢) ـ الكهف .

٧ ـ " يخرج منها اللؤلؤ والمرجان " الرحمن آية (٢٢) .

٨ ـ " يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحب أن يرضوه ان كانوا مؤمنين التوبة آية (٦٢) .

٩ ـ " واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون " البقرة آية (٧٢) .

١٠ ـ " أتى أمر الله فلا تستعجلون " النحل آية (١)

١١ ـ فلم تقتلون أنبياء الله " . البقرة آية (٩١) .

١٢ ـ البقرة آية (١٨٩) .

وأما المعيد فتارة يكون في السورة كقوله في الفرقان " مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق "(١) وجوابه فيها وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق(٢) . وتارة يكون في غير السورة كقوله تعالى في الأنفال: " لو نشاء لقلنا "(٣) مثل هذا جوابه في بني اسرائيل(٤) قل لئن اجتمعت الانس والجن(٥) " . وفي الرعد " ويقول الذين كفروا لست مرسلا "(٦) جوابه في يس " انك لمن المرسلين "(٧) ، في الحجر " انك لمجنون "(٨) جوابه في نون " ما أنت بنعمة ربك بمجنون "(٩) في بني اسرائيل " أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا "(١٠) ، جوابه في سبأ " ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء "(١١) ، في الفرقان " قالوا وما الرحمن "(١٢) جوابه " الرحمن علم القرآن "(١٣) في ص "واصبروا على آلهتكم "(١٤) جوابه في حم السجدة " فان تصبروا فالنار مثوى لهم "(١٥) ، في المؤمنون " وما أهديكم الا سبيل الرشاد "(١٦)

---

١ ـ الفرقان آية (٧) .
٢ ـ الفرقان آية (٢٠) .
٣ ـ " واذ تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الأولين " . الأنفال آية (٣٠) .
٤ ـ يعني بسورة بني اسرائيل : سورة الاسراء .
٥ ـ " قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " . الاسراء آية (٨٨) .
٦ ـ الرعد آية (٤٣) .
٧ ـ يس آية (٣)
٨ ـ الحجر آية (٦) .
٩ ـ القلم آية (٢) .
١٠ ـ الاسراء آية (٩٢) .
١١ ـ سبأ آية (٩) .
١٢ ـ الفرقان آية (٦٠) .
١٣ ـ الرحمن آية (١ ـ ٢)
١٤ ـ " وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء عجاب " ص آية (٦) .
١٥ ـ " فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين " فصلت آية (٢٤)
١٦ ـ " يقوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد " غافر آية (٢٩)

جوابه فى هود " وما أمر فرعون برشيد "(١) ، فى الزخرف " لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم "(٢) جوابه فى القصص " وربك يخلق ميشاء ويختار "(٣) ، فى الدخان " ربنا اكشف عنا العذاب "(٤) جوابه " فى المؤمنين " ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر "(٥) ، فى القمر " يقولون نحن جنميع منتصر "(٦) جوابه فى الصافات " مالكم لا تناصرون "(٧) فى نون " أم يقولون تقوله "(٨) جوابه فى الحاقه " ولو يقول علينا "(٩) . قلت له : قد علمت أنك فى علوم القرآن غايه ، فهل تأذن لى فى مسائل التاريخ والروايه فانى سمعت من أشياخ ليست لهم درايه ، وما أحب أن أغزو الا تحت رايه فقال : قد أخذ على أرباب النهايه ، أن يعلموا أصحاب للهدايه فأقبلت أسأله وهو يجيبنى ، كأن سؤالى بجوابه بنى ، قلت : كم الانبياء ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، قلت : كم الرسل منهم ؟ قال : ثلثمائة وخمسة عشر ، قلت : كم خلق منهم مختونا ؟ قال : أربعة عشر ، قلت : كم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سبعا وعشرين قاتل منهن فى تسع قلت : وسراياه ؟ قال : ست وخمسون . قلت كم صام رمضان ؟ قال : تسعه قلت : بلال بن حمامه هو اسم أبيه ؟ قال : لا . اسم أبيه رباح وانما هو اسم أمه ومثله معاذ ومعوذ ابنا عفراء وأبوهما الحرث وسهيل وصفوان ابنا البيضاء وأبوهما وهب ومالك بن غيله وأبوه ثابت وشرحبيل بن حسنة وأبوه عبيد الله

أمثالى فرعون وملايه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد " هود آيه (٩٧) .

٢ ـ الزخرف آيه (٣١) .
٣ ـ القصص آيه (٦٨) .
٤ ـ الدخان آيه (١٢) .
٥ ـ المؤمنون آيه (٧٥) .
٦ ـ القمر آيه (٤٤) .
٧ ـ الصافات آيه (٢٥) .
٨ ـ الطور آيه (٣٣) .
٩ ـ الحاقه آيه (٤٤) .

وبشير بن الخصاصية وأبوه معبد وابن أم مكتوم وأبوه عمرو وعبد الله بن بحينه وأبوه مالك الأزدى والحرث بن البرصاء وأبوه مالك الليثي ويعلى بن منية وأبوه أمية ويعلى بن سيابه وأبوه مره ، وسعد بن حبتة وأبوه بجير وبديل بن أم أصرم وأبوه حلس ، وخفاف بن ندبة وأبوه عمير وكل هؤلاء صحابة وممن بعدهم اسماعيل بن علية وأبوه ابراهيم ومحمد بن عنبة وأبوه خالد وابراهيم بن هراسة وأبوه سلمة . ثم قال : قد ينسب الرجل الى غير أبيه كالحسن بن دينار اسم أبيه واصل فنسب الى زوج أمه ، وينسب الى غير قبيلته كأبى رجاء العطاردى سباه بنو عطارد ، قلت فهل سميت امرأة باسم رجل؟ قال خلق كثير منهم من تساوى اسمه ونسبه منهم أمية بن أبى الصلت وأمية ابنه أبى الصلت عمارة بن حمزة وعمارة بنت حمزة ، وفضالة بن الفضل وفضالة بنت الفضل ، هند بن المهلب وهند بنت المهلب ، هبة الله بن أحمد وهبة الله بنت أحمد ، ومنهم من يتشابه اسمه فى الخط ويتباين فى اللفظ مع تساوى النسب : يسيرة بنت صفوان ويسرة بن صفوان ، حمزة بن عبد الله وجمرة بنت عبد الله ، خيثمة بن عبد الرحمن وحنتمة بنت عبد الرحمن ، بطسرة بن أبى بصرة ونضرة بن أبى نضرة ، فأما الاسماء التى تساووا فيها من غير ذكر النسب فكثيرة منها : بركة أم أيمن وبركة أبو الوليد أسماء بن حارثة وأسماء بن رباب صحابيان وأسماء بنت أبى بكر الصديق وأسماء بنت عميس صحابيتان ، جويرية بن مسهر وجويرية زوج النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال : أزيدك مالم تسأل ؟ فقلت : أريدك أن تفصل ، فقال : اسحاق بن الأزرق واسحق الأزرق (الأول مصرى والثانى واصطى ، عياش بن الأزرق (١) وعباس الأزرق فالأول بشين معجمه والثانى بسين مهمله ، هاشم بن البريد وهاشم البريد فالأول كوفى والثانى بصرى ،

---

١ ـ مابين القوسين ناقص : م ،

قلت: فهل فى الحديث أنس بن مالك[1] غير واحد ؟ فقال: خمسة ، وأسامة بن زيد ستة[2] ، وابراهيم بن يسار ثلاثة[3] ، وأبان بن عثمان ستة[4] ، والأشعث بن قيس ثلاثة[5] ، وبكر بن عبد الله تسعة[6] ، وجابر بن عبد الله سبعة[7]

---

١ ـ أنس بن مالك خمسة : اثنان من الصحابة أبو حمزة الأنصارى ، وأبو أمية الكعبى ، والثالث أبو مالك الفقيه ، والرابع كوفى والخامس حمصى .
(المدهش ص ٥٥ ـ طبع بمطبعة الآداب ـ بغداد سنة ١٣٤٨) .

٢ ـ أسامة بن زيد سته : أحدهم مولى النبى صلى الله عليه وسلم والثانى تنوخى والثالث ليثى والرابع كلبى والخامس شيرازى والسادس مولى لعمر بن الخطاب رضى الله عنه .

٣ ـ

٤ ـ لم أهتد الا الى واحد من الستة وهو أبان بن عثمان بن يحيى بن زكريا اللؤلؤى البجلى بالولاء أبو عبد الله المعروف بالأحمر : عالم بالأخبار والأنساب . توفى نحو ٢٠٠ هـ . (جـ ١ ص ٢١ ـ الأعلام) .

٥ ـ لم أهتد الا الى واحد من الثلاثة هو : الأشعث بن قيس بن معدى كرب الكندى أبو محمد ، أمير كنده فى الجاهلية والاسلام كانت اقامته فى حضرموت . ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم بعد ظهور الاسلام فى جمع من قومه فأسلم . توفى سنة ٣٠ هـ . (جـ ١ ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤ ـ الأعلام) . ومابين القوسين - : م .

٦ ـ لم أجد من التسعة سوى بكر بن عبد الله المزنى وهو من الصالحين والصوفية المتعبدين توفى نحو ١٠٦ أو ١٠٨ هـ (جـ ٣ ص ٢٤٨ ـ صفة الصفوة) .

٧ ـ جابر بن عبد الله سبعة أحدهم ابن عمرو والثانى ابن رئاب صحابيان والثالث سلمى والرابع محاربى والخامس غطفانى والسادس مصرى والسابع بصرى . (ص ٥٦ ـ المدهش) .

والخليل[1] بن أحمد خمسة ، وروبه[2] بن العجاج اثنان ، وسعيد بن المسيب[3] ثلاثة ، وسهل بن سعد[4] ثلاثة ، وسالم بن عبد الله[5] ثمانية ، وعبد الله بن المبارك[6] ستة ، وعبد الرحمن بن مهدى[7] اثنان ، وعبد الملك بن مروان[8] ستة

---

١ ـ الخليل بن أحمد خمسة ثلاثة بصريون والرابع أصفهانى والخامس سجزى (ص٥٦ ـ المدهش) وهناك الخليل بن أحمد بن سليمان من بنى أيوب أمير ومن الشعراء (٨٥٦ هـ) ، والخليل بن أحمد بن خليل ، غرس الدين المعروف بابن النقيب طبيب عالم بالحساب والفلك ، عارف بالهندسة والموسيقى (جـ ٢ ص ٣٦٤ ـ الأعلام) .

٢ ـ احداهما روبة بن عبد الله العجاج بن روبة التميمى السعدى ، راجز من الفصحاء المشهورين من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ـ توفى سنة ١٤٥ هـ . (جـ١ ص ١٨٧ ـ وفيات الأعيان) . وأما الثانى فلم أهتد اليه .

٣ ـ سعيد بن المسيب ثلاثة أحدهم مدنى والثانى يلوى والثالث شيرازى (ص٥٦ المدهش) .

٤ ـ سهل بن عبد الله ثلاثه : ح ، ولم أجد سوى سهل بن سعد الخزرجى الأنصارى من بنى ساعدة صحابى من مشاهيرهم من أهل المدينة ، عاش نحو مائة سنة توفى سنة ٩١ هـ . (جـ٣ ص ٢١٠ ـ الأعلام) .

٥ ـ لم أجد سوى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أحد فقهاء المدينة السبعة ومن سادات التابعين وعلمائهم وتقاتهم . توفى سنة ١٠٦ هـ . (جـ٢ ص ٩٠ صفة الصفوة) .

٦ ـ عبد الله بن المبارك ستة أحدهم مروزى والثانى خرسانى والثالث بخارى والرابع جوهرى والباقيان من أهل بغداد . (ص٥٦ ـ المدهش) .

٧ ـ لم أجد سوى عبد الرحمن بن مهدى أبو سعيد العنبرى من أهل البصرة من الزهاد الصالحين قيل أنه كان يختم المصحف كل ليلتين . توفى بالبصرة سنة ١٩٨ هـ . (جـ٤ ص ٥ ـ صفة الصفوة) .

٨ ـ لم أجد منهم سوى عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى القرشى أبو الوليد (٢٦ ـ ٨٦ هـ) من أعاظم الخلفاء ودهاتهم ، انتقلت اليه الخلافة بموت سنة ٦٥ هـ (جـ٢ ص ٤ فوات الوفيات) وعبد الملك بن مروان بن موسى بن نسير اللخمى ، آخر أمراء مصر فى العصر الأموى توفى سنة ١٣٣ هـ . (جـ ١ ص ٣٢٤ ـ النجوم الزاهرة) .

وعمر بن الخطاب سبعة (١) ، وعثمان بن عفان اثنان (٢) ، وعلى بن أبى طالب تسعة (٣)
وعمران بن حصين اثنان (٤) ، وعمرو بن معدى كرب ثلاثة (٥) ، والفضيل بن
عياض اثنان (٦) ، والقاسم بن سلام ثلاثة (٧) ، والليث بن سعد أربعة (٨)
ومسلم بن يسار ستة (٩) ، ومقاتل بن سليمان اثنان (١٠) ،

---

١) عمر بن الخطاب سبعة أحدهم أمير المؤمنين والثانى كوفى والثالث بصرى والرابع اسكندرانى والخامس سجستانى والسادس راسبى والسابع نجدى (ص٦٥ ـ المدهش) .

٢) عثمان بن عفان اثنان أحدهما أمير المؤمنين والثانى سجزى (ص٦٥ ـ المدهش) .

٣) على ابن أبى طالب ثمانية الأول أمير المؤمنين والثانى بصرى والثالث جرجانى والرابع استرابادى والخامس تنوخى والسادس بكر اباذى والسابع بغدادى والثامن يقال له البرهان (ص٦٥ ـ المدهش) .

٤) فى كتاب المدهش عمران بن حصين أربعة أحدهم صحابى والثانى ضبى والثالث بصرى والرابع أصبهانى . (ص٦٥ ـ المدهش .)

٥) عمرو بن معدى كرب اثنان : ح . أحدهم عمرو بن معدى كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدى فارس اليمن ، وفد على المدينة سنة ٩ هـ فى عشرة من بنى زبيد فأسلموا جميعا . له شعر جيد ، توفى سنة ٢١ هـ . (جـ١ ص٢٧٢ ـ الشعر والشعراء) أما الآخران فلم أهتد اليهما .

٦) الفضيل بن عياض اثنان أحدهما مصرى والثانى مكى . (ص٦٥ ـ المدهش) .

٧) أحدهم القاسم بن سلام الهروى الأزدى الخزاعى الخرسانى البغدادى ، أبو عبيد ، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه من أهل هراة . توفى سنة ٢٢٤ هـ . وأما الآخران فلم أهتد اليهما . (جـ٢ ص١٦٧ ـ مفتاح السعادة) .

٨) الليث بن سعد أربعة أحدهم الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى ، أبو الحارث امام أهل مصر فى عصره ، حديثا وفقها . توفى سنة ١٧٥ هـ . وأما الأخرين فلم أهتد اليهم . (جـ٤ ص٣١٣ ـ صفة الصفوة) .

٩) لم أجد سوى مسلم بن يسار الأموى بالولاء ، أبو عبد الله : فقيه ناسك من رجال الحديث أصله من مكة . توفى بالبصرة سنة ١١٨ هـ . (جـ٨ ص١٢١ الأعلام) .

١٠) أحدهم مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدى بالولاء ، البلخى ، أبو الحسن من أعلام المفسرين توفى سنة ١٥٠ هـ (جـ٣ ص١٩٦ ـ ميزان الاعتدال) .

ويحيى بن يحيى أربعة (١)، ويحيى بن معاذ ثلاثة (٢)، ويوسف بن أسباط ثلاثة (٣)، وأبو بكر بن عياش ثلاثة (٤)، قلت : هل تعرف أربعة تناسلوا رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : نعم أبو قحافة وابنه أبو بكر وابن أبي بكر عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد ، قلت : هل تعرف أربعة ولد لكل منهم مائة ولد ؟ فقال : نعم أنس بن مالك وعبد الله بن عمير الليثي وخليفة السعدي وجعفر بن سليمان الهاشمي ، قلت : هل تعرف أربعة إخوة يعيش أكبرهم سنا ؟ فقال : نعم : طالب وعقيل وجعفر وعلي ، قلت : فامرأة شهد لها بدرا سبعة بنين مسلمون ؟ قال نعم ، عفراء بنت عبيد تزوجها الحرث بن رفاعه فولدت له معاذا وعوذا ، ثم تزوجها بكير (٥) فولدت له اياسا وخالدا وعاقلا وعامرا ، ثم رجعت الى الحرث فولدت له هوفا فشهدوا كلهم بدرا .

---

١ - وجدت يحيى بن يحيى سبعة هم : يحيى بن يحيى بن قيس بن حارثه الغساني قاض توفى سنة ١٣٣ هـ ، والثاني يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمي الحنظلي أبو زكريا النيسابوري امام في الحديث توفى سنة ٢٢٦ هـ ، والثالث يحيى بن يحيى بن أبي عيسى كثير بن وسلاس الليثي ، عالم الاندلس في عصره ، توفى سنة ٢٣٤ هـ ، والرابع يحيى بن يحيى بن أحمد بن ادريس ملك من أصحاب مراكش والخامس يحيى بن يحيى أبو بكر بن السمينة عالم متفنن أندلسي من أهل قرطبة توفى سنة ٣١٥ هـ ، والسادس يحيى بن يحيى بن أحمد المحيوى القبابي واعظ من فقهاء الشافعيين توفى سنة ٨٤٠ هـ ، والسابع يحيى بن يحيى بن زيان بن عمر بن زيان الوطاسي وزير السلطان عبد الحق المريني بفاس توفى سنة ٨٦٦ هـ .

٢ - يحيى بن معاذ ثلاثة أحدهم نيسابوري والثاني رازي والثالث تستري . ص٥٦ المدهش .

٣ - يوسف بن أسباط ثلاثة أحدهم كوفي والثاني حمصي والثالث سلمي . ص٥٦ المدهش .

٤ - لم أجد سوى أبو بكر بن عياش مولى واصل بن حيان الأحدب الأسدي اختلف في اسمه ، كان من الزهاد ، توفى بالكوفة سنة ١٩٣ هـ .
(ج ٣ ص ١٦٤ - صفة الصفوة) .

٥ - ثم تزوجها بكير : ز ، م .

قلت ، فامرأة كان لها أربعة اخوة وعمان شهدوا بدرا ، فاخوان وهم مع رسول الله واخوان وهم مع المشركين ، قال : نعم هند بنت عتبه فالأخوان المسلمان أبو حذيفة بن عتبه ومصعب بن عمير والعم المسلم معمر بن الحرث والأخوان المشركان الوليد بن عتبه وأبو عزيز والعم المشرك شيبه بن ربيعه ، قلت : أفتعرف امرأة ولدها رسول الله وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحه والزبير وابن عمر ؟ قال : حفصه بنت محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أما ولادة رسول الله لها فان أم أبيها محمد فاطمه بن الحسين بن على وأم الحسين فاطمه بنت رسول الله وبهذا الطريق ولادة على ، وأما ولادة أبى بكر فان أمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير وأم عروه اسماء بنت أبى بكر ومن طريق عروه ولدها الزبير ، وأما ولادة عمر فان أم جدها عبد الله زينب بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب فمن هاهنا ولادة عمر وابن عمر ، وأما ولادة عثمان فمن طريق أمها (١) وأما ولادة طلحة فان أم جدتها من قبل أبيها أم اسحاق (٢) بنت طلحه ، فقلت : لو حضرك البخارى (٣) ما تكلم ، ولو سمعك مسلم (٤) سلم ، ثم انتحل وهرول ، فتهمته فى الأول ، فقلت عرفنى نفسك أيها الربانى العظيم ، فقال : أنا الذى يكنى أبا القويم ،

---

١ ـ وأما ولادة عثمان فمن طريق أبيها : م .

٢ ـ فان أم جدها من قبل أبيها أم اسحاق : ح .

٣ ـ هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخارى أبو عبد الله (١٩٤ ـ ٢٥٦ هـ) حبر الاسلام والحافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صاحب " الجامع الصحيح " المعروف بصحيح البخارى وله كتب أخرى فى التاريخ وغيره . (جـ١ ص ٢٧١ ـ ٢٧٩ ـ طبقات الحنابلة)

٤ ـ هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى أبو الحسين (٢٠٤ ـ ٢٦١ هـ) حافظ من أئمة المحدثين . ولد بنيسابور ورحل الى الحجاز ومصر والشام والعراق وتوفى بظاهر نيسابور .

نظلت : أصحبك ، فتعجل وتركني داجلذ[1] فجعلت أعمل في طريقي من فلح رصيف

يقوم مقام الجيش تقطيب وجهه ... ويستفرغ الألفاظ من لفظه حرف

وأضحى وبين الناس في كل سيد ... من الناس الا في سيادته خلف

وما حارت الأذهان في عظم شأنه ... بأكثر مما حار في حسنه الطرف

فوجها في أحلى وصفه ... وقد فنيت فيه القراطيس والصحف

تفكره علم وينطقه حكم ... وباطنه دين وظاهره ظرف

ومن كثرة الأخبار عن مكرماته ... يحير له صنف ويأتي له صنف[2]

---

١ - اجلوذ : سار مسرعا (بسرعة) .

٢ - يحير له صنف ويأتي له صنف : م .

المقامة الثامنة والأربعون

في هزل وجد

ساءت المطالب فخرجت اطلب الحلال ، فجعلت أتقلب السباسب (١) وافتش الحلال (٢) ، فرأيت في الصحراء شيخا دلني على ريه من الفضائل حسن روائه (٣) ، فاذا به قد اختبئ في خبائه ، واحتبى بعبائه (٤) ، فاطلعت في بابه مسلما ، فقال لأصحابه ما أرى متعلما ، ثم قال : كيف طالعت الباحه (٥) ، وما تقدمت مني اباحه ، فقلت : مثلك من يغفر الزله ، واذا رأى مدلهما (٦) دله ، ثم تراجعت بالشيخ ونشجت (٧) ، فقال لي : لج فولجت ، ثم قال : القرى قبل الكلام ، فجل عجل يا غلام ، فجاء بعجل سمين حنيذ (٨) ، وقال : لا نقي عندنا ولا سميذ (٩) ، فاستطعت طعام الغربه ثم قمت أنحو نحو القربه ، فقال : أما سمعت ما في السنه ، لا يشرب من في الشنه (١٠) ، دغفق الماء البارد في قصعة (١١) (١٢) ،

---

١ ـ السباسب : جمع سبسب وهي المفازة أو الأرض المستوية البعيدة .
٢ ـ الحلال جمع حلة وهي مجموعة بيوت يسكنها الناس أو هي منها المكونة من مئة بيت .
٣ ـ الرواء : حسن المنظر .
٤ ـ احتبى بعبائه : اشتمل .
٥ ـ الباحة : الساحة .
٦ ـ المدله : الساهي القلب الذاهب العقل من عشق ونحوه أو من لا يحفظ ما فعل أو فعل به .
٧ ـ نشج الباكي نشيجا : غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب .
٨ ـ هذا من قوله تعالى : " ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ " هود آية ٦٩ . والحنيذ : الحار الذي يقطر ماءه بعد الشي .
٩ ـ النقي : يقال نقاه الطعام وتقايته ويضمان : رديئه وما ألقى منه ، السميذ : السميد (دقيق أبيض وهو لباب الدقيق) .
١٠ ـ الشنة : القربة اليابسة .
١١ ـ دغفق الماء : صبه .
١٢ ـ القصعة : الصحفه وأعظم القصاع الجفنه ثم الصحفة (ثم المثكلة ثم الصحيفة) .

وقال : هذا الوارد على العطش يقصد قصعه (١) ، ثم قال لى : ما تطلبوما شأنك ، فقد رحمتك منذ تجلت شانك ، فقلت ربا (٢) فى بلدنا الربا ، فنبا قلبى عنه وأبى ، فخرجت لعلى استرط (٣) حلالا ، ولا أشترط ما حلالا ، فقال قد حل الفقر بحلتنا ، وقفر ما ترى من محلتنا ، فمن ملك منهم طوسالة (٤) ، فطوبى له ، فان قنعت فى أود يستنا بالذانين والطراثيث والمفافير ، فعندنا من هذا الشيء الكثير ، ولنا ثغام وبطم وخافور ، ولعاعة وعنصل وقفور ، وعندنا عشرق ولصف وملمح البرعوم (٥) (٦) ، والعيش كله عندنا فى العيشوم (٧) ، فقلت ما ألف طبعى هذه الأقوات ، قال : فعندى لك ما يدفع الأوقات ، هذه نخل عم (٨) ، ودخل هذه يعم ، فأقمت أتناول التمر وأصيد الظبا ، بمسحل (٩) أحد من الظبا (١٠) فوقعت يوما خمس ظبيات فى الكصيصة (١١) ، فقال صاحبى هذه لك خصيصة ، وهكذا يكون اليسر بعد العسر والربح عقيب الخسر فقلت له يوما : أما نبشم من هذا البشام (١٢) ،

---

١ ـ قوله : يقصد قصعه : أى قتله ، يقال : الماء يقصع العطش أى يقتله ويسكنه

٢ ـ ربا : زاد .

٣ ـ استرط : ابتلع .

٤ ـ الطوسالة : النعجة .

٥ ـ الذانين والطراثيث والمفافير كله نبات وكذلك الثغام والبطم والخافور واللماعة والمنصل ، والقفور والعشرق واللصف .

٦ ـ البرعوم : النور .

٧ ـ العيشوم : نبات أيضا .

٨ ـ هذه نخل عم : طوال .

٩ ـ المسحل : حديدة .

١٠ ـ الظبا : جمع ظبة وهى حد السيف والسنان والنصل والخنجر وما أشبه ذلك .

١١ ـ الكصيصة : حبال الظباء التى تصاد بها .

١٢ ـ بشم : أكل كثيرا حتى أصيب بالبشم أى التخمة والبشام شجر طيب الريح ورقه يسود الشعر ويستاك بقضيبه .

فانى قد ملكت هذا القشام (١) ، وقد سمعت ان الحلال كثير بالشام ، فقال قم بنا نجوب البلاد ، لعلنا نصيب المراد ، فتأبطنا زادنا (٢) ، وربطنا مزادنا (٣) ، وسرنا نقطع النهابير (٤) ، ولا نبالى لو أنها بير ، فجزنا على حوص ، فقال عرج عنها ، فمنع التفضيل منها ، فقلت اقبض لى من حديثهم قبضة (٥) ، فان للاذن حضة ، فقال : كان يزيد بن ثروان (٦) قد جعل فى عنقه قلادة من ودع وخزف (٧) وقال : أخشى أن أضيع منى ففعلت ذلك لا لأعرف نفسى به ، فحولت القلادة الى أخيه ليلا ، فلما أصبح قال لأخيه أنت أنا وأنا أنت ، وقيل لعجل (٨) من لجيم ما سميت فرسك ، فقام ففقأ عينه وقال : قد سميته الأعور ، ومر على أبى اسيد بعيران فقال : القدام أفره من الأول ، ونظر الى رجل نائم فقال له : كم تنام (٩) كأنك بعير ناد ، وقيل له : حدثنا عن ابن عمر فقال : كان يحف شاربه حتى يبدو بياض ابطيه ، واجتاز بعضهم على قوم وفى كمه خوخ فقال : من أخبرنى بما فى كمى أعطيته أكبر خوخه فيه فقالوا : خوخ ،

---

١ ـ القشام : ما يؤكل مما نفض من المائدة ، والقشام : اسم لما يؤكل مشتق من القشم وهو الأكل ، وقيل شدة الأكل وخلطه .

٢ ـ وبات الظبا زادنا : ح .

٣ ـ المزاد جمع مزادة وهى الراوية أو لا تكون الا من جلدين تقام بثالث بينهما لتتسع .

٤ ـ النهابير : الحفر بين الأكام الواحدة نهبرة .

٥ ـ الحضة : الشهوة للشىء .

٦ ـ يزيد بن ثروان القيسى (هنبقة) من قيس بن ثعلبة أبو ثروان المعروف ويلقب بذى الودعات : مضرب المثل فى الغفلة . يقال : أحمق من هنبقة ، بهبنقة وهو جاهلى . (ص١١٢ ثمار القلوب ، جـ ١ ص ٢١٧ ـ مجمع الأمثال) .

٧ ـ الودع جمع ودعات : خرز بيض يخرج من البحر بيضاء شقها كشق النواة ، الخزف محركة : كل ما عمل من طين وشوى بالنار حتى يكون فخارا .

٨ ـ هو عجل بن لجيم بن صعب ، من بكر ابن وائل من عدنان ، جد جاهلى كانت منازل بنيه من اليمامة الى البصرة . (جـ٥ ص ٣ ـ الأعلام) .

٩ ـ أفره : أحذق .

١٠ ـ البعير الناد : النافر .

فقال : ما قال لكم هذا الا من أمه زانية ، وقرأ عثمان بن أبي شيبه[1] جعل السفينة في رجل أخيه ، فقالوا : انما هو " جعل السقايه في رحل أخيه "[2] فقال : أنا وأخي أبو بكر لا نقرأ لعاصم[3] وكتب بعض كتاب الديلم يذكره بأضاحي ليفرقها في دار صاحبه وقد قرب الأضحى ، فكتب القائد ثور امرأته بقرة ابنه كبش ابنته نعجة الكاتب تيس واستضاف جماعة يقوم وكانوا سبع نفر وكان فيهم قاض راكب على بغل وأصحابه ركاب على حمير فقال لهم مضيفهم كم نحشوا[4] لكم من الشعير عليقا لدوابكم فقال له بعضهم نحن ست حمير والقاضي بغل[5] ، وقيل لسيفونه القاص حدثنا فقال : حدثنا شريك عن مغيره عن ابراهيم عن عبد الله مثله سواء قالوا له مثل أي شيء قال : كذا سمعنا وكذا نحدث ، وقال أبو كعب القاص في قصصه كان اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا فقيل له ان يوسف لم يأكله الذئب فقال : فهو اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف ، وقال : رجل لأبي حنيفة متى يحرم الطعام على الصائم فقال : اذا طلع الفجر ،

---

١ ـ هو عثمان بن محمد بن أبي شيبه الكوفي العبسي أبو الحسن من حفاظ الحديث ، كان ثقة مأمونا . وحكيت عنه تصحيفات لبعض الأبيات كأنها على سبيل الدعابة . (جـ٤ ص٣٧٦ ـ الأعلام) .

٢ ـ " فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون " . يوسف آية ٧٠ .

٣ ـ عاصم هو أحد القراء السبعة المشهورين .

٤ ـ كم يجيبوا لكم ح ، نحشو : نهيل .

٥ ـ سبعة حمير : ح ، والخط واضح ولا أظنه الا سهوا من الناسخ .

فقال : فان طلع الفجر نصف الليل ، وخرج رجل ومعه عشرة أحمرة فركب واحدا منها وعدها فرأى تسعة فنزل عن الحمار فساقها ثم عدها فوجدها عشرة ، فركب واحدا وعدها فرأى تسعة فقال : أمشي وأربح حمارا أحب الى من أن أركب وأخسر حمارا ، وورث بعض المغفلين نصف دار فقال : قد عزمت أن أبيع هذا النصف وأشترى النصف الآخر لتحصل الدار كلها لي ، وأصيب بعضهم بمصيبة ، فقيل له : أعظم الله أجرك فقال : سمع الله لمن حمده ، وقيل لبعضهم اخطب لنا خطبة النكاح ، فقال : الحمد لله نحمده ونستعينه وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، حي على الصلاه حي على الفلاح فقال له رجل : اصبر لا تقم فلست على وضوء .

ودسّ رجل من حمص على الرشيد(١) فقال له : من جالست من العلماء ؟ قال أبي ، قال : ما كان أبوك يقول في عذاب القبر ؟ قال: كان يكرهه .

واشترى بعض المغفلين شيرجا في غضاره(٢) فاغتسلت الغضاره فبقي له بعض الثمن ، فقال له البقال : في أي شيء تأخذ الباقي فقلب الغضاره وقال : في هذا وأشار الى كعبها فطرح البقال الباقي في الكعب فأخذه ومضى ، فلقيه رجل فقال له : بكم اشتريت هذا الشيرج ؟ فقال بحبتين فقال: هذا القدر بحبتين فقلب الغضارة وقال : وهذا ، فبينا نحن في السير الحثيث لاحت دمشق ،

---

١ ـ هو هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي أبو جعفر (١٤٩ ـ ١٩٣ هـ) خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق وأشهرهم تولى الخلافة سنة ١٧٠ هـ فقام بأعبائها وازدهرت الدولة في أيامه وكان الرشيد عالما بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه ، فصيحا شجاعا كثير الغزوات حازما كريما متواضعا يحج سنة ويغزو سنة .

٢ ـ الغضارة : الصحفة المتخذة من الطين اللازب الأخضر الحمر .

ولم نتمم لطيب الحديث ولم نتفرق ، فطفنا مواضعها ثم أتينا جامعها المعروف ، فرأينا الرصف فوق الوصف الموصوف ، واتفق فى تلك الأيام عاشوراء المحرم ، فعلا على المنبر شخص من القوم يتكلم ، فأخذ ينقص من فضل أهل البيت كل مشهد ، ويزيد فيما ينقص فى فضائل يزيد(١) ، فقال صاحبى : اسأل الله الاعانه وعلى العانه(٢) ثم قال : أتمدح من هو أولى بالذم والشين رجم الكعبة وصلب ابن بنت رسول الله الحسين(٣) ، فقال : ان الحسين خرج خروج خارج فقال على من ويلك يا خارج ، من كان أحق بالخلافة منه ، ومن الشخص الذى تحكى أنت عنه ، فحصبونا(٤) وطلبونا ، فهربنا ولحقونا فضربونا ، فقال صاحبى :

خليلى ما هذا مناخا لمثلها ... فشدا علمها ولرحلا بسلام

ثم قال : ما قدر الرسول يرى وحشيا(٥) بناظر ، وانما قتل حمزه(٦) وهو كافر

---

١ ـ يزيد بن معاوية بن أبى سفيان (٢٥ ـ ٦٤ هـ) ثانى ملوك الدولة الأموية فى الشام ، كان نزوعا الى اللهو ، ولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٠ هـ ، وفى أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن على سنة ٦١هـ توفى سنة ٦٤ هـ (جـ٩ ص ٢٤٤ ـ الأعلام) .

٢ ـ على الغايبة : ح .

٣ هو الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، استشهد سنة ٦١ هـ .

٤ ـ فحصبونا : رمونا بالحصباء أى الحصى وواحدتها حصبة .

٥ ـ هو وحشى بن حرب الحبشى أبو دسمة قاتل نوفل صاحبى كان من أبطال الموالى فى الجاهلية وهو قاتل الحمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم ، قتله يوم أحد سنة ٢٥ هـ (جـ٩ ص ١٢٥ ـ الأعلام) .

٦ ـ هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم أبو عمارة بن قريش عم النبى صلى الله عليه وسلم وأحد صناديد قريش وسادتهم فى الجاهلية والاسلام ، ولما كان يوم بدر قاتل بسيفين وفعل الأفاعيل ، استشهد ـ رحمه الله ـ فى موقعة أحد سنة ٣ هـ (جـ ١ ص ٣٧٠ صفة الصفوة) .

هذا والاسلام يجب ما قبله (١) ، فكيف حال قاتل الحسين يا أيله ، ويحك ! جمع الماء من بين أصابع الرسول معجزة وقدره ، فما سقوا ولده منه قطره ، ثم أسرعنا نفر ، من ذلك المصر (٢) ، وشرعنا نفرى مسالك مصر (٣) ، فرأينا قوما يسمون أبا بكر وعمر ، ويقولون حى على خير البشر ، فقال صاحبى هؤلاء أبغض الى من ذلك الهذيض ، قلت : (كلا الحالتين يحفظ ويغيظ) (٤) ، قال لقد وقع الناس فوق طرفى نقيض ، فاستبدلنا مركبا بمركبنا وقصدنا ديار الحبش وقلنا نسرو (٥) بسيرنا عن قلوبنا آثار الغبش (٦) ، فدخلنا جامعهم فامتطى صاحبى المنبر ونشر من العلم بزا أذكى من العنبر ، فاجتمع اليه سادات الحبش والسودان وقالوا : هل يضرنا سواد الألوان ، فقال : ان الاعتبار بالاحسان ، لا بالصور الحسان ، وكثير من الانبياء والكبار مثلكم كان ، فمن الأنبياء نبى أصحاب الأخدود وذو القرنين الفخيم الشان ، ومن الحكماء جماعة سيدهم لقمان ، ومنكم النجاشى الذى استجار به المسلمون من أهل الكفران ومن الصحابه أسامه وسالم وأبو بكرة ومقتب ومهجع (٧) وبلال صاحب الأذان ، وأم أيمن حاضنة الرسول فى خلق من النسوان ،

---

١ - يشير الى حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم : " الاسلام يجب ما قبله " رواه أحمد بن حنبل فى مسنده وأخرجه مسلم - ١١٢ .

٢ - المصر : البلد أو المدينة .

٣ - نفرى مسالك مصر : نسيرها ونقطعها .

٤ - ما بين القوسين ناقص : م .

٥ - نسروا : نزيل .

٦ - الغبش : بقايا الليل أو ظلمة آخره . والمراد بالغبش هاهنا الغم والهم .

٧ - مقيث ومهجع : ح .

ومن التابعين عطاء وحبيب بن أبي ثابت ومكحول في كثير من المفتين والفقيهان ، ومن الشعراء عنتره وسحيم ونصيب وأبو دلامه كانوا من محاسن الزمان ، ومن العباد أبو معاويه وذو النون وأبو الخير المقطوعة يده على البهتان ، ويكفي شرفا للسواد سويداء القلب وسواد الشعر وانسان الانسان والاثمد (١) (٢) والمسك والأبنوس والاهليلج (٣) والشويز (٤) والحجر المقدم على الأركان (٥) ، ومن لفتكم المشكاه (٦) وناشئة الليل (٧) وان ابراهيم لأواه (٨) ويؤتكم كفلين (٩) في القرآن ، فقام جماعة من الأضراء (١٠) فقالوا قد جبرت هؤلاء بما أخبرت فهل لهلالنا جبران فقال : قد كان اسحاق ويعقوب وشعيب من العميان ، ومن الصحابة سعد بن مالك والبراء وجابر وحسان ، والعباس وابن العباس ، وابن عمرو ابن أبي أوفى وعتبان وابن أم مكتوم وكعب بن مالك ، وأبو أسيد ، وقتاده بن النعمان ومحزمة بن نوفل وأبو قحافه واسمه عثمان ، ومن التابعين عطاء وقتاده وأبو هلال في عالم من علماء البلدان ، وقد كان سمره وأبو حذيفة بن عتبه وأبو برده من الحولان وكذلك عدي بن زيد وهشام بن عبد الملك ، وعاصم وعارم وأبان ،

---

١ ـ انسان الانسان : سواد عين الانسان .
٢ ـ الاثمد بالكسر : حجر الكحل .
٣ ـ الاهليلج : تمر هندي الأصفر ومنه الأسود .
٤ ـ الشويز : الحبة السوداء أو فارسي الأصل .
٥ ـ يريد الحجر الأسود .
٦ ـ المشكاه بالكسر : كل كوه غير نافذة .
٧ ـ يشير الى قوله تعالى " ان ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا " المزمل آية ٦
٨ ـ " وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم " . التوبة آية (١١٤) .
٩ ـ هذا من قوله تعالى : " يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم " الحديد آية ٢٨
١٠ ـ الأضراء : جمع ضرير .

وكان معاذ بن جبل وعمرو بن الجموح وعلقمة من العرجان ، وانما هذه بلايا يبتلي بها عباده الرحمن فمن قوى جنان صبره ضوعف له أجره في الجنان فقرأ قارئ " يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان "(١) فقام سائل فقال : صفهم لنا فربما لحق الكودن بالفرسان ، فقال فقال : مالت بالقوم ريح السحر ميل الشجر بالأغصان ، هيج الخوف أفنان القلوب فانتشرت الأفنان ، فاللسان يضرع والعين تدمع والوقت بستان ، خلوتهم بالحبيب تشغلهم عن نعم ونعمان ، سورهم أساورهم ، والخشوع تيجان ، خضوعهم حلاهم فما در ومرجان ، أخذوا قدر البلاغ وقالوا : نحن ضيفان ، باعوا الحرص بالقناعة فما ملك أنو شروان ، واشتروا الجنة (بأنفسهم)(٢) وباعوا بثنيان ، طالت عليهم أيام الحياة المحب ظمآن ، اطلع من خوخة(٣) التيقظ بعين التأمل ترى الرهبان ، أين أنت منهم ما نائم كيقظان كم بينك وبينهم أين الشجاع من الجبان ، ما أعظ فيك مواضع القلب بالهوى ملآن ، يا هذا قف على باب النجاح ولكن وقوف ولهان ، واركب سفين الصلاح فهذا الموت طوفان ، أيكون مثل هذا ايضاح أو مثل هذا بيان ، يا لها موعظة سحبت ذيل الفصاحة فحار سحبان ، بغداديه اماميه ناصريه لا تعرف ضرب خراسان فلما نزل قلت : ألست صاحب الهاديه يا فلان ، فمن أين هذه العلوم

---

١ ـ هذا من قوله تعالى : " يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم " . التوبة آية (٢١) .

٢ ـ الكودن : الفرس الهجين .

٣ ـ + : ح .

٤ ـ الخوخة : كوة تؤدي الضوء الى البيت .

المادمة وهذا المكان ، فقال : كم من مسكن قد عاب ساكنه وشان وللساكن فيه شأن من الشان ، اياك أن تنظر الى صورة الانسان فانه مخبو تحت اللسان ، واحذر صولجان لسانه صولجان ، وعد بنا الى مكاننا فانه أصلح مكان ، فلما أبنا من الرحله الى الحله قلت : انى مشتاق الى الصبيان ، فقال ارجع الى الأهل فانهم كالسهل والحزون[1] أحزان ، وابذل فى تحصيل الحلال جهدك فهو غاية الامكان ، "وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان"[2] ، فاذا علم منك صدق المعاناة للجد أعان ، فقلت : عرفنى اسمك ، فقال : بالرمز لا بالتبيان خذ عين عين وقاف قلب ولام رجل وقد بان[3] ، فرجعت عنه أسرى[4] ودمعى يجرى بين سح[5] وتهتان[6] .

---

١ ـ كالسهل والحزن : ح ، الحزن : ما غلظ من الأرض .

٢ ـ الرحمن آية (٩) .

٣ ـ يعنى العقل .

٤ ـ أسرى : أسير ليلا .

٥ ـ السح : الصب والسيلان من فوق .

٦ ـ التهتان : المطر الكثير .

المقامة الثالثة والأربعون

في مخاطبة العقل للنفس

أفنيت في رياضة نفسي بالعلم والعمل الحبر(١) والحبر، وبالغت في صبري وسبري(٢) حتى نفد الصبر ونفد السِّبر(٣)، فلما تهذبت تهذيب الكير التبر(٤)، آنست منها راسخ عجرفة(٥) وعجرفة كبير، فقلت ظننت قطع الفراسخ فإذا لا شبر، فأسرعت الى العقل مستفيثاً مما لدى من عجهها، وقلت له: يا هذا أنعم عليّ وعج(٦) بها، فقال: أنا لها مثل المهاجر، لأني لها هاجر، فما نتكالم إلا في الناذر، فقلت الحقني أيها العالم (وخذ بيدي يا سيد هذا العالم(٧)) وبادر، فأنشد:

واذا جفاني صاحب	لم أستخر ما عشت قطعه(٨)
وتركته مثل القبور	أزورها في كل جمعه

---

١ ـ الحبر: ما يكتب به والحبر أيضا: الجمال والبهاء.
٢ ـ سبري: اختباري.
٣ ـ السبر بالكسر: الجمال والبهاء.
٤ ـ الكير بالكسر: زق ينفخ فيه الحداد وأما المبني من الطين فكور، والتبر: الذهب.
٥ ـ العجرفة: الأنفة.
٦ ـ عج: قف.
٧ ـ ما بين القوسين ناقص: ح.
٨ ـ لم استخر: لم أستطف.

ثم لتستعجل السير ناقة على (١) غلط ، فدخل الى مجلس فسيح (٢) فاذا هو مجلس غلط ، وهى فى بيت الهوى فضل (٣) فأقبلت اقبال المفدى ، فى مفدم (٤) لها بين لهام (٥) من الهانيق (٦) ، وقد أفسد رأيها حريق الرحيق ، فلما صاح بى صاحبى وقال : هذا سكران ملتخ (٧) ، وصيد قد خنقه الفخ ، والنملة اذا نبت جناحها ، ثبت اجتياحها ، فقالت : يا من كان يعاملنا بالانصاف لم فتحت الألف منها أتراجم بتراجم ، فقال لها : ذباب السيف (٨) لا يجرب فى ذباب ، فشبهتهما بمتريف (٩) وغطريف (١٠) ، ثم أقبل يخاطبهما وتجيب فسمعت منهما العجب العجيب ، فكان فيما قال لها ، مما أكسبها ولها أيتها المعجبة الحيرى من أنت ! وفيم أنت ، لقد تقاويت وتماليت فهنت ووهيت ، أما بدايتك فنطفة مذرة (١١) وأما حالتك فحمالة العذرة ، وغايتك جيفة قذرة ، تزعجك بقه ، وتقتلك شرقه ،

---

١ ـ ناقة غلط : عطل ليس لها زمام .

٢ ـ الفسح : الواسع .

٣ ـ الفضل : التى عليها قميص بلا ازار ولا سروايل .

٤ ـ المفدم : المصبوغ أحمر .

٥ ـ اللهام : الكثير .

٦ ـ والصواب الهانيق وهم الخدم ، والهنانيق جمع هنيق وهنوق وهنيق : هو الوصيف من الغلمان .

٧ ـ الملتخ : المختلط .

٨ ـ ذباب السيف : حده .

٩ ـ المتريف : الخبيث الفاجر الذى لا يبالى ما صنع .

١٠ ـ الغطريف : السيد الشريف والسخى .

١١ ـ مذرة : قذرة .

وتأسرك خضرة (١) وتكسوك نظرة ، وتذويك محسة (٢) ، وتلويك حمة ، فما هذه الغبية (٣) ، ولكن جهل صبية ، فصاحت فصاحتها : يا خيل الله اركبي ، ثم قالت : هذا وصف مركبي ، فأما أوصاف ذاتي ، فستأتي أنا عروس الملك ، ومختار الوجود ، والى أمر الملك الملك بالسجود ، ومخصي بالجود ، كل مخلوق في الدنيا موجود ، لأجلي سمت السماء ، ومن جراي جرى الماء ، ولتمهيد موضعي وضعت الأرض ، ولغرضي مد طولها والعرض ، وعلى وجب الفرض ، ومني طلب القرض ، والى ورد الخطاب ، ومني ينتظر الجواب ، ولمقاصدي خلقت النيران ، ولمنافعي أسرق النيران (٤) ، ولمصالحي دار الفلك ، ولما عاندني ابليس هلك ، واذا رحلت عن الدنيا قوضت خيم الأكوان ، ولم يبق بعدي ساكن ولا مكان ، فتنكدر النجوم (٥) وتنحدر الرجوم (٦) ، ويشرع في تكوير الشمس (٧) ، كأن لم تكن بالأمس ، ثم لتلقن بنيه جنات عدن ، وزينت بكل غصن لدن (٨) ، ولمن قيل لك الأنهار الجواري والجواري في جواري ، والملائكة لي في البداية سجدت ، ولحظاي في الوسط استغفرت ، وفي الأخير سلمت وسلمت ، فلما رآها العقل قد ارتفعت وعلت ،

---

١ ـ الخضرة بالتحريك : النعومة .

٢ ـ تذويكي : تضعفك .

٣ ـ الغبية : الغفلة وعدم الفطنة .

٤ ـ النيران : الشمس والقمر .

٥ ـ تنكدر النجوم : تنفض .

٦ ـ الرجوم : النجوم التي تزين السماء الدنيا . قال تعالى : " ولقد زينا السماء بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير " . الملك آية (٥) .

٧ ـ هذا من قوله تعالى " اذا الشمس كورت (١) واذا النجوم انكدرت (٢) التكوير .

٨ ـ الغصن اللدن : الغض الطري الجميل المنظر .

قال لها في حسابك غلطت (١) ، أنت في ظلام ظلم ودهن الدهن غال ، ويحك ! أما تنالين هذه المنازل بعد الرياضة (٢) ، وفي آخر مراتب الصبر على الرياضة ، ولولا تضمير التعليم ، لكنت كالحيوان البهيم تالله لولا التضمير ما مهر مهر (٣) ، ولولا الصبر على التضمير ما نسوه للعراب (٤) ذكر ، فان أنت سبقت ، سمقت (٥) ، وان أنت فرطت اتخبطت ، لا يغرنك النسب ، فان قابيل من آدم وان عكست فالخليل من آزر . ان الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبي ولا يسعدنك النشب (٦) فان ففي قارون المفتر لمن تخضفنا ليس الضم بالشمم (٧) ، ولا بصغر الأذن الصمم ، وانما الاعتبار بالألباب والأحوال والمجاهدات ، لا بالأنساب والأموال الشاهدات ، لا ينظر الله الى صوركم ، تالله ما تقوى قواعد شرف الا بتقوى ، وما أقوى من ترك ربع الهوى قد أقوى (٨) ، وما أخيب من قطع زمانه لعما ولهوا

---

١ ـ الغلط في الحساب : الغلط فيه .

٢ ـ الرياضة : التذليل والتهذيب .

٣ ـ أي تضمير الخيل . وتضميرها أن تشد عليها سروجها وتجلل بالأجلة حتى تعرق تحتها ، فيذهب أهلها ويشتد لحمها ويحمل عليها غلمان خفاف يجرونها ولا يعنفون بها ، فاذا فعل ذلك بها أمن عليها المهر الشديد عند حفرها ، ولم يقطعها الشد .

٤ ـ العراب والمعرب من الخيل : الذي ليس فيه عرق هجين .

٥ ـ سمقت : علوت .

٦ ـ النشب : المال الأصيل من الناطق والصامت .

٧ ـ الشمم : ارتفاع قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها وانتصاب الأرنبة .

٨ ـ قد أقوى : قد خلى وأقفر والمعنى أن القوي هو الذي يهجر مكان الهوى ويتركه خاليا .

ولو قيل للرفيع ما رتبتك لقال ما أهوى ما أهوى (١) ، وبحسك أركب الفخر وطئ تحت الجهله ، وساط الدعه لذ يذ عند العجزه ، والدعاوى فى السهل والأعمال فى الحزون (٢) وبعد ، فان أكشف الحجب العجب ، العجب يتقص ما به حصل ، ويرفض (٣) فيه بين الفضل (٤) ، وانما سبب عجبك الواقص (٥) ، أن علمك ناقص (٦) ، فلو عاج (٧) كمال العلم يعجبك أو حل اضمحل ، ان عجبت بمعلوماتك فجهولاتك أكثره ، أو بأعمالك فهى قليلة فى جنب من أكثر ، ثم أجبنى عن سؤال يتصدى لذاتك ولا يتعدى صفاتك ، ألست قد علمت أخبار ترتيب بدنك ، وفهمت أسرار تركيب جسدك ، قالت : بلى ، عرفت المبادى بالدليل الجلى ، وهل يخفى الوادى على البدوى ، وافقتنى كتب التشريح ، فناطقتنى بالعجب الصريح قال : ثم انك بعد ما حزت جزت الى تعرف عجائب البر والبحر ، واعتنقت فنون العلوم بين السحر والنحر ، ثم لم ترضى بعلوم الأرض حتى ترقيت الى الأفلاك فتنقيت ، ولو توقفت ما يمكن من العلوم ذاك ، ثم نظرت فى سر سير الأوائل ، وعلمت حكم الحكم فى الأحوال الحوائل (٨) ، ثم خرقت حجب العوالم ومنعت المانع ، فعاينت بدليل العالم

---

١ ـ أى لو قيل للشريف العالى المكانة ما الذى رفعك وأوصلك لهذا لقال اننى لا أتبع الذى أهواه أو اننى لا أتبع الذى أهوى وأغوى غيرى .

٢ ـ الحزون : ما غلظ من الأرض .

٣ ـ يرفض : يتسع ويزداد .

٤ ـ الفضل : اعوجاج الناب ـ هكذا فى تفسير غريب النسخة المخطوطة .

٥ ـ الواقص : المعيب .

٦ ـ ان علمك ناقص : ح ، ز ، م .

٧ ـ عاج : وقف وأقام .

٨ ـ الحوائل : الحائلة وهى المتغيرة .

عظمة الصانع ، فقالت: لقد بلغت مما تأملته فوق ما أملت ، قال: فهل عرفت عرفت ما هيتك وجوهرك ، وتذكرين أين كنت ومصدرك وكيف ولجت هذا البدن وتصرفت فيه ، وكيف تذهبين عنه اذا انحل وحل فيه ما أينا فيه ، وأين تكونين بعد بعده ، وكيف تعودين اليه عند رده ، قالت : ما علمت شيئا من هذا بفطرتي ولا يدخل هذا العلم تحت قدرتي ، قال: فجهلك بنفسك دليل على أن علمك بما سبق لم يحصل لك بك ، فما هذا العجب بما ليس منك وهل أنت الا آلة حركتها ارادة اله ، فدعي هذا الجهل والقحة (١) ، وسلمي الفضل الى من ألقحه ، فقالت : قد أرشدت فمن أنت ؟ فقال : نصيح لا يغش ، وحبيب ما في وده غش ، قالت : تسم لي باسمك ، لأسكن الى فهمك ، قال : أنا بالاضافة الى جميع الملكة الكل ، ثم شعاري الاقرار بالملكة والذل ، أتعلم أبدا ممن خلقني ، وأعلم أنه الذي أنطقني ، ومن أنا لولا أنه وفقني ، قالت : أوني بعد جدب الجهل باسمك ريفا ، وزدني برسمك ووسمك تعريفا ، فقال : أنا ناهيك عن التبذير وناهيك بي من نذير ، أنا سلمانك يا بلقيس ، فاسمعي مني لا من ابليس أنا راد شاردك اذا تهت فهمت ، وهل يورد هذا في كلماته الا العقل لو فهمت ، فقالت : ما أصنع وعظك ! فقيل لي ما أصنع ؟

---

١ ـ القح : الخالص من اللؤم والكرم ومن كل شيء ، والقح أيضا : الجافي من الناس كأنه خالص فيه .

وقدني (١) فقدني ، فاني اتبع ، فقد ندمني (٢) ما كان مني ، قال: انزعي (٣) عن أحوال المخرنشم (٤) ، وانزعي ثياب المخرنطم (٥) ، ودعي طبعك البليد (٦) واردعي خلقك اللحز (٧) ودعي توانيك المقعنس (٨) ، واسرعي اسراع مستعلج (٩) مستعجل ، واشرعي في الاعتذار الى ربك عن شغلك عنه بملك ، فنهضت لامتثال امر الآمر على قدم الجد ، وتطهرت بماء الذل من درن (١٠) الكبر واستقبلت قبلة القصد الى صلاح الأمر ، ووضعت جبهة التواضع في مسجد الانكسار ، وتلت في صلاة وصلها " وان كنا لخاطئين " (١١) ، ثم تلتها : "اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ، فاذا هاتف يحب التوابين (١٢) يقول (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (١٣)).

---

١ ـ قدني : حسبي .
٢ ـ ندمني : ذهب عني وشرد .
٣ ـ انزعي : انتهي وابتعدي .
٤ ـ المخرنشم : المتكبر .
٥ ـ المخرنطم : الغضبان المتكبر
٦ ـ طبعك البليد : ح ، والبلند : الفاحش السيء الخلق .
٧ ـ اللحز : الضيق البخيل
٨ ـ المقعنس: المتأخر .
٩ ـ المستعلج : الشديد .
١٠ـ الدرن : الوسخ أو تلطخه .
١١ـ " قال تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين " يوسف آية (٩١) .
١٢ ـ النمل آية (٤٤) .
١٣ ـ يوسف آية (٩٢) .

المقامة الرابعة والأربعون

فى الوعظ

ما زلت أعاهد على أن أتماهد المواعظ ، وأسعى بوجهى حتى أملأ سمعى من كل واعظ ، فخلف بلدتنا مع كثرة العالم ، من واعظ ومن عالم ، فبقيت فيها كالحوت فى البر ، أو كالضب فى البحر ، ثم سمعت أن غريبا غريبا قد قدم وجلس ، فزاحمت مزاحمة من صدم وصدم (١) حتى جلس ، فحمدل وحسبل وسبحل وهلل ودعا (٢) ، ثم قال : رحم الله من سمع فوعى ، فتأملته فاذا هو شوقب دملص (٣) فاذا سحر كلامه لسحرى يقتنص ، فقلت : ان هذه لشجرة وريقة ، فأنا أغتنم لفظ هذا وريقه ، فأروى بجرع مواعظه كل نسيس (٤) وأهوى بزواجره خدع ابليس فجعلت ذهنى الى كل ما يقال ، فادرك حفظى من لفظه أنه قال : يا ابن آدم تفكر فى أمرك ، تعرف قصر عمرك ، وتلمح انقضاض قصرك عند انقضاء عصرك ، فكأنك بك وقد نودى راكب شؤونك (٥) فى أهلك ومصرك (٦) أبرك (٧) ،

---

١ ـ صدم وصدم : دفع ، دفع .

٢ ـ حمدل : قال الحمد لله ، سبحل : قال سبحان الله ، حسبل قال حسبى الله ونعم الوكيل .

٣ ـ الشوقب : الطويل ، الدملص : الأملس .

٤ ـ النسيس : العطش .

٥ ـ راكب شؤونك : أى ركب أو مركب أمورك .

٦ ـ مصرك : بلدك .

٧ ـ أبرك : أقعد .

وسطت العلل(١) فانبسطت انبساط الفلل(٢) من شؤونك الى ظفرك ، فياكثرة مرضك وياقلة صبرك ، ثم جاء الملك فرافعها فانتزعها من صدرك(٣) ، ثم الفيك ذليلا والفيت في قبرك ، ووسدت في قفرك(٤) ، قد ضمت بظلمك ثم تقوم حزينا يوم نشرك لحشرك وينصب لك ميزان ربحك وخسرك وربما امتدت يد الفضيحة الى هتك ستر سرك ، ثم تمشي وتأتي قدم على جسرك(٥) ، فقام شيخ فقال : حيرتني بزجرك ، فقال يا بعيدا عنا أما تعلم طول هجرك ، أما يكفيك بعد ظلام مشيب الشباب طلوع فجرك ، قال : فما حيلتي ؟ قال : أدرك واستدرك ويحك ! والله ما تساوي اللذات ، أن يخاطر المخاطر فيها بالذات ، وأي راحة في لقمات ، تكون عند الحساب نقمات منتقمات ، كم وقعت في مهواة شهوات ، ثم فارقت ، فارقت وتبعت تبعات ، فدارك ما دمت في دارك هفوات الفوات ، فما بينك وبين ما اذا نزل من الآفات آفات(٦) ، الا أن تباين الوفاة ، ويحك ! انما هو صبر ساعة عن الحرام أو على الطاعات ، فحاز به المتيقظون وفات أهل الغفلات ، أما المتقون فانهم وثبوا الى الخير بين جمع وثبات وثبات ، فنظر الى نهاتهم فأعينوا بصبر وثبات ،

---

١ ـ سطت العلل : صالت أو قهرت بالبطش .

٢ ـ الفلل : الماء الذي يجري تحت الشجر .
والمعنى كأن العلل قد عمت جسدك كله من أم رأسك الى أخمص قدمك .

٣ ـ أي الروح .

٤ ـ القفر : الخلاء من الأرض .

٥ ـ قدمك على جسرك : ح ، يريد بالجسر الصراط .

٦ ـ آفات : صرفات أي ليس لك مفر ولا حيلة . يقال أفته عنه : صرفه .

وتلقتهم الراحة يوم التوفى واندفعت الكربات ، فلو رأيت العاصى وقد استلهثه عند الرحيل أيدى النائبات ، أصبح على الجسر والنأى فانظر أين بعد النأى بسات ، أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات (١) "فقال السائل : بين لى أحوال أيا الصالحون مخلصوا نفوسهم من رق الهوى واعتقوا القسمين ؟ فقال : بين وسم الوسمين ، فلاح لهم الفلاح فجدوا واعتقوا (٢) ، وسمعوا " من ذا الذى يقرض الله (٣) "فصدقوا وتصدقوا ، فتراهم بين راكع وساجد الى المساجد قد سبقوا ، فلو عاينتهم فى الدجى وقد استفسروا وتملقوا (٤) ، وغربوا فى بوادى الاعتذار عن الزلل وشرقوا وحلوا مزاد العين (٥) وحلوا وأطلقوا يتقلقلون (٦) كأنهم غرقى قد تشبثوا وتعلقوا ، فاذا جاء النهار هجروا فى (الهجير (٧)) مشتهاهم وطلقوا ، حاسبوا أنفسهم على الكلمات والنظرات والهفوات وحققوا ، وبالغوا فى الورع وتناهوا ودققوا ، وما كانت معاناة زرود الا أياما وأعرقوا ، قال السائل : صف لى من حالهم وقت ارتحالهم ، فقال لما نزل الموت تيقنوا أنه ، وتقلقلت النفوس بين زفرة وأنه جاء ركابى " يا أيتها النفس المطمئنة (٨) " ، فكشف سجاف (٩) المنزل فحركوا الأعنة (١٠) ، فرحلوا فوصلوا فدخلوا الجنة ،

---

١ ـ الجاثية آية (٢١) .

٢ ـ جدوا وأعتقوا : ح ، اعنقوا : اسرعوا .

٣ ـ يشير الى قوله تعالى : " من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون " . البقرة آية (٢٤٥) .

٤ ـ تملقوا : تودوا وتلطفوا .

٥ ـ أى بكوا كثيرا والمزاد جمع مزادة وهى الراوية (وعاء الماء) .

٦ ـ يتقلقلون : يصوتون ويتحركون .

٧ ـ الهجير : نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر أو من عند زوالها الى العصر لأن الناس يستكنون فى بيوتهم كأنهم قد تهاجروا .

٨ ـ الفجر آية (٢٧) .

٩ ـ السجاف : الستر .

١٠ ـ الأعنة جمع عنان : سير اللجام الذى تمسك به الدابة .

فأرواحهم فى حواصل طير خضر (١) تعلق من تلك الشجر ، وبقورهم يستشفى ويستسقى المطر ، فاذا نفخ فى الصور وأعيدت تلك الصور ، جيء النجباء بنجائب مرحلة بالدر لا بالشعير فركبوا من قصورهم الى تصورهم ما عندهم من الحساب خبر فتلقاهم الولدان ومنع الحور البروز الخفر (٢) ، فاذا التقوا حضرن مستبشرات بمن حضر ، فلو رأيتهم متكين على الأرائك بعد تعب السفر ، والكئوس دائرة والقطوف دانيه بأنواع الثمر ، يجرى تحت القصور (جزاء من ترك القصور (٣)) نهر بعد نهر ، فكم من ساقيه جاريه عليها جاريه ساقيه يحار فيها البصر ، وعيدان الأشجار تغنى فتغنى عن عيدان الوتر ، فاذا اشتاقوا الى الاخوان نفر لفر الى نفر ، فحدثهم ما كانوا فيه من صيام وصلاه وسهر ، نالوا بعد أن حدق يأس مما لا يدخل تحت حد القياس من الظفر والملائكه (تدخل عليهم من كل باب (٤)) مسلمه مسلمه للجدال فى فضل البشر ، وما كفاهم ما أعطاهم حتى تجلى مولاهم للنظر ، فلا تعمد مفترض ، ولا تكليف معترض ، ولا يقال فرض قد انكسر (٥) ، ولا شقاق ألفه ولا فراق طرفه ولا مشاق كلفه لطهارات البشر ، ولا هم يهم ، ولا غم يغم ، ولا تحريم

---

١ ـ هذا من حديث المصطفى عليه السلام الذى منه " أرواحهم فى جوف طير خضر " أخرجه مسلم فى باب الإمارة وأبو داود فى باب الجهاد .

٢ ـ الخفر : شدة الحياء .

٣ ـ ـ : ح ، والمعنى أن هؤلاء نالوا تلك المكانة وسكنوا تلك القصور جزاء لهم لتركهم التقصير .

٤ ـ + : ح .

٥ ـ الفرض محركة : الهدف يرمى فيه .

يعزم عن قضاء الوطر (١) ، ولا عناء تعب ولا شقاء نصب ، ولا لقاء وصب (٢) يوجب نوع كدر ، فسبحان من جاد عليهم غاية الجود ، وبلغهم نهاية المقصود ، ومن وما من بدوام الخلود ، وهو آخر الأمل المنتظر فقال السائل : اذكر لى حال القسم الآخر ، فقال : كم بين من تقدم وبين من استأخر ، هؤلاء زلوا بإيثار ما يزول ، واستحلوا ما يتغير ويحول ، تكاسلوا عن الصلاة فان صلوها نقصوا وأهملوا جانب الزكاة فان أخرجوا انتقصوا ، غطوا أبصار البصائر بالخمر وشغلوا أسماعهم عن الزواجر بالزمر ، وبادروا بارد العيش فاذا البلد جمر ، ورضوا فى الدين بالوهى (٣) معرضين عن النهى والأمر قال: صف لى مآلهم ، وعرفنى مآلهم ، فقال : كلما اشتد بالقوم عند الموت الألم ، صاح لسان اللوم ألم أقل ألم (٤) ، ثم تمزق لهم كئوس الحسرات بمدام ندم ، فيتمنون لما قد صدم (٥) العدم رحلت اللذة عن الأفواه وتخلفت مرارة الأسف ، وصار بدر الأمل كالعرجون (٦) ثم امحق (٧) وخسف ، واشتد عليهم كرب الموت

---

١ ـ الوطر محركة : الحاجة لك فيها هم وعنايه فاذا بلغها فقد قضيت وطرك جمع أوطار .

٢ ـ الوصب محركة : المرض .

٣ ـ الوهى : الضعف .

٤ ـ يشير الى قوله تعالى : " تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير " . الملك آية (٨) .

٥ ـ صدم : نزل .

٦ ـ العرجون : العذق اذا يبس واعوج أو أصله .

٧ ـ امحق : امحى .

وتعسر به الفوت وعسف ، فاذا الفصن الغض قد تحل(١) وشسف ، ثم نقلوا الى قبر أخصب ما فيه العجف(٢) ، وأروى من تربة زرود لا النجف(٣) ، فلو رأيته بالعاصى قد تزلزل ورجف ، ثم يأتى منكر ونكير الى مقر قد اعترف ، فلم يجد مقرا ولا مفرا من أودى به الجنف(٤) ، فعذابه دائم وعتابه قائم على السرف(٥) ، فاذا انشق ضريحه وأظهر قبيحه وانكشف ، لقى فى القيامة ما يعجز عن وصفه من وصف ، ثم يحمل الى النيران فيرمى بين الأنتان والجيف ، عقابها عديم ، وشرابها حميمه وغذاؤها الزقوم هذا وقد عكف ، مقامه منها حديد وبلاؤها شديد ، وقعرها بعيد والصديد مكان الصوف(٦) ، فيها السلاسل والأغلال ، والمقامع والأنكال(٧) وهم بحال وأى حال ، أصلح منها التلف ، تولى عنهم الأقارب فتولاهم حيات وعقارب ، كأنها الهفال أو تقارب ، تدنو منهم وتقارب ، فاذا اللحم مختطف ، زمانهم ليل حالك ، وضجيجهم ضجيج هالك

---

١ ـ قحل : يبس جلده على عظمه ، وشسف مثل قحل .
٢ ـ العجف : ذهاب السمنة .
٣ ـ النجف محركة : مكان لا يعلوه الماء .
٤ ـ أودى : هلك .
٥ ـ الجنف : الميل والجور .
٦ ـ السرف : مجاوزة القصد .
٧ ـ الصدف : غشاء الدر الواحدة بهاء .
٨ ـ الأنكال : جمع نكلة بالكسر : القيد الشديد أو قيد من نار .

ويستغيثون يامالك (١) ، وما التفت ولا انعطف ، عقابهم عقاب (٢) وجميع ، وندمهم (٣) بئس القرين والضجيع ، وتجرى الدموع ثم النجيع على القبيح الذى سلف ، فلا ميز بين الدارين ، أفلا فارق بين الفريقين !!

أفلا مغتنم للحين (٤) تبل الحين ، بلى من حضر ذهنه عرف ، فارتجز (٥) المجلس ثم ارتج ، ولم يبق فم عين الا مج ، فمنهم من تعلق بالمنبر ومنهم من هج ، فانحط الشيخ عن كرسيه وانزج ، فاذا أبو التقويم أعرفه بالحاجب الأزج (٦) ، فأسرع فتبعته من فج الى فج (٧) ، فقال : ترانى أهرب وأنت تطلب يا فج (٨) ، فقلت : الصحبة ، فقال : نويت افراد الحج ، فاجتهدت وألححت فولج الدار ولج (٩) ، فرجعت وما حظيت من حجته وحجته الا بالعج والثج (١٠) (١١) .

---

١ ـ مالك عليه السلام : خازن النار نعوذ بالله منها ومما يقرب اليها من قول وعمل .

٢ ـ يذمهم : ح .

٣ ـ النجيع : الدم .

٤ ـ الحين : الموت والهلاك .

٥ ـ ارتجز : ارتج واهتز .

٦ ـ الزج محركة : دقة الحاجبين فى طول والنعت : أزج وزجاء .

٧ ـ الفج والفجاج : الطريق الواسع بين جبلين .

٨ ـ الفج بالكسر : الغير ناضج .

٩ ـ ولج : دخل ، لج : تمادى فى خصومته .

١٠ ـ العج : الصياح .

١١ ـ الثج : سيلان دم الهدى . وفى الحديث : تمام الحج العج والثج والعج : العجيج فى الدعاء ، والثج : سفك دماء البدن وغيرها وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الحج فقال : أفضل الحج والعج والثج .

المقامة الخامسة والأربعون

فى الأحاجى والمكاتبة والمواعظ

طالت فهمة أبى التفهم عنى فاشتقت ، فاذا كتابه قبيل الصبح يهنى فما صدقت ، فكان عندى كالماء البارد روى المعطش ، أو كالفجر الوارد جلى (١) الغبش فخضخته ولا أذى فيه ، فاذا مرقوم فيه :

أيا ساكنى أرض الحمى هل شربتم ... من الشوق بالكاس الذى قد شربناه

كتبنا اليكم نستجير من الهوى ... وأدمعنا تمحو الذى قد كتبناه

شوقى أدام الله طول بقائك لا يسع وصف وصفة قرطاس وعطش غليلى الى لقائك لا يروى رضفة (٢) كاس ، فأنا أحن اليك حنين الروءوم (٣) ، وأجد من مس الشوق أنين الكلوم ، فسل قلبك عن ما فى قلبى من حبك ، فقد أخبرنى قلبى عما لى فى قلبك ، ولقد كانت أيامنا بيضاء فاذا هى للهموم جون (٤) ، وكانت بقاع اجتماعنا رياضا فاذا بها للغموم سجون ، ولم يبق حديث الا للوجد والأحاديث شجون (٥) ، فلقاؤك مقر عيون وتقر عيون أما أنا فما أنساك ، وأما أنت فما أنساك (٦) .

أدرجت فى أثناء نسيانكم ... حتى كأنى ألف الوصل (٧)

---

١ ـ الغبش محركة : بقية الليل أو ظلمة آخره .

٢ ـ الرضف : الحجارة المحماة .

٣ ـ الروءوم : الناقة التى تعطف على ولدها وتحن اليه .

٤ ـ الجون : السواد .

٥ ـ يقال : الحديث ذو شجون { أى ذو فنون وأغراض .

٦ ـ ما أنساك الأولى : لا أنساك ، وأما الثانية : فما أكثر نسيانك .

٧ ـ يشبه نفسه بهمزة الوصل فهى تظهر فى أول الكلام وتسقط فى درجه .

وكيف لا أعاتب من تثنى عليه العناصر (١) ، وتثنى عليه الخناصر ، وبعد فلا زالت الأعيان تعود ، بانجاز الوعود ، ماطرة دائمة السرور من غير رعود ، مبشرة بصعود السعود ، على أبراج سعد السعود (٢) ، ما فاح عود عود .

لو أن كتبى بقدر الشوق واصلة ... كانت اليك مع الساعات تتصل

لكننى والذى يبقيك لى أبدا ... على جميل اعتقادى فيك أتكل

ثم ان قلبى مشغول بحوادث الدهر عن الانبساط ، وقد كنت أوثر البسط (٣) فطوت الهموم البساط (٤) .

اذا أحسست فى لفظى فتورا ... وخطى والبلاغة والبيان

فلا ترتب بفهمى ان رقصى ... على مقدار ايقاع الزمان

وأما العهود بيننا فعلى ما عهدت ، ما تغيرت عما شهدت :

أما عهودى لكم مشيدة ... لا يطمع الهادم فى بنيانها

وفى فؤادى لهواك رتبة ... لا يصل العشق الى مكانها

يستأذن الناس عليها فمتى ... ما حجبوا فادخل بلا استيذانها

فكتبت اليه :

حللت من المجد أعلى مكان ... ولفك الله أقصى الأمانى

فانك لا عدمتك العلى ... أخ لا كأخوة هذا الزمان

كسونا أخوتنا بالصفا ... كما كسيت بالكلام المعانى

---

١ ـ العناصر : الأصول . وعنصر كل شىء : أصله .

٢ ـ سعود النجوم عشرة منها برج سعد السعود وهو من منازل القمر .

٣ ـ البسط : السرور .

٤ ـ البساط بالكسر ما يبسط على الأرض .

وصلت كلماتك فوصلت ، وسرت فسرت ، ووكفت(١) سحائبها وكفت ، فأخذ خاطري يمدوك(٢) ، وابتلج(٣) الكلام على فما أدري ما ألوك ، ولعب الجوى بي في الجواب وكيف يقاوم البحر طش السحاب(٤) ،

كتابك سيدي جلى همومي ... وجل به اغتباطي وابتهاجي
كتاب في سرائره سرور ... مناجيه من الأحزان ناجي
فكم معنى بديع تحت لفظ ... هناك تزاوجا أي ازدواج
كراح(٥) في زجاج بل كروح ... سرت في جسم معتدل المزاج

ومتى تكلف بأقل(٦) اجابة سحبان هجر(٧) ، وما يفهم من التجاره امرؤ جلب التمر الى هجر(٨) ، ولو لم اطلع على الخاطر العاطر ، جاز لي أن أخاطر فأما وقد جليت على عذراء الفصاحة فصاحت الهيبة فضوا فقد اتسع العذر وكيف يقاوم التكلف السرجوحة(٩) ، والضعيف الصمحمح(١٠) ، والأبله الطبن(١١) غير أني ربما نسبت بالترك الى الاهمال ، ولا بأس بإلقاء القيراط فوق قناطير المال ،

---

١ ـ وكفت : قطرت : ٢ ـ يمدوك : يختلط .
٣ ـ ابتلج : ح ، وأظنها ابتاخ بمعنى اختلط يقال هم في بوخ من أمرهم أي في اختلاط سيما أنه قد عرف الكلمة في تفسير غريب المقامة بأنها مثل الاختلاط .
٤ ـ طش السحاب : رشه . ٥ ـ الراح : الخمر .
٦ ـ باقل : كان يضرب به المثل في العي . وقد سبق التعريف به .
٧ ـ هجر : هذي وغلط في كلامه .
٨ ـ هجر محركة : بلد باليمن واسم لجميع أرض البحرين ومنه المثل كمبضع تمر الى هجر . وتشتهر هجر بالتمر .
٩ ـ السرجوحة : الطبيعة .
١٠ ـ الصمحمح : الشديد .
١١ ـ الطبن : الفطن .

لكننى ان نطقت بمقول فعنك أقول :

يلامن نطقت بفضله (فى فضله (١)) فقلته نقل الرواه

أنا من فنونك أستمد كأننى قلم المداه

لما ارتوى منها روى فالنطق عن ذاك الصفات

ان الصراة (٢) وان طمت (٣) تهارها (٤) بعض الفرات

ثم كتبت :

يا نائيا عن محل القلب لم يبق أنت اقتراحى على الأيام والزمن

ان بحت باسمك لم آمن عليك وان كتمت حبك لم آمن على بدنى

والله لو وجدتك النفس ما أسفت لفقد مال ولا أهل ولا وطن

كتبت كبت (٥) الله أعداك كبت صبرى عنك وأطال بقاك طول شوقى اليك ، ولنى لأرتاح الى ذكر زمان اللقاء ، وأعجب مع عدمه من وجود البقاء :

وانى وحقك منذ ارتحلت نهارى حنين وليلى أنين

وانى لأرعى عهود الصفا (٦) يحكونها لك سر مصون

ولله أيامنا الخاليات (٧) لو رد سالف دهر حنين

ولم لا ونحن كشكل اليدين ولكن لك الفضل أنت اليمين

اذا قلت أسلوك قال الغرام هيهات ذلك ما لا يكون

وهل لى فى سلوة مطمح وصبرى خؤون وودى أمين

---

١ ـ ـ : ح .

٢ ـ الصراة : نهر بالعراق .

٣ ـ طمى : علا .

٤ ـ التيار بالتشديد : موج البحر الذى يتضح .

٥ ـ كبت : صرع وصرف .

٦ ـ البيت زيادة : ح . ٧) البيت ناقص : ح

ما زلت أفقد ما أدرسه من أخبار الفضلاء دارسا (١) ، وافتقد نهر الفضائل فأراه يابسا فاذا جودت ذكر الأجواد ألحقته بكانوا ، واذا بينت ما فيهم من السداد ختمته ببانوا فلم أزل وحيدا من الخلان ، فريدا من أهل هذا الزمان ، أضن بمودتى عن جميع الخلائق ، لما أعلم عندهم من وضيع الأخلاق ، حتى كشف لى الدهر عن نقاب نقاب (٢) ، فتيقنت النفس التى فى عدم الكرماء (٣) غلب الغلت فى الحساب (٤) فاجتمعت بالحبيب أفراضى ، فلما خطب بكر مخاطبتى راغب فضله ، وأنعم بانعام لست من أهله ، وأقامنى مقام المكاتب (٥) ، قمت قيام المكاتب ، فقد أخجل بياض أفضاله زنج شكرى (٦) ، وصار على بفضله ببخ سكرى (٧) ، لا زلت ديمة (٨) نعمة دائمة ، وأنوف حاسدى كرمه دامية ، ومناقبه بالكمال عالية الجبهة ، عالية الى أعلى المزيد ، يبنى فى سماء السمو لبقاء الذكر أبراجا ، وتنبى عن تقدمها فى العلو فيكون للقدماء تاجا ، مارق تسنيم وراق زنجبيل ، وقد اختصر الخادم هذا المكتوب ، وأحال بالبسط على عالم الغيوب والمطلع على القلوب ، ولولا أن يقال أثرت الاضجار (٩) بالثناء واصلت المدائح ، وقد آثرت الاختصار على الدعاء الصالح ، وغاية السؤل أن يسامح المولى قلما سطر وقلبا أملى أفتراه ينعم بهذا المسئول أم لا ، وان يقوم ما يرى من اللفظ ماثرا ، فما زال ينعم

---

١ ـ دارسا : باليا . ٢ ـ النقاب : الرجل العلامة .

٣ ـ عدم الكبر : ح .

٤ ـ الغلت فى الحساب كالغلط فى غيره .

٥ ـ المكاتب : العبد الذى كاتب سيده على نفسه بثمنه فاذا أداه اليه عتق .

٦ ـ زنج شكرى : سوداه .

٧ ـ البهخ (من النهندية) جنس نباتات طبية مخدره . والمراد أن شكرى لا يفى بأفضاله العميمة التى أصبحت تسكرنى وتملك على كل أمرى ـ

٨ ـ الديمة : بالكسر : مطر يدوم فى سكون بلا رعد .

٩ ـ الضجر : التبرم .

بالفضل باطنا وظاهرا :

نصيبي صاف من نوالك خالص * وشربك من شربي ومن مدحتي صافي

تواصى على اتقان طبعي ومجدكم * تواصي من يرضى حكومة انصاف

فمجدك قد أوصلك في حسن عشرتي * وطبعي أوصى في امتداحك أوصافي

ثم بعثت كتابي مع رسول ، وسألته أن يكون جوابي الوصول ، وكتبت مع العنوان مستعجلا للعيان :

كم تمنت نفسي صديقا صدوقا * فاذا أنت ذلك المتمني

فبغض الشباب لما تثنى * وبعهد الصبا وان بان مني

كن جوابي اذا قرأت كتابي * لا تقل للرسول كان وكتبا

فجاءني بالبشارة يخبرني بأنه قد قدم ، ثم فاجأني بالزيارة متفضلا لا عدم ، فكان لقاؤه عندي كلقاء يوسف يعقوب ، وتملصت همومي (١) كما تخلصت قانية من قروب (٢) ، فتلقيته عجلا ، وكنت بين يديه رجلا ، وأنشدته خجلا :

حبذا حبذا قدومك باليمن * فقد اشرقت بك الآفاق

لو فرشنا أحداقنا لتطأهن * البنا قلت لك الأحداق

ثم طربت فقلت :

ان تغيبي عنا فسقيا ورعيا * أو تحلي بنا فأهلا وسهلا

لا تخافي أن نبت أن نتناسا * ك ولا ان وصلتنا أن نملا

ثم قلت : والله ان رؤيتك لتزيل غمي ، وانها على الحقيقة درياق همي (٣) ، فقال : مالك عندي بديل وما من عادتي الشطط (٤) ، ولالك في قلبي غديل فتمكن من الوسط ، فنزل بنا فلم نزل في روح منذ نزل ، وكانت تعيش الروح به جدا أو هزل

---

١) تملصت : تخلصت .

٢) أي كما تخلصت البيضة من الفرخ .

٣) ترياق همي : ج ، والترياق والدرياق : دواء يبرىء من لدغ الهوام .

٤) الشطط : الجور والتباعد عن الحمق .

فقدمت اليه من الفواكه البطيخ ، وقلت له مالذى توثر من الطبيخ ، فقال : عد ستة (١) (٢)
تتصل ، ففكرت ثم قلت فهمى ما يصل ، فقال : صحفه فاذا الأمر منفصل
ثم قال : انما يراد من هذا تنبيه الفهم ، ولقد أنشدنى بعض بنى سهم :

أبصرت جارية فى بطنها رجل ... فى فخذه جمل فى ظهره قتب

فتعجبت فأنشد :

رب شيخ رأيته صار كلبا ... ثم فى ساعتين صار غزالا (٣)

فقلت : بين لى ما تقول ، فان الفكر فى هذا يطول ، فقال : الجارية الصغيرة
والفخذ القبيلة وصار من " صرهن اليك " (٤) ثم قال : وأين خادمك الطباخ ؟ قلت
أنا أخدم نفسى ما دام طباخ فأنشد :

اذا قدم الناس خيلهم ... فقدمت أنا ركبتى

وما لى غلام فأدعو به ... سوى من أبوه أخو عمتى (٥)

ثم ان سمرى بعاطينى كؤوس الفكاهة ، ومزجها بجد النزاهة ، والنباهة
فقلت له : ان بى عجبا أشناه منى ولا أرضاه ، لصاين بالايمان غبا ثم لا أعمل
بمقتضاه ، أقول لنفسى أما دين التقوى مستحق أما ايثار الأخرى أحق ،

---

١ ــ أى اقرأه مع تغيير نقط الحروف .
٢ ــ يريد عد سبعة يصل فهذا هو تصحيف عد سته تتصل .
٣ ــ يريد بصار كلبا أى اشتد كلبا ، وفى ساعتين صار غزالا : أى فى ساعتين
اشتد غزالا . وأصل الصر : الجمع والشد .
٤ ــ صرهن اليك : أى ضمهن اليك . وهى من الآية (٢٦٠) من
سورة البقرة .
٥ ــ يريد نفسه فهو من أبوه أخو عمته .

أما كف النفس عن الحرام واجب وان شق ، أما العقاب أشد من الصبر وأشق وهل بد لك من لقاء الحق ، فتقول لى : كلما قلته لى حق ، ثم التفت واذا فرخ الهوى قد نسق (١) ، فنهض اليه طائر الشهوات وزق ، فقال لى : اسمع الجواب مختصرا وتلق ، سبب هذا كله الأمل الأهوج الأمق (٢) ، قلت : زدنى كشفا وبينا فقال : هو على حين ، لو وصلت على الحزم لم تقطع بقية عامه ، ولو قصر الأمل رأيت تقديم الطاعة ، كيف يطمئن مجتذب بالأنفاس فى سيره ، وكيف يأمن من نفسه بعد فوره ، ان معاجلة معالجة الهوى شغل الأجالد (٣) ، ولأن يبكى الولد خير من أن يبكى الوالد ، ان تركت الصغير وايثاره البطالة ، تقاعد عن النفع الكثير أو البطالة وقى سلمت الى الصبى ماله ، قال العقلاء ويل الوصى ماله ، وما يرتفع ماء البئر الا بجذب الحالة (٤) ، واذا كبر الطفل على الترف والترفه لام حاله ، فليس الا حمله على المشقة لا محالة ، قلت : ما أقوى الأسباب فى تحصيل المناقب ، قال : حدة النظر فى العواقب ، قلت : فان الهوى صاد وحاجب ، قال : فان الايمان بالجزاء واجب قلت : فان الكسل للأبدان مناسب ، قال : ولكن بالتعب تنال المكاسب ، قلت : النفس والدنيا والهوى فلمن أحارب ، قال : قد عرفت غرورهن ولم تنتفع بالتجارب ، قلت : صف لى الأمل ؟ قال : نسج المناكب ، قلت : فالهوى ؟ قال : مائب قلت : لماذا ؟ قال : لا يبالى بالمعائب ، يحشق الصهوات (٥) وينسى حظ الراكب

---

١ ــ نسق : صاح .
٢ ــ الأمق : الأحمق .
٣ ــ الأجالد : الأقوياء .
٤ ــ المحالة : البكرة .
٥ ــ الصهوات جمع صهوة وهى موضع السرج من ظهر الفرس .

صبى جهول مستعجل لا يراقب ، يستلذ كؤوس اللذات وكم قد شرق شارب ، يهرب بمراداته ينسى المطالب ، يملى القبيح ولا يستحى من الكاتب ، قلت : قد انكسر مركبى قال : قارب الساحل فى قارب ، قلت : زدنى وعظا ، قال : يكفى انتظار النوائب ثم تلد فى الأكفان الموالف كالحصائب ، وتحمل الى القبر معترضا بين عصائب ، ثم بين يديك أهوال تشيب الذوائب (١) ، ثم الخلود فى نعيم أو عذاب واصب (٢) . قلت : يا سيدى ان كلامك دون كلام غيرك عجائب ، قال : تخيرت لطرق العلم أنجب النجائب (٣) ، وليس الشأن فى الرامى بل الشأن فى الصائب ، وفى تشبيه المنكوت بدود القز أو فى العناكب ، وقد يطلع الفرقان فيبقى الصادق ويخفى الكاذب ، فلما أصبحنا سمع به أهل البلد ، فاجتمعوا حتى لم يبق منهم أحد ، فخرج اليهم فسألوه الجلوس ، وجعلوا يفدونه بالأرواح والنفوس ، فقال : قد سهرت ليلتى فى وعظ هذا الغلام ، فقالوا : نقنع بيسير من الكلام ، فتردد بين أن يقول نعم أو لا ، فقالوا : أنت أكرم من جاد على الخدم وأولى ، وأنشدوا له

بذلة العبيد عند المولى

يا من صفت أخلاقه واحلولى

أنت الكريم ليس فيه لولا

فخرج بهم الى صحصحان أنجل (٤) ، ثم علا على رابية رابية واستعجل ، فسح (٥) سحاب بلاغته على روض القلوب فأبقل (٦) ، وأتى بموعظة لو سمعها سحبان لاستبقل (٧)

---

١ ــ الذوائب جمع ذؤابة وهى الناصية أو منبتها من الرأس ــ

٢ ــ واصب : دائم .

٣ ــ أنجب النجائب : أفضل الابل النجيبة .

٤ ــ الصحصحان : المكان المستوى ، الأنجل : الواسع .

٥ ــ سح : انصب . ٦ ــ أبقل : أنبت وأثمر .

٧ ــ يريد أن هذه المواعظ لفصاحتها لو سمعها سحبان لدهش وتحير وصار كباقل الذى يضرب بعيه المثل .

فحفظت فى كلامه من وعظه وملامه ، اخوانى الصبوا للدنيا جمة الهجر ، واسمعوا فيها من واعظ الزجر ، واحسبوها يوما صمتموه للأجر ، وصابروا ليل البلاء فما أسرع اتيان الفجر ، فقام شيخ فقال : كم أعد نفسى بالانابة ولا أفى ، فقال : يا مؤخرا توبته بمطل التسويف لأى يوم أجلت كنت تقول اذا شبت تبت ، فهذى شهور الصيف هنا قد انقضت ، كم قادتك غيره فرفت من داخل البيت ، ونادى بك الموت (٥) فأتيت ، وكم أبصرت بعينيك الموت والميت ثم تعاميت ، أما رأيت فيما رأيت أو ما ويت ، ويحك ! الترب (٢) فى الترب ، والموت عن قرب ، غراب البين ينعب ، وأنت تلعب ، كم تعزم على طاعة وتحلها بالهلى الهوى ما يصبر توبه ، تبت من العزم فى شعار أمس ، فاذا أصبحت أخذت طريق قيس (٣) ، تنقض عرى العزائم عروة عروة ، كل صريع بالهوى رفيق عروه (٤) ، كم دفنت كثيرا من الأحبة ، وما يرجع كثير عن حب عزه

جنونك مجنون ولست بواجد طبيبا يداوى من جنون جنون

لو صح مزاج فطرتك ، لما طعم النصح فى شفتك ، المفروض عندك مرفوض وكلام النصيح صوت الريح ، فقال سائل : قد غلبتنى نفسى ، فقال حاكمها عند حاكم العقل لا عند قاضى الهوى فحاكم العقل دين وقاضى الهوى يتبرطل (٥) ، يا تلميذ الهوى اخرج من وصف التبعيد امهانا فى خدمة النفس سافر الى

---

١ ــ نادى بك المشيب : ح .

٢ ــ الترب بكسر التاء : لدة الرجل ومن ولد معك ، والترب بضم التاء : التراب ــ

٣ ــ هو أويس بن عامر بن القرنى من سادات التابعين وقيس هو مجنون ليلى والمعنى أنك تبيت بعزم قوى واذا أصبحت خار عزمك وانهار .

٤ ــ عروة هو صاحب عفراء . وقد سبق التعريف بهما .

٥ ــ يتبرطل : يرتشى .

ديار القلب تعز ، الفيلة في الهند عوامل تحمل رجال القوم وتخدمهم فاذا خرجت الى من يعرف قدرها اكرمت ، الفهد في الصحراء بهجة فاذا حصل بيد من يعرف فضله غضب فترض (١) ، البازي في البيوت طائر فاذا صيد فسريره كف الملك ، العود في بلاده خشب فاذا سوفر به الى طالبي الطيب أعز ، تفاح أصبهان في بلده لا يراد فاذا جيء به الى العراق أدل على الأفهام اللطيفة بريحه فقام مريد فقال : قد أظلمت الطريق في وجهي فاقدح لي جذوة من حديث المحبين ، فقال : لا تسأل عن سمر ما لا تشتري لو وقفت على جادة التهجد ليلة لرأيت ركب الأحباب أو سرت في أعراض القوم لحراك قلبك صوت الحداة اجتمعوا في مساجد التعبد أول الليل فرماهم الوجد في آخره على قوارع الطرق الى الرواح مشى البرخ ، وانصرفوا والراح تمشي مشي الفراشين قلوب كالذهب ذهب غشه ، أنفاسهم لا تخفى ، نفوسهم تكاد تطفى ، لون المحب غماز دمع المشوق نمام ، قال المريد : ما بال القوم ذوو تحول وذبول ؟ فقال مصادرة المحبة مستأصلة ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها (٢) نزلت بواديهم المحبة ، فما تركت من أموالهم حبة ، فقال المريد : القوم يبالغون في كتمان المحبة فمن أين ظهرت ؟ فقال الحب يرشح .

أخفي كمد الهوى ودمعي ... في الخد على هواك شاهد

فالجفن بلوعتي مقر ... للعاذل واللسان جاحد

فصاح المريد :

---

١ - غضب فشوى : ح .

٢ - هذا من قوله تعالى : " قالت إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون " .

النمل آية (٣٤) .

وصلك

مالكَ من وصلكم اصطبار ... اليك من هجرك الفرار

أصبحت ظمآن ذا جفون (١) ... مياه أحداقها غزار

أرهم كتمان ما الاقي ... وبالمآقي له اشتهار

ومن نسيم الصبا اذا ما ... هب على أرضكم أغار

آه لذكرى ديار سلمى ... لا أجدبت تلكم الديار

لهفي لميثها تولى ... نظير أيامه النضار (٢)

فقام ذو وفرة (٣) تعلوه صفره ، فشبهته بمخمور لا يملك من الأمور أمره فقال الشيخ : أتدرون ما أوجب اصفرار هذا النائب ، ومن أي شراب سكر هذا الغائب :

كلما زاد كربه ... في هوى من يحبه

طار نحو الحبيب منه ... شدة الشوق قلبه

دنف (٤) كاد ينقضي ... بيد البين نحبه

خبروني عن العقيق ... متى سار ركبه

فقام أهل المجلس كلهم على ساق ، فصب المذكر دموع الوجد وأراق ، وتذكر أيام بدايته واشتاق ، وصاح صيحة المشوق وقت الفراق :

هل مجاب يدعو مددا أوطار (٥) ... ري بجمع بسرد أيام جمع

أو أمين القوى أحمله هما ... ثقيلا يحطه دون سلع (٦)

فارجالي عن نفحة من صباه ... طال مدى لها الصليف ورفمي

---

١ ـ مياه أحداقها غزار : م .

٢ ـ النضار : الجوهر الخالص من التبر .

٣ ـ الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس أو ما سال على الأذنين منه أو ما جاوز شحمة الأذن .

٤ ـ الدنف : الذي ثقل مرضه .

٥ ـ أيام جمع : أيام منى .

٦ ـ سلع : جبل بالمدينة .

ان ذاك النسيم يجري على أر ... ض ثراها في الربح رقيه لسمى

كم زفير علت منه حمام البـ ... ـان مما كان من حنين وسجع

ثم رمى نفسه عن المنبر وسرى وهام ، فلا أدري ابتلعه الثرى أو التقلمه الغمام .

المقامة السادسة والأربعون

في الزهد في المال

غلب على قلبي حب المال أجمعه ، على يقين مني أنه يؤخذ يوم المآل أجمعه ، هذا ولا أتأخر عن مجلس زجر ولا أقطعه وفيهم مذري (١) تجارة مذ فقدته لم أجد ما يسهل جمعه من حبة قلبي وبقلعه ، فكنت أردد اللوم على قلبي وأقطعه ، وأرد عليه بيتا معروفا وأرجعه .

لا تعذليه فان العذل يولعه قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

فجرت يوما على جامع مظلم ، وقد لمحوى على جمع صمم ، وإذا على المنبر أبو التقويم ، فقلت : اني ان سألته عن مرضي قال بخيل ، فلعله يسأل عن غرضي بأمر دخيل ، فأول ما رتب البناء بذم الذين يكاشفون (٢) ذلك العيب ، علمت أن الأولياء يكاشفون بالغيب ، فقال : لا شك أن المال بالطبع محبوب ، وان تحصيل ذاته للذاته مطلوب ، ولكن لا بحيث يفسد الأديان والقلوب وانما هو مخلوق لغرض معترض بنوب ، فهو ممدوح لكونه يقضي الحوائج محمود لأنه مستعجل في المراد رائج ، ولعمري أنه ما تسبب هم الا بالحاجة اليه ، ولا وقع ربا الا بالحيلة عليه ، غير أنه لا ينبغي أن يحرص على زيادة الا من البذل من عادته ، فانه كالحية التي لا تطاق ، لا يصلح قربانها الا لمن شرب الدرياق ، فقلت :

---

١ ـ يذري : يثير .

٢ ـ يكاشفون : يقاربون .

يا سيدي نائي غيبه وجزعي رغب بحب الدراهم ، فبالغ في تركيب الدواء (١)
فما يكفي هذا المرهم ، فقال : هل المال اذا تأملته ذو الحجى
بمعجر الحجر (٢) الاحجر (٣) ، فما باله على المال بالبلبال (٤) قد حجر
وصل من كف سالف كهت بالكهات (٥) الى خالف ، ثم ينتقل من الفتى
كما أتى متى أتى يوم المتالف ، (فالعجب) (٦) لمعوار (٧) ذات عوار
صورت من عار عورتها عين الفهم ، أومضت (٨) فأمضت وما مضت حتى أمضت (٩)
في ذي السهم منها أمضى سهم ، ويحك ! مالك تجمع مالك ، ومالك
منه الا ما تخلف ، والزمان يشتكك للذهاب وأنت للأذهاب (١٠)
تؤلف ، كم حاوز للقناطير فر جاقز قنطر فالحساب كم حريان
للحرص اكتسى ذل الاكتساب :

---

١ ـ ذو الحجى : ذو العقل .
٢ ـ معجر الحجر : عين العقل .
٣ ـ الاحجر : المنع .
٤ ـ البلبال : شدة الهم والوساوس بالفتح : البرحاء في الصدر .
٥ ـ كهت : صرفت ، الكهات : الموت فجأة . يقال : مات كهاتا وكافته فجأة ، والكهت أيضا : الموت . والمعنى : أن هذا المال لو تأمله عاقل لوجده قد وصل الى الخلف من السلف الذين ذهبوا وهلكوا فليعتبر المعتبر المتأمل .
٦ ـ ـ : ز ، ح .
٧ ـ المعوار : العيب . والمعنى : عجبا لمن يحب الناس وهو ذا عيب نفسه فيغض عين فهمه عن عيب نفسه .
٨ ـ أومضت : سارقت النظر ، أمضه الشيء : بلغ من قلبه الحزن به .
٩ ـ أمضت : أنفذت .
١٠ ـ الأذهاب : جمع ذهب .

يا جامعا مانعا والدهر يرقبه ... مقدار أي يباب عنه يغلقه

جمعت مالا فقل لي هل جمعت له ... يا غافل القلب أياما تفرقه

المال عندك مخزون لوارثه ... ما المال مالك الا يوم تنفقه

وأعجبها يقطع المخلف نوطا وقت الحساب عليه ، ويمنح المخلف له مغتبطا ما حصل بيديه ، فانتهب مالك في الخير وانتبه ، فكأنك في القبر وأنت به .

قدم لنفسك خيرا ... وأنت مالك مالك

من قبل أن تتفانى ... ووجه حالك حالك

قلت : فاذكر لي من أخبار الكرام ، ما يحمد على المصدر عن المختار اللئام ، فقال : ربما قال البخيل هذا في المنام ، كان الكرم لأبي بكر الصديق يلفى الفا فأنفق في موجب التصديق أربعين ألفا ، مازال ينقدها غير مهر الصحبة حتى خلله الحب بالعبا (١) :

وسخو بما قد حوت كفه ... ولا يابه المن ما قد وهب

وكم فضة فضها في الهدى ... وكم ذهب هده قد ذهب

عاين طائر الفاقة يحوم حول حب الايثار فألقى اليه القاه من قد ذرى دراهمه على رياض الرضا واستلقى في قفر الفقر فنقلها الى حوصلة المضاعفة ثم غرد على أفنان شجرة الصدق بفنون صدح المدح فلم يفهم تغريده الا سليمان الشرع ، فأعرب عن غريب ذلك اللحن أنما عنك راض فهل أنت عني راض (٢) .

---

١ ــ بحثت فلم أدر ماذا يقصد من هذه الجملة .

٢ ــ يريد أن أبا بكر رضي الله عنه رأى الفقر يحوم من حوله ويحثه على الايثار لكنه آثر غيره على نفسه وبذل كل ما عنده من المال فكان عند الله ورسوله مرضيا .

وهب عثمان لطلحة[1] خمسين ألفا وقال استعن بها على مروءتك وقسم طلحة فى يوم أربعمائة ألف ، وفرقت عائشة سبعين ألفا ، وباعت ترفع درعها ، واشترى ابن عامر[2] دارا بسبعين ألفا ، فسمع أن أهل الدار يكون لفراقها ، فقال : المال والدار لهم ، وقال رجل لعبد الله بن أبى بكرة : قد وصف لى لبن البقر فابعث لى بقرة فبعث اليه بسبعمائة بقرة ورعائها وقال : القرية التى كانت ترعى فيها لك ، ورأى على بن الحسين[3] محمد بن اسامة يبكى فقال : مالك ؟ قال : اجتمع على خمسة عشر ألف دينار دينا ، فقال : هى على وجاء بدوى الى معن بن زائدة[4] فقال :

أصلحك الله قل ما بيدى ... فما أطيق العيال اذ كثروا

ألح دهر رمى بكلكله ... فأرسلونى اليك وانتظروا

فقال : لاجرم لأعجلن أوبتك ، يا غلام ناقتى الفلانية وألف دينار فادفعها اليه ففعل الغلام ذلك وهو لا يعرفه .

وأقام ببابه شاعر مدة فلم يصل اليه فكتب على خشبة وألقاها فى ساقية فدخلت الخشبة الى بستانه .

أيا جود معن ناج معنا بحاجتى ... فمالى الى معن سواك شفيع

فلما رآها معن دعاه فأمر له بعشر بدر ، فلما كان فى اليوم الثانى دعاه فأعطاه مائة ألف درهم ، فلما كان فى اليوم الثالث طلبه فلم يجده فقال : حق على أن أعطيه

---

١ ـ هو طلحة بن عبد الله بن عثمان التيمى القرشى المدنى ، أبو محمد (٢٨ ق هـ ـ ٣٦ هـ) صحابى شجاع ، من الاجواد ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة . يلقب "بطلحة الجود" و"طلحة الخير" . (جـ ٣ ص ١٦ ـ رغبة الآمل) .

٢ ـ ربما كان المراد هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموى ، أمير ، فاتح ، ولى البصرة فى أيام عثمان رضى الله عنه ، كان شجاعا سخيا وصولا لقومه رحيما ، محببا للعمران . توفى سنة ٢٩ هـ . (الاصابة ت ٦١٧٥) .

٣ ـ للحسين بن على رضى الله عنهما ولدان اسم كل منهما "على" فميز الأكبر بعلى الأكبر والآخر بعلى الأصغر ، وكان كلاهما شجاعا جوادا سخيا . قتل على الأكبر فى موقعة كربلاء سنة ٦١ هـ . وتوفى على الأصغر الذى كان يلقب بزين العابدين سنة ٩٤ هـ .

٤ ـ هو معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر الشيبانى أبو الوليد ، من أشهر أجواد العرب وأحد الشجعان الفصحاء توفى سنة ١٥١ هـ . (جـ ٢ ص ١٠٨ ـ وفيات الأعيان) .

حتى لا يبقى فى بيت مالى شيء ، وأنشد الذكر :

وهم ينفدون المال فى أول الغنى ... ويستأنفون الصبر فى آخر الصبر

وإذا سئلوا لم يتبعوا المال وجمة (١) ... ولم يدفعوا فى صفحة الحق بالعذر

ومن البيض بسامون والعام كالح ... جدوبا ومطارون فى الحجج الغبر

مفاويز فى الجلا مفايير للحصى ... مفاريح للغمى مداريك للوتر

وتأخذهم فى ساعة الجود هزة ... كما خايل المطراب عن نزوة الخمر

فتحسبهم فيها نشاوى من الغنى ... وهم فى جلابيب الخصاصة والفقر

عظيم عليهم أن يبيتوا بلا يد (٢) ... وهين عليهم أن يبيتوا بلا وفر (٣)

اذا نزل الحى الغريب تقارعوا ... عليه فلم يدر المقل من المثرى

يميلون فى شق الوفاء مع الردى ... اذا كان محبوب البقاء مع الذكر

فقلت : كيف انقلبت طباع الكرماء ، فكان المال عندهم كالماء ؟ فقال : من عشق عشق الجود شغف به (٤) فهو يلصب بمحبوبه لصبا (٥) ، ولو تأمل البخيل فضل مطلوب الكريم لصبا (٦) . ويحك ! ان أكبر شرف الكريم رد لهف العديم ، ثم قلت : قد ذكرت من أحوال الكرماء مافيه معتبر ، فاذكر من أحوال البخلاء ما فيه مزدجر ، فقال : سبحان من خلق الأضداد وفرق بين العباد ، أما البخيل بالذهب

---

١ ـ الوجمة : عبوس الوجه وتقطيبه .

٢ ـ بلا يد : بلا عطاء ونعمه .

٣ ـ بلا وفر : بلا غنى .

٤ ـ من عشق الجود عشق به : ح ، عشق به : لصق وأولع .

٥ ـ لصب : لزق .

٦ ـ صبا : حن .

فمات وذهب ، وأما الكريم فعاش بعد الموت بما وهب ، قال ثعلبة(١) للرسول : سل الله أن يرزقنى مالا ، فقيل له : قليل تشكره خير من كثير تكفره ، فاتخذ غنما فنمى غنم غنمه ، فظن الغبى للقرية بالغنمة غنيمة فضاق فضاء المدينة بها فتنحى لواذا بها الى واد فشغله عن قرناء الجماعة والجمعة جمع القرناء والجماء(٢) ، ونصب نصبه فى أصحاب النصب(٣) اختيار النصباء(٤) ، وأقصاه عن أرباب الهدى اشتغاله بالقصواء(٥) وعصمه عن قبول الحق اقباله على العصماء(٦) ، ومات دينه قعصا(٧) لا يشاره مكان المقصاء(٨) ، وشرق بماء الهوى فلم يسمح ولا بالشرقاء(٩) ، تالله لقد شان وجه عمله بحب الشاة اللهنة(١١) ، فأنساه طول أمله أن يذكر يوم اللهنة(١٢) ، سعى اليه ساعى الزكاة فرد باب العطاء بيد المطل ، فوصل توقيع الذم ، ومنهم من عاهد الله ثم قال : كيف يحث على اعطاء جنسه من يبخل بالعطاء على نفسه ، البخيل يملأ الوجار والجار(١٣) جائع ، ويحفظ العرض والعرض ضائع ، البخيل مع الوجدان ذو عوز(١٤)

---

١ ـ ثعلبة : هو ابن حاطب الأنصارى . وقد ذكرت قصته من قبل .

٢ ـ القرناء : الشاة المنتصبة للقرنين والجناء : التى ليس لها قرن .

٣ ـ النصب : الخجارة تنصب فتعبد .

٤ ـ النصباء : الشاة المنتصبة القرنين .

٥ ـ القصواء : الشاة مقطوعة طرف الأذن .

٦ ـ العصماء : الشاة البيضاء اليدين .

٧ ـ مات قعصا : مات سريعا .

٨ ـ المقصاء : الشاة التى التوى قرناها على أذنيها من الخلف .

٩ ـ الشرقاء : الشاة التى انشقت أذناها من خلف طولا .

١٠ ـ شاه : قبح .

١١ ـ الشاة اللهنة : كثيرة اللهن .

١٢ ـ

١٣ ـ الوجار : البيت وأصله بيت الضبع وغيره .

١٤ ـ العرض باسكان الراء وفتحتها : المتاع وكل شيء سوى النقدين .

كلما بـرز لـه سائل أرز (١) ، مقول الحاجبين لبدا وقد ضاع المفتاح ، فى أخلاقـه الدنيـه أخـلاق دنيـة قباح ، مجموعها عصارة لؤم فى قرارة خبث ، فـذاك ميت فى حياته فاذا نشـر كان الطى أصلح له وينـوب عن تطويلنـا لمـن نحادث ، بشـر مال البخيل بحارث أو وارث ، فقام سائل فقـال : ما سر تضييق الرزق على الفقـير فقال : الفقير فى سفـر وقلبه معلق بمنزل الاقامة فمتى أوسع عليـه فى السفـر نسـى الوطن ، قلت : خـذ على شروط التوبـة ، فقـال : عجل الأوبـة ، واستعجـل فى غسل الحـوبـه (٢) ، اذا رأيـت قلبك قـد فـرق فرق ، وعزيمتـك قد صحـت وصحت ونفسك قد أفاقت ووافقت فسلم زمامها الى قائد العزم ، فما كل وقت يناغى بلحـن مطـرب فأخذ على التوبة ثم نزل ، وانفـرد عن الناس واعتزل ، فقلت له : لقد بالغـت فى اللـدود (٣) والوجـور (٤) ، فقال : احذر من الحدود ظلما للأجـور ، فقلـت : أمـا تزورنا لمامات أو تزور ؟ فقـال : أنا فى باب الصحة كمقلاة نـزور (٥) ، وقـد أريتـك منهاج اهتدائك الى علاج دائك ، فعليك بمعاجلة المعالجه بدوائك ، فانزعجت لفراقه وذهلت ورأيتـه قـد أجبـل فأسهلـت .

---

١ ـ أرز : انقبـض .

٢ ـ الحـوبـة : الاثـم .

٣ ـ اللـدود : ما يصب بالمسعط من الدواء فى أحد شقى الفم .

٤ ـ الـوجـور : الدواء يصب فى الحلـق .

٥ ـ المقلاة الـنزور : قليلـة الولـد .

قـال الشاعـر : ـ

بغاث الطـير أكثرها فراخـا وأم الصقـر مقـلاة نـزور

المقامة السابعة والأربعون

فى الاستسقاء

كان بلدنا كثير النبات حتى الفاغية (١) ، فكنا فى بلهنية من العيش ورفاهية (٢) فأقلع الغيث فانقلع الزرع ، وغمس الثرى ويبس الضرع ، فضفنا (٣) للدنيا وحف بنا الضفف والجفف (٤) ، واحتوى علينا النشف والقشف (٥) ، فنفضنا المزاود (٦) وأفضنا (٧) وقضمنا بغدما خضمنا وقرضنا (٨) ، نتناول السلع والأرى (٩) ، (بعد أن كنا نأكل العسل والأرى (١٠)) ، فما زلنا نعج للهلاء ، ونضج بالدعاء ، والسماء لا تزداد الا صحوا وانقشاعا ، فكان الجدب دحوا (١١) فى البوادى مشاعا ، فانتدب شيخ ينادى فى البلد ليلا ونهارا ، " استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا " (١٢) ،

---

١ ـ الفاغية : نور الحناء .

٢ ـ البلهنية والرفاهية : سعة العيش .

٣ ـ ضفنا : نما وكثر .

٤ ـ الضفف والجفف : شدة العيش .

٥ ـ النشف : ذهاب الماء فى الارض ، القشف : سوء الحال وضيق العيش .

٦ ـ نفضنا : حركنا ، المزاود : جمع مزود وهو وعاء الطعام .

٧ ـ أفضنا : لم يبق لنا شيء .

٨ ـ القضم : الأكل بأطراف الأسنان أو أكل الشيء يابسا ، الخضم : الأكل أو بأقصى الأضراس أو ملء الفم ، والقرض : القطع ، والمراد أننا أصبحنا نأكل أكلا يسيرا بعدما كنا نأكل ملء أفواهنا .

٩ ـ السلع والأرى : الحنظل .

١٠ ـ ما بين القوسين ناقص : م ، والأرى : العسل .

١١ ـ دحوا : منبسطا .

١٢ ـ هذا من قوله تعالى : " فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا (١٠) يرسل السماء عليكم مدرارا (١١) ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا (١٢) نوح .

ثم علا يوما على منبر وذكر ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وقال : ياقوم اخرجوا من المظالم ، ولينزع عما هو عليه الظالم ، ثم ليخرج الدانى والقاصى لعلنا نجاب وليعلم العاصى أن المعاصى خوشاب (١) ، فصاحوا بأجمعهم قد تبنا ، فقال ان الفروع على الأصول تبنى ، صححوا العزائم غير متأولين ، وبكروا الى الصحراء متذللين وكونوا وقت البروز طيبين لا متطيبين ، فنزعنا أردية المناء ، وادرعنا ذل العباد وأسرعنا الى البر بعزم البر ، فاذا به قد برز الى المصلى بحلية خاشعة ، وقال للناس الصلاة جامعة ، ثم صلى مثل صلاة العيد ، وقرأ فيها آيات الوعيد ، ثم أسرع الى المنبر فجلس ، ثم قام أسرع من نفس ، فكبر وقرأ وصلى على الرسول ، ورفع يديه يسأل المسئول السؤال ، فحفظت من جمله ما يقول ، اللهم انك تعلم جدبنا ، فجد بنا أقحلنا (٢) فقد أمحلنا (٣) ، وفينا بعهدك أم حلنا ، ضجت الألسن اليك للهلوى ، ولا تحسن الا اليك الشكوى ، اللهم اسقنا سحابا مكفهرا (٤) قردا (٥) والجا (٦) مرتعنا بماقا (٧) ، دلوقا (٨) هتنا مرئا مريعا (٩) ، غدقا (١٠) ، محلالا (١١) سحاحا عاما (١٢) طبقا (١٣) يعطرنا منه وابلا هطلا دراكا (١٤) ، جلاخا (١٥) ، ثم استقبل القبلة وحول الرداء وقال :

---

١ ـ الخوشاب : بحثت فلم أجد لها معنى .

٢ ـ أمحلنا : أجدبنا .

٣ ـ يقال لكل ما تحول من الاستواء الى العوج حال .

٤ ـ المكفهر : الذى يغلظ من السحاب ويتركب بعضه بعضا .

٥ ـ القرد : المتلبد بعضه على بعض

٦ ـ الدالج : المثقل بالماء .

٧ ـ المرتعن : السائل .

٨ ـ المطر الهماق : الذى يفاجئ بوابل

٩ ـ الدلوق : المندلق ـ

١٠ ـ مريعا : خصيبا .

١١ ـ الغدق : الكثير .

١٢ ـ المحلال : الذى يحل ويقيم .

١٣ ـ الطبق : الذى يطبق الأرض .

١٤ ـ الهطل : فوق الدشا .

١٥ ـ دراكا : متتابعا .

١٦ ـ جلاخا : كثيرا .

اللهم حول الدائرة فانفجرت من الناس لتلك الشؤون الشؤون (١) ، فجرت من العيون عيون ، فما كنت تسمع الا الضجيج والعجيج ، ولا ترى الا البكاء والنشيج ، وهو من قلقه وبكائه فى عجاب ، يخاف على دعائه أن لا يجاب ، فهبت ريدانة (٢) جنوب ، ثم صارت بليلا (٣) تترامى ، ثم أعادتها نعامى (٤) تماسى ، فاذا بها تغنى بلسان الحفيف ، بين الثقيل والخفيف ، فتصفق الأفنان من أغصان الأشجار ، وترقص السفن على ايقاع موج البحار ، فانهمشت بها الغمائم ، (قد سدلت دكن الغمائم) (٥) ، ثم شصا السحاب واحزأل (٦) ، ثم تحامل واستقل ، فاكفهرت أرجاؤه (٧) واحمومت أرجاؤه (٨) ، واقشعرت وابذعرت (٩) قوارقه ، فتلاحكت (١٠) فتضاحكت بوارقه ، وانتشرت فى الآفاق أكنافه ، واستقلت على الفلك أردافه ، ثم ارتجز (١١) فهمهم ثم دوى فأظلم ، فأرك ودث (١٢) وبغش فطش ثم قطقط فأفرط ، ثم دمدم (١٣) فأغبط ، ثم ركد (١٤) فأنجم ، وأقام فما أنجم (١٥) ، واذا الرعد الشديد قد جاء فقد الارجاء

---

١ ـ الشؤون الأولى : الأحوال ، والثانية : الدموع .

٢ ـ الريدانة الجنوب : الريح اللينة .

٣ ـ البليل : الريح الباردة مع الندى .

٤ ـ النعامى : الريح الجنوب أيضا .

٥ ـ مابين القوسين ناقص : م .

٦ ـ شصا السحاب : ارتفع وكذلك احزأل .

٧ ـ اكفهرت أرجاؤه : تراكمت نواحيه .

٨ ـ احمومت أرجاؤه : اسودت أوساطه .

٩ ـ اقشعرت : تحركت ، ابذعرت : تفرقت ، القوارق : قطع السحاب المتفرق .

١١ ـ ارتجز الرعد : صوت ، وارتجز السحاب : تحرك بطيئا لكثرة مائه .

١٠ ـ تلاحكت : انضمت واجتمعت .

١٢ ـ السرك : المطر القليل .

١٣ ـ كلها أوصاف لدرجات المطر المختلفة من قليلة الى كثيره .

١٤ ـ ركد : ثبت ، أنجم : دام .

١٥ ـ أنجم : ظهر وطلع ، وفى هامش النسخة المخطوطة ، أنجم : زال .

كلما ترنم بنغماته ، نضنض(١) لسان البرق فى لهواته ، يهدر هدير الفحول ، لتتروى الأرض بعد القحول(٢) ، فالوعد يرتجس(٣) ، والبرق يختلس ، والماء ينبجس ، فسح وما شح ، فصح ما أمح(٤) ، ثم انتخل القطر بمنخل وقدر فى السرد(٥) ، وغنى للبرد فلعب بالنرد ، فقمس الماء الربا(٦) ، وطمس الزبا ، وأترع الغدر(٧) ، وأنبت الوجر(٨) ، فاختلطت الأوعال بالآجال(٩) ، واقترنت الصيران بالرئال(١٠) ، فلهى الأسد عن الشبل(١١) ، والفيل عن الدغفل(١٢) والضب عن الحسل(١٣) والظبية عن الخشف(١٤) فسبحان من من معه على البيوت بالثبوت وعلى السقوف بالوقوف ، فغيبت الشفار وأطفئت النار(١٥) ، وتظالمت المعزى ولا ترى غيلم على عيلم(١٦) ، فرجعنا(١٧) نخوض الوحل بعد الضحل(١٨) ، فعامت السماء فأسرعنا قبل أن يعن مرثمن(١٩)

وعدنا لا ندرى كيف نشكر ، ولا أى النعم نذكر ، فاذا بدوية تقول :

---

١ ـ نضنض : تحرك .
٢ ـ القحول اليبس .
٣ ـ يرتجس : يهدر .
٤ ـ ما أمح الشيء : ما ذهب .
٥ ـ هذا من قوله تعالى : " أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير " . سبأ آية (١١) .
٦ ـ قمس الربا : أى غوصها فى الماء .
٧ ـ أترع الغدر : ملأ الغدر ، والغدر جمع غدير .
٨ ـ الوجر : جمع وجار وهو جحر الضبع وغيره .
٩ ـ الأوعال جمع وعل ، الآجال : بقر الوحش .
١٠ ـ الصيران جمع صوار وهو قطيع من بقر الوحش والرئال : فراخ النعام . والمعنى أن الغيث فاض وعم فملأ وجه الأرض حتى اختلطت حيوانات الجبل بحيوانات السهل
١١ ـ الشبل : ولد الأسد .
١٢ ـ الدغفل : ولد الفيل .
١٣ ـ الحسل : ولد الضب .
١٤ ـ الخشف : ولد الظبى .
١٥ ـ غيبت الشفار : أخصب الناس فلم يذبحوا الغنم ، وأطفئت النار كذلك .
١٦ ـ تظالمت المعزى : أى تظالمت فى الرعى للكلأ ، تظالمت : اشتكت .
١٧ ـ الغيلم : الشاب والجارية أيضا ، العيلم : البئر .
١٨ ـ الضحل : الماء اليسير .
١٩ ـ المرثمن : المطر الكثير .

فثنا ماشينا ، وعاشر اكمنا وماشينا ، وحسن زرع وضرع كانا شينا ، وارتحاحت فواشينا (١) ومواشينا ، فأصبحت الأرض للنعماء ضاحكه مخضرة ، تقابل بكاء السماء كأنها تغيظ ضره ، فالسماء تبكى بكاء المشوق ، والأرض تضحك ضحك المعشوق ، واذا قد نور العرار والقضب ، والبطم والظيان والعنفر والفرسنك والملس والهلس والجلجان (٢) ، واذا البكية (٣) لكثرة البهار (٤) كهملوم (٥) ، وقد استغنى عن الأنهار السمك والعلجوم (٦) ، فسألت عن الشيخ فقالوا أبو التقويم ، فقلت : وجدت ريح يوسف مذهب النسيم ، فقصدناه وقلنا لا بد من مجلس نشكر فيه الانعام ، فان المنعم عليه اذا لم يشكر المنعم كالأنعام ، فقال احضروا جامكم ، واحضروا مسامكم ، لنشكر رب الخضراء على الفضراء (٧) فاجتمع الخلائق وازدحموا ، حتى رحموا ، فاذا به كالبور وسط الهاله ، بهيبة كل من رآه هاله ، فقال : الحمد لله الذى أرسل السحائب المطر ، فثجت (٨) حتى ارتجت النهر ، ومجت (٩) حتى عجت الغدر (١٠) ، نضجت مما لجت الجدر ، فرجت على الورق (١١) الورق للشكر ، فلما تقلعت اطلعت الثمر ، وظهرت من التخوم (١٢) كالنجوم الزهر وشكرت حتى سكرت غصون ضمر ، وأربعت (١٣) اذ شعت (١٤) فشبعت خيل وحمر (١٥) ، ثم قال :

---

١ ـ الفواشى : ما انتشر من المال كالغنم السائمة والابل .

٢ ـ العرار وجميع ما ذكر نبات . ٣ ـ البكية : القليلة اللبن .

٤ ـ البهار : نبت طيب الريح وكل حسن منير .

٥ ـ الهملوم : الغزيرة اللبن . ٦ ـ العلجوم : الضفدع الذكر .

٧ ـ الخضراء : السماء ، الغضراء : الأرض الطيبة الخضراء .

٨ ـ ثجت : سالت . ٩ ـ مجت : أمطرت .

١٠ ـ عجت : امتلأت . ... الغدر : جمع غدير .

١١ ـ الورق : الحمائم . ١٢ ـ التخوم : منتهى كل قرية أو أرض .

١٣ ـ الغصون الضمر : التى ذهب ماؤها .

١٤ ـ أربعت الابل : سرحت فى الورعى وأكلت كيف شاءت وشربت .

١٥ ـ شعت : تفرقت .

أيها الناس قد أنعم عليكم بالعطف فاشكروا ، وقد ذكرتم باللطف فاذكروا ، ولا تنفقوا النعم على المعاصى ، (وليحذر حلول النقم العاصى (١)) ، واعلموا أن الانعام اذا لم يشكر ضر ، ولا ينبغى للمعانى أن يغتر ، أعرضتم عن دعائه فاستدعاكم بالجذب ، (ومواعظه كلما تلفتم وتفلتم ردتكم بالجذب (٢)) ، ان أوسع لكم توسمتم فى الأغراض وبطرتم ، وان ضيق ارتفعتم فى الاعتراض وطرتم ، ويحكم ! هذا قطر أثر فى الهذر فنبت ، فابكوا على قلوب كلما قربت الى الخير نبت (٣) ، فقال سائل : ما أرى الوعظ يؤثر عندى ، فقال : شجر الأثل وان دام الماء تحته لا يثمر وأنشد :

بكرت صبحا عاذلة ... ورسيس الحب قاتله (٤)

هوى واد ولسن به ... والهوى عنهن شاغله

يتمنين السلو له ... ومناه من يواصله

فقام مريد فقال : دعنا من ذكر المتقطعين ، واذكر لنا أحوال الواصلين ، فقال أين من يفهم أحوال الأولياء فأشرح ، واذا ضاق الماء على الجدول لم يسرح وأنشد :

مضت عنة التمييز والفهم فى السورى ... بتفتيش أبكار العلوم الكواعب

ثم ابتدأ يذكر له ما يريد ، فتواجد ذلك المريد ، فقال الشيخ :

أشوقا وما زالت لهن قباب .. فتأوه آخر ، فقال المذكر :

وإنى لمجلوب لى الشوق كلما ... تنفس باك أو تأوه ذو وجد

تعرض رسل الشوق والركب هاجد ... فأيقظنى من بين نوامهم وحدى

---

١ ـ مابين القوسين * : ح .

٢ ـ مابين القوسين ناقص : ح .

٣ ـ نبت : بعدت .

٤ ـ رسيس الحب : ابتدائه .

فقال مريد : صف لى أحوال بعض المحبين ، فقال : أوليس منهم أويس[1] ، اشتغل عن الخلق بالخالق وأعرض عن بدنه اهتماما بقلبه فقال الناس مجنون ، فصاح المريد فالتفت الناس اليه فقال الشيخ : كلامى محبوب تياه[2] لا يعد من سلاه ، أقل ما يفعل بالمعرضين عنه القلى ، وأنشد :

اختر ولودا للفهم منجبة ... فأكثر الفهم محق عاقر

غال به وآستم[3] المهور الثقيلات وصاهر أكفاء المصاهر

، وآحن عليه فانه ولد ... أبوه قلب وأمه خاطر

فجاءت سحابة نسائمها عطرات ، فوقفت ثم رمت قطرات ، فقال الشيخ : سمعت السحابة فتورطت[4] ، فلما استحسنت نقطت وأنشد :

لو عرضت نطقى فمى ... عند سادة ذهبوا

أذعنت صيارفهم ... ان نطقى الذهب

فقام صبيان صغار يبكون ، ويضجون بالدموع الوافرة ويعجون ، فقال الشيخ الأحاديث شجون :

---

١ ـ هو أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرنى من بنى قرن بن ردمان بن ناجية ابن مراد ، أحد النساك العباد المقدمين من سادات التابعين ، أصله من اليمن يسكن القفار والرمال توفى سنة ٣٧ هـ . (ص ١٢٩ : ميزان الاعتدال) .

٢ ـ تياه : معجب ومتكبر .

٣ ـ استم : فعل أمر من السوم وهو المغالاة فى السلعة والسؤال عنها .

٤ ـ تورطت : ارتبكت .

ولقد أشكو فما أفهمها ولقد تشكو فما تفهمني

غير أني بالجوى أعرفها وهي أيضا بالجوى تعرفني

ثم نزل بعد أن أسكر القوم ، فقلت : لا نسى الله لك هذا اليوم

فودعني وقلبي معه ، فقلت : ى ألف ألف دعه .

المقامة الثامنة والأربعون

فى

ضرب الأمثال وحكم الحيوان

خلوت بأبى القاسم ليلة من الليالى الطوال ، فقلت : أسمعنى فنا من العلم بعيد المنال ، فقال : اذا رأيتنى أغرب(١) فانى أضرب الأمثال فقلت : قل لى لا عدمت فقد عدمت الأمثال ، اضرب لى مثل المشغول بأهله وماله ، عن تصحيح أعماله ومآله ، فقال : مثله كمثل عامل للسلطان شديد السهو كلما راج مال مال على انفاقه فى اللهو ، فرافق ثلاثة خالط أحدهم بباطنه ، وخالط الآخر بظاهره ، ورمى الثالث بجفوته ، فاستدعاه السلطان لمحاسبته ، فحل الروع روعه ، فأتى قرنيه المصافى فقال له : هذا يوم احتياجى اليك ، وتمويلى الآن كله عليك ، فقال له : انما كنت لك رفيق الرخاء لا صديق البلاء لكنى أزودك ثوبين لا ينفعانك ، فاثنى بالخشية الى الثانى وقال : ألحقنى وأسرع فقال : انما أشيعك خطوات ثم أرجع ، فأقبل نحو الرفيق المهمل وقال له : قد احتجت فقل لى ما أفعل ، فقال : لك عندى ما يدفع افلاسك ويرفع راسك ، انى كنت أتجر بيسير ما كنت تعطينى فصار الضعيف أضعافا ، فقال فى نفسه : والله ما أدرى على ما آسى على تفريطى فى حق قرين الصدق أم على تضييع الزمان مع رفيقى السوء ، فالقرين الخالص المال يواسى المرء عند موته بثوبين ، والرفيق المخالط الأهل يشيعون الى القبر ثم يرجعون ، والرفيق المهمل العمل الصالح ، قلت : ما مثل الحازم الذى ينظر فى العواقب والمفرط الذى لا يتلمحها ، فقال : الأمثال فيها كثير ، المثل الأول مثل أهل مدينة كان من عادتهم أن يعترضوا رجالا فيأخذوا واحدهم فيولوه عليهم سنة

---

١ ـ أغرب : أى آتى بالغريب .

فيظن ذلك الجاهل دوام الملك فيفرط في أيام تمليكه فاذا انقضى العام أخرجوه عريانا فولوا أمرهم امرءا بصيرا بالأمور ، فلما ولوه لبس ثياب الملك ثم قال لنفسه تمليك من لا يعرف لا معنى له ، واني أخاف خيبة خيبة ، فهما مكانا لا يعلم ونقل اليه المال من حيث لا يدري واشتغل بتدبير ذلك الأمر عن الخمر ، وبالنقل عن النقل (١) ، فلما أخرجوه رأى العام عام في الخمر النعم بقية العمر ، فولاية الملك الحياة ومقدار العمر السنة ، من حصل فيها شيئا من الخير وجده واقبال الموت العزل ، والتفريط سبب الندم والحازم يتلمح العواقب .

المثل الثاني مثل رجل قيل له ان صبرت الليلة عن محبوبك أعطيناك تتمتع به بقية الدهر وان أخذتك الليلة وقع الفراق أبدا مع دوام العقوبة ، فالحازم يصبر تلك الليلة وهي مقدار العمر ، والمفرط العاجز يستعجل فيندم .

المثل الثالث مثل ملاح توسط دجلة في ليالي القمر فطاب له الوقت فقعد يأكل وشمر المجاذيف (٢) ، فلما فرغ من أكله ولذته ، رأى نفسه قد جاوز البلد بالانحدار فأخذ في الصعود فما ناله من لذة الانحدار انتقم من أكتافه في تعب الاصعاد .

المثل الرابع كمثل ابن عرس (٣) دخل حانوت حداد فجعل يلحس المبرد ويستلذ لذلك غير ناظر الى العواقب فلم يزل كذلك حتى سقط لسانه وهو لا يدري ، أو كصلب

---

١ ـ النقل الأولى : الانتقال ، والثانية : ما يتنقل به على الشراب .

٢ ـ شمر المجاذيف : أرسلها .

٣ ـ ابن عرس : دويبة أشتر أصلم أسك ، والأصلم الأسك مقطوع الاذنين .

دخل من نقب بستان فطاب له المكان فأكثر من الأكل حتى سمن فلما طلب الخروج لم يجد غير ذلك النقب فلم يسعه فقتل ، أو كسمكة ولجت في دستيجة (١) فطاب لها الموضع فلم تزل فيه حتى كبرت وفات الخلاص ، أو كذباب رأى عسلا فقال من يوصلني اليه وله درهمان فلما وصل اليه وتمرقل فيه قال من يخلصني ويأخذ أربعة ، قلت : اضرب لي مثل العاقل المتيقظ والجاهل العاجز ، فقال : كسفر نزلوا باديه . فالعاقل لم يهيء الا متاع يوم والجاهل قام يبني الحيطان ويشيد ، فقال له العاقل : ويحك ! ماذا تصنع الرحيل بعد ساعة ، قلت : اضرب لي مثلا في تفاوت المعارف ، فقال : كمولود ولد في حجرة صغيرة لم يخرج حتى كبر فلما خرج منها الى الدار استعظمها ، فقيل له : أخرج الى الدرب ، فلما خرج اليه ونظره استكبره فقيل له أخرج الى خارج السور فخرج فنظر الى الصحراء فدهش (٢) ، فقيل له سر الى الحجاز فسار فرأى الفلوات والجبال فطاش فقيل له اركب البحر فركب فرأى مالم يره فبقي متعجبا لذلك ، فكذلك تفاوت المعارف وتفاوت ما بين الدنيا والآخرة وتفاوت العلماء .

قلت اضرب لي مثل الساكن الى الأسباب المعرض عن المسبب ، فقال : كمثل نملة دبت على قرطاس كاتب فاضطرها خط الخط طالي التنحي ، فقالت للقلم مالي ومالك ، فقال لها القلم : وما ذنبي أنا كنت على شواطيء الانهار فجاءت سكين فقطعتني فرميت على رأسي في قعر محبرة ، فأنا قائم على القمة مستخدم للعوم ،

---

١ ـ الدستيبج : بتنية معرب دستي وأظنها كالزجاجة .

٢ ـ طاش : دهش وذهب عقله .

فقالت للعبد : مالى ومالك ، فقالت العبد : سلى الارادة المحركة لى فسألت الارادة ، فقالت الارادة : سلى المريد الكاتب .

قلت : اضرب لى مثل من فسد قلبه كيف يصلح ، قال : مثله كمثل جرذ دخل حجرة فيها لوز وسكر ، فلم يزل يأكل منه ذلك الى أن سمن وكبر فهم أن يخرج فلم يقدر فاستغاث بجنوده فقالوا له : ان أردت الخروج من هذا السجن فذق طعم الجوع واصبر عليه ليزول شحمك ، وكذلك صاحب القلب لا بد له من حمية عن الدنيا ليزول ما أفسد قلبه ، قلت : اضرب لى مثلا فى تعظيم المعصية من العالم (١) ، فقال : مثلها كمثل خطافة عششت فى مجلس حاكم فدبت اليه حية فأخذت فراخها فمزاها جميع الطير فلم تقبل عزاء ، فأنكرن عليها ترك التعزى فقالت والله ما بكائى لنفسى الرزية وانما بكائى لما جرى على من الجور فى مجلس العدل .

قلت له : قد افدتنى بضرب الأمثال علما غريبا ، فأرنى فنا آخر عجيبا فقال : الجد كله حركة والكسل سكون ، اذا أردت أن تعرف الديك من الدجاجة حين يخرج من البيضة فعلقه بمنقاره فان تحرك فهو ديك والا فدجاجة ، واعلم أن من الدجاج حاضنا ومنهن رعناء (٢) تكسر بيضها فالذبح الى الرعناء أقرب ، لما توسمت البخاتى (٣) فى المطعم وقع ببختها الذبح ولما صابر النضو (٤) قلة العلف ومشقة السير ، زين بالجلال يوم العيد ، قلت زدنى

---

١ ـ فى تعظيم المعصية من العالم : م .
٢ ـ رعناء : هوجاء .
٣ ـ البخاتى : الابل الخرسانية .
٤ ـ النضو : المهزول من الابل وغيرها .

قال لا يصلح لحمل الرسائل من الطير الا الأخضر والأنمر[1] لأن الأبيض كالغلام الصقلابى[2] ، والصقلابى جنس لم ينضجه الرحم وكذلك الطير الأبيض ، فالأبيض من الطير لم ينضجه الرحم والأسود من الطير مجاوز حد النضج الى الاحتراق كالزنج واذا اعتدل اللون دل على شرف الهمه فتراه يجعل ذهنه الى التدريج فى المنازل فاذا حمل كتابا فخفيت عليه الطرق تنسم الريح وتلمح قرص الشمس، وتراه مع جوعه يحذر الحب الملقى خوفا من دفينة فسخ توجب التمرقل[3] فيضيع المحمول ، فاذا بلغ الرساله أطلق نفسه الى أغراضها فى شهواته فى البرج ، فانتبه يا من حمل كتاب الأمانة فراقه حب حب الدنيا فنزل ناسيا للمدفون الذى يعرقل .

قلت زدنى ، قال الهمم تتفاوت فى الحيوانات ، العنكبوت حين يولد ينسج لنفسه بيتا ولا يقبل منة الأم ، والحيه تطلب ما حفره غيرها اذ طبعها الظلم العصفور اذا أوذى صاح فاجتمعت العصافير تضرب من آذاه ، واذا وقع فرخها طرن حوله ليعلمنه الطيران ، والنملة اذا عجزت عما تحمله أعانها النمل فاذا وصلن بالمحمول الى بيتها رفعنه عليها ، الغراب يتبع الجيف ، والأسد لا يأكل العاف[4] ، الكلب يعصبص ليطعم والفيل لا يأكل حتى يتملق[5] .

---

١ ـ الا الأخضر والأغر : ح ك . والأغر : ما فيه غرة بيضاء وأخرى سوداء ، والأغر : الأبيض من كل شيء

٢ ـ الصقلاب : الأبيض .

٣ ـ ناسيا : للذنوب التى تعرقل : ح .

٤ ـ العاف : السهل .

٥ ـ يتملق : يستلطف ويتودد اليه .

أيمن أنفة النحل تغضب فتوضى من لجاج الخنفساء[1] ، تطرد فتعود ، واعلم أن فى الحيوانات من له وفاء كالشفنين لا يقرب غير زوجته فان ماتت لم يتزوج أبدا بغيرها ، والدجاجة مع أى ديك كان ، مشى القطا[2] بتدوير ومشى العصفور نقزان[3] . قلت : زدنى ، قال : المعونة على قدر المؤونة ، لما كان الطائر يحتاج الى أن يزق لم يكلف الا تدبير بيضتين ، ولما كانت الدجاجة لا تزق تركت تحتها كثيرة تترنم الأطيار طول النهار فيقال للضفدع مالك لا تنطقين فتقول مع صوت الهزار[4] تستبشع صوتى ، فيقال هذا الليل بحكمك أنا عند المنكسرة قلوبهم ، لما تولع الجذام بأظفار المجذمين صعب عليهم الحك فليس فى ثيابهم قملة ، قلت : زدنى ، قال : متى لم تنهض بحرقة من قلبك لم ينفعك تحريك غيرك ، قيل لكلب : مالك أسرع عدوا من الكلب اذا عدا خلفك ، قال : لأنى أعدو لنفسى والكلب يعدو لغيره ، فقلت : انى لأدعى معرفة الحق ومحبته ثم اذا قمت فى الصلاة غاب قلبى ، فقال : ما يصلح من ذلك ما تبذله من العباد ، مهرا للجنة فكيف يصلح ثمنا للمحبة ، رأت فاره جملا فأعجبها فجرت خطامه[5] فتبعها فلما وصل الى باب بيتها وقف ونادى بلسان الحال : اما أن تتخذى بيتا يليق بمحبوبك أو محبوبا يليق ببيتك ، فقلت : سبحان الله من أقدرك على هذه الفنون ، فقال : مزاحمة المجنون فى العشق جنون قلت كلامك يسلب القلوب ، فأنشد :

---

١ ـ اللجاج : الخصومة .
٢ ـ القطا : ضرب من الحمام .
٣ ـ النقزان : الوثب .
٤ ـ الهزار : طائر حسن الصوت .
٥ ـ الخطام : الزمام وما وضع على خطم الجمل ليقاد به .

وحديثها السحر الحلال لو انه لم يجن قتل المسلم المتحرز (١)
ان طال لم يمل وان هي أوجزت ود المحدث أنها لم توجز (٢)

فأجبته :

يا ليلة نلنا بها لذاتها حلاوة الصحة بعد السقام
والفجر ما فروزد يسل الدجى والشهب طرز في رداء الظلام (٣)

فلما افتر الصبح تهيأ للفرار تهيىء الصيد ، فاعتنقته بكلتا يدي وأمسكته بأيد (٤) ، وقلت : أما علمت أن الالف ألف قيد ، فقال : لا بد من فراق عمر ولزيد ، فسلكت ناحية العراق وأخذنا ناحية فيد (٥) .

---

١ ـ المتحرز : المتحصن والمتحفظ .

٢ ـ هذان البيتان لابن الرومي (٢٢١ ـ ٢٨٣ هـ) يصف فيهما حديث امرأة ويليهما بيت ثالث هو :

شرك العقول ونهزة ما مثلها للمطمئن وعقله المستوفز

(الأمالي جـ ١ ص ٨٤) .

٣ ـ فروز : قطع

٤ ـ الأيد : القوة . قال تعالى : " والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون " . الذاريات آية (٤٧) .

٥ ـ الفيد : منزل بطريق مكة .

المقامة الثامنة والأربعون

فى ذم أبناء الدنيا

بقيت مدة لا أسمع لأبى التقويم بخبر ، ولا أطمع فى الوقوف له على أثر ، فكنت أسأل عنه كل من حضر ، من أهل البدو والحضر ، فما علم بحاله الا نفر قد قدموا على من سفر ، فقالوا هو مريض محتضر فى حى بنى عمر ، فى فسطاط(١) من شعر ، فركبت وحدى قبل الهجير المخطر وما كفانى أنى فارقت فى الوطن الوطر(٢) ، حتى رافقت فى السفر المطر ، فوصلت اليه وهو فى آخر نفس ، فقويت نفسه بروية فجلس ، فقلت : اغتنام هذا كاغتنام الخلس ، فقلت : يا سيدى لو رأيت شد ايجاف(٣) الارجاف(٤) ، كيف قد قد شعاف(٥) الشغاف حتى ظن قلبى ورجم(٦) أن لا ألقاك ، فأى مرض هجم فألقاك ، فقال : لبئس رأس كدت له أرس(٧) ، ثم تناولتنى العرواء(٨) ، ونقلتنى اليها الرحضاء(٩) ، ثم نفضتنى النافض(١٠) ، وأغبطت(١١) ثم تجدد موم(١٢) ثم أخذنى قراد(١٣) وانبسط الصداع والرداع(١٤) ، والآن فبحمد الله الجليل ، قد تقشقشت(١٥) وبقيت عقابيل ، فأنشدته :

---

١ ـ الفسطاط : خيمة تتخذ من الشعر .

٢ ـ الوطر : الحاجة أو حاجة لك فيها هم وعناية .

٣ ـ الايجاف : الاضطراب .

٤ ـ الارجاف : الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب .

٥ ـ الشغاف : غلاف القلب أو حجابه . ٦ ـ رجم : ظن .

٧ ـ الرس : أول الحمى ، أرس : أدفن .

٨ ـ العرواء : شدة الحمى ، والرحضاء : عرقها .

٩ ـ نفضت : حركت والنافض : حمى الرعدة ١٠ ـ أغبطت : لازمت .

١١ ـ موم : البرسام وهى علة يهذى فيها .

١٢ ـ القراد : وجع البطن . ١٣ ـ الرداع : وجع الجسد .

١٤ ـ تقشقشت : برأت . ١٥ ـ العقابيل : البقايا .

يا ناقتها من مرض مسه ... يفد بك من عادك من ناقه

قد قلت اذ قيل به فترة ... يا رب بالأرواح منا قه

قلت : وما سبب هذه الأمراض ، وكيف عارضتك هذه الأعراض ، قال ما عرض مرض لرئتي عن طعام ، انما هو لرؤيتي هؤلاء الطغام (١) ، قلت : يا سيدي بين لي أولا من هم ، ثم بين لي الذي تبينت منهم ، قال : يابني انني بعثت فكري يسير في الأرض ، فجعل يجول في الطول والعرض ، فاذا سكان معظم الأقطار كفار ، واذا الاسلام كهيت في القفار (٢) ، فنظرت في مساحته اليسيره ، فاذا سكان ساحته على أقبح سيره ، أما من هو منهم بالعلم ملاحظ مرموق ، فأكثرهم لا يحافظ على الحقوق ، منهم متكلم يقول القرآن مخلوق ، ومنهم جاهل بالفتوى وبابه مطروق ومنهم من لا يراعي الحدود ولا يبالي بالفسوق ، ومنهم مذكر يزين باطله بالراووق (٣) ، جمهور كلامه في العاشق والمعشوق ، ومنهم متزهد يبيع زهده بسعر السوق ، قد رقع أثوابه وما يعوزه الا الخلوق ، يضرب في تخشعه المبارد على زهده بالبوق والحكام في أحكام وفي دين الشهود خروق (٤) والأمراء في صبوح من المعاصي وغبوق (٥) والاغنياء أصدقاء البخل أعداء الحقوق والعوام غرقى في الزلل ، والجهل والموق (٦) مشتغلون عن الواجبات بما يلهي ويروق ويمؤخرون الصلاة ويقولون المكسب يعوق ، فان صلوا ووافقوا سابقوا حركات البروق

---

١ ـ الطغام : أوغاد الناس .

٢ ـ القفار : الخلاء من الأرض .

٣ ـ الراووق : التحسين والتأنق ، وأصل الرّاووق : المصفاه .

٤ ـ خروق : كذب .

٥ ـ الصبوح : مايشرب في الغداة ، الغبوق : مايشرب بالعشي من الخمر .

٦ ـ الموق : الحمق بغباوة .

ويهملون الزكاة ولا من عذق (١) الفقير يتقلقل جوعا والمال فى المصندوق والرياء فاش حتى فى الخير الموثوق ، صور طاصلتهم حلوه ، والقصد مر المذوق ، معرضين عن أمر الشرع وهو الصادق المصدوق ، مقبلين على المنجم والمنجم عندهم صدوق ، يلبسون الذهب والحرير الكبير منهم والفرنوق (٢) ، والنسا ، يخن الأزواج فكل ما فى الدار مسروق ، لا يعرفن قبلة فى الغروب ولا فى الشروق يتبرجن اذا خرجن فكم أزعجن بأمر يشوق ، ويرمين عن القواس العيون لا من فسوق (٣) فسوق ، وربما الحقن حملا بمن ليس منه العلوق ، فإن مات مات فى الغروب مخرق والحبيب مفتوق ، وهن لاطمات كاشفات عن الثغور والشعور ، والمؤق بلى من علمهن المحفوظ والمنطوق ، لا تكسر وسط الرغيف والد يك معتوق ، ولا تكنس بالليل الا ورأس المسفره (٤) محروق ، وكلما طلبت عاملا بالشريعة طلبت بيض الأنوق (٥) فهذا سبب مرضى اذ ليس الطريق بمطروق .

أنفس قد ألبست صورا ... شأنها فى أمرها غير شأنى

ولهم علم اذا سمعوا ... بحروف القول دون المعانى

فقلت : هون عليك أمرهم وقد هانوا ، ومع سلامة مهجتك لا كانوا ، فقال : تأبل (٦) عندى لعلى أبل (٧) واستمل فوائد من بعل ولا بعل ، فأنت وقد كان أشفى فشفى ولقد همت الكفات (٨) بكفتيه (٩) لكن كفى (١٠) ، فما علم أهل

---

١ ـ العذق : النخلة بحملها وبالكسر القنو منها ، الثفروق : قمع البسره والتمرة .

٢ ـ الفرنوق : الشاب الأبيض الجميل .

٣ ـ الفسوق : الوشق وهو الرمى بالنبل وغيره .

٤ ـ المسفرة : المكنسة .

٥ ـ أى طلبت العزيز النادر . وفى المثل يقال : أعز من بيض الأنوق (قيل الأنوق : الرخمة وعز بيضها لأنه لا يظفر به لأن أوكارها فى رؤوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة .

٦ ـ تأبل : أقم . ٧ ـ أبل : أصح وأبرأ .

٨ ـ الكفات : فجأة الموت . يقال : مات كفات : أى فجأة .

٩ ـ كفته : صرفه والذهاب به . ١٠ ـ كفى : وقى الشر .

الحى بسلامته ، حتى خرج الحى لابس لامته (١) (٢) ، فارتقى منبرهم ذاكرا شاكرا ، وشرح لهم جملة ما قال أولا وآخرا ، فقام معتذر من القوم عن عادته فأخذ الشيخ يذم الاخوان على عادته ، ثم قال : " وما وجدنا لأكثرهم من عهد (٣) " قلت : " فلا تذهب نفسك عليهم حسرات (٤) " ، فقال : دار دارُ الوحده فان قيمان (٥) الصداقة سراب ، وأنشد :

ما هذه الالف التى قد زدتم ... فدعوتم للخوان بالاخوان

ما صح لى أحد أصيره أخا ... فى الله حقا لا ولا الشيطان

اما سؤول عن وبالهوى مالى ... وجه واما من له وجهان

فقام مريد فقال : لولا العفو منكم لانتقلت ، وما زلت أتهم الحجة على حسى منذ عقلت ، فقد عرفت أن السدست (٦) لى حين نقلت ، ثم قال لا يقدر على مداراة الناس الا سامح ، ومن عقله زائد راجح ، {خلفه مريد نحى (٧)} قال : ياسيدى ما الحكمة فى تقدير الأمراض ، قال : تظهر حال الرائض أمهل هو أم رائض وحال المروض أساخط على القدر أم راض ، الأوجاع تحريك ناقم لينتبه وازعاج مطمئن لينتقل ، سبحان من يذكر به مع لحظات الزمان ، والجاهل دائم النسيان ، ويحك ! ان الانسان يشد فى اصبعه خيطا يتذكر به حاجته فهل فى

---

١ ـ الى الحى : ح . ٢ ـ اللامة : الدرع .

٣ ـ هذا من قوله تعالى : " وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين " الأعراف آية (١٠٢) .

٤ ـ هذا من قوله تعالى : " أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون " . فاطر آية (٨) .

٥ ـ القيمان : جمع قاع وهى أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والاكام .

٦ ـ الدست : الصحراء .

٧ ـ ما بين الملقوسين ناقص : ح .

جسدك عرق أو شعيرة الا وهي تذكر بحكم الصانع ، (ولكن منعت قلبك الموانع)[1] ثم لما لم تذكر بما عندك حركك بأمر خارج ، فنسيانك له مع هذه الأمور خارج ، ثم هم بالنزول فوجدنا لوعيده البلابل[2] ، قال ألا أرويكم من سحائب لفظي وأسمعكم من غرائب وعظي قلنا بلى بل[3] ، فقال : ياقوم اعتنموا السلامة قبل الندامة والشيب اذا علا فهو على الموت علامة ، أيها الشيوخ آن الحصاد ، أيها الكهول قرب الجداد[4] ، أيها الشباب كم جرد الزرع جراد .

أيا ابن آدم لا تغررك عافيـــة ... عليك خافية فالعمر مفقود

ما أنت الا كزرع عند خضرته ... بكل شيء من الآفات مقصود

وان سلمت من الآفات أجمعها ... فأنت عند كمال الأمر محصود

السنون مراحل والشهور فراسخ والأيام أميال ، والأنفاس خطوات ، والطاعات رؤوس أموال والمعاصي قطاع الطريق ، والربح الجنة والخسران النار ، لهذا الخطب شمر المتقون عن ساق الجد في سوق المعاملة ، كلما رأوا مركب الحياة يخطف في بحر العمر شغلهم هول ما هم فيه عن التنزه في عجائب البحر ، فما كان الا القليل حتى قدموا من السفر فاعتنقتهم الراحة في طريق الملتقى فدخلوا بلد الوصل وقد حازوا ربح الدهر .

زموا المطايا فدمع مطلق أمن العدوى ودمع وراء الخوف مستور

فلم يهبهب وراء الزجر سائقهم ... حتى تشابه مهتوك ومستور

فغلسوا من زرود وجه نومهم ... وحطهم لظلال البان تهجير

وضمنوا الليل سلما اذ رأوه وقد ... غنت على فننى سلع العصافير

---

١ ـ ما بين القوسين ناقص : ح . ٢ ـ البلابل : شدة الهم .

٣ ـ بل : فعل أمر من البلة وهي جريان اللسان وفصاحته .

٤ ـ الجداد : الموت .

أملهم أقصر من فتر (١) ، منازلهم أقفر من قبر ، نومهم أعز من الوفاء ، والسهر عندهم أحلى من رقدة الفجر ، أخبارهم أرق من نسيم السحر ، آماقهم بالدموع الدائمة دامية ، والهموم على الجوانح جوائح ، ثائبهم أبكى من متيم ، محبهم أيتم من مرقش (٢) ، مشتاقهم أقلق من قيس ، وكلهم قد بات بليل النابغة (٣) ، فقلت : ياسيدى ، لم خصوا الاسحار بالاستغفار ؟ فقال: له سببان أحدهما أنهم اعتذروا عند نفاذ الأعمال من التقصير ، والثانى أنهم انبسطوا فى السؤال ، والمذنب ينبغى له أن يقتصر على طلب العفو ، فلما لاح الصباح استحيوا والخجل عند اقبال الضوء أكثر ، هذا لليلوفر (٤) قد أجنحة الطرب بالليل فاذا أحس بالضوء جمع نفسه واستحيى من فارط افراطه فاذا طلعت عليه الشمس نكس رأسه فى الماء خجلا من انبساطه ، فقام الشيخ يبكى ويقول : كل الحاضرين قد تابوا وأنا المعثر فى حالى أتعثر ،

فأنشد المذكر :

---

١ ــ الفتر بالكسر : ما بين طرف الابهام وطرف المشيرة .

٢ ــ تقول العرب : أيتم من المرقش : يعنون المرقش الأصغر ، فقد كان متيما بفاطمة بنت المنذر ، وله معها قصة طويلة وبلغ من أمره أخيرا أن قطع المرقش ابهامه بأسنانه وجدا عليها (جـ١ ص ١٤٨ ــ مجمع الأمثال) .

٣ ــ أى كلهم بات ليله ساهرا خائفا شأنهم فى ذلك شأن النابغة الذبيانى الذى كان يبيت ليله ساهرا خائفا من النعمان بن المنذر لأنه شبب بزوجته . والنابغة هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانى الغطفانى ، شاعر جاهلى من الطبقة الأولى ، كان حظيا عند النعمان بن المنذر حتى شبب فى قصيدة له بالمتجردة زوجة النعمان فغضب النعمان . توفى نحو سنة ١٨ هـ (جـ١ ص ٧٠ ــ الشعر والشعراء) .

٤ ــ اللينوفر : ضرب من الورد والرياحين .

صحا كل عذرى الغرام عن الهـــوى وأنت على حكم الصبابة نـــازل

ثم قال : قد أوقدت نار المواعظ الى جانب كسلك ، ونفس عزيمتك شديد السبودة وقد اتفق الأطباء على أن النفس الهارد فى الأمراض الحادة علامة التلف ، فقرأ قارىء وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون (١) فقال : قد وصفت الأطعمة اللذيذة لجائع الامساك حتى كأنها بين يديه حاضرة ، فلو تكمل الامان بها تحلت أشداق العمل ، فقلت : ياسيدى ما أبقيت فى المواعظ بقية ، فقال : كلامى يسقى القلوب سيحا (٢) وقد قنعت من الخراج بالدعا ، فقلت : أنا منذ تصعد المنبر الى أن تنزل أقرأ " قل هو الله أحد " وأحوطك بها ، فقال : دم على هذا فان فى المجلس أقواما تقرأ وجوههم عبس ، ومرائرهم اذا السماء انفطرت فقلت : على الخاطر تتكلم فقد حضر مجلسك اليوم أعداء فقال :

أتظهرون نهارا بين أظهرنا أما نهاكم سليمان بن داود

فقلت يا سيدى لم لا تجب أعداءك على قدحهم فيك ؟ فقال : لفظى أمضى من السيف فى يدى ملاعب الأسنة غير أن الحياء فى الصفح أصلح من المين (٣) ، فاستغاث الناس يحسنون كلامه ، فقال : مالكم تضجون ! دنانير سلعى فى الكفة تخرج لطلب التوبة ، فقلت : أيها الوصاف بالله عليك انزل واقطع ، فانى أخاف عليك العين والعين تقلع ، فنزل فهرول ودرقع (٤) ، فتبعته فقال : ما تريد أن تصنع قد صحبتنى مدة العلل ، والدوام قرين الملل ،

---

١ ــ الواقعة آية ٢٠ ، ٢١ .

٢ ــ السيح : الماء الجارى .

٣ ــ أى أن الصفح أصلح من الصفع .

٤ ــ درقع : فر .

لا تطلبن دنـــــــــو دار من خليـل أو معاشـــــــر

أبقـى لأسـهاب المـــــــــودة أن تـزور ولا تجـــــــاور

فقلت : قد صرت لك الفا آلفـا ، أفأرجـع الى من ذممت آنفـا ، فقـال : وصيتى ان تبعت تكفيـك ، ووعظـى الذى سمعت يشفيـك ، وطريقـتى صعبـة وما فيـــك غفارقتـــه فراق الروح الجســـــد ، ورجعت ورائي ورأيي فى الخلق قد فسـد ،

المقامـــــة الخمســـــون

فى الأخ الصـــــادق

==========

صحبت أبا التقويم وكان سيد العقلا ، فكنت أستشيره فى المداخل وفى الفلا ، وقد رأيت عالما من العلماء فأما مثله فلا ، فأحببت أن أعقد الأواخى (١) بأن أواخى من لا أرى له مثلا ولا مثلا ، فعرضت مودته على قلبى فصاح لبى حى هلا (٢) :

إذا ما ظفرت بسود امرئ ... قليل الخلاف على صاحبه

فلا تعدلن به نعمة ... وعلق بيمنك ياصاح به

فكتبت اليه انى قد آثرت أن أكون جار جنبك ، لا بل مضغة من لحم لبك ، فهبنى حصة من دار قلبك ، وقد خطبت اليك كريمة ودك ، لآمن بعد هذا القرب من بعدك ، وقد بعثت ولائى ثمن الباحة (٣) ، ومهجتى مهرا للاباحة ، وجعلت الصدقة (تقديم الصدور (٤)) بين يدى هذه النجوى ، صدقى الذى جعل قلبى من سواك خلوا وما جزاء طالب النائل الا الاجابة ، وحوشى الكريم أن يغلق عن السائل بابه ، فآمنى من خجلة الصد ، ولا ترض لنفسك بعجلة الرد ، فكتب الى لقد أجمدت فى تقريبك الى عين تقريبك ، انى قد بعتك الدار التى استطبتها ، وأنكحتك الكريمة التى خطبتها بالثمن الذى نقدت ،

---

١ ـ الأواخى : جمع آخية وهى عروة تثبت فى أرض أو حائط وترسل فيها الدابة . والآخية أيضا : الحرمة والذمة .

٢ ـ حى هلا : أسرع

٣ ـ الباحة : الساحة .

٤ ـ مابين القوسين ناقص : ح .

٥ ـ حوشى الكريم : أى أنزهه ، أو معاذ الله أن يفعل كذا .

والمهر الذي قدت ، وهذه الدار يسلك الى محلها من محال الاخلاص ، وشوارع الاختصاص ، وهي دار روضة ومزرعه ، وتشتمل عليها حدود أربعة ، الأول ينتهي الى صفاء الضمائر ، والثاني ينتهي الى خلوص السرائر ، والثالث ينتهي الى ملك يعرف بأبناء الحرائر ، والرابع الى جيران الوفاء وما فيهم غادر ، وفيه يسرع بابها ، وبه تجمع أسبابها ، وليس في هذا المهيع حالة تنقض ولا تنقضه ولا استثناء يفسده ويعترضه ، وقد عرف البائع والمشتري ما تقابضا ، وشاهدا ما تعاوضا ، فان أدرك أحدهما درك فعلى طهارة المولد استدراكه ، أو تعرقل الخلوص بسبب فعلى المعاهدة فكاكه ، وقد أغنتهما المروءة عن مداراة المديرين ، فوكلا الأمانة لتثبت الكتاب عند حاكم الدين ، شهد بذلك التجانس بن الاتفاق والوفاء بن الاحتمال ، والسخاء بن الكرم ، وأما الحرة الدرة فاشتراطي لها أن تصونها في صدفة صدرك الفسيح ، وتمسكها بمعروف ليس فيه ذكر تسريح ، فكتبت اليه :

وما فقر قفر طال بالوى عهدها (١) الى صيب جود يروى غليلها (٢)

بأعظم من فقري اليك ولم أصف وحقك من شكواي الا قليلها

قد قبلت هذا البيع والانكاح ، واعتقدت لك به الصدقة على والسماح ، وها أنا منتقل بكليتي اليك ، ومعول في النزول عليك ، ثم نهضت نهضة غشمشم (٣) فتلقاني قبل أن أقدم ، فسلمت عليه قبل أن سلم ، وأنشدته قبل أن يتكلم :

---

١ ـ القفر : الخلاء من الأرض .

٢ ـ الصيب : السحاب ذو الصوب ، والصوب : المطر بقدر ما ينفع ولا يؤذي .

٣ ـ الغشمشم : الذي لا يثنيه شيء .

أحبابنا أنا ذلك العبد الذى ... راعيتموه ناشئا وولـيدا

حالت به الأحوال بعد فراقكم ... فرمى بأسوته وجاء وحيدا

فأجابنى بما لم يخطر فى أملى ، وخفت لشدة فرحى أن يحضر أجلى ، فكان من جملة ما قال لى :

أخ تباعد شخصه ودنا ... معنا ومنى فلم يظعن اذ ظعنا

وكيف يبعد عنى من جعلت له ... صميم قلبى على علاته وطنا

أم هل يزايلنى (١) من لا يفارقنى ... فى الرأى كيف رأى والحظ كيف رنا

أيا حبيبى سر فى الأرض أو فأقم ... بحيث شئت دنا شوقك أو شطنا

ما أنت غيرى فأخشى أن تفارقنى ... فديت روحك يا روحى فأنت لنا

ثم أنزلنى الدار وقد أحكمها وشاد ، وجلى على عروسا أحسن من شادن شاد (٢) ، ثم قال لابنته أخرجى له ما يكفى خيله ، وقدمى له فقد قطع الميلة (٣) الكليلة ثم قال : اذا تزوج الرجل ولم يولم يؤلم ، ثم قال : لا جناح أولم أولم ، فنحرت الحساد ، وشويت الأكباد ، وأطعمت الرفقاء ، وخربت النافقاء ، وكنت أجتلى العروس مع الألحاظ فى فرائد (٤) ، واجتنيت من أبيها أحلى من عروس الفروس فى ألفاظ الفوائد ، فأما الزوجة فأتت بأولاد سميت الأول الجد والثانى الاجتهاد ،

---

١ ـ يزايلنى : يفارقنى .

٢ ـ الشادن : ولد الظبية ، والشادى : المستدل ببعض العلم على البعض . هكذا فى تفسير النسخة المخطوطة . وفى اللسان الشادى : المغنى والشادى الذى تعلم شيئا من العلم والأدب والغناء ونحو ذلك . أى أخذ طرفا منه .

٣ ـ الميلة : بحثت فلم أهتد لمعنى هذه الكلمة . وفى غريب النسخة المخطوطة الميلة : التى تولـه الناس بهـا .

٤ ـ الفرائد : جمع فريدة وهو الدر اذا نظم وفصل بغيره .

وكنيتهما أبا الفضائل وأبا المعالى وكانا من الأفراد ، ثم جاءت بثالث أسميته نهل المراد ، فزينت الهيت ربة الهيت فأضاء العيش بعد الطيش ، فى ارعاء وامضاء وكنت سمير أبى التقويم فى ليل التمام ، مستفيدا من التعليم ما ينهل من امام ، واسترحت من طلبى اياه فى الفلوات والاكام ، فقلت له ليلة حدثنى من مبتدأ أمرك الى الختام ، فقال : اعلم أن النفوس ثلاث : شهوانية وغضبية وناطقية فالشهوانية توثر المطعم والمشرب والنكاح والحسيات كأنفس العوام ، والغضبية توثر القهر والغلبة كأنفس الملوك ، والناطقة توثر العلم وهى أنفس العلماء ثم تتفاوت جواهر النفوس الناطقة فأعلاها مرتبة هى المشرئبة الى معرفة موجدها فاذا نظرت فى الدليل عليه ، سمت مستعجلة اليه ، فرأت أن أقرب ما يقربها العلم فعلمت وعملت . قلت : فاشرح لى بعض حالك فى ذلك فأنشد :

خلقت مشغولا(١) بحب العلا ... فما يرى لى بسواها اشتغال

أكتم فقرى وأذع لوعتى ... والحر لا يضرع(٢) ان قل مال

لما عرفت شرف العلم رأيت البلهنية والرفهنية من الرذائل ، فصارت همتى مغرمة بحب الفضائل :

فلى كبد تضنى بغير خريدة ... ولى جسد يبلى بغير كعاب

ولى همم لما طمحن الى العلا ... طمحن كهيرات وقل صحابى

فمن عذب أوراد النزاهة مطعمى ... ومن ماء أحواض العفاف شرابى

---

١ ـ خلقت مشغوفا : ح .

٢ ـ لا يضرع : لا يتذلل ولا يخضع .

٣ ـ البلهنية والرفهنية : سعة العيش .

ولما جروا يرجون سبقى الى العلا ... مضيت ولما يلحقوا بترابى

وان أخطأوا باب الصواب ونكبوا ... عن الرشد باتوا حاسدين صوابى

وانى وأدناس الزمان كثيرة ... صررت ولم تعلق بهن ثيابى

قلت اختصر لى ما نلت به مرادك ، فقال : طلاب العلى بركوب الخطر ، أنضيت مراكب الجسم ورفضت شهوات الحس ووصلت الليل بالنهار بالجد وأوقدت فى دجى الشدائد نار الصبر ، ان وثقت بأمانتى فهذا تخبير الشراء ، قلت : ما سمعت مثلك ! فقال : ما كل حسناء ولود ، ومن شبه الفرقد بالسها (١) فقد سها ، قلت : قد أفسدنى كلامك فما يطيب لى غيره فقال :

يامن تولى المشترى تدبيره ... حاشاك أن تنقاد للمريخ

ثم قال : كم من محدث من فيه بلا تهديد يؤدى منه الخراج ناقص الحروف ، قلت يذكر القصاص أحاديث وأراك تردها ، فقال : لا تعبوا شربة من طرقى (٢) ، قلت : ما أرى فائدة الا فى مجلسك ، فقال : " فيه يغاث الناس وفيه يعصرون (٣) " ، قلت : أحضر عند غيرك فلا أستفيد ، فقال : مجلسى لمن حلف لا يغبن ، قلت : ما الذى فى مجلسك (٤) حتى يأخذ القلوب ؟ فقال :

نسم الصبا جاءت بريا القرنفل (٥)

فقلت : قد جمع كل فن ، فقال : بلاغة فهمت قس بن ساعدة (٦) ، وحكمة ما لبقراط بها خبر (٧) قلت : عيبك أنك بغدادى

---

١ ــ الفرقد : النجم الذى يهتدى به ، والسها : نجم خفى من بنات نعش .

٢ ــ الطرقى : الماء الكدر .

٣ ــ هذا من قوله تعالى : " ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون " . يوسف آية (٤٩) .

٤ ــ مابين القوسين ناقص : م .

٥ ــ الريا : الريح الطيبة .

٦ ــ سبق التعريف به .

٧ ــ سبق التعريف به .

قال : بل فخرى ، " لقد جاءكم رسول من أنفسكم "(١) ، الذهب يفتق وان كان فى أرضه كلامى بغدادى المولد ، خفيف الروح ، صحيح المزاج ، يترؤى من دجلة ، لو أخرجت غرس كلامى عن تربته لم أر أرضا .

وما الدهر الا من رواة قصائدى اذا قلت أصبح الدهر منشدا

فدع كل قول غير قولى فانى أنا الصائح المحكى والآخر الصدا(٢)

فقلت أليس يقال واعظ وواعظ ، فقال : عيسى مسيح والدجال مسيح ، والعنكبوت ينسج والقز ينسج ، وشجرة الصنوبر تعلو الدبا(٣) واللصوص يقال لهم فتيان ولكن بالعلم يفرق بين الشعبذة والمعجزة ، قلت : سبحان من جعل خاطرك كالبحر ، فقال :

ولا تقس خاطرى بالبحر من غلط أيحسن البحر قذف الدر منتظما

ولا تقسن كونى حلس زاوية(٤) سلامة الليث فى استيطانه الاجما(٥)

للطير أجنحة تعلوا بها وكذا للناس أجنحة تسمو بها همما

فقلت : يا سيدى تعبدت الملائكة سنين وما أرى النعيم الا لبنى آدم ، فقال كانت الملائكة أمناء ووقعت الخلع للساعى ، قلت : اسلم عمر بعد أربعين فكيف تقدم (على على)(٦) قال : خلى شوطا ثم سابق ،

قلت ماذا كان يقول الويل لعمر بن لم يغفر له فما نقول نحن ؟ فقال :

لا تسأل ، وقعت آجرة فى الماء فقالت : وابللاه

---

١ — هذا من قوله تعالى : " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم " . التوبة آية (١٢٨)

٢ — هذين البيتان لأبى الطيب المتنبى من قصيدته التى يمدح بها سيف الدولة الحمدانى ويهنئه بعيد الأضحى ومطلعها :

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن بالعدا

٣ — الدبا : صغار الجراد والنمل وربما كانت الربا

٤ — جلس زاوية : ح ، وجلس زاوية : أى مقيم لا أبرحها .

٥ — الأجمة : بيت الأسد . قيل أنها من قصب ٦ — + : ح .

فقلت اللهم : فأى عمر أقول أنا ، قلت : بماذا صعد المتقون ؟ قال : نهوا عن الزلل فانتهوا ، قلت : فى الدنيا لذات شواغل وفى الأخرى فمتى يتفرغ القلب لطلب الحبيب؟ فقال : الأملس لا يعرقله خطاف . قلت : كيف الجمع بين قوله : "تتوفاهم الملائكة طيبين"(١) ، وقوله : " واكرباه" ، فقال : الأثقال على بخاتى(٢) الأبدان والراحة لأنضاء(٣) القلوب ، ما منع التذاذ الأرواح بروية يوسف من تقطيع الأيدى .

أنت النعيم لقلبى والعذاب لـــه ... فما أمرك فى قلبى وأحـــلاك

ثم قال : قد زاد فيما سمعت من الكلام الحد ، فقلت : وما شبعت من الزاد بعد فقال : كل علم تطلبه على سهل ، وأنت اليوم من الأهل ، فقد أمنت نفى الفوت(٤) ، الى أن يفرق بيننا الموت ، فاستغنيت بعلومه عن كل أحد ، واسترحت أن أرحل لطلبه الى بلد ، وصرت (صدى صوته)(٥) وسلمان بيته وأبا هريرة مجلسه وأنس خدمته ، وحسان مدحته ، وكان سرورى لا يفى بندامتى على تركه فى عهدى المتقادم ، ثم صار يخصنى بأسرار لا تحتمل الاظهار ، فأشمت منها مقامات الأسفار ، ولم أودع السرائر المصونة شيئا من الأسفار .

---

١ ـ هذا من قوله تعالى : " الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون " .
النحل آية (٣٢)

٢ ـ البخاتى : الابل الخرسانية .

٣ ـ الأنضاء : جمع نضو وهو الضعيف المهزول .

٤ ـ الفوت : الذهاب .

٥ ـ + : ح .

وجاء فى نهاية المقامات :

قال الحافظ أبو الفرج قدس الله روحه : هذا آخر المقامات التى أمليت على عدد المقامات التى رأيت ، ولو أن طالبا طلب من خاطرى زيادة لألفى عنده ألفا ، اذ الخاطر بدوى الفصاحة ، والمعانى وافية الرجاحة ، غير أن الاشتغال بما نفعه أعم أهم ، وهذا القدر يكفى ملحا للقدر ، والحمض وان لم يستغن عنه فلا يستكثر منه ، ونحن نسأل واهب الفهوم أن ينفعنا بجميع العلوم ، انه ولى ذلك والقادر عليه برحمته .

فرغ من كتابه العبد المفتقر الى العفو الحسين بن بدران بن داود الحنبلى يوم الخميس حادى عشر صفر سنة احدى وأربعين وسبعمائة وذلك بجامع النصور رحم الله منشئه وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله وصحبه وسلم .

"" الخاتمـــــة ""

لا أريد أن ألخص فى هذه الخاتمة أبواب الرسالة ، ولا أن أنص على كل جزئية أو مسألة تناولتها ، وانما أكتفى بذكر خلاصة موجزة مع ذكر بعض الأمور التى أحسبها نتائج ذات قيمة لهذا البحث :-

أولا : فى الفصل الأول من الباب الأول صورت عصر ابن الجوزى من النواحى السياسية والاجتماعية والأدبية ، وأوضحت كيف كان عصرا ممتلئا بالأحداث الكبرى سواء مايتعلق منها بالحكام الفعليين للدولة الاسلامية فى العصر العباسى الرابع وهم السلاجقة أو مايتعلق بالعلاقة بين السلاطين السلاجقة والخلفاء العباسيين .

كما أوضحت الجوانب المختلفة للحياة الاجتماعية للعصر الذى عاش فيه ابن الجوزى ، وأوضحت أيضا النواحى الأدبية والفكرية المختلفة التى سادت فى العصر العباسى الرابع ، وتبين لى من خلال كل ذلك عدة أمور :

أ - أن معظم العصر الرابع لخلافة بنى العباس كان ممتلئا بالأحداث وأن السلطة الفعلية كانت فيه للسلاطين السلاجقة .

ب - أن العصر العباسى الرابع قد تميز بازدهار النهضة العلمية وكثرة المصنفات التى كتبت فيه فى مختلف العلوم وأن أغلب أمهات الكتب قد ألفت فى هذا العصر .

ثانيا : عرضت فى الفصل الثانى من الباب الأول لحياة ابن الجوزى منذ مولده وحتى وفاته . وقد ذكرت فيه الجوانب المختلفة لحياته وشخصيته ، وتبين لى من خلال دراستى لحياته أنه كان زاهدا محبا للعزلة وأنه كان غيورا على الاسلام ولغة القرآن .

ثالثا : ذكرت في الفصل الثالث من الباب الأول آثار ابن الجوزى فى قوائم حسب الفنون التى كتبت فيها ، وقد بلغت المصنفات التى ذكرتها نيفا وستين ومائتى مصنف . وأحسب أن هذا الثبت الذى ذكرته أوفى ثبت تناول مصنفات ابن الجوزى . وقد تبين لى أن ابن الجوزى كان شغوفا بالعلم محبا للتصنيف وأنه من القلائل الذين وهبوا حياتهم لخدمة العلم والاسلام والذين بلغت مؤلفاتهم عددا كبيرا .

رابعا : عرضت فى الفصل الأول من الباب الثانى لنشأة المقامة وتدرجها عبر العصور منذ أن كتب البديع مقاماته فى القرن الرابع الهجرى وحتى العصر الحاضر . ثم تعرضت للمقامة فى الآداب الأخرى ، وقد تبين لى من خلال هذا الفصل مايأتى :-

أ - أن بديع الزمان الهمذانى هو منشىء فن المقامة وأنه أبو عذرتها .

ب - أنه لم يخل عصر لم تكتب فيه مقامات منذ أن كتب الهمذانى مقاماته وحتى الآن .

جـ - أن المقامة من الفنون التى نشأت وترعرعت فى بلاد العرب وعلى أيدى أبنائها وأنها انتقلت من الأدب العربى الى الأدب الفارسى وكذلك الى الآداب الأخرى .

خامسا : عرضت فى الفصل الثانى من الباب الثانى الى حياة كل من بديع الزمان الهمذانى والى أبى محمد القاسم الحريرى وصفاتهما وآثارهما منوها بمقاماتهما بشكل خاص .

سادسا : وأما الفصل الثالث من الباب الثانى فقد جعلته بين مقامات ابن الجوزى والبديع والحريرى ، وقد تبين لى من خلاله الأمور التالية :

أ ـ أن ابن الجوزى والبديع والحريرى قد اشتركوا فى عدد المقامات وأن كلا منهم أورد كثيرا من الألفاظ اللغوية الغريبة والمهجورة .

ب ـ أن كلا من ابن الجوزى والبديع والحريرى قد أكثر من ايراد الأبيات الشعرية والأمثال ، الا أن ابن الجوزى قد امتاز بكثرة ايراده للأبيات الشعرية والأمثال ، كما أن مقاماته تمتاز بايراد حشد كبير من الأعلام فقد ورد فى مقاماته أكثر من مائتى علم .

جـ ـ اشترك ابن الجوزى والبديع والحريرى فى الاستعانة بالجملة القرآنية اما استشهادا أو تضمينا أو اقتباسا (١) . الا أن ابن الجوزى قد امتاز بكثرة استعانته بالجملة القرآنية . وهذا يدلنا على أن ابن الجوزى كان يتابع " الجملة القرآنية " ويستهدى بها ، ويقتبس منها فى كلامه ، وقد دفعه الى ذلك عدة دوافع منها حفظه للقرآن الكريم وهو صبى ، ومنها اتجاهه الاسلامى ونزعته الدينية التى تبدو واضحة جلية فى مقاماته ، ومنها احساسه بأن تضمين كلامه ألفاظا أو آيات من كلام الله تعالى يزيد كلامه

---

١) والاقتباس هو أن يضمن الكاتب كلامه شيئا من القرآن ، لا على أن ذلك الشىء جزء من القرآن ، لأنه لو ذكره على أنه جزء من القرآن لم يكن اقتباسا ، وانما يكون استشهادا .
جـ١ ص ١٧٦ ـ أمير البيان شكيب أرسلان ـ تأليف الدكتور أحمد الشرباصى ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م ـ مطابع دار الكتاب العربى بمصر .

جمالا وجلالا ، لأنه كتاب الله الذى جعله الله أحسن الحديث وسيد الكلام ، ومنها أنه كان واعظا والآيات القرآنية والاستعانة بها من أقوى العمد التى يستند اليها الواعظ .

سابعا : وأما الباب الثالث فكان أكبر الأبواب وأهمها حيث أنه تضمن مقامات ابن الجوزى الخمسين التى قمت بتحقيقها . ويبدو لدارس هذه المقامات عدة أمور :-

أ - أن ابن الجوزى أراد أن يعظ من خلال مقاماته كما أنه أراد أن يساهم فى احياء الكثير من الألفاظ المهجورة وأن يحوّف بالألفاظ المجهولة ، وأنه أراد أن يثبت لنفسه القدرة على البراعة اللغوية والصياغة البيانية وأن يثبت لنفسه التفوق فى كثير من العلوم .

ب - أن ابن الجوزى له قدرة على الجدال والنقاش المعتمد على الدليل والبرهان .

جـ - أن ابن الجوزى قد عالج فى كثير من مقاماته أفكارا لم يعالجها ولم يتطرق اليها غيره من كتاب المقامات .

د - أن ابن الجوزى قلد البديع والحريرى فى مقاماتهم لكنه استطاع بسمة ثقافته وقوة تفكيره أن يجعل لنفسه ولمقاماته سمة متميزة ، فان كان قد قلد البديع والحريرى فلهما الفضل فى السبق وله الفضل فى المضمون الذى اهتدى اليه وفى ابتكاره للأفكار التى عالجها فى مقاماته ، فكان عمل ابن الجوزى نافعا للمسلمين على مر العصور .

هـ - تعتبر مقامات ابن الجوزى موسوعة أدبية ومعجما لغويا اشتمل على كثير من الألفاظ الغريبة ويكاد المرء يجزم أن مقامات ابن الجوزى موسوعة قد

اشتملت على كثير من العلوم والفنون . وان دل هذا على شيء فانما يدل على سعة ثقافة ابن الجوزى وكثرة محصوله . وبالرغم من كثرة انتاج هذا العالم الموسوعى وغزارة تصنيفه فانه من العلماء الذين هُضِمَ حقهم . فالحق الذى لا مرية فيه أن ابن الجوزى يحتاج الى المزيد من الانصاف والتقدير ، اذ لايكفى أن تتهافت عليه كلمات الشكر والثناء بل الصواب أن تتكاثر الدراسات التى تقوم حوله وحول مؤلفاته وأن تتزايد كتبه المحققة حتى ينتفع بها العرب والمسلمون بدلا من أن تبقى قابعة فى المكتبات المختلفة لايُعرف عنها شيء سوى مسمياتها .

وفى الختام فاننى أتمنى على جامعة الأزهر أن تولى المخطوطات العربية عناية كبيرة ، وأن تمنحها الرعاية اللازمة حتى لايضيع كثير من تراثنا الغالى الثمين . واننى أهيب بكل جهة لها علاقة بهذا الموضوع أن تبذل كل جهدها فى ابراز تلك الكنوز الدفينة .

وأرجو الله عز وجل أن يلقى هذا النداء وأن تلقى هذه الأمنية آذانا صاغية وقلوبا واعية .

" والله ولى التوفيق . والحمد لله أولا وأخيرا "

× × × × × × × × × × ×
× × × × × × × × × ×
× × × × × × ×

المصادر والمراجع (١)

١) أدب العرب ، مختصر تاريخ نشأته وتطوره وسير مشاهير رجاله وخطوط أولى من صورهم : تأليف مارون عبود .

٢) الأدب العربي وتاريخه : تأليف محمود مصطفى .

٣) اساس البلاغة : تأليف جار الله الزمخشري ـ طبع دار الكتب المصرية سنة ١٣٤١ هـ .

٤) الاستيعاب : لابن عبد البر تحقيق علي محمد البجاوي ـ مطبعة نهضة مصر

٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة : تأليف عز الدين بن الأثير ـ تحقيق محمد صبيح وآخرين . مطابع الجمعية التعاونية ودار التعاون للطبع والنشر سنة ١٩٦٤ م . بالقاهرة .

٦) الاصابة : تأليف ابن حجر ـ طبع مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٨هـ .

٧) الأعلام : تأليف خير الدين الزركلي ـ الطبعة الثانية سنة ١٣٧٤ هـ سنة ١٩٥٤ م . وطبعات أخرى .

٨) القاموس المحيط : تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ـ الطبعة الثانية سنة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .

٩) الأمالي : تأليف أبي علي القالي ـ طبع بولاق سنة ١٣٢٤ هـ .

١٠) أنباه الرواة عن أنباء النحاة : تأليف جمال الدين أبي الحسن علي يوسف القفطي ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ القاهرة ـ مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٧١ هـ ـ سنة ١٩٥٢ م .

١١) أيام العرب : تأليف

١٢) البداية والنهاية : تأليف ابن كثير ـ طبع مطبعة السعادة بالقاهرة .

١٣) بديع الزمان الهمذاني : تأليف مارون عبود ـ دار المعارف سلسلة نوابغ الفكر العربي سنة ١٩٦٣ م

١٤) بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية : الدكتور مصطفى الشكعة دار الرائد العربي ـ بيروت لبنان ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٧١م .

---

١) سرت في ذكر المصادر والمراجع مبتدئا باسم الكتاب فالمؤلف فالمحقق ان وجد فالمطبعة فسنة الطبع ان وجدت . وقد رتبت المصادر والمراجع حسب الحروف الهجائية وأسقطت في الترتيب (أل) التي للتعريف .

١٥) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : تأليف الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ تحقيق أبو الفضل ابراهيم ـ الطبعة الأولى طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه سنة ١٣٨٤ هـ ـ سنة ١٩٦٤م.

١٦) بلوغ الأدب في معرفة أخبار العرب : تأليف الألوسي ـ طبع مطبعة الرحمانية سنة ١٣٤٢ هـ.

١٧) تاج العروس : تأليف الامام محمد مرتضى الزبيدي ـ دار ليبيا للنشر والتوزيع بينغازي ـ مطبعة دار صادر بيروت سنة ١٣٨٦ هـ ـ سنة ١٩٦٦م

١٨) تاريخ ابن الوردي ـ طبع المطبعة الوهبية سنة ١٢٨٥ هـ.

١٩) تاريخ آداب اللغة العربية : تأليف جورجي زيدان تحقيق وتعليق شوقي ضيف ـ طبع دار الهلال طبعة جديدة.

٢٠) تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني : تأليف ابراهيم علي أبو الخشب ـ دار الفكر العربي.

٢١) تاريخ الأدب العربي منذ نشأته حتى الآن : تأليف أحمد حسن الزيات الطبعة الحادية والعشرون ـ مكتبة نهضة مصر بالفجالة.

٢٢) تاريخ الأدب العربي : تأليف كارل بوكلمان ـ طبع ألمانيا سنة ١٩٣٧.

٢٣) التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية : تأليف أحمد شلبي ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٢ م ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٢٤) تاريخ الاسلام السياسي : تأليف حسن ابراهيم حسن ـ طبع مطبعة حجازي بالقاهرة ـ سنة ١٣٥٣ هـ ـ سنة ١٩٣٥ م.

٢٥) التاريخ الاسلامي العام : تأليف علي ابراهيم حسن ـ الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٣ م مكتبة النهضة المصرية.

٢٦) تاريخ آل سلجوق : تأليف عماد الدين الأصفهاني.

٢٧) تاريخ الخلفاء : تأليف السيوطي ـ طبع المطبعة اليمنية بالقاهرة سنة ١٣٠٥هـ.

٢٨) تاريخ الرسل والملوك : تأليف الطبري ـ طبع ليدن سنة ١٨٧٩ ـ سنة ١٩٠١ م.

٢٩) تاريخ الشعوب الاسلامية : تأليف كارل بوكلمان ـ طبع دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦١م

٣٠) تاريخ اليعقوبي ـ طبع مطبعة بريل بلندن سنة ١٨٨٣ م.
٣١) التبيان في شرح الديوان : تأليف أبي البقاء العكبري ـ تحقيق مصطفى السقا وآخرين ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
٣٢) تحقيق النصوص ونشرها : تأليف عبد السلام هارون ـ الطبعة الثانية ـ مؤسسة الحلبي ـ القاهرة ـ مطبعة المدني سنة ١٣٨٥ هـ ـ سنة ١٩٦٥ م.
٣٣) تذكرة الحفاظ : تأليف الذهبي ـ طبع حيدر أباد بالدكن.
٣٤) كتاب التشريح : تأليف الدكتور كانطح هام ـ الطبعة الثانية عشر.
٣٥) كتاب التشريح : تأليف محمد نور الدين ـ الطبعة الأولى.
٣٦) تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي : تأليف أنيس المقدسي ـ دار العلم للملايين بيروت الطبعة الأولى ١٩٦٠ م
٣٧) تفسير القرآن العظيم : تأليف الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ـ طبع بدار احياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي.
٣٨) كتاب التكملة لكتاب الصلة : تأليف أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بن الأبار طبع مطبعة روخس في مدريد سنة ١٨٨٦ م.
٣٩) تلبيس ابليس : تأليف أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ـ دار الطباعة المنيرية.
٤٠) ثمار القلوب : تأليف ـ طبع مطبعة الظاهر بالقاهرة سنة ١٣٢٦ هـ.
٤١) الجامع لاحكام القرآن : تأليف القرطبي ـ دار الكتب المصرية ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ الطبعة الثانية سنة ١٣٦٠ هـ ـ سنة ١٩٤١ م.
٤٢) الجنة في شرح عقيدة أهل الجنة ـ مطبعة الشعراوي ـ طنطا سنة ١٣٧٤ هـ.
٤٣) جواهر الأدب في انشاء وأدبيات لغة العرب : تأليف أحمد الهاشمي ـ الطبعة السادسة والعشرون سنة ١٩٦٥ م.
٤٤) حديث عيسى بن هشام : تأليف محمد المويلحي ـ مكتبة دار الشعب بالقاهرة.
٤٥) حياة محمد : تأليف محمد حسين هيكل ـ دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٥ م.
٤٦) خريدة القصر وجريدة العصر : تأليف العماد الاصفهاني :
أ ـ قسم شعراء الاندلس : تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم دار للطبع والنشر. الفجالة. مطبعة الرسالة سنة ١٩٦٠ م.
ب ـ قسم شعراء الشام :

جـ ـ قسم شعراء مصر : نشرة أحمد أمين وزملاه لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٢ م .

٤٧) خزانة الأدب : تأليف البغدادى ـ طبع بولاق سنة ١٢٩٩ هـ .

٤٨) دائرة المعارف الاسلامية : الطبعه العربية .

٤٩) دراسات فى الأدب العباسى : تأليف على محمد حسن العمارى ـ مطبعة الهندى بالمجوزة .

٥٠) دول الاسلام : تأليف أبو عبد الله محمد الذهبى ـ طبع مطبعة دائرة المعارف أباد بالهند سنة ١٣٣٧ هـ .

٥١) ديوان ابن الفارض : دار صادر بيروت سنة ١٣٨٢ هـ ـ سنة ١٩٦٢ م .

٥٢) ديوان البديع : تأليف محمد شكرى مكى ـ طبعة مصر سنة ١٩٠٣ م .

٥٣) ديوان عروة بن الورد والسموأل : دار صادر بيروت .

٥٤) ديوان عمر بن أبى ربيعة المخزومى : تأليف محمد محى الدين عبد الحميد المكتبة التجارية الكبرى بمصر ـ الطبعة الثالثه ١٩٦٥ م . مطبعة المدنى .

٥٥) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة : تأليف على بن بسام الشنترينى ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمه والنشر ـ اصدار كلية الآداب جامعة فواد الأول بمصر سنة ١٩٣٩ م . سنة ١٣٥٨ هـ .

٥٦) ذم الهوى : تأليف أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ـ تحقيق مصطفى عبد الواحد ومراجعة الشيخ محمد الغزالى ـ دار الكتب الحديثه .

٥٧) الذيل على تاريخ السمعانى : تأليف ابن الدبيثى ـ دار الحامى للطباعة .

٥٨) الذيل على الروضتين : تأليف أبى شامة ـ طبع سنة ١٩٤٧ م .

٥٩) الذيل على طبقات الحنابلة : تأليف ابن رجب . تحقيق الشيخ محمد حامد الفقى ـ طبع مطبعة السنة المحمديه سنة ١٩٥٢ م .

٦٠) رحلة ابن جبير ـ دار صادر للطباعه والنشر بيروت ١٣٧٩ ـ ١٩٥٩ م .

٦١) رسائل بديع الزمان : طبعه مطبعه هنديه سنة ١٣١٥ هـ وطبعات أخرى .

٦٢) رسائل الخوارزمى : طبع مطبعه عبد الرحمن رشدى القاهرة سنة ١٢٧٩ هـ .

٦٣) الرساله : مجله اسبوعيه كانت تصور بالقاهرة ـ صاحبها أحمد حسن الزيات العدد ٤٥ المجلد الثانى من السنة الثانية .

٦٤) رغبة الأمل : تأليف طبع مطبعة النهضة بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ .

٦٥) الروض الأنف فى شرح السيرة النبويه لابن هشام : تأليف الأمام المحدث عبد الرحمن السهيلى ـ تحقيق وتعليق وشرح عبد الرحمن الوكيل ـ دار الكتب الحديثة .

٦٥) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام : تأليف الأمام المحدث عبد الرحمن السهيلي ـ تحقيق وتعليق وشرح عبد الرحمن الوكيل ـ دار الكتب الحديثة .

٦٦) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية : تأليف شهاب الدين عبد الرحمن اسماعيل المقدسي المعروف بابي شامة ـ تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة سنة ١٩٥٦ م .

٦٧) زهر الآداب وثمر الألباب : تأليف أبي اسحاق الحصري ـ ترجمة ووضع فهارسه علي محمد البيجاوي ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٧٢ هـ ـ سنة ١٩٥٣م ـ دار احياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٦٨) سلوة الاحزان : تأليف أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ـ تحقيق سهيل محمد مختار ، آمنة محمد نصير ـ الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية مكتبة علم أصول الدين .

٦٩) سمط النجوم العوالي في أنباء الاوائل والتوالي : تأليف عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي ـ تحقيق قاسم دروش فخرو ـ المطبعة السلفية ومكتبتها .

٧٠) سنن ابن ماجة : مطبعة عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٥٢ م ـ دار احياء الكتب العربية

٧١) سنن الترمذي : مطبعة مصطفى الحلبي ـ القاهرة سنة ١٩٦٥م .

٧٢) سنن النسائي : مطبعة مصطفى الحلبي ـ القاهرة سنة ١٩٦٤ م .

٧٣) سيرة ابن هشام : تأليف محمد بن عبد الملك هشام ـ مراجعة وتحقيق محمد محي الدين ..

٧٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب : تأليف ابن العماد ـ طبع القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ .

٧٥) شرح ديوان المتنبي : تأليف عبد الرحمن البرقوقي ـ دار الكتاب العربي الصادر بيروت .

٧٦) شرح ديوان حاتم الطائي : قام بشرحه ابراهيم الجزيني ـ دار الكاتب العربي بيروت لبنان ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨م .

٧٧) شرح الشريشي لمقامات الحريري : طبع بولاق سنة ١٢٨٤ هـ.
٧٨) شرح المعلقات السبع للزوزني – مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ١٣٨٨هـ ١٩٦٨ م.
٧٩) شرح مقامات الحريري : طبعة دار التراث – بيروت ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨م.
٨٠) الشريف الرضي : تأليف محمد عبد الغني حسن – مطبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٠ م – مجموعة نوابغ الفكر العربي.
٨١) الشعر والشعراء : تأليف ابن قتيبة – تحقيق أحمد محمد شاكر – دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦ م الطبعة الثانية.
٨٢) صبح الأعشى في صناعة الانشا : تأليف أبي العباس القلقشندي – نسخه مصوره عن الطبعه الأميريه – وزارة الثقافة والارشاد القومي – مطابع كوستا تسوماس.
٨٣) صحيح البخاري : مطبعة عيسى الحلبي مع حاشية السندي (بلاتاريخ).
٨٤) صحيح مسلم : ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي – مطبعه مصطفى الحلبي القاهرة سنة ١٩٥٥ م.
٨٥) صفة الصفوة : تأليف أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي – تحقيق محمد فاخوري دار الوعي بحلب سنة ١٩٧١ م.
٨٦) صيد الخاطر : تأليف أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي – تحقيق ناجي الطنطاوي – راجعه علي الطنطاوي – دار الفكر بدمشق – الطبعة الاولى سنة ١٩٦٠ م.
٨٧) طبقات الحفاظ : تأليف جلال الدين السيوطي X
٨٨) طبقات الحنابلة : تأليف محمد بن أبي يعلى – تصحيح محمد حامد الفقي – مطبعة السنة المحمدية ١٣٧١ و – ١٩٥٢ م
٨٩) طبقات الشافعية الكبرى : تأليف علي بن عبد الكافي السبكي.
طبع المطبعه الحسينية بالقاهرة سنة ١٣٢٤ هـ.
٩٠) طبقات الصوفية : تأليف أبي عبد الرحمن السلمي – الطبعه الأولى – مطابع دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٣٧٢ هـ – سنة ١٩٥٣ م.
٩١) العقد الفريد : تأليف ابن عبد ربه – طبع بولاق سنة ١٢٩٣ هـ.
٩٢) عقود الجوهر فيمن له خمسون كتاب فأكثر : تأليف جميل المظم.
٩٣) علم وظائف الاعضاء (فسيولوجي): تأليف الدكتور محمد طلعت.
٩٤) عيون الاخبار : تأليف ابن قتيبه – نسخه مصوره عن طبعه دار الكتب – وزارة الثقافة والارشاد القومي – مطبعه ماتوسيان بروض الفرج سنة ١٩٦٣ م.

٩٥) فتح الباري : لابن حجر - مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٨هـ - ١٩٥٩م
٩٦) الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية : تأليف محمد بن طباطبا طبعة المعارف .
٩٧) فصول في الادب والنقد : تأليف محمد عبد المنعم خفاجي - مكتبة ومطبعة صبيح .
٩٨) الفن ومذاهبه في النثر العربي : تأليف شوقي ضيف - الطبعة الأولى
٩٩) فوات الوفيات : تأليف محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي - مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥١ ومطبعة السعادة بمصر .
١٠٠) في الادب العباسي العصر الاول : تأليف سليمان حسن ربيع - الطبعة الأولى مطبعة السعادة سنة ١٩٦٨ م .
١٠١) قصص القرآن : تأليف محمد أحمد المولى وآخرين - الطبعة السابعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر - مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٨١ هـ سنة ١٩٦٢ م .
١٠٢) قصص الانبياء : تأليف عبد الوهاب البخار - الناشر مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع - مطبعة المدني سنة ١٣٨٦ هـ - سنة ١٩٦٦ م .
١٠٣) الكامل في التاريخ : تأليف ابن الأثير - طبع بولاق سنة ١٣٠٠ هـ .
١٠٤) كشف الظنون : تأليف حاجي خليفة - المطبعة البهية ١٩٤١م - ١٣٦٠هـ .
١٠٥) كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان : تأليف الشيخ أمجد الأحدب الطرابلسي - دار التراث بيروت .
١٠٦) اللباب في تهذيب الأنساب : تأليف ابن الأثير - عن نسخة الخزانة التيمورية في دار الكتب المصرية - مكتبة القدسي سنة ١٣٥٧ هـ .
١٠٧) لسان العرب : تأليف ابن منظور الأفريقي - دار صادر للطباعة والنشر دار بيروت للطباعة والنشر ببيروت ١٩٥٥م - ١٣٨٤ هـ .
١٠٨) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد : لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي صححه ونشره محمد حامد الفقي رئيس جماعة انصار السنة المحمدية بمصر
١٠٩) المجازات النبوية : تأليف الشريف الرضي - تحقيق محمود مصطفى - مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٥٦ هـ - سنة ١٩٣٧م .
١١٠) مجتبى الاقامات في مجتبى المقامات : مخطوطة بدار الكتب المصرية (برقم ٧٤١٥) أدب : انشاء ابن طولون الدمشقي .
١١١) مجتمع الهمذاني من خلال مقاماته : تأليف مازن مبارك - مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٨٨ - سنة ١٩٦٨ م .

١١٢) المجددون في الاسلام من القرن الأول الى القرن الرابع عشر : تأليف عبد المتعال الصعيدي ـ مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ـ دار الحامي للطباعة .

١١٣) مجمع الأمثال : تأليف أبي الفضل أحمد الميداني ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٤ هـ ـ سنة ١٩٥٥ م .

١١٤) مجمع البحرين : تأليف الشيخ ناصيف اليازجي .

١١٥) مختصر تاريخ العرب والحضارة الاسلامية : تأليف سيد أمير علي طبع مصر .

١١٦) المختصر في أخبار البشر : تأليف عماد الدين أبي الفداء ـ طبع المطبعة الحسينية سنة ١٣٢٥ هـ .

١١٧) المدهش في علوم القرآن والحديث واللغة وفنون التاريخ والوعظ تأليف أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ـ تصحيح الشيخ محمد السماوي ـ مطبعة الآداب ببغداد ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨هـ .

١١٨) مرآة الجنان : تأليف عبد الله محمد اليافعي ـ الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م .

١١٩) مرآة الزمان : تأليف سبط ابن الجوزي ـ مخطوطة الازهر رقم ٦٧٦٥ .

١٢٠) مسند أحمد : مطبعة عيسى الحلبي (بلا تاريخ) .

١٢١) معاهد التنصيص : تأليف عبد الرحيم العباسي ـ المطبعة البهية بالقاهرة سنة ١٣١٦ هـ .

١٢٢) معجم الادباء : تأليف ياقوت الحموي ـ الطبعة الأخيرة .

١٢٣) معجم البلدان : تأليف ياقوت الحموي مطبعة السعادة الطبعة الأولى سنة ١٣٢٤ هـ ـ ١٩٠٦ م

١٢٤) معجم المؤلفين : عمر كحالة ـ مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م

١٢٥) المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي : المجلد الخامس .

١٢٦) المعجم الوسيط : الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٢ م .

١٢٧) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم : تأليف أحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده ـ تحقيق كامل كامل بكري ـ عبد الوهاب أبو النور ـ مطبعة الاستقلال الكبرى ـ دار المعارف الحديثة .

١٢٨) المفردات في غريب القرآن : تأليف الراغب الأصفهاني (٥٠٢ هـ) تحقيق وضبط محمد سيد الكيلاني ـ مطبعة البابي الحلبي بمصر ـ الطبعة الأخيرة ١٣٨١ هـ . ـ ١٩٦١ م .

١٢٩) مقامات بديع الزمان الهمذانى : شرحها واعتنى بتصحيحها محمد محمود الرافعى ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة السعادة .

١٣٠) مقامات الزمخشرى : طبع مطبعة العباسية بالقاهرة سنة ١٣١٢ هـ .

١٣١) المقامات الزينية : نسخه مصورة عن النسخة المخطوطه بدار الكتب المصرية برقم (٩١٥٠) .

١٣٢) مقامات الورغى ورسائله : تحقيق عبد العزيز الفيزانى ـ الدار التونسية للنشر سنة ١٩٧٢ م .

١٣٣) المقامة : تأليف شوقى ضيف سنة ١٩٦٤ ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية .

١٣٤) مجلة المقتطف : مجلد ٧٧ ، مجلة شهرية كانت تصدر بالقاهرة لصاحبها يعقوب صروف .

١٣٥) مجلة المورد العدد الثالث ، المجلد الثانى ـ دار للطباعة ـ مطبعة الحكومة ـ بغداد سنة ١٣٩٣ هـ ـ سنة ١٩٧٣ م .

١٣٦) مقدمة ابن خلدون : تأليف العلامه عبد الرحمن بن خلدون المغربى شركة الاعلانات الشرقيه ـ مؤسسة الطباعه لدار التحرير للطبع والنشر سنة ١٩٦٦ م .

١٣٧) المعرب عن الكلام الأعجمى من حروف المعجم : تأليف أبى منصور الجواليقى تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ـ الطبعه الثانية مطبعة دار الكتب سنة ١٣٨٩ هـ سنة ١٩٦٩ م .

١٣٨) ملامح أدبية : تأليف أحمد الشرباصى ـ مطبعة الرسالة سنة ١٣٨٩ هـ ـ سنة ١٩٦٩ م .

١٣٩) ميزان الاعتدال فى نقد الرجاء : تأليف أبى عثمان محمد الذهبى ـ دار احياء الكتب العربية ـ عيسى البابى الحلبى ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣ م .

١٤٠) النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى : تأليف زكى مبارك ، مطبعة السعادة سنة ١٣٧٦ هـ ـ سنة ١٩٥٧ م .

١٤١) النجوم الزاهره فى ملوك مصر والقاهرة : تأليف ابن تغرى بردى ـ طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٦ م .

١٤٢) نزهة الالباء فى طبقات الأدباء : تأليف أبى البركات كمال الدين محمد الانبارى ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر بالفجاله بالقاهرة ـ مطبعة المدنى سنة ١٩٦٧ ـ سنة ١٣٨٦ هـ .

١٤٣) نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب : تأليف علي ابراهيم حسن
١٤٤) هدية العارفين : تأليف اسماعيل البغدادي ـ المطبعة البهية استانبول سنة ١٩٥١ م.
١٤٥) الوسيط في الأدب العربي وتاريخه : تأليف أحمد الاسكندري ـ مصطفى عنان ـ دار المعارف بمصر .
١٤٦) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان : تأليف أبي العباس شمس الدين بن خلكان ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ الطبعة الأولى مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٨ ـ مطبعة السعادة ومطبعات أخرى
١٤٧) يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر : تأليف أبي المنصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مكتبة الحسين التجارية ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٦٦هـ ـ سنة ١٩٤٧ م وطبعات أخرى .

"فهرست الموضوعات"

الموضوع	رقم الصفحه
المقدمة	أ
الباب الأول	١
عصر ابن الجوزى وحياته وآثاره	
الفصل الأول	
عصر ابن الجوزى	٢
الحياة السياسية	٢
الحياة الاجتماعية	١٣
الحياة الأدبية والفكرية	١٩
الفصل الثانى	
حياة ابن الجوزى	٣٠
نسبة وكنيته	٣٠
مولده ونشأته	٣١
شيوخه	٣٢
من أقواله فى الوعظ	٤٠
أدبه	٤١
شعره	٤٣
مفسرا	٤٦
صفاته	٤٦
بديهته وذكاؤه	٤٧
اعتداده بنفسه	٤٧
زهده	٤٩
موقفه من الحكام	٥٠
محنته	٥٢
وفاته	٥٣
أولاده	٥٤
تلاميذته ومريديه	٥٥
آراء العلماء	٥٥
الفصل الثالث	
آثار ابن الجوزى	٥٩
مصنفاته المتعلقة بالقرآن وعلومه	٦٢
مصنفاته فى أصول الدين	٦٣
مصنفاته فى علم الحديث والزهديات	٦٤
مصنفاته فى المناقب وأخبار الصالحين	٦٧

الموضوع	رقم الصفحة
مصنفاته فى التاريخ	٧٠
مصنفاته فى الفقه	٧٢
مصنفاته فى الوعظ وعلومه	٧٣
مصنفاته فى الطب	٧٨
مصنفاته فى الأدب واللغة والشعر	٧٨
من مصنفاته الجغرافية	٧٩
مصنفات أخرى	٧٩
الباب الثانى	
فن المقامة فى الأدب العربى	٨٣
الفصل الأول	
المقامة نشأتها وتدرجها عبر العصور	٨٣
معنى المقامة	٨٣
المعنى اللغوى	٨٣
المعنى الاصطلاحى	٨٦
نشأة المقامة	٩٠
تدرج المقامة عبر العصور	٩٥
المقامة فى الآداب الأخرى	١٠٣
فن المقامة بين العربية والفارسية	١٠٣
الفصل الثانى	
شهرة الهمذانى والحريرى فى فن المقامة	١٠٦
أولا : بديع الزمان الهمذانى	١٠٦
حياته	١٠٦
صفاته	١١٠
آثاره	١١٢
موضوع مقاماته	١١٦
ثانيا : أبو القاسم الحريرى	١٢٣
حياته	١٢٣
صفاته	١٢٥
آثاره	١٢٥
موضوع مقاماته	١٢٩
شهرة مقاماته	١٣٤
الفصل الثالث	
بين ابن الجوزى والبديع والحريرى	١٣٨
اطلالة على مقامات ابن الجوزى	١٣٨
بين ابن الجوزى والبديع والحريرى	١٥٢
الباب الثالث	
تحقيق مقامات ابن الجوزى	١٦٥

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة المؤلف	١٦٦
المقامة الأولى فى حكم الأشياء	١٧٢
المقامة الثانية فى وصف قاص	١٨١
المقامة الثالثة : فيما سبق	١٩٣
المقامة الرابعة : فيما سبق	٢٠١
المقامة الخامسة : فيما سبق	٢٠٩
المقامة السادسة : فيما سبق	٢١٣
المقامة السابعة : فى الحب وإيثار جهة الحق	٢١٧
المقامة الثامنة : فى السفر الى الله عز وجل	٢٢٨
المقامة التاسعة : فى ايقاظ الغافلين	٢٣٥
المقامة العاشرة : فى محاكمة النفس وصاحبها الى العقل .	٢٤٠
المقامة الحادية عشرة : فى ذم الأكل فى قوة العز .	٢٥٠
المقامة الثانية عشرة : فى الغزاة .	٢٥٩
المقامة الثالثة عشرة : فى النهى عن النظر	٢٦٤
المقامة الرابعة عشرة : فى الشيب	٢٦٩
المقامة الخامسة عشرة : فى الخائفين	٢٧٦
المقامة السادسة عشرة : فى النفس	٢٨٦
المقامة السابعة عشرة : فى المواعظ	٢٩٤
المقامة الثامنة عشرة : فى ذكر الحج	٣٠٢
المقامة التاسعة عشرة : فى الخلوة	٣١٦
المقامة العشرون : فى الصدقة .	٣٢٤
المقامة الحادية والعشرون : فى ذم البخل والطمع وذكر المريدين	٣٣٠
المقامة الثانية والعشرون : فى حسن الصحبة والمداراة .	٣٤٠
المقامة الثالثة والعشرون : فى الربيع	٣٤٩
المقامة الرابعة والعشرون : فى شىء من اللغة	٣٥٧
المقامة الخامسة والعشرون : فى طب القلوب	٣٦٣
المقامة السادسة والعشرون : فى ذم الدنيا ومدحها	٣٦٩
المقامة السابعة والعشرون : فى تفضيل العلم والعمل	٣٧٥
المقامة الثامنة والعشرون : فى ذم الهوى	٣٨٠
المقامة التاسعة والعشرون : فى ذم ابليس	٣٨٧
المقامة الثلاثون : فى المحبين	٣٩٤
المقامة الحادية والثلاثون : فى التعازى	٤٠٢
المقامة الثانية والثلاثون : فى ذم البخل	٤١٠

الموضوع	رقم الصفحه
المقامة الثالثة والثلاثون : فى وداع رمضان	٤١٩
المقامة الرابعة والثلاثون : فى وعظ السلطان	٤٢٨
المقامة الخامسة والثلاثون : فى وصف واعظ	٤٣٤
المقامة السادسة والثلاثون : فى دواء العشق	٤٤٤
المقامة السابعة والثلاثون : فى العزلة	٤٥٧
المقامة الثامنة والثلاثون : فى الأمثال	٤٦٤
المقامة التاسعة والثلاثون : فى الوعظ	٤٧٣
المقامة الاربعون : فى صوفية الزمان	٤٨١
المقامة الحادية والاربعون : فى علم القرآن والحديث وغيره من الغريب .	٤٩٠
المقامة الثانية والأربعون : فى هزل وجد	٥٠١
المقامة الثالثة والاربعون : فى مخاطبة العقل للنفس	٥١١
المقامة الرابعة والاربعون : فى الوعظ	٥١٨
المقامة الخامسة والأربعون : فى الأحاجى والمكاتبة والمواعظ	٥٢٥
المقامة السادسة والأربعون : فى الزهد فى المال	٥٣٨
المقامة السابعة والأربعون : فى الاستسقاء	٥٤٥
المقامة الثامنة والأربعون : فى ضرب الأمثال وحكم الحيوان	٥٥٣
المقامة التاسعة والأربعون : فى ذم أبناء الدنيا	٥٦٠
المقامة الخمسون : فى الأخ الصادق	٥٦٨
الخاتمة	٥٧٦
المراجع والمصادر	٥٨١
فهرست الموضوعات	٥٩١

((تم بحمد الله))